سلسلة الأمر الأول (١)



صنفه

أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي

المتوفى سنة ٤٩٠ رحمه الله تعالى

اختصره

محمد بن محمد الهريري الحلبي

المتوفى سنة ١٠٣٧هـ

اعتنى به وأشرف على تحقيقه وطبعه

عبد الرحمن بن صالح الحجي

المدرس بكلية الشريعة بالرياض سابقا

والمشرف العام على موقع الأمر الأول

دار الأمر الأول

الحُجَّةُ على تارِكِ المَحَجَّةِ

للإمام أبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي

407 – 490 هـ

دار الأمر الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، والصلاة والسَّلام على عبده ورسوله محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ الشيخ نصرًا المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ممن أجمع أهل التراجم على أنه كان من العاملين بعلمه، الزاهدين في الدنيا، المعتزلين الناس إلا في خير.

وقد صنَّف كتابَ (الحُجَّة على تارك المحجة) للتذاكر لا للتكاثر، وهو كتابٌ نفيسٌ للغاية، اقتصر فيه مؤلِّفُهُ على الآثار الموضحة للمحجة البيضاء؛ التي تركنا رسول الله ﷺ في أدناها، وطرفها الآخر في الجنة، فأتى بالآثار الآمرة بالاستغناء بالقرآن والعمل بما فيه، وعلى لزوم السُّنة والجماعة، وترك الرأي والأهواء المخزية والأحزاب المردية.

وأتى بالآثار التي توضح علماء السوء ودعاة الضلالة وعلاماتهم وصفاتهم. وحشد فيه أحاديث كثيرة- منها الصحيح ومنها الضعيف ومنها الموضوع- وإن كان قليلًا- لكنه نقله كما وجده، وذكره بإسناده ليبرأ من عهدته، وليس كل أحد يتقن التمييز بين الأخبار.

ثم إن هذا الكتاب الأثري قد فُقِد أصله، لكن أراد الله أن يختصره أحد نُساخ حَلَب في القرن العاشر، ولم يُغيِّر في الكتاب شيئًا سوى حذف الأسانيد، وقد بقي هذا المختصَر، وطُبع مرةً واحدةً طبعةً فيها تصحيفٌ كثيرٌ، وأُثْقِلت بحواشٍ لا داعي لها، ثم هي قد انقرضت منذ زمن.

فرأى القائمون على «**دار الأمر الأول**» إحياء هذه الموءودة واستخراج هذه الدُّرة. وقد تلخص عملنا في الآتي:

١- اجتهدنا في ضبط النَّص؛ وذلك بمقابلته بالأصول التي نَقَل منها المؤلف مادة هذا الكتاب.

٢- ذيلنا الكتاب بحواشٍ مليئة بالآثار؛ إما مكملة للأصل أو خادمة له.

فالحواشي إنما تطلب لبيان مجمل، أو تقييد مطلق، أو تفصيل مبهم، أو جمع طرق الرواية لتتضح، أو جمع الآثار المشابهة لمادة الكتاب؛ لئلا يرتاب المؤمنون وليزدادوا إيمانًا مع إيمانهم.

وبهذا ازداد الكتابُ حُسنًا وجمالًا، وأصبح إمامًا لأهل التوحيد والسُّنة.

وكان المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد قطع حبل الآثار في منتصف الكتاب بذكر عقيدته وعقائد بعض أئمة السَّلف وغيرهم، ثم عاد للآثار مرة أخرى؛ فرأينا أن نَنْقُل تلك العقائد إلى آخر الكتاب بعد الفراغ من الآثار- كما صنع الحُميدي في مسنده-.

وإنا نحمد الله إليكم- معاشر القراء- حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، ونثني عليه بما هو أهله، ونرجو منه سبحانه وتعالى أن ينفع بهذا الكتاب نفعًا عظيمًا، وأن يَقُودَ قارئه لأحسن الأعمال، فإن العلم يُراد للعمل، لا لزيادة المعارف والمباهاة.

تنبيه:

الطريقة المُثلى لقراءة هذا الكتاب: هي أن يُقرأ البابُ كاملًا من أوله إلى آخره قراءة تدبرٍ واستثارةٍ للإشكالات، ثم يعود القارئ مرة أخرى فيقرؤه بحواشيه. وبهذا يكون قد تصور الباب تصورًا جيدًا، وعرف مراد المؤلِّف منه.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين

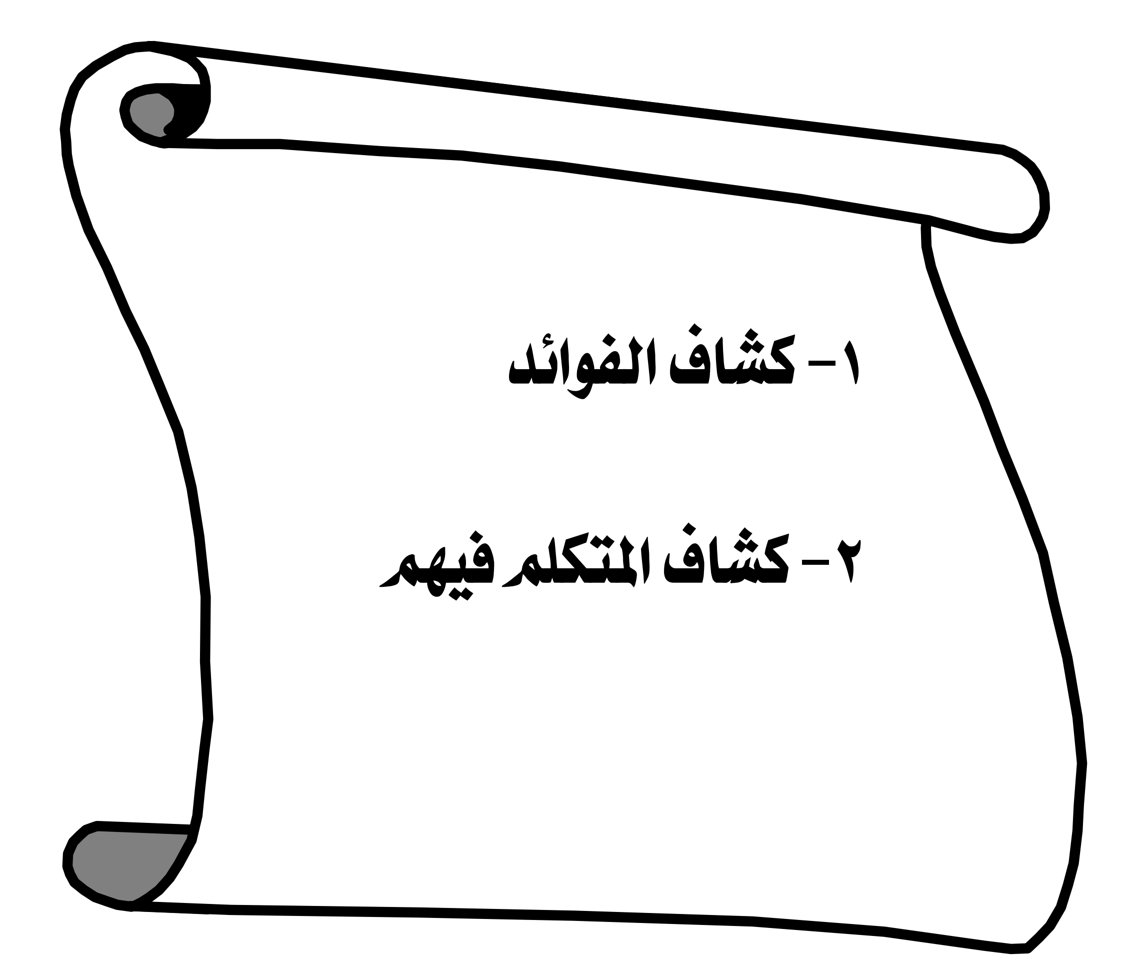
وكتب نيابة عن القائمين على «**دار الأمر الأول**»

عبدالرحمن بن صالح بن سليمان الحجي

المدرس بكلية الشريعة بالرياض سابقًا

والمشرف العام على موقع الأمر الأول

كشاف الكتاب



تنبيه:

اقتصرنا في هذا الكشاف على ذكر أرقام الآثار أو الأحاديث المذكورة في المتن، ولم نذكر أرقام الفوائد المذكورة في الحواشي إثارة وتشويقًا وبحثًا عنها.

١- قطوف من فوائد الكتاب:

رقم الأثر

١- قصص ومِحَن

٢- رؤى ومنامات

٣- تراجم وطبقات وما قيل في تعلم الكلام

٤- أوصاف وعلامات

٥- فضائل وخصائص

٦- كتب ورسائل

٧- أبحاث ومسائل

٨- خطب ومواعظ ووصايا وحِكَم وأمثال

○○○

عقائد المخالفين والمتكلم فيهم

عبدالله بن الكواء

ابن حجر العسقلاني

ابن حجر الهيتمي

أبو الحسن الأشعري

أبو بكر الإسماعيلي

أبو ثور

أبو حنيفة

أبو قتيلة

أحمد ابن أبي دؤاد

الألباني

الجهم بن صفوان

الحسن بن صالح

الذهبي

الشعراوي

الشوكاني

العز بن عبدالسَّلام

النووي

الوليد بن أبان الكرابيسي

بشر المريسي

بشر بن السَّرِي

حسين الكرابيسي

حفص الفرد

ذر بن عبدالله الهمداني

ربيعة الرأي

سعيد ابن أبي عروبة

سعيد بن سالم القداح

سيد قطب

شبابة بن سوار

عبدالعزيز بن أبي رواد

عبدالمجيد بن عبدالعزيز ابن أبي رواد

عثمان البتي

علي بن بذيمة

عمرو بن بحر الجاحظ

عمرو بن عبيد

قتادة بن دعامة

قيس الماصر

كُميل بن زياد

محمد بن إسحاق

محمد بن خازم أبو معاوية الضرير

هلال بن مسلم

واصل بن عطاء

يحيى بن خالد بن برمك

ترجمة المؤلف والكتاب

○ أولاً: المؤلف:

الاسم:

نصر بن إبراهيم بن نصر بن إبراهيم بن داود بن أحمد الفقيه؛ نزيل دمشق أصله من نابلس، وسكن بيت المقدس، ودرس هنالك فنُسب إليه.

الكنية:

أبو الفتح.

اللقب:

ابن أبي حافظ. وقيل: ابن أبي حائط.

المذهب:

الشافعي.

المولد:

قيل: وُلِد قبل سنة عشر وأربع مئـة، وقيل: سبع وأربع مئة.

رتبته في الحديث:

صدوق، حسن الحديث.

الشيوخ:

سمع من أبي علي الأهوازي المقرئ- الذي صنَّف كتابًا في مثالب أبي الحسن الأشعري- وسمع من عبدالرحمن بن الطبيز، وأبي الحسن محمد ابن عوف المزني، وابن سلوان المازني وطبقتهم، وسمع من هبة الله بن سليمان.

وبـ (صور) من الفقيه سليم الرازي، وعبدالوهاب بن الحسن بن برهان الغزال.

وبـ (غزة) من محمد بن جعفر الميماسي؛ سمع منه «الموطأ»، وسمع «صحيح البخاري» من أبي الحسن بن السمسار.

وبـ (القدس) من أبي القاسم عمر بن أحمد الواسطي، وأبي العزائم محمد بن محمد بن الغراء البصري، وأبي الفرج عبيدالله بن محمد المراغي النحوي، وأبي بكر محمد بن الحسن البشنوي وغيرهم.

وبـ (مَيّافارِقِين- مدينة بديار بكر-) من أبي الطيب سلامة بن إسحاق الآمدي.

التلاميذ:

روى عنه الخطيب البغدادي، ومكي الرميلي، ومحمد بن طاهر، وأبو القاسم النسيب، وأبو الحسن علي بن المسلم، والقاضي المنتجب يحيى بن علي القرشي، وأبو الفتح نصر الله بن محمد المصيصي، وعلي بن أحمد بن مقاتل، وحسان بن تميم، ومعالي بن الحبوبي، وأبو يعلى حمزة بن الحبوبي، وحمزة بن أحمد بن كروس، وخَلْقٌ كثير.

المصنفات:

١- التهذيب في الفقه.

٢- الانتخاب الدمشقي في الفقه، في بضعة عشر مجلدًا.

٣- الكافي في الفروع.

٤- شرح الإشارة.

٥- المقصود.

٦- التقريب.

٧- الفصول.

٨- تحريم نكاح المتعة.

٩- الحث على قضاء الحوائج.

١٠- الحجة على تارك المحجة- وهو كتابنا هذا.

١١- مناقب الشافعي.

١٢- جزء في فضائل مالك.

١٣- الأربعين في الحديث.

١٤- المصباح الداعي إلى الفلاح.

١٥- نسب النبي ﷺ وقرابته.

هذا غير الأجزاء الحديثية والأمالي.

الاعتقاد:

من يقرأ مقدمة المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ يعلم أنه كان على طريقة أهل السُّنة المتقدمين. وقد ذَكر عقيدةً له موافقة لما كان عليه سلفُ الأمة.

وفي كتاب الوافي بالوفيات للصفدي (٤/ ٢٦٥) عند ترجمته لابن كرّام- الضال المجسم، شيخ الكرامية- قال: «لما توفي كان أصحابه في القدس أكثر من عشرين ألفًا على التقشف والتعبد».

ثم قال: «وكان نصر بن إبراهيم المقدسي ينكر عليهم، ويقول: ظاهر حسن وباطن قبيح». وقال ابن الجوزي: كان بالقدس رجل يقال له: هجام، يحب الكرامية ويحسن الظن بهم، فنهاه الفقيه نصر بن إبراهيم المقدسي عنهم. فقال: إنما لي ما ظهر منهم. فقال له: ظاهر حسن وباطن قبيح. فلما كان بعد ليال رأى هجام في المنام كأنه اجتاز برباطهم، وقد نبت النرجس في حيطانه، فمدَّ يده ليأخذ طاقة منه، فوجد أصوله في العذرة، فقص رؤياه على الفقيه نصر، فقال له: هذا تصديق ما قلت لك: ظاهرهم حسن وباطنهم خبيث». اهـ

ما قيل عنه:

عكف على العلم والعمل متصفًا بالزهد والنَّزاهة، لم يقبل من أحد صلة، ولا نَعِم بلين عيشة؛ إنما كان يقتات من غلة تُحمل إليه من أرض كانت له بنابلس، يُخبز له منها كل ليلة قرص في جانب الكانون. وكان متجنبًا للسلطان، ويُحكى من قناعته وتقلله وتركه تناول الشهوات أشياء عجيبة. وذكره ابن كثير في طبقات الفقهاء الشافعيين؛ فقال: «عَظُمَ شأنه مع العبادة والزهد الصادق والورع والعلم والعمل».

الوفاة:

كانت وفاته عصر يوم الثلاثاء التاسع من المحرم سنة تسعين وأربع مئة، ودفن بباب الصغير بدمشق. وعاش رَحِمَهُ ٱللَّهُ نيفًا وثمانين سنة.

○ ثانيًا: الكتاب:

اسم الكتاب:

الحجة على تارك المحجة؛ وهذا هو المشهور من اسم الكتاب. وقيل: الحجة على تاركي سلوك طريق المحجة؛ ذكر هذا الاسم ابن رجب في جامع العلوم والحكم (١/ ٣٨٧).

موضوعه:

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جامع العلوم والحكم (١/ ٣٨٧): «كتاب الحجة للشيخ أبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي الشافعي الفقيه الزاهد نزيل دمشق هو كتاب يتضمن ذكر أصول الدين على قواعد أهل الحديث والسُّنة». اهـ

توثيق الكتاب:

نَسَبه إليه الذهبي في سير أعلام النبلاء (٩/ ١٣٦)، فقال: «صنَّف كتاب الحجة على تارك المحجة».

وقال عنه في (العلو): «كتاب الحجة له، وهو مجلد في السُّنة». اهـ

وكذا نَسَبه إليه ابن رجب في جامع العلوم والحكم، وغيرهما كثير، منهم: صاحب كتاب شذرات الذهب، ودرء التعارض، وهدية العارفين.

وهو كتاب كبير فُقِد أصله ووُجِد مختصره، وهو كتابُنا هذا.

وقد اختصر هذا الكتاب- بحذف أسانيده فقط- محمد بن محمد الهريري الحلبي[1].

ooo

---

(١) هو: محمد بن محمد الهريري الحلبي، الكاتب الشَّاعر، نزيل دمشق.
- قال المحبي في خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (٤/ ٣٠٠): (هو وإن كانت حلب مسقط رأسه، فدمشق مدرج أنفاسه، قَدِم إليها واختلط بأبنائها، وغذي طبعه برقة مائها وهوائها، وكان ممتع المجالسة حلو المناسبة والمجانسة، وكتب الكثير بخطه وضبطه بضبطه، لكن خطه صدا النواظر وقسوة الخواطر، وله شعر يُنسب إليه، أكثره مغصوب، ضمانه عليه، وعندي أن شعره لو قيل له: ارجع إلى أهلك؛ لم يبق منه شيء. وكانت وفاته في سنة سبع وثلاثين وألف). اهـ


مقدمة الكتاب
والأبواب المؤسسة لما بعدها



مقدمة الكتاب

الحمد لله على نوائب الدهور، وشدائد يوم النشور؛ الذي بنعمته تتم الصالحات، وبتوفيقه تنال الدرجات، أحمده بجميع محامده؛ عدد ما حمده الحامدون.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، عدد ما عبده العابدون، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصفيه ونبيه.

أرسله وظلمات الكفر مدلهمة، وضحى الباطل مستتمة، وأعوان الشيطان له مظاهرون، وإلى أوامره من الكفر والباطل صائرون،

يعبدون ما ينحتون، ويتألهون ما يستحسنون، ويأتون من المنكر ما يشتهون، صم بكم عُمي فهم لا يعقلون،

لا يعتقدون لله دينًا، ولا يعرفونه يقينًا، اعتمادهم على استقسام الأزلام، وجُلُّ عبادتهم السجود للأصنام، ما رضوه من ذلك عبدوه، وما لم يرضوه رفضوه، ليس لهم حال يُرجع إليه، ولا دين يُعول عليه، ينكرون البعث والنشور، مرتكبون لكل قبيح ومحذور[1].

---

(١) بدأ المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ مقدمة كتابه بذكر أوصاف المشركين؛ من كونهم يعبدون ما ينحتون، ويتألهون ما يستحسنون... مع أن موضوع الكتاب في السُّنة والحثِّ عليها، وفي البدعة والتنفير عنها! ومعنى هذا أن المبتدعة هم أكثر الناس شبهًا بالمشركين، كما أن البدعة هي بريد الكفر والشرك؛ وكل ما ذكره المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أوصاف المشركين هي بذاتها أوصاف لأهل البدع =

فجلا الله تعالى بنبيه ﷺ ظلماء الكفر وطخياه[1]، وسعى ودعا إلى الله كما أمر، وجاهد فيه حق جهاده ما فتر، وبلغ رسالات ربه، وفسر مجمل آياته، وشرح الدين بأمر الله ووحيه، وأبان عن حقيقة أمره ونهيه،

والأهواء. وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ﴾.

– قال أبو قلابة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (هما جزاء كل مفتر إلى يوم القيامة).

– وقال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وكذلك نجزي المبتدعين).

– وقال النبي ﷺ: (لَتَتَّبِعُنَّ سنَن مَن كان قَبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا جُحْرَ ضَبٍّ لدخلتموه).

– وقال ابن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لا أعلم التقحم في الكفر أو الردة إلا سواء، وإن الردة تكون في أصحاب الأهواء).

– ورُوي عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: (اتقوا الإرجاء؛ فإنها شعبة من النصرانية).

– وقال سعيد بن جبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (المرجئة يهود القبلة)؛ وذلك لأن الله قال عن اليهود: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا ﴾.

– وقال ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (المرجئة يقولون: حسناتنا مقبولة وسيئاتنا مغفورة).

– وقال السَّلف: (القدرية مجوس هذه الأمة)؛ وذلك لأن المجوس يؤمنون بالأصلين وهما: النور والظلمة، ويزعمون أن الخير من فعل النور، والشر من فعل الظلمة، فصاروا ثانوية، وكذلك القدرية يضيفون الخير إلى الله، والشر إلى غيره.

– وقال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (من فسد من علمائنا ففيه شَبَهٌ من اليهود، ومن فسد من عُبّادنا ففيه شَبَهٌ من النصارى).

– وقال الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كما في الدرر السنية (٢/ ٨٣): (من دعا إلى غير الله فقد أشرك، ومن دعا الله بغير إذنه فقد ابتدع، والشرك بدعة، والمبتدع يؤول إلى الشرك).

(١) طخياه: ظلماته، والطخية: الظلمة، وطاخيات: ظلمات تلبس القلب، طخا الليلُ طَخْوًا وطُخُوًا: إذا أظلم. والطخاء: الغشاء يغطى غيره. انظر: المحكم والمحيط الأعظم (٥/ ٢٨٦).

لم يختزل عن أمته شيئًا من أمر دينهم، ولا استأثر به دونهم، ولم يترك مجملًا يحتاج إلى غيره في تبيينه، أو يرجع إليه في تفسيره؛ لأن الله تعالى أكمل الشريعة على لسانه، وتمم الحقَّ ببيانه، وأخبر بذلك في كتاب أنزله إليه، وأعظم به المنّة عليه؛ فقال عزَّ من قائل: «ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا» [المائدة:٣]؛ فلم يبق بعد كماله غاية تطلب، ولا فريضة توجب.

وقد قال ﷺ: **«تفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة؛ واحدة ناجية، والباقي في النار»**[1]؛ فذكر أن الناجية ما كان هو ﷺ وأصحابه عليه.

---

(١) رواه بهذا اللفظ الربيع بن حبيب في مسنده، وفي آخره زيادة: (وكُلُّهم يَدَّعِي تلك الواحدة).
- وحديث الافتراق متواتر؛ جاء في السنن والمسانيد، وأجمع أهل العلم عليه؛ فقد جاء عن جماعة من الصحابة، منهم معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أخرجه أحمد، وأبو داود وغيرهما، ولفظه عندهما: (إنَّ أهل الكتابين افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملَّة، وإنَّ هذه الأمَّة ستفترق على ثلاث وسبعين ملَّة يعني الأهواء، كلُّها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة).
- وهو صحيح لشواهده التي جاءت عن أنس، وعبدالله بن عمرو- رواه عنه الترمذي في سننه- وعوف بن مالك، وأبي أمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، قال الحاكم في المستدرك (١/ ٦) عن حديث افتراق الأمة: (هذا حديثٌ كبيرٌ في الأصول)، وقال (١/ ١٢٨): (هذه أسانيد تُقام بها الحجة في تصحيح هذا الحديث).
- وأمر الافتراق والاختلاف ليس مقتصرًا على هذه الرواية فقط، بل جاء ذكر الافتراق والاختلاف في القرآن؛ قال تعالى: (وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ).
- وقال النبي ﷺ: (إنه من يعش بعدي منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين...). الحديث.
- وقوله ﷺ: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق...). الحديث.

=

فواجب على كل مسلم احتاط لدينه، وأراد المحافظة على إتمامه وتعيينه، وأحب أن يكون متبعًا لملته وشريعته، أن يقتفي آثاره، وما أجمع عليه أصحابه، لا يخالف ذلك إلى سواه، فقد أخبر أن التكلف فيما عداه.

وقد كان الناس على ذلك زمانًا بعده، إذ كان فيهم العلماء وأهل المعرفة بالله من الفقهاء؛ فمن أراد تغيير الحق منعوه، ومن ابتدع بدعة زجروه، وإن زاغ عن الواجب قوّموه، وبيَّنوا له رشده وفهّموه[1].

- وقال حفص بن حميد: (قلت لعبدالله بن المبارك: على كم افترقت هذه الأمة؟ فقال: الأصل أربع فرق: هم الشيعة والحرورية والقدرية والمرجئة؛ فافترقت الشيعة على ثنتين وعشرين فرقة، وافترقت الحرورية على إحدى وعشرين فرقة، وافترقت القدرية على ست عشرة فرقة، وافترقت المرجئة على ثلاث عشرة فرقة؛ قلت: يا أبا عبدالرحمن! لم أسمعك تذكر الجهمية؛ قال: إنما سألتني عن فِرَق المسلمين).

- وجاء عن يوسف بن أسباط أن كل أصل من هذه الأصول الأربعة انقسم إلى ثماني عشرة فرقة.

(١) وفي كتاب المحن لأبي العرب التميمي (١/ ٤٢٤) قال أبو العرب: (حدثني عبدالله بن محمد الفارسي، عن محمد بن عبدالرحمن بن أبي المصعب، قال: قدم عبدالرحمن بن مهدي، فصلى ووضع رداءه بين الصفوف، فلما أن سلم الإمام؛ رمقه أهل المسجد بأبصارهم، وجعلوا يرمقون مالك بن أنس، وكان قد صلى خلف الإمام؛ فلما أن سلم الإمام، قال مالك: مَن ههنا مِن الحرس؟ فجاءه نفسان، فقال: خذا صاحب الثوب فاحبساه، فأُخذ فحُبس، فقيل له بعد أن حُبس: إنه عبدالرحمن بن مهدي، فوجَّه إليه فدعاه، وقال: أما خفت الله واتقيته أن وضعت ثوبك بين يديك في الصف، وأشغلت المصلين بالنظر إليه، وأحدثت في مسجدنا شيئًا ما كنا نعرفه، وقد قال النبي ﷺ: (من أحدث في مسجدنا حدثًا؛ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين). فبكى عبدالرحمن وآلى على نفسه ألا يضع ثوبه بين يدي الصف أبدًا في مسجد رسول الله ﷺ ولا غيره). اهـ

=

فلما ذهبت العلماء الحكماء، ركب كل واحد هواه؛ فابتدع ما أحبه وارتضاه، وناظر أهل الحق عليه، ودعاهم بجهله إليه، وزخرف لهم القول بالباطل، وزينه لهم حتى صار ذلك عندهم دينًا، يُكفَّر من خالفه، ويُلعن من باينه، وساعده على ذلك من لا علم له من العوام، وتوقع به الظِنة والاتهام، ووجد على ذلك من الجهال أعوانًا، ومن أعداء العلم أخدانًا؛ أتباع كل ناعق، ومجيبو كل زاعق، لا يرجعون فيه إلى دين، ولا يعتمدون على يقين، قد تمثلت لهم به الرياسة، فزادهم ذلك في الباطل نفاسة، تزينوا به للعامة، ونسوا شدائد يوم الطامة، وقد أخبر رسول الله ﷺ بذلك في غير حديث؛ فقال ﷺ: **«إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، فإذا لم يَبْقَ عَالِمٌ؛ اتخذ الناس رؤساء جهالًا فسئلوا؛ فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا»**[١].

فلما رأيت ذلك قد كثر، وزاد الأمر فيه واشتهر، حتى قَلَّ من يتكلم بعلم، أو يَدَّيَّنُ بفهم؛ إلا بقايا لا يرجع الجهال إليهم، ولا يعولون في

- وفي رواية عن ابن مهدي؛ قال: (فقال مالك: يا عبدالرحمن! تصلي مستلبًا؟ فقلت: يا أبا عبدالله! إنه كان يومًا حارًا كما رأيت، فثقل ردائي عليَّ؛ فقال: آلله ما أردت بذلك الطعن على من مضى والخلاف عليه؟ قلت: آلله، فقال للحرس: خلياه). اهـ

- فإذا كان هذا التشديد منهم في وضع الثوب في الصلاة، فكيف لو رأوا حالنا اليوم؟! وقد انفتحت البدع على الناس انفتاحًا عظيمًا، والله المستعان!

- والإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان مأذونًا له من قِبَل ولي الأمر باستدعاء الشُّرَط والتغيير والحبس، فليس في الأثر حجة للخوارج بالافتيات على ولي الأمر.

(١) متفق عليه.

أمورهم عليهم؛ لما أوغره رؤساؤهم الجهال في صدورهم، وقرروه في نفوسهم؛ رغبة في اجتماع العوام عليهم، ورجوعهم إليهم، لئلا يَشِفَّ[(١)] عنهم ما ألفوه من برهم ورفقهم، واعتادوه من تعظيمهم وعزهم؛ فهلكوا في نفوسهم، وأهلكوا أتباعهم، وتركوا ما وجب عليهم، واتبعوا أهوائهم؛ سألتُ اللهَ العظيم التوفيقَ في جمع هذا الكتاب وسميته: **«الحجة على تارك المحجة»**[(٢)].

وقصدت به بيان ما يجب اتباعه على المسلمين، وما يلزم أهل التعبد والدين، من الرجوع إلى كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وإجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان، والأئمة من العلماء المتقدمين، ومن عُرف بالورع

---

(١) أي: ينقص. وفي تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي (٢٣/ ٥١٩): (الشَّفُّ: بالفتح، ويكسر: الربح والفضل. وقال ابن السكيت: الشَّفُّ أيضًا: النقصان، فهو ضدٌّ- نقله الجوهري- يقال: هذا درهم يَشِفُّ قليلًا، أي: ينقص. وشَفَّ، يَشِفُّ، شَفًّا: زاد ونقص). اهـ

(٢) يشبه هذا ما قاله البغوي في بيان سبب تأليفه لكتابه شرح السُّنة؛ فقال: (إني رأيت أعلام الدين عادت إلى الدروس، وغلب على أهل الزمان هوى النفوس، فلم يبق من الدين إلا الرسم، ولا من العلم إلا الاسم، حتى تصور الباطل عند أكثر أهل الزمان بصورة الحق، والجهل بصورة العلم، وظهر فيهم تحقيق قول الرسول ﷺ: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبْق عالمًا اتخذ الناس رُؤوسًا جهالًا، فسُئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا). ولما كان الأمر على ما وصفته لك، أردت أن أجدد لأمر العلم ذِكرًا، لعله ينشط فيه راغب متنبه، أو ينبعث له واقف متثبط، فأكون كمن يسعى لإيقاد سراج في ظلمة مطبقة، فيهتدي به متحير، أو يقع على الطريق مسترشد، فلا يخيب من الساعي سعيه، ولا يضيع حظه، والله المستعان وعليه التكلان، وهو حسبي ونعم الوكيل). انظر: مقدمة شرح السُّنة (١/ ٣).

والدين[1]، وما يجب تجنبه واطراحه من البدع المحدثة، والأهواء المضلة، وترك الجدل والخصومة في الدين، والكلام وغير ذلك، مما حُذرنا من مواقعته، وأُمرنا بمجانبته ومخالفته، ورسمته أبوابًا؛ لينتفع به المبتدي، وليتذكر به المنتهي؛ معتمدًا فيه على الروايات والأسانيد[2]، طالبًا من الله تعالى به المنفعة فيما لديه، والقربة إليه، إنه جواد كريم.

❒ ❒ ❒

(١) في طبقات المحدثين (٢/ ٢٤١) قال أبو سفيان صالح بن مهران: (إذا رأيت العالم لا يتورع في علمه، فليس لك أن تأخذ عنه).

(٢) قام مختصر الكتاب: (محمد بن محمد الهريري الحلبي- مُترجَم له في مقدمة الكتاب) بحذف تلك الأسانيد، وأبقى المتون؛ طلبًا للاختصار، ولا يزال أصل الكتاب مفقودًا، ولكن حفظ الله للمسلمين مختصره، فله تعالى الحمد على كل حال.

١- باب: ما أوجب الله عَزَّوَجَلَّ على جميع الأمة من قبول أوامر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونواهيه(١)

قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟» [الحشر:٧].

وقال تعالى: «ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ» [الأعراف:١٥٧].

في آيات كثيرة.

١- قال إسماعيل بن عبيدالله المخزومي:

ينبغي لنا أن نتحفظ ما جاءنا عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن الله عَزَّوَجَلَّ قال: «وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟» [الحشر:٧]، فهو بمنزلة القرآن.

٢- عن أبي شريح الكعبي؛ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عام الفتح -: **«من قُتل له قتيل فهو بخير النَّظَرين، إن أحب أخذ العقل، وإن أحبَّ فله القَوَد»**. فقال أبو حنيفة لابن أبي ذئب رَحِمَهُ اللَّهُ: أتأخذ بهذا الحديث؟!

(١) خلاصة معنى هذا الباب والأبواب التي تأتي بعده: أن القوم عرفوا وأيقنوا أنه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنه يُوحى إليه، فاسترسلوا معه، ولم يعارضوا سنته برأيٍ أو فكرٍ أو عاطفةٍ أو حماسٍ، بل كانت السُّنة أَجَلَّ في صدورهم من أن يقدموا عليها: (رأيًا فقهيًّا، أو بحثًا جدليًّا، أو خيالًا صوفيًّا، أو تناقضًا كلاميًّا، أو قياسًا فلسفيًّا، أو حكمًا سياسيًّا).

- وهذا عين ما قاله أبو بكر الصديق لعمر الفاروق يوم الحديبية، قال: (أيها الرجل! **إنه رسول الله**، ولن يعصي ربه عز وجل، وهو ناصره، فاستمسك بغرزه- وقال يحيى بن سعيد: تَطَوَّف بغرزه- حتى تموت، فوالله إنه لعلى الحق). رواه أحمد.

وفي رواية قال: (يا عمر! الزم غرزه؛ **فإني أشهد أنه رسول الله** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

قال: فضرب صدري وصاح عليَّ صياحًا كثيرًا، ونال مني، وقال: أحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول: أتأخذ به؟! نعم آخذ به؛ وذلك الفرض عليَّ وعلى من سمعه، إن الله تعالى اختار محمدًا ﷺ من الناس وهداهم به وعلى يديه، واختار لهم ما اختار له على لسانه، فعلى الخلق أن يتبعوه طائعين أو داخرين، لا مخرج لمسلم من ذلك.

قال: وما سكت عني حتى تمنيت أن يسكت[1].

٣- وقال الحميدي:

سأل رجل الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن مسألة؛ فأفتاه فيها، وقال: قال رسول الله ﷺ كذا وكذا، قال: أتقول بهذا؟! قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أرأيت في وسطي زُنَّارًا[2]؟! أرأيتني خرجت من كنيسة؟! أروي عن النبي ﷺ شيئًا، ولا أقول به[3]!

---

(١) الحديث رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه؛ بألفاظ متقاربة، وأصله في الصحيحين. وأبو حنيفة هذا: هو أبو حنيفة بن سماك بن الفضل الشهابي اليماني شيخ الشافعي، وليس أبا حنيفة النعمان صاحب الرأي، والقصة ذكرها الشافعي في مسنده، وعنه البيهقي في معرفة السنن.

(٢) الزُّنَّار: هو ما يلبسه المجوسي والنصراني، ويشده على وسطه. لسان العرب (٤ / ٣٣٠).
- والشافعي هنا لا يتصور مسلمًا يشهد أن لا إله إلا الله، ثم يُقرأ عليه حديث رسول الله ﷺ ولا يأخذ به! فهذا الظن بالكافر.

(٣) وقال الربيع: وسمعته- أي الشافعي- يقول- وقد قال له رجل-: تأخذ بهذا الحديث يا أبا عبدالله؟! فقال-: (متى رويت عن رسول الله ﷺ حديثًا صحيحًا ولم آخذ به؛ فأشهدكم أنَّ عقلي قد ذهب).
- وقال ابن هانئ في مسائله للإمام أحمد (٥٧٠): (قلت: إذا غلبت الخوارج على قوم، فأخذوا زكاة أموالهم هل يجزئ عنهم؟ قال: يُروى فيه عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: تجزئ عنهم.
=

فقلت له: تذهب إليه؟ قال: أقول لك: فيه عن ابن عمر، وتقول لي: تذهب إليه؟!). اهـ
- وفي طبقات الحنابلة (٢/ ١٤) قال الفضل بن زياد: (سمعت أبا عبدالله- أحمد بن حنبل- يقول: من رَدَّ حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكة).
- والهلكة التي يقصدها الإمام أحمد هي الكفر:
- قال تعالى: (فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ).
- وقال تعالى: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا).
- وقال: (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ).
- وقال محمد بن نصر المروزي: كان إسحاق بن راهويه، يقول: (من بلغه عن رسول الله ﷺ خبرٌ يقر بصحته، ثم ردَّه بغير تقية؛ فهو كافر).
- وروى الخلال في السنة (١٧٥٠) عن الحسن بن البزار، قال: (جاء رجل إلى بشر المريسي، فقال: يا أبا عبدالرحمن! أذاكر أصحاب الحديث، فكلما ذكروا الحديث عن النبي ﷺ رددتُّه. قال: يقولون: أنت كافر! قال: صدقوا؛ إذا ذكروا الحديث عن النبي ﷺ، فرددَّته، يقولون: أنت كافر. قال: فكيف أصنع؟ قال: إذا ذكروا حديث النبي ﷺ، قل: صدقتم، ثم اضربه بعِلَّةٍ، فقل: له عِلَّةٌ!).
- وهذا كالإجماع من أصحاب الحديث على كُفر من ردَّ الحديث.
- وروى الخلال في السُّنة (١٧٥١) عن الشافعي، قال: (ذاكرتُ هذا الحديث المريسي- يعني: حديث: القرعة بين الستة الأَعْبُد- فقال: هذا قمار! فأتيت أبا البختري، فقال: يا أبا عبدالله! شاهدٌ آخر، وأرفعه على الخشبة، وأصلبه).
- وروى يعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ (٢/ ١٨١) عن محمد بن خازم، قال: (كنت أقرأ حديث الأعمش، عن أبي صالح على أمير المؤمنين هارون الرشيد، فكلما قلت: قال رسول الله ﷺ، قال: ﷺ على سيدي ومولاي. حتى ذكرتُ التقى آدم وموسى- أي: حديث: احتجَّ آدم وموسى- فقال عمٌّ هارون: يا محمد! أين التقيا؟ قال: فغضب هارون، وقال: من طرح إليك هذا؟! وأمر به فحبس، ووكل بي من حشمه من أدخلني عليه في محبسه. فقال: يا محمد! والله ما هو إلاَّ شيء خطر ببالي، وحلف لي بالعتق وصدقة المال، وغير ذلك من مغلظات الأيمان، ما سمعت من أحد ولا جرى بيني وبين أحد في هذا كلام، وما هو إلاَّ شيء خطر على بالي. قال: فلما رجعتُ إلى أمير المؤمنين، كلمته، قال: ليدلني على من طرح إليه هذا الكلام. =

٤- وقال ابن وهب:

قال لي مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعت ابن شهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: لا تعارضوا السُّنة، وسَلِّموا لها[١].

٥- وقال حنبل: سمعت أبا عبدالله أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧]؛ وقد أمرنا الله عَزَّوَجَلَّ بالأخذ بما جاء به، والنهي عما نهى عنه[٢].

نسأل الله التوفيق لنا ولكم برحمته. إياكم والكلام وأصحاب الأهواء، وهذه المسائل الردية؛ فإنه أسلم لكم إن شاء الله.

❒ ❒ ❒

فقلت: يا أمير المؤمنين! قد حلف بالعتق وبمغلظات الأيمان إنه إنما شيء خطر على بالي، ولم يجر بيني وبين أحد فيه كلام. قال: فأمر به فأُطلق من الحبس. وقال لي: يا محمد! ويحك! إنما توهمت إنه طرح إليه بعض الملحدين هذا الكلام الذي خرج منه، فيدلني عليهم؛ فأستبيحهم). اهـ

(١) وفي مسائل صالح ابن الإمام أحمد (٢/ ٦٨) عن عبدالله الدَّاناج، قال: (شهدت أبا سلمة بن عبدالرحمن بن عوف زمن خالد بن عبدالله بن أسيد في هذا المسجد- يعني: الجامع بالبصرة- قال: وجاء الحسن فجلس إليه، قال: فحدَّث، فقال: حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إن الشمس والقمر ثوران مُكوَّران في النار يوم القيامة). قال: فقال الحسن: وما ذنبهما؟! فقال: أحدثك عن رسول الله ﷺ! قال: فسكت). اهـ

(٢) وفي الإبانة الكبرى لابن بطة (١/ ٤٦) سئل سهل بن عبدالله التستري عن شرائع الإسلام. فقال: (قال العلماء في ذلك وأكثروا، ولكن نجمعه كله بكلمتين: (وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟). ثم نجمعه كله في كلمة واحدة: (مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ). فمن يطع الرسول ﷺ في سنته؛ فقد أطاع الله عَزَّوَجَلَّ في فريضته). اهـ

٢ - باب: بيان قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ - إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ وأن كل ما أمر به النبي صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أو نهى عنه؛ فبوحي من الله عَزَّوَجَلَّ

٦- عن الأوزاعي رَحِمَهُٱللَّهُ، عن حسَّان بن عطية؛ قال:

كان جبريل عَلَيْهِٱلسَّلَامُ ينزل على النبي صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بالسُّنة كما ينزل عليه بالقرآن؛ يعلمه إياها كما يعلمه القرآن.

٧- وعن ابن نُضيلة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ قال: قال رسول الله صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ:

«لا يسألني الله عَزَّوَجَلَّ عن سنة أحدثتها فيكم لم يأمرني الله عَزَّوَجَلَّ بها»(١).

٨- وعن عبدالله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا؛ قال:

كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أريد حفظه؛ فنهتني قريش، وقالوا: أتكتب كل شيء تسمعه من رسول الله صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ورسول الله صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بشر يتكلم في الغضب والرضا؛ فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فأومأ بإصبعه إلى فِيهِ، وقال: **«اكتب، فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق»**(٢).

٩- وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال:

«لا أقول إلا حقًّا»، فقال مَن حوله: إنك تداعبنا؟

---

(١) رواه الطبراني في الكبير.

(٢) رواه أحمد، وأبو داود، والدارمي.

قال: «**إني لا أقول إلا حقًّا**»[(١)].

١٠- وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال:

جاء رجل إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله! أي البقاع خير؟ فقال: «**لا أدري**»، أو سكت، ثم قال: أي البقاع شر؟ فقال: «**لا أدري**»، أو سكت، قال: فأتى جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ فسأله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فقال: لا أدري، قال: «**سل ربك** عَزَّ وَجَلَّ»؛ فقال: ما أسأله عن شيء، وانتفض انتفاضة كاد أن يصعق منها محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما صعد جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: «**سألك محمد** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **عن أي البقاع خير، قلت: لا أدري؟ قال: نعم؛ قال: فَخبِّره أن خير البقاع: المساجد، وشر البقاع: الأسواق**»[(٢)].

١١- وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال:

قرأ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما أُمر، وسكت فيما أُمر: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم:٦٤]، ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١][(٣)].

---

(١) رواه أحمد، والترمذي.

(٢) رواه البيهقي، وابن حبان.

(٣) هذا الكلام قاله ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا احتجاجًا لمذهبه- ولم يوافقه باقي الصحابة عليه- في عدم القراءة خلف الإمام مطلقًا- حتى في السِّرِّيَّة-.
- وروى الطبراني في الكبير، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: (قرأ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صلوات، وسكت في صلوات، فنحن نقرأ فيما قرأ فيه نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونسكت فيما سكت فيه، فقيل له: فلعلَّ نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرأ في نفسه فغضب، وقال: أَيُتَّهَم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! أَيُتَّهَم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!).

١٢- وعن المطلب بن حنطب، أن رسول الله ﷺ قال:

«ما تركتُ شيئًا مما أمركم الله به إلا وقد أمرتكم به، ولا تركت شيئًا مما نهاكم الله عنه إلا وقد نهيتكم عنه، وإن الروح الأمين قد نفث في رُوعي أنه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها؛ فَأَجْمِلُوا في الطلب»[١].

١٣- وعن المقدام بن مَعْدِيكَرِب الكِندي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«حرم الله أشياء- فذكر الحُمُر** الإنسية- ثم قال: **يوشك رجل متكئ على أريكته يُحدَّث بالحديث من حديثي؛ فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله** عَزَّ وَجَلَّ، **فما وجدنا حلالًا؛ حللناه، وما وجدنا حرامًا؛ حرمناه، ألا وإنَّ ما حرم رسول الله** ﷺ **مثل ما حرم الله** عَزَّ وَجَلَّ**»**[٢].

❐ ❐ ❐

---

(١) رواه الشافعي في الرسالة بسنده إلى المطلب بن حنطب، وآخر الحديث رواه ابن ماجه، وابن حبان، والحاكم.

(٢) رواه أحمد، والدارمي في المقدمة. وقال الشافعي كما في كتابه الرسالة (ص٢٢٦): (فقد ضيَّق رسول الله ﷺ على الناس أن يردوا أمره؛ بفرض الله عَزَّ وَجَلَّ عليهم اتباع أمره).
- قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٣/ ٦٣): (فعلى كل مؤمن أن لا يتكلَّم في شيء من الدين إلا تبعًا لما جاء به الرسول ﷺ، ولا يتقدَّم بين يديه، بل ينظر ما قال فيكون قوله تبعًا لقوله، وعمله تبعًا لأمره، فهكذا كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومن سلك سبيلهم من التابعين لهم بإحسان، وأئمة المسلمين؛ فلهذا لم يكن أحد منهم يعارض النصوص بمعقوله، ولا يؤسِّس دينًا غير ما جاء به الرسول ﷺ، وإذا أراد معرفة شيء من الدين؛ نظر فيما قاله الله والرسول ﷺ فمنه يتعلم، وبه يتكلم، وفيه ينظر، وبه يستدلُّ، فهذا أصل أهل السنة). اهـ

٣- باب: ثواب من وافق رسول الله ﷺ في أمره ونهيه ولم يخالفه في سنته[١]

١٤- عن عبدالعزيز بن أبي رواد[٢]، عن أبي جعفر رفعه[٣]؛ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من تمسَّك بسنتي عند فساد أمتي؛ فله أجر مئة شهيد»**[٤].

---

(١) روى ابن عبدالبر، عن عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ اللَّهُ؛ أنه قال: (سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سننًا؛ الأخذ بها تصديق بكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله، ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في شيء خالفها؛ من عمل بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا). اهـ
- وكان هذا الكلام يعجب مالكًا جدًا ويكثر ترديده. وهذا بلا شك كلام جامع مانع في السُّنة من خبير بالسُّنة؛ لأن فيه مدحًا لمن اتبع السُّنة وذمًا لمن خالفها.

(٢) رُمي بالإرجاء؛ قال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني: (كان غاليًا في الإرجاء).
وقال أبو جعفر العقيلي: (مرجئ).
وقال مؤمل بن إسماعيل: (مات عبدالعزيز فجيء بجنازته، فوضعت عند باب الصفا، وجاء سفيان الثوري؛ فقال الناس: جاء الثوري! جاء الثوري! فجاء حتى خرق الصفوف، والناس ينظرون إليه؛ فجاوز الجنازة ولم يصل عليها، وذلك أنه كان يرى الإرجاء؛ فقيل لسفيان؛ فقال: والله إني لأرى الصلاة على من هو دونه عندي، ولكن أردت أن أري الناس أنه مات على بدعة).
وقال أبو عاصم: (جاء عكرمة بن عمار إلى ابن أبي رواد فدق بابه؛ وقال: أين الضَّال).
وقال أحمد بن حنبل: (رجل صالح الحديث وكان مرجئًا، وليس هو في التثبت مثل غيره).
وقال هشام بن حسان: (بيِّن الإرجاء). وقال البخاري: (يرى الإرجاء).

(٣) هو: محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو جعفر الباقر.

(٤) رواه الطبراني في الأوسط، وابن بطة في الإبانة؛ وفي رفعه نظر، وإسناده ملفق من طريقين:

=

١٥- وعن الحسن (ابن علي)؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«رحمة الله على خلفائي»، قالوا: ومن خلفاؤك يا رسول الله؟! قال: **«الذين يُحْيُونَ سنتي، ويعلمونها عبادَ الله عَزَّوَجَلَّ»**(١).

١٦- وعن كثير بن عبدالله، عن أبيه، عن جده؛ قال:

قال رسول الله ﷺ: **«الإسلام بدأ غريبًا، وسيعود غريبًا؛ فطوبى للغرباء»** قالوا: يا رسول الله! من الغرباء؟ قال: **«الذين يحيون سنتي ويعلمونها عبادَ الله عَزَّوَجَلَّ»**(٢).

- فأما عبدالعزيز بن أبي رواد؛ فقد رواه عن عطاء عن أبي هريرة، ولفظه: المتمسك بسنتي عند فساد أمتي له أجر شهيد. رواه الطبراني في الأوسط، وقال: (لم يرو هذا الحديث عن عطاء إلا عبدالعزيز بن أبي رواد، وتفرد به ابنه عبدالمجيد).

- وأما طريق أبي جعفر، فقد رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى، عن محمد بن جعفر الطالبي، عن أبيه، عن جده، عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: (المتمسك بسنتي في دينه في الهرج له أجر مئة شهيد).

ويغني عنه ما رواه أبو داود والترمذي، عن أبي ثعلبة الخشني، عن النبي ﷺ قال: (إن من ورائكم أيامًا الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلًا).

(١) رواه ابن بطة في الإبانة، والهروي في ذم الكلام. وهو مرويٌّ أيضًا عن الحسن البصري مرسلًا.

(٢) رواه الخطيب في شرف أصحاب الحديث، وابن عبدالبر في الجامع، وقال بعدها: (وكان يُقال: العلماء غرباء لكثرة الجُهَّال). وأصل الحديث محفوظ: رواه أحمد، ومسلم، والترمذي.

وهذه الزيادة من نسخة كثير بن عبدالله؛ وقد ضعفها أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ. قال عبدالله بن أحمد بن حنبل: (ضرب أبي على حديثه في المسند ولم يحدث بها).

وقال الحاكم: (حدَّث عن أبيه، عن جده نسخة فيها مناكير).

وقال ابن حبان: (منكر الحديث جدًا يروي عن أبيه عن جده نسخة موضوعة، لا يحل ذكرها في الكتب ولا الرواية عنه، إلا على سبيل التعجب).

١٧- وعن الأسود، عن عبدالله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ:
«يأتي على الناس زمان، المتمسِّك فيه بسنتي عند اختلاف أمتي؛ كالقابض على الجمر»[١].

١٨- وقال الأوزاعي:
حدثني من سمع الزهري؛ يقول: كان من مضى من علمائنا؛ يقولون: الاعتصام بالسُّنة نجاة، والعلم يقبض قبضًا سريعًا، فَنَعْشُ العلم ثبات الدِّين والدنيا، وفي ذهاب العلم ذهاب ذلك كله[٢].

---

(١) رواه أبو طاهر السِّلَفِيّ في الخامس والعشرين من المشيخة البغدادية، وله شاهد رواه أحمد، والترمذي، وابن وضاح في البدع. وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: (المتبع للسنة كالقابض على الجمر، وهو اليوم عندي أفضل من ضرب السيف في سبيل الله).

(٢) وزاد ابن عُيينة: (والعلم خزائن، وإنما تَفْتَحُهُ المسألة). وفي لفظ آخر: (فنشر العلم ثبات الدين والدنيا). ولذلك فنعش الآثار اليوم ونشرها وبثها في الناس بكافة الطرق؛ هو أعظم الجهاد وأفضل القربات، كما تقدَّم في كلام أبي عبيد في المتبع للسنة.
- وقال محمد بن نصر المروزي في كتاب السُّنة (١/ ٣١) عن عبيد بن عبدالملك، أن عمر بن عبدالعزيز كان يقول: (والله لولا أن أنعشَ سُنَّة وأُمِيتَ بدعة لما سرني أن أعيش في الدنيا فُواقًا، ولوددت أني كلما نعشتُ سنة، وأَمَتُّ بدعة أنَّ عضوًا من أعضائي سقط معها). وقال عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُٱللَّهُ: (لو كان بكل بدعة يميتها الله على يدي، وكل سُنَّة يَنعشُها الله على يدي، بضعة من لحم حتى يأتي آخِرُ ذلك على نفسي؛ لكان في الله يسيرًا).
والنَّعْشُ: هو البقاء والارتفاع، وهو في الأصل: سَريرُ الميت؛ سمي بذلك لارتفاعه. ونَعْشُ الإنسان: تداركه من هَلكةٍ، ونَعْشُ الشجرة: إذا كانت مائلةً فأَقَمْتُها، وفي حديث جابر: (فانطلقنا به نَنْعَشُه) أي: نُنْهِضه ونُقَوّي جأْشَه. (لسان العرب).
وبمثل هذه الهمة والثبات على الحق تنعش السنن وتنتشر، وتموت البدع وينطفئ ذكرها.

١٩- وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«من أحيا سنتي فقد أحبني، ومن أحبني فهو معي في الجنة»[١].

٢٠- وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«من أحبَّ سنتي فقد أحبني، ومن أحبني فهو معي في الجنة»[٢].

٢١- وعن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«الآخذ بسنتي؛ في حظيرة القُدس، وحظيرة القُدس متنزه أهل الجنة»[٣].

٢٢- وعن فضيل الناجي:

في قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [طه:٨٢].

قال: اتبعَ السُّنَّة.

٢٣- وعن كثير بن عبدالله بن عمرو، عن أبيه، عن جدِّه:

أن رسول الله ﷺ قال لبلال بن الحارث المزني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

«يا بلال! اعلم- يرددها عليه- قال: **أما إنه من أحيا سنة مِن سنتي قد أميتت من بعدي؛ فإن له مثل أجر من عَمِل بها من الناس، لا ينقص ذلك من أجور الناس شيئًا. ومن ابتدع بدعة لا يرضاها الله ورسوله**

---

(١) رواه الترمذي، واللالكائي في السُّنة، والهروي في ذم الكلام.

(٢) رواه الهروي في ذم الكلام، وجاء بألفاظ متقاربة: (من أحيا سنتي...) و(من عمل بسنتي...).

(٣) رواه أبو طاهر السِّلَفِيّ في الخامس والعشرين من المشيخة البغدادية عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأورده الديلمي في الفردوس من حديث أم سعيد بنت عمرو الجمحي، وفي رفعه نظر شديد.

ﷺ؛ فإن عليه مثل إثم من عمل بها من الناس، لا ينقص ذلك (من آثام الناس) شيئًا»(١).

❒ ❒ ❒

---

(١) رواه الترمذي؛ وقال: حديث حسن، ورواه ابن ماجه؛ وهذا المعنى محفوظ في أحاديث كثيرة، ورواية كثير بن عبدالله، تقدَّم التنبيه عليها في حاشية الحديث رقم: (١٦).

وقوله ﷺ: (ومن ابتدع بدعة لا يرضاها الله ورسوله ﷺ) صفة كاشفة لا مقيدة؛ مثل قوله تعالى: « وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ ». وقوله تعالى: «وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ».

– فكل بدعة في الدين؛ لا يرضاها الله ورسوله ﷺ مهما كانت نية فاعلها؛ قال تعالى: (ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا).

– قال الإمام مالك:(من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة؛ فقد زعم أن محمدًا ﷺ خان الرسالة، لأن الله يقول: (ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا) [المائدة: ٣]، فما لم يكن يومئذ دينًا؛ فلا يكون اليوم دينًا).

– وقوله ﷺ: (من أحيا سنة من سنتي قد أميتت من بعدى)، ظاهرٌ في العمل بما ثبت أنه سنة.

– وقوله ﷺ: (فإن عليه مثل إثم من عمل بها من الناس)، يدلُّ عليه قوله ﷺ: (ليس من نفس تُقتل ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كِفْلٌ منها- أي: من دمها- لأنه أول من سنَّ القتل). رواه البخاري في كتاب الاعتصام، باب: إثم من دعا إلى ضلالة أو سن سنة سيئة، (٩/ ١٢٧).

– وفي السنة للخلال (١/ ٨٧) قال: (وأخبرني عبدالله بن حنبل، قال: حدثني أبي، قال: قال عمي: عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ جاء إلى أمر مُظلم فأناره وإلى سنن قد أُميتت فأحياها، لم يَخَفْ في الله لومة لائم، ولا خاف في الله أحدًا، فأحيا سُننًا قد أُميتت، وشرع شرائع قد دُرست- رَحِمَهُ ٱللَّهُ- قال عمي: ويقال: إن في كلِّ كذا وكذا يقوم قائم بأمر الله. ثم ذكر المتوكل، فقال: لقد أمات عن الناس أمورًا قد كانوا أحدثوها مِنْ دَرْسِ الإسلام وإظهار المنكر، قلت: فتراه من أُولِي الحق؟ قال: أليس قال النبي ﷺ: (من أحيا سنة من سنتي قد أُميتت؛ فقد أظهر ما أظهر؟!). وأي بلاء كان أكثر من الذي كان أحدث عدو الله وعدو الإسلام في الإسلام من إماتة السُّنة- يعني: الذي قبل المتوكل- فأحيا المتوكل السُّنة رضوان الله عليه). اهـ

٤ - باب: كون قبول السُّنة والتسليم لها شرطًا في صحة الإيمان

٢٤- عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

أن الزبير بن العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خاصم رجلًا إلى النبي ﷺ فقضى النبي ﷺ للزبير؛ فقال الرجل: إنما قضى له لأنه ابن عمته؛ فأنزل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥]»[١].

٢٥- وعن عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال:

«لا يؤمن أحدكم، حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به»[٢].

---

(١) متفق عليه. وفي تعظيم قدر الصلاة (١/ ٤٣٠) قال محمد بن نصر: (فهذا الذي ظن أنه ﷺ مَال إلى الزبير لقرابته منه، فخرج بذلك من إيمانه، فأنزل الله فيه القرآن، فكيف يكون به مؤمنًا من يرد عليه السُّنة الثابتة المعروفة برأيه، أو برأي أحد من الناس بعده تعمدًا لذلك، أو شكًّا فيها، أو إنكارًا لها حين لم توافق هواه؟! ثم يزعم أنه مؤمن عند الله، مستكمل الإيمان؛ وذلك من ثابتة الأخبار التي روتها علماء الأمة بالأسانيد الثابتة عن رسول الله ﷺ أنه جعل العمل من الإيمان، فيقول هو: ليس كذلك، جحودًا بذلك، أو شكًّا فيه؟! أو كيف يكون به مؤمنًا من يأتيه الخبر الثابت عن رسول الله ﷺ أنه أمر بكذا، أو نهى عن كذا، فيقول: قال أبو فلان كذا، خلافًا على رسول الله ﷺ وردًّا لسنته؟! أم كيف يكون به مؤمنًا من يعرض سنته على رأيه، فما وافق منها قَبِل، وما لم يوافقه منها احتال لردها؟! ألا ينظر الشقي على مَن اجترأ، وبين يدي مَن تقدَّم؟!). اهـ

(٢) رواه الحسن بن سفيان النسوي في الأربعين، وابن أبي عاصم في السُّنة، ومن طريقه الأصبهاني في الحجة.

=

❐ ❐ ❐

- وقد انقسم العلماء في هذا الحديث بين مُصحِّح ومُضعِّف؛ لأن آفته- كما ذكروا- هو تفرد نعيم بن حماد به، وهو صدوق يخطئ كثيرًا.

- قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (١/ ٣٨٧): (قد خرّج هذا الحديث أبو نعيم في كتاب الأربعين، وشرط في أولها أن تكون من صحاح الأخبار وجياد الآثار مما أجمع الناقلون على عدالة ناقليه، وخرجته الأئمة في مسانيدهم). ثم مال ابن رجب إلى تضعيفه، فقال: (تصحيح هذا الحديث بعيد جدًا من وجوه منها...). ثم ذكرها.

- وقد أورد الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الحديث في كتاب التوحيد، وأحال على كتابنا هذا: (الحجة على تارك المحجة).

- ومعنى: (هواه): أي محبته وميله.

- قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (ص٣٨٨): (معنى الحديث أن الإنسان لا يكون مؤمنًا كامل الإيمان الواجب، حتى تكون محبته تابعة لما جاء به الرسول ﷺ من الأوامر والنواهي وغيرها؛ فيحب ما أمر به، ويكره ما نهى عنه، وقد ورد القرآن بمثل هذا المعنى في غير موضع، وذم سبحانه من كره ما أحبه الله أو أحبَّ ما كرهه الله؛ كما قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾.

إلى أن قال: (وصف الله المشركين بإتباع الهوى في مواضع من كتابه؛ فقال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

وكذلك البدع إنما تنشأ من تقديم الهوى على الشرع، ولهذا سمي أهلها: أهل الأهواء، وكذلك المعاصي إنما تنشأ من تقديم الهوى على محبة الله ومحبة ما يحبه، وكذلك حب الأشخاص الواجب فيه أن يكون تبعًا لما جاء به الرسول ﷺ؛ فيجب على المؤمن محبة من يحبه الله من الملائكة والرسل والأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين عمومًا). اهـ

- ويشهد له ما رواه البخاري ومسلم، عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ، قال: (ثلاثٌ من كُن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يُقذف في النار).

٥ - باب: كون التمسك بالسُّنة من عُرى الإيمان

٢٦- عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«أيها الناس! أي عرى الإيمان أوثق؟». قالوا: الله ورسوله أعلم؛ قال: **«الاستمساك بسنتي»**. قالوا: كيف يَعرف ذلك؟ قال: **«إذا قال لهم: أَخْبَرَنا رسول الله ﷺ أو عَلَّمَنا رسول الله ﷺ»** قالوا: يا رسول الله! وهل يكون في الإسلام إلا ما علمتنا؟ قال: **«بلى؛ إنه ستفترق فيكم أمراء ضلال، يقولون: رأْيُنا أفضل، بل سنتي أفضل. وأشرف كل عالم وفقيه من استن بسنتي. وأشرف أصحاب سنتي من حفظ على أمتي. وخير أمتي العلماء ثم المتعلمون، فطوبى لمن حدَّث حديثًا حتى يبلغ بي، وإنما حجة لكم عند ربكم يوم القيامة»**[1].

٢٧- وعن سهل بن عبدالله رَحِمَهُ اللَّهُ:

في قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: «وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ» [المائدة:٢].

قال: البر: الإيمان. والتقوى: السُّنَّة.

«وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ»: الكفر، والبدعة.

وفي قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: «مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ» [النساء:٨٠]. قال: من أطاع الرسول ﷺ في سنته؛ فقد أطاع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في فريضته.

---

(١) لم أجده؛ ولا يصح رفعه البتة.

٦- باب: وجوب التسليم للسُّنة وتأميرها والانقياد لها وترك معارضتها

٢٨- قال أبو عثمان سعيد بن إسماعيل[١] رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من أَمَّرَ السُّنة على نفسه قولًا وفعلًا؛ نطق بالحكمة، ومن أَمَّرَ الهوى على نفسه؛ نطق بالبدعة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ [النور:٥٤].

٢٩- قال أبو الأسود السلمي:

نازع رجل أبا هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في الوضوء مما مست النار؛ فقال لأبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أرأيتَ إذا صَنع لك أهلك الدُّهنة الطيِّبة التي قد نشت[٢] بالنار فدهنتَ منها وجهك، أتعيد عليه الوضوء؟! فقال: يا ابن أخي! إذا روي لك عن رسول الله ﷺ حديثٌ؛ فلا تضرب له الأمثال جدلًا[٣].

---

(١) هو: سعيد بن إسماعيل بن منصور النيسابوري؛ صاحب القولة الشهيرة: (خلاف السُّنة في الظاهر، علامة رياء في الباطن).

(٢) النَّش: صَوتٌ يُسمع عند الغليان؛ وفي الحديث: (إذا نَشَّ فلا تشرب)، يعني: الخمر. ومنه حديث الزهري: (أنه كرِه للمتوفى عنها زوجُها الدُّهْن الذي يُنَشُّ بالريحان). أي: يُطيَّب بأن يُغلى في القدر مع الريحان حتى يَنِشَّ. (لسان العرب).

(٣) جاء في بعض الروايات تسمية هذا الرجل، وهو: عبدالله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وقد روى أحمد ومسلم هذا الحديث بدون هذه القصة.

فإن صحَّت، فهي محمولة على مناظرة علمية كانت بين أبي هريرة وابن عباس، وكان كلُّ واحدٍ منهما يُدلي بحجته، وبما رآه وسمعه من رسول الله ﷺ، وظن ابن عباس أن أبا هريرة وَهِمَ في الحديث وحدَّث باجتهاده، وليس فيه ما يدل على ردِّ ابن عباسٍ لحديث رسول الله ﷺ لا من

=

٣٠- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شرف حين ينتهبها وهو مؤمن»[١].

(فقال الأوزاعي للزهري: ما هذا؟!)[٢] قال الزهري رَحِمَهُ اللَّهُ:

مِن الله تعالى الرسالة، وعلى رسول الله ﷺ البلاغ، وعلينا التسليم؛ أَمِرُّوا أحاديث رسول الله ﷺ كما جاءت[٣].

قريب ولا من بعيد، ومما يدلُّ لذلك ما رواه يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة بن عبدالرحمن، قال: (اجتمع أبو هريرة وابن عباس، فأكل ابن عباس طعامًا ولم يتوضأ، وقال: ليس في طعام وضوء. قال: فتناول أبو هريرة كفًّا من حصى، فقال: سمعت رسول الله ﷺ عدد هذه الحصى، يقول: توضئوا مما غيَّرت النار).

وفي رواية للنسائي: أن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «أَتَوَضأ من طعام أَجِدُه في كتاب الله حلالًا، لأن النار مسته! فجمع أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حصى، وقال: أشهد عدد هذا الحصى أن رسول الله ﷺ قال: توضئوا مما مسَّت النار).

وهنا في هذه الرواية: ذكر أبو هريرة الحديث متأخرًا، ولم يذكره ابتداءً، فلما سمعه ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لم يعارضه بشيء، لكن أخبره بالسُّنة الأخرى التي يعلمها من رسول الله ﷺ، وهي ترك الوضوء.

- ولا يَذكر مثل هذا- فَرِحًا به- إلا الأحناف في كتبهم، ليدللوا بها على معارضة الصحابة- وحاشاهم- للسنة بالقياس والرأي. وأكثر من يفعل ذلك في كتبه: السَّرخسي الحنفي.

(١) متفق عليه.

(٢) ليست في الأصل، والزيادة من المصادر؛ كما في الحلية لأبي نعيم (٣/ ٣٩٦).
والحديث له وجه معلومٌ، ولا يؤيد مذهب الخوارج في تكفير مرتكب الكبيرة.

(٣) وفي الفقيه والمتفقه للخطيب (١/ ١٤٩) عن مالك بن أنس، قال: سمعت ابن شهاب، يقول: (سلموا للسُّنة ولا تعارضوها).

=

❐ ❐ ❐

- وعن أيوب، قال: سأل الحكم بن عتيبة الزهري- وأنا شاهد- على عدة أم الولد؟ فقال: (السُّنة: أربعة أشهر وعشرًا، فقال الحكم: ما يقول ذلك أصحابنا! قال: فغضب، وقال: يأتيكم الحديث عن رسول الله ﷺ، ثم تعرضون له برأيكم؟ ثم قال: إن بريرة أعتقت، فأمرها رسول الله أن تعتد عِدَّة الحُرَّة). اهـ

٧- باب: ما يجب على العلماء من إظهار السنن ونشرها عند ظهور البدع ونشرها

٣١- عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ:

«إذا ظهرت البدع في أمتي، وشُتم أصحابي؛ فليُظهر العالم علمه، فإن لم يفعل؛ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»[١].

فقيل للوليد بن مسلم: ما إظهار العلم؟ قال: إظهار السُّنة.

٣٢- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ:

«ما آتى الله عالمًا علمًا قط؛ إلا أخذ عليه ميثاقه ألا يكتمه»[٢].

٣٣- وعن محمد بن المنكدر، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: **«لا ينبغي للعالم أن يسكت عن علمه، فإن الله تعالى يقول:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة:١٥٩].

---

(١) رواه الخلال في السُّنة، والآجري في الشريعة؛ وفي رفعه نظر. وهو بالموقوف على معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أشبه، والقرآن يدل عليه؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾[البقرة:١٥٩].

(٢) رواه ابن الجوزي في العلل المتناهية؛ وفي رفعه نظر. وهو بالموقوف على أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من كلامه أشبه، والقرآن يدل عليه؛ قال تعالى:﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ﴾[آل عمران:١٨٧].

ولا ينبغي للجاهل أن يسكت عن جهله، يقول الله عَزَّوَجَلَّ: «فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ» [النحل:٤٣]؛ **وينبغي للمؤمن أن يعرف علمه على هـدى أو على ضلالة»**[١].

❒ ❒ ❒

(١) رواه الطبراني في الأوسط، وفي رفعه نظر؛ فيه محمد بن أبي حميد الأنصاري، وهو منكر الحديث.
وهو بالموقوف على جابر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أو ابن المنكدر أشبه.

٨- باب: ضلالة من خالف سنة رسول الله ﷺ وما يلحقه في ذلك من الإثم والخسران في الدنيا والآخرة

٣٤- عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«ينادي كل يوم ثلاث مرات مَلَك من بيت المقدس، ومَلَك من مكة، ومَلَك من قبر النبي ﷺ، يقول الذي في بيت المقدس: من ترك فرائض الله؛ خرج من أمانة الله عَزَّ وَجَلَّ، ويقول الذي من مكة: من كان كسبه حرامًا؛ رَدَّ الله عليه سائر عمله، ويقول الذي من قبر النبي ﷺ: من خالف سنة رسول الله ﷺ حرمه الله شفاعته»[1].

٣٥- قال رسول الله ﷺ: **«من جعل الاستطاعة إلى نفسه؛ فهو كافر»**[2].

٣٦- وعن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من كذب عليَّ متعمدًا، أو رَدَّ شيئًا أَمرتُ به؛ فليتبوأ مقعده من النار»**[3].

---

(١) لم أجده، وفيه نكارة شديدة؛ وأورده العراقي في المغني عن حمل الأسفار بلفظ: (إن لله ملكًا ينادي كل يوم: من خالف سنة رسول الله ﷺ لم تنله شفاعته) وقال: (لم أجد له أصلًا).

(٢) رواه ابن بطة في الإبانة، واللالكائي في السُّنة؛ ولا يصح رفعه، والمحفوظ أنه من كلام وهب ابن منبه. ولم يظهر لي مناسبة إيراد المؤلف هذا الحديث في هذا الباب! وسيأتي معنى الاستطاعة وعقيدة أهل السنة والجماعة فيها عند التعليق على الأثر ذي الرقم: (٧٦١).

(٣) رواه الطبراني في الأوسط، والترمذي في العلل؛ وفيه: عمرو بن مالك؛ كذاب. وأصل الحديث صحيح متواتر، دون قوله: (أو رَدَّ شيئًا أَمرتُ به).

٣٧- وعن عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«من رغب عن سنتي؛ فليس مني»(١).

٣٨- وعن سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«من كذب عليَّ متعمدًا؛ فليتبوأ بيتًا في النار، ومن ردَّ عليَّ حديثًا بلغه عني؛ فليتبوأ بيتًا في النار».(٢)

٣٩- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله»(٣).

٤٠- وعن عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«لكل عمل شِرَّة، ولكل شِرَّة فَتْرَة، ومن كانت فَتْرَتُهُ إلى سنتي؛ فقد أفلح، ومن كانت فترته إلى غير ذلك؛ فقد هلك»(٤).

قال شعبة: فذكرته للحَكَم؛ فقال مثله.

٤١- وقال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا يقبل الله- جلَّ ثناؤه- من أهل البدع: صومًا ولا صلاة ولا صرفًا ولا عدلًا، ومن رَدَّ على رسول الله ﷺ سنته؛ ردَّ الله عَزَّ وَجَلَّ عليه عمله(٥).

---

(١) رواه أحمد، وأصله في الصحيحين.

(٢) رواه الطبراني في الكبير، وأصله في الصحيحين دون قوله: (ومن ردَّ عليَّ حديثًا).

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه أحمد، وابن أبي عاصم في السُّنة. والشِرَّة: يعني الرغبة والنشاط.

(٥) هذا المعنى مما تواتر عن السَّلف؛ وهو أن البدعة لا يُقبل معها عبادة من صلاة ولا صيام ولا صدقة ولا غير ها من القربات؛ قال النبي ﷺ: (المدينة حرمٌ ما بين عيرٍ إلى ثورٍ فمن أحدث
=

٤٢- وقال إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

خطب عمرُ بن عبدالعزيز الناسَ؛ فحمد الله عَزَّوَجَلَّ وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس! لا يَبْعُدَنَّ عليكم يوم القيامة ولا يَطُولن الأمد، فإنه من وافته منيته؛ فقد قامت قيامته، لا يستطيع أن يزيد في حسنة ولا ينقص من سيئة، ألا لا سلامة لامرئ بعد الإسلام في خلاف السُّنة، واعلموا

فيها حدثًا أو آوى محدثًا؛ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة عدلًا ولا صرفًا). وقال عبدالله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا- في القدرية-: (إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني، فوالذي يحلف به عبدالله بن عمر لو كان لأحدهم مثل أُحد ذهبًا فأنفقه؛ ما تقبله الله منه حتى يؤمن بالقدر). وروي عن الأوزاعي أنه قال: (كان بعض أهل العلم يقول: لا يقبل الله من ذي بدعة صلاةً ولا صيامًا ولا صدقةً ولا جهادًا ولا حجًا ولا عمرةً ولا صرفًا ولا عدلًا). وفيما كتب به أسد بن موسى: (وإياك أن يكون لك من البدع أخ أو جليس أو صاحب، فإنه جاء الأثر: من جالس صاحب بدعة نُزعت منه العصمة ووكل إلى نفسه، ومن مشى إلى صاحب بدعة مشى إلى هدم الإسلام. وجاء: ما من إله يعبد من دون الله أبغض إلى الله من صاحب هوى، ووقعت اللعنة من رسول الله ﷺ على أهل البدع، وإن الله لا يقبل منهم صرفًا ولا عدلًا، ولا فريضةً ولا تطوعًا، وكلما ازدادوا اجتهادًا- صومًا وصلاةً- ازدادوا من الله بعدًا. فارفض مجالسهم وأذلهم وأبعدهم، كما أبعدهم وأذلهم رسول الله ﷺ وأئمة الهدى بعده). وكان أيوب السختياني يقول: (ما ازداد صاحب بدعة اجتهادًا إلا ازداد من الله بعدًا). وعن يحيى بن يحيى أنه ذكر الأعراف وأهله؛ فتوجع واسترجع، ثم قال: (قوم أرادوا وجهًا من الخير فلم يصيبوه؛ فقيل له: يا أبا محمد! أفيرجى لهم مع ذلك لسعيهم ثواب؟ قال: ليس في خلاف السُّنة رجاء ثواب). وقال هشام بن حسان: (لا يقبل الله من صاحب بدعة صلاةً ولا صيامًا ولا زكاةً ولا حجًا ولا جهادًا ولا عمرةً ولا صدقةً ولا عتقًا ولا صرفًا ولا عدلًا). وخرَّج ابن وهب عن عبدالله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: (من كان يزعم أن مع الله قاضيًا أو رازقًا أو يملك لنفسه ضرًا أو نفعًا أو موتًا أو حياةً أو نشورًا، لقي الله فأدحض حجته، وأخرس لسانه، وجعل صلاته وصيامه هباءً منثورًا، وقطع به الأسباب، وكبّه في النار على وجهه). اهـ

أن الهارب من السلطان والإمام الظالم؛ ليس بعاص، ألا إن الإمام الظالم هو العاصي؛ ألا لا طاعة لمخلوق في معصية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ[١].

٤٣- وعن سعيد بن المسيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ قال:

قال عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إياكم ومجالسة أهل الرأي؛ فإن أهل الرأي أعداء السُّنة[٢]، أعيتهم الأحاديث أن يعوها، وأعيتهم السُّنَّة أن يحفظوها، فسُئلوا عما لا يعلمون، فأفتوا برأيهم؛ فضلوا، وأضلوا. إن نبيكم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يقبضه الله حتى أغناه بالوحي دون الرأي، فلو كان أحد مستغنيًا بالرأي دون الأثر؛ لكان باطن الخفين أحق بالمسح من الظاهر.

٤٤- وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

«كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى». قالوا: يا رسول الله! ومن يأبى؟! قال: **«من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»**[٣].

❒ ❒ ❒

---

(١) ومن احتسب ولم يهرب- كما فعل الإمام أحمد في فتنة خلق القرآن- فهو خيرٌ له.

(٢) وخرَّج ابن وهب عن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (أصبح أهل الرأي أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يعوها وتفلتت منهم). قال سحنون: يعني: أهل البدع.
وقال- أي: عمر-: (السُّنة ما سنه الله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا تجعلوا حظ الرأي سنةً للأمة).
وقال أبو بكر بن أبي داود: (أهل الرأي: هم أهل البدع).
وهو القائل في قصيدته (الحائية):
ودع عنك آراء الرجال وقولهم ... فقول رسول الله أزكى وأشرح

(٣) رواه أحمد، والبخاري.

جماع أبواب وجوب الرجوع إلى كتاب الله عَزَّوَجَلَّ والاعتصام به في الأحكام والنوازل عند الاختلاف، دون ما أُحدث من البدع والضلالات، والآراء المُرديات، والأهواء والخصومات

قال الشيخ الفقيه أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ما تقدَّم من ذكر السُّنة ووجوب الأخذ بها، والعمل عليها، وذم مخالفتها؛ ليُعلم وجوب الأخذ بها فيما يَرِد منها - في الأبواب المقصودة بهذه الترجمة - من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ.

ثم تذكر في مواضعها مستوفاة إن شاء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

٩- باب: ما يجب على جميع المسلمين من الرجوع إلى كتاب الله عَزَّوَجَلَّ والعمل به، وذلك أن الواجب عليهم إذا نزلت نازلة، أو وقعت حادثة أن تُطلب في كتاب الله تعالى، فإن وجدت وإلا ففي سنة رسول الله ﷺ، فإن وجدت وإلا ففي قول الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، وأهل العلم ممن يرجع إلى قوله، فإن وجدت وإلا ففي ردها إلى أصل من هذه الأصول الثلاثة؛ باستنباط حكمها منه، فإن لم توجد في شيء من ذلك؛ عُلِم أنه لا أصل لها، ولا يجوز أن يعول عليها، بل يجب ردُّها واطراحها[١]

٤٥- عن معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ قال:

لما بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن؛ قال لي: «**بِمَ تقضي إن عُرِض عليك قضاء؟**». قلت: أقضي بما في كتاب الله. قال: «**فإن لم يكن في كتاب الله؟**». قلت: أقضي بما قضى به رسول الله ﷺ. قال: «**فإن لم يكن فيما**

(١) يُلاحظ في بعض تبويبات الكتاب تداخلٌ وتكرارٌ وإطالةٌ شديدة جدًا في العنوان، ففي هذا الباب تكلّم المؤلِّف عن وجوب الرجوع إلى كتاب الله والعمل به، وفي الباب الذي بعده، قال: (باب: الرجوع في مثل ذلك إلى كتاب الله تعالى). وفي الباب الذي بعده، قال: (باب: وجوب الاعتصام بالقرآن). وفي الباب الذي بعده، قال: (باب: نجاة من اعتصم بالقرآن). وفي الباب الذي بعده، قال: (باب: أمر النبي ﷺ باتباع ما في كتاب الله). وفي الباب الذي بعده، قال: (باب: وجوب العمل بالقرآن، والاعتماد عليه). ولو أن المؤلِّف جمعها في مكان واحد وحذف المكرر منها؛ لكان أسهل في ترتيب الكتاب، وإن كان كلامه في العنوان مفيدًا.

قضى به رسول الله ﷺ ؟» قلت: أجتهد رأيي. قال: فضرب في صدري، وقال: «الحمد لله الذي وفَّق رسولَ رسولِ الله لما يُرضي رسول الله ﷺ»[(١)].

---

(١) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، والدارمي.
- وصحَّ ذلك عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ فيما رواه البيهقي في السنن الكبرى (٢٠١٣٣) عن عبيدالله بن أبي يزيد، قال: (سمعت عبدالله بن عباس إذا سئل عن شيء هو في كتاب الله؛ قال به، وإذا لم يكن في كتاب الله وقاله رسول الله ﷺ؛ قال به. وإن لم يكن في كتاب الله ولم يقله رسول الله ﷺ، وقاله أبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال به، وإلا اجتهد رأيه). اهـ
- وفي هذا دليلٌ على حُجية قول الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ قال الشافعي في الرسالة القديمة- فيما نقله عنه البيهقي في المدخل، ومناقب الشافعي: (قد أثنى الله تبارك وتعالى على أصحاب رسول الله ﷺ في القرآن والتوراة والإنجيل، وسبق لهم على لسان رسول الله ﷺ من الفضل ما ليس لأحد بعدهم، فرحمهم الله وهنأهم بما آتاهم من ذلك ببلوغ أعلى منازل الصديقين والشهداء والصالحين، أدوا إلينا سنن رسول الله ﷺ، وشاهدوه والوحي ينزل عليه؛ فعلموا ما أراد رسول الله ﷺ عامًّا وخاصًّا وعزمًا وإرشادًا، وعرفوا من سنته ما عرفنا وجهلنا، وهم فوقنا في كل علم واجتهاد وورع وعقل، وأمر استُدرك به علم واستُنبط به، وآراؤهم لنا أحمد، وأولى بنا من رأينا عند أنفسنا، والله أعلم، ومن أدركنا ممن أرضى أو حكي لنا عنه ببلدنا صاروا فيما لم يعلموا لرسول الله ﷺ فيه سنة إلى قولهم إن اجتمعوا، وقول بعضهم إن تفرقوا، فهكذا نقول: إذا اجتمعوا أخذنا باجتماعهم، وإن قال واحدهم ولم يخالفه غيره أخذنا بقوله، فإن اختلفوا أخذنا بقول بعضهم ولم نخرج من أقاويلهم كلهم، وإذا قال الرجلان منهم في شيء قولين مختلفين نظرتُ، فإن كان قول أحدهما أشبه بكتاب الله أو أشبه بسنة من سنن رسول الله ﷺ أخذتُ به، لأن معه شيئًا يقوى بمثله ليس مع الذي يخالفه مثله، فإن لم يكن على واحد من القولين دلالة بما وصفت كان قول الأئمة: أبي بكر أو عمر أو عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أرجح عندنا من أحد، لو خالفهم غير إمام، فإن لم يكن على القول دلالة من كتاب ولا سنة؛ كان قول أبي بكر، أو عمر، أو عثمان، أو علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أحب إليَّ أن أقول به من قول غيرهم إن خالفهم، من قِبَل أنهم أهل علم وحُكَّامٌ، فإن اختلف الحُكَّامُ استدللنا الكتاب والسنة في اختلافهم فصرنا إلى القول الذي عليه الدلالة من الكتاب والسنة، وقل ما يخلو اختلافهم من دلائل كتاب أو سنة، وإن اختلف المُفتون يعني من الصحابة بعد الأئمة بلا دلالة فيما اختلفوا
=

٤٦- وعن القاسم، عن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال:

إذا حضرك أمر لابد منه؛ فاقض بما في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، فإن عييت فبما قضى به رسول الله ﷺ، فإن عييت فبما قضى به أئمة العدل، فإن عييت فاعزم ولا تألُ، فإن عييت فأَقِرَّ ولا تستحي[1].

فيه نظرنا إلى الأكثر، فإن تكافئوا نظرنا إلى أحسن أقاويلهم مخرجًا عندنا، وإن وجدنا للمفتين في زماننا وقبله اجتماعًا في شيء لا يختلفون فيه تبعناه، وكان أحد طرق الأخبار الأربعة وهي: كتاب الله، ثم سنة نبيه ﷺ، ثم القول لبعض أصحابه، ثم اجتماع الفقهاء، فإذا نزلت نازلة لم نجد فيها واحد من هذه الأربعة الأخبار، فليس السبيل في الكلام في النازلة إلا اجتهاد الرأي). اهـ

- وفي طبقات الحنابلة (٢/ ١٤) قال الإمام أحمد: (إنما على الناس اتباع الآثار عن رسول الله ﷺ ومعرفة صحيحها من سقيمها، ثم يتبعها إذا لم يكن لها مخالف، ثم بعد ذلك قول أصحاب رسول الله ﷺ الأكابر وأئمة الهدى؛ يتبعون على ما قالوا، وأصحاب النبي ﷺ لا يُخَالَفون؛ إذا لم يكن قول بعضهم لبعض مخالفًا، فإذا اختلفوا؛ نظر في الكتاب: بأي قولهم كان أشبه بالكتاب أُخذ به، أو كان أشبه بقول رسول الله ﷺ أُخذ به، فإن لم يأت عن النبي ﷺ ولا عن أحد من أصحابه، نظر في قول التابعين، فأي قولهم كان أشبه بالكتاب والسنة أُخذ به، وتُرك ما أحدث الناس بعدهم). اهـ

- وفي ذم الكلام للهروي (٣٩٠) عن الأوزاعي؛ قال: (وما رأي امرئ في أمر بلغه فيه عن رسول الله ﷺ إلا اتباعه، ولو لم يكن فيه عن رسول الله ﷺ وقال فيه أصحابه من بعده؛ كانوا أولى فيه بالحق منا؛ لأن الله أثنى على من بعدهم باتباعهم إياهم، فقال: (وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ)؛ فقلتم أنتم: لا، بل نعرضها على رأينا في الكتاب، فما وافقه منه؛ صدقناه، وما خالفه؛ تركناه، وتلك غاية كل محدث في الإسلام رد ما خالف رأيه من السنة). اهـ

(١) أي: قل: لا أدري، ولا تستحِ منها. وهكذا ينبغي للعالم ألا يستحيَ من الناس بقوله: لا أدري؛ فإنها نصف العلم؛ كما قال الشعبي. بل إن الشعبي سئل عن مسألة، فقال: (هي زباء هلباء ذات وبر لا أحسنها، ولو ألقيت على بعض أصحاب رسول الله ﷺ لأعضلت به، وإنما نحن =

❐ ❐ ❐

في الغوق ولسنا في النوق)، فقال له أصحابه: لقد استحيينا منك مما رأينا منك، فقال: لكن الملائكة المقربين لم تستحِ حين قالت: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾.
- وقال زيد بن الحباب: (رأيت سفيان الثوري إذا سُئل عن المسائل؛ قال: لا أدري، حتى يظن من رآه أنه لا يحسن من العلم شيئًا).
- وإنما الواجب عليه أن يستحي من الله أن يقول في الدين برأيه؛ قال عبدالعزيز بن رُفيع: (سُئل عطاء عن شيء؛ فقال: لا أدري. قيل له: ألا تقول برأيك فيها؟ قال: إني لأستحي من الله أن يدان في الأرض برأيي).
- وما ابتدع أحدٌ في الدين إلا بسبب الحيرة وقلة الحياء من الله؛ كما قاله السجزي في رسالته في ذمه لأبي الحسن الأشعري.
- وما نُزِع الحياءُ من أحدٍ مثل ما نُزِع من أهل الرأي، فتكبَّروا على الخلق وعلى الحق؛ فتكلموا في دين الله بلا علم.
- قال المروزي في صلاة الوتر (١/ ١٠٧): (حدثني علي بن سعيد النسوي، قال: سمعت أحمد ابن حنبل، يقول لهؤلاء- أصحاب أبي حنيفة-: ليس لهم بَصَرٌ بشيء من الحديث، ما هو إلا الجُرأة). اهـ
- وقال يوسف بن أسباط: (قال أبو حنيفة: لو أدركني رسول الله ﷺ وأدركته؛ لأخذ بكثير من قولي، وهل الدين إلا الرأي الحسن).

١٠- باب: الرجوع في مثل ذلك إلى كتاب الله تعالى، قال الله تعالى: «فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا».

٤٧- قال أهل العلم(١):

قوله تعالى: «فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ» إلى كتاب الله عَزَّوَجَلَّ.

«وَٱلرَّسُولِ» أي: إلى سنة رسول الله ﷺ.

٤٨- قال سفيان بن عيينة، وقتادة، ومجاهد:

«وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا» أحسن جزاء.

٤٩- وقال قتادة: أحسن ثوابًا، وخير عاقبة.

٥٠- قال الله تعالى: «وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ» [الأنعام:١٥٣].

عن مجاهد: «وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ».

قال: البدع، والشبهات.

---

(١) ممن قال هذا من أهل العلم: مجاهد كما في المدخل للبيهقي (١/ ٢٤٢)، وقالها أيضًا ميمون بن مهران كما في شرح مذاهب أهل السُّنة لابن شاهين (١/ ٤٤) قال: (فالرد إلى الله: إلى كتابه، والرد إلى الرسول ﷺ إذا قبض: إلى سنته)، وقالها أيضًا عطاء كما في الإبانة الكبرى (١/ ٥٦)، وقالها أيضًا وكيع كما في ذم الكلام (٢٣٠).

٥١- وقال قتادة:

اعلموا أنما السبيل سبيل واحد؛ جِماعُهُ الهدى ومصيره الجنة، وإن إبليس شَرَع سبلًا متفرقة؛ جِماعُها الضلال ومصيرها إلى النار.

«وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ »؛ هو هذا القرآن الذي أنزل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ على نبينا محمد ﷺ «فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ »[الأنعام:١٥٥].

٥٢- وعن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال:

حَدَّث النبي ﷺ، أو حُدِّث أن أمته ستفتتن بعده، فسُئل وإما فَسَأل: ما المخرج من ذلك؟ قال: **«التمسك بكتاب الله العزيز الحكيم؛ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، من وَلي من جبار فحكم بخلافه قصمه الله، ومن التمس الهدى في غيره أضله الله!! وهو النور المبين والصراط المستقيم، فيه نبأ من كان قبلكم، وخبر من هو كائن بعدكم، والحَكَم في ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، وهو الذي لم تَمَالك الجنُّ حين سمعته؛ أن قالوا: «إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا»** [الجن:١]، **وهو الذي لا يَخْلَقُ على كثرة الرد، ولا تفنى عجائبه»**[(١)].

---

(١) رواه الترمذي، والدارمي.
وقال الترمذي: (حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات، وإسناده مجهول، وفي الحارث مقال) اهـ
وهو محفوظ من كلام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٥٣- ورواه من طريق آخر؛ فقال:

إن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ أتى النبي ﷺ فقال له: «**يا محمد! إن الأمة مفترقة بعدك؛ قال: فما المخرج يا جبريل؟! قال: كتاب الله، وزاد فيه: من يقل به يصدق، ومن يحكم به يعدل، ومن يعمل به يُؤجر، ومن يَقْسِم به يُقسط**»(١).

٥٤- وعن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«**يا عليُّ! إنها ستكون فتن، وسَتُحَاجُّ**(٢) **قومك**». قال: قلت: فما تأمرني يا رسول الله؟! قال: «**احكم بالكتاب، أو اتبع الكتاب**»(٣).

٥٥- وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال:

خطبنا رسول الله ﷺ فقال في خطبته: «**إنه لا خير في العيش إلا لعالم ناطق، أو مستمع واع، أيها الناس! إنكم في زمان هُدْنَة، وإن السير بكم سريع، وقد رأيتم الليل والنهار كيف يُبليان كل جديد، ويقربان كل بعيد، ويأتيان بكل موعود**».

فقال له المقداد: يا نبي الله! وما الهُدْنَة؟ قال: «**دار بلاء وانقطاع، فإذا التبست عليكم الأمور؛ فعليكم بالقرآن، فإنه شافع مشفع، وشاهد مصدق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار،**

---

(١) رواه الخطيب في تاريخ بغداد.

(٢) وقد تكون (وستجتاح) أي: الفتن.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط والصغير، والمعنى: سيخاصمك قومك.

وهو أوضح دليل إلى خير سبيل، من قال به صدق، ومن عمل بـه أُجِـر، ومن حكم به عدل»(١).

٥٦- وعن عمرو بن بحر؛ رفعه إلى النبي ﷺ قال:

«إن القرآن والسلطان سيفترقان، فإذا كان ذلك فالزموا الكتاب، ولا تفارقوه؛ فإنه سيكون بعدي أئمة؛ يكون على أبواب دورهـم فـتن أمثـال مَبارِك الإبل من الخطايا، من أطاعهم أضلوه، ومن عصاهم قتلوه».

قالوا: يا نبي الله! كيف نصنع؟ قال: **«تصنعون كـما صـنع أصـحاب عيسى** عَلَيْهِ السَّلَامُ **نُشروا بالمناشير، وحُملوا على الخشب؛ موت في طاعة خـير من حياة على معصية»**(٢).

٥٧- عن أبي البَختري؛ قال:

اجتمع سلمان في بيت أبي قرة ومعه ناس؛ فقال: كيف أنتم إذا اقتتـل السلطان والقرآن؟ فقال ابن صُوحَان: نكون إذًا مع القرآن؛ فقال: نِعْـمَ الزُّوَيْدُ أنت إذًا(٣).

---

(١) ذكره محمد بن ودعان الموصلي في الأربعين الودعانية الموضوعة؛ وفي رفعه نظر.

(٢) رواه الطبراني في الكبير والصغير من رواية يزيد بن مرثد عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا وموقوفًا؛ والصحيح أنه من قول معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) الزُّويد: تصغير زيد، وهو اسم: ابن صوحان؛ زيد بن صوحان.
- وفي مصنف ابن أبي شيبة: فقال أبو قرة- وكان يبغض الفتن-: (إذًا أجلس في بيتي، فقال سلمان: لو كنت في أقصى تسعة أبيات كنت مع إحدى الطائفتين).
- ومراد سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن من جلس في بيته؛ فقد أحسن، وليحذر أن يكون مع إحدى الطائفتين بلسانه أو بهواه بعد أن كفَّ يده.

=

❒ ❒ ❒

- وعن عامر بن مطر، قال: (كنت مع حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: يوشك أن تراهم ينفرجون عن دينهم، كما تنفرج المرأة عن قُبُلِها، فأمسك بما أنت عليه اليوم فإنه الطريق الواضح! كيف أنت يا عامر بن مطر، إذا أخذ الناس طريقًا، والقرآن طريقًا، مع أيهما تكون؟ قلت: مع القرآن، أحيا معه، وأموت معه، قال: فأنت أنت إذًا).

- وعن كعب، قال: (يقتتل القرآن والسلطان، قال: فيطأ السلطان على صماخ القران فلا يبالي ذا مَن ذا، ولا ذا مَن ذا).

١١- باب: وجوب الاعتصام بالقرآن؛ لأمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ورسوله ﷺ بذلك[(١)]

٥٨- عن أبي وائل، عن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران:١٠٣]، قال: القرآن.

٥٩- وقال كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف بن زيد المزني، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ أنه كان قاعدًا معهم؛ فدخل بيته، وقال: **«ادخلوا عليَّ، ولا يدخلن عليَّ إلا قرشي»**، فتسامعت قريش فدخلت؛ فقال رسول الله ﷺ: **«يا معشر قريش! هل معكم أحد ليس منكم؟»**. قالوا: نخبرك يا رسول الله!- بأبينا أنت وأمنا- معنا الحليف وابن الأخت والمولى؛ فقال النبي ﷺ: **«حليفُ القوم منهم، ومولى القوم منهم، وابن أخت القوم منهم. يا معشر قريش! إنكم الولاة بعدي لهذا الدين، فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون، ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾** [آل عمران:١٠٣]، **﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾** [آل عمران:١٠٥]، **﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟**

---

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا - فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء:١٧٤-١٧٥].

﴿ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة:٥]. **يا معشر قريش! احفظوني في أصحابي، وأبنائهم، وأبناء أبنائهم؛ رحم الله الأنصار، وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار»**(١).

٦٠- وعن قتادة: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾؛ قال: حبل الله المتين: هذا القرآن؛ وهو سنته وعهده إلى عباده، الذي أَمَر أن يُعتصم بما فيه من الخير والفقه، وأن يتمسكوا به ويعتصموا بحبله في الدنيا؛ أمر الله تعالى بذلك عباده جميعًا، ولا يتفرقوا عنه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كره لكم الفرقة ونهاكم عنها، وقدَّم إليكم فيها وحذركموها؛ لكي تكون له الحجة على عباده، (ورضي لكم السمع والطاعة، والألفة والجماعة؛ فارضوا لأنفسكم ما رضي لكم إن استطعتم، ولا قوة إلا بالله)(٢).

٦١- وعن سفيان، عن منصور، عن أبي وائل؛ قال:

قال عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

إن هذا الصراط مُحْتَضَر؛ تَحْضُرُهُ الشَّياطين؛ يُنَادُونَ: يا عبد الله، هَلُمَّ!! هذا الطريق، فاعتصموا بحبل الله؛ فإن حبل الله: القرآن.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير؛ ورواية كثير تقدَّم التنبيه عليها في حاشية الحديث رقم: (١٦). والمعنى صحيحٌ محفوظٌ من طرق صحيحة.

(٢) ما بين القوسين ليس في الأصل؛ والزيادة من تفسير الطبري.

٦٢- وعن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

«إن هذا القرآن مأدبة الله تعالى؛ فتعلموا من مأدبة الله ما استطعتم. إن هذا القرآن هو حبل الله المتين، والشفاء النافع، عِصمة لمن تمسك بـه، لا يزيغ فيَسْتَعْتِب، ولا يَعْوَجُّ فيُقَوَّم، ولا تنقضي عجائبه، ولا يَخْلق على كثرة الرد؛ فاتلوه فإن الله تعالى يأجركم بكل حرف منه عشر حسنات، إني لا أقول: «الم» حرف، ولكن أقول: ألف ولام وميم، بالألف عشر، وباللام عشر، وبالميم عشر، بكل حرف عشر حسنات»[1].

❐ ❐ ❐

---

(١) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن، وابن أبي شيبة مرفوعًا، والدارمي موقوفًا. والصحيح أنه من كلام عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

١٢- باب: نجاة من اعتصم بالقرآن، ولزم ما فيه، وزال معه حيث زال

٦٣- عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

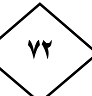
قلت للنبي ﷺ: علمني كلمات جوامع نوافع؟ قال: **«اعبد الله، ولا تشرك به شيئًا، وزُل مع القرآن حيثما زال، واقبل الحق ممن جاء به صغيرًا أو كبيرًا، وإن كان بغيضًا بعيدًا، واردُدِ الباطلَ على من جاء به صغيرًا أو كبيرًا، وإن كان حبيبًا قريبًا»**(١).

٦٤- وعن أبي سلمة بن عبدالرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال:

رأيتُ أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يهوي بيده نحو المشرق؛ ويقول: هذه الفتن قد أظلت؛ كأنها قطع الليل المظلم، كلما مضى منها رِسْل بدا رسل؛ ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترب، إلا من فزع إلى كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ فعمل بمحكمه، وآمن بمتشابهه، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا؛ يموت فيها قلبه كما يموت بدنه، يبيع فيها أقوام دينهم بعرض من الدنيا قليل.

---

(١) رواه الخطيب مرفوعًا في موضح أوهام الجمع والتفريق. ورواه أبو نعيم في الحلية، وغيره موقوفًا على ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ وهو الصحيح.



٦٥- وعن أبي قلابة رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أن رجلًا قال لأبي الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: إن إخوانك من أهل الكوفة يقرؤنك السَّلام.

قال: عليهم السَّلام، مُرْهُمْ فليعطوا القرآن بخَزائمهم؛ فإنه يحملهم على القصد والسهولة، ويجنبهم الجَوْر والحُزُونَة[1].

❒ ❒ ❒

---

(١) الأثر رواه عبدالرزاق في مصنفه؛ وقال: (بِخَزَائِمِهِم)، يعني اجعلوا القرآن مثل الخِزَام في أنف أحدكم، فاتَّبِعوه واعملوا به.
- وقال ابن الأثير: (هي جمع خِزامة يريد به الانقياد لحكم القرآن وإِلقاء الأزِمَّة إِليه).
- وقال أبو عمرو: (المُخَزَّمة: التي في آنافها الخزائم، وواحدُ الخزائم: خِزامة؛ وهي حلقة من شَعر، فإذا كانت من صُفر أو فضة فهي بُرَة). والباء في قوله: (بخزائمهم) مزيدة كقولك: أخذت بالشيء بمعنى أخذته، وكقول الشاعر: نضرب بالسيف ونرجو بالفرج.
انظر: لسان العرب (٢/ ١١٥٢).
والحزونة ضد السهولة ولذلك أراد ﷺ تغيير اسم جد سعيد بن المسيِّب من حزن إلى سهل فأبى. قال سعيد: (فبقيت الحزونة فينا).

١٣- باب: أمر النبي ﷺ باتباع ما في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وقوله تعالى: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ وغير ذلك

٦٦- قال عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾.

قال: يتبعونه حقَّ اتباعه.

٦٧- عن نصر بن عاصم الليثي رَحِمَهُ اللَّهُ قال:

أتيت اليشكري في رهط من بني ليث؛ قال: من القوم؟ قالوا: بنو ليث. قال: فقلنا: أتيناك نسألك عن حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فقال: أقبلنا مع أبي موسى قافلين، وقلَّت الدواب بالكوفة؛ فسألت أبا موسى أنا وصاحب لي، فأذن لنا، فقدمنا الكوفة باكرًا من النهار؛ فقلت لصاحبي: ادخل المسجد، فإذا فيه حلقة؛ كأنما قطعت رؤوسهم، يستمعون إلى رجل؛ فقمت عليهم، فجاء رجل فقام إلى جنبي؛ فقلت له: من هذا؟ فقال: أبصري أنت؟

قال: فقلت: نعم! قال: عرفت، لو كنت كوفيًا لم تسأل عنه؛ قال: فدنوت منه، فسمعت حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، وعرفت أن الخير لن يسبقني؛ قال: قلت: يا رسول الله! هل بعد هذا الخير شر؟ قال: **«يا حذيفة! تَعَلَّم كتاب الله عَزَّوَجَلَّ واتبع ما فيه»** ثلاث مرات. قلت: يا رسول الله! بعد هذا الخير شر؟ قال: **«هُدْنَة على دَخَن، وجماعة على أقذاء فيهم أو فيها»**.

قلت: يا رسول الله! الهدنة على الدخن ما هم؟ قال: **«لا ترجع قلوب أقوام على الذي كانت عليه»**. قال: قلت: يا رسول الله! بعد هذا الخير من شر؟ قال: **«فتنة عمياء؛ دعاة على أبواب النار، فإن مت يا حذيفة! وأنت عاض على جِذْلٍ خير لك من أن تتبع أحدًا منهم»**(١).

٦٨- عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

«خذوا العطاء ما دام عطاء، فإذا صار رِشوةً على الدين؛ فلا تأخذوه، ولستم بتاركيه؛ يمنعكم الفقر والمخافة، ألا إن رحى بني مَرَحٍ(٢) قد

(١) رواه أحمد، وأبو داود.

- وفي لسان العرب: (قال أبو عبيد: قوله: (هُدْنة على دَخَن) تفسيره في الحديث: لا ترجع قلوبُ قوم على ما كانت عليه؛ أي لا يَصْفو بعضُها لبعض ولا ينْصَعُ حُبّها؛ كالكدورة التي في لون الدابَّة. وشبهها بدُخانِ الحَطَب الرَّطْب لما بينهم من الفساد الباطنِ تحت الصَّلاح الظاهر. والأَقذاء: جمع قَذى، والقَذى جمع قَذاة، وهو ما يقع في العين والماء والشراب من تراب أو تبن أو وسخ أو غير ذلك، أراد أن اجتماعهم يكون على فساد من قلوبهم. والجذل: أصل الشيء الباقي من شجرة وغيرها بعد ذهاب الفرع).

(٢) في أكثر الأحاديث هكذا: (مَرَح) وفي بعضها: (مَرْج).

- وقال الطبري في التفسير (١٠/ ٤٩٥): (قال ابن زيد في قوله: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ ﴾ قال: لعنوا في الإنجيل وفي الزبور، وقال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنّ رَحَى الإيمان قد دارت، فدُوروا مع القرآن حيث دار. وإن بني مَرَح كانوا أمة من بني إسرائيل، كانوا أهل عدل، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فأخذهم قومهم فنشروهم بالمناشير، وصلبوهم على الخشب، وبقيت منهم بقية، فلم يرضوا حتى داخلوا الملوك وجالسوهم، ثم لم يرضوا حتى واكلوهم، فضرب الله تلك القلوب بعضها ببعض فجعلها واحدة. فذلك قول الله تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾. إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴾. ماذا كانت معصيتهم؟ قال: «كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ »).

دارت، ألا وإن رحى الإيمان دائرة؛ فدوروا مع الكتاب حيث دار، ألا وإن الكتاب والسلطان سيفترقان؛ فلا تفارقوا الكتاب، ألا وإنه سيكون بعدي أمراء؛ يقضون لأنفسهم ما لا يقضون لكم، فإن أطعتموهم أضلوكم، وإن عصيتموهم قتلوكم».

قالوا: يا رسول الله! كيف نصنع؟ قال: **«كما صنع أصحاب عيسى ابن مريم** عَلَيْهِ السَّلَامُ**؛ نُشروا بالمناشير، وحملوا على الخشب؛ موت في طاعة الله خير من حياة في معصية الله** عَزَّ وَجَلَّ**»**(١).

٦٩- وقال مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى:

﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾ [الزمر:٣٣].

قال: هم الذين يجيئون بالقرآن يوم القيامة قد اتبعوه، أو قال: اتبعوا ما فيه.

٧٠- وقال عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لجنادة بن أبي أمية:

ألا أخبرك بما لك، وما عليك؟ إن عليك السمع والطاعة في اليسر والعسر ومنشطك ومكرهك وفي أَثَرَةٍ عليك، وأن تقيم لسانك بالعدل، وأن لا تنازع الأمر أهله؛ إلا أن يأمروك بمعصية الله تعالى، فإن أمروك بخلاف ما في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ فاتبع إذًا كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير والصغير، وفيه انقطاع؛ وبعضه يروى عن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من قوله، وهو أصح.

٧١- وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ:

«عليكم بالقرآن؛ فإنه كلام رب العالمين، الذي هو منه، فآمنوا بمتشابهه، واعتبروا بأمثاله»(١).

❒ ❒ ❒

---

(١) رواه ابن شاهين في السُّنة، وأبو عمرو الداني في طبقات القراء؛ وفي رفعه نظر.

١٤- باب: إثم من خالف ذلك، وتأول كتاب الله برأيه وهواه، وما يلحقه من العقوبة في أخراه ودنياه

٧٢- عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ:

«ما بال أقوام يُشَرِّفُونَ المترفين، ويَسْتَخِفُّونَ بالعابدين، ويعملون بالقرآن ما وافق هواهم، وما خالف هواهم تركوه، فعند ذلك يؤمنون ببعض الكتاب، ويكفرون ببعض، يسعون فيما يُدْرَك بغير شيء من القدر المقدور، والأجل المكتوب، والرزق المقسوم، ولا يسعون فيما لا يُدْرَك إلا بالسعي؛ من الجزاء الموفور، والسعي المشكور، والتجارة التي لا تبور»[1].

٧٣- عن مبارك رَحِمَهُ اللَّهُ قال:

لما فتحت مدائن قُبْرُص، وأخذوا في جمع السبي والمتاع؛ قال: احتبى أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بحمائل سيفه، فجعل يبكي؛ فقلنا له: أتبكي في يوم أعزَّ الله فيه الإسلام، وأذلَّ فيه الشِّركَ وأهلَه؟!

---

(١) رواه الطبراني في الكبير، والبيهقي في شعب الإيمان، ولا يصح رفعه.
- وفي العلل لابن أبي حاتم، قال: (سمعت أبِي يقول: هذا حديث كذب موضوع). اهـ
ومعناه صحيح.

قال: إن هؤلاء كانوا على شريعتهم لمن بين أظهرهم قاهرون، فلما تركوا ما أمرهم الله تعالى به؛ سلطكم عليهم فسبيتموهم، وإن الله تعالى إذا سلط السَّبْيَ على قوم خرجوا من يمينه فلم يكن له بهم حاجة[١].

٧٤- وعن يزيد بن عبدالله رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال:

كنا بالقسطنطينية؛ قال: قال معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: يوشك القرآن أن يُنسخ.

قالوا: ينسخ حتى لا يقرأ؟!

قال: لا، ولكن يسلك الناس واديًا، ويسلك القرآن واديًا غيره.

❑ ❑ ❑

(١) ذكر المصنف الأثر هكذا عن مبارك، ولا أدري من مبارك هذا؟ والمحفوظ أنه من رواية عبدالرحمن بن جُبَيْر بن نُفَيْر، عن أبيه؛ كما في سنن سعيد بن منصور، و(قُبْرُص) تُروى بالسين والصاد، وهي جزيرة في بحر الروم، وهي الآن دولة معروفة.

١٥- باب: وجوب العمل بالقرآن، والاعتماد عليه دون ما أُحدث من الأهواء والبدع

٧٥- عن سلمة بن أبي سلمة، عن أبيه؛ قال:

قال رسول الله ﷺ لعبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

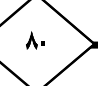
«إن الكتب كانت تنزل من باب واحد على حرف واحد، وإن هذا القرآن نزل من سبعة أبواب على سبعة أحرف: حلال وحرام، وآمر وزاجر، ومحكم وضرب أمثال ومتشابه؛ فأحِلَّ حلاله، وحرِّم حرامه، وافعل ما أمرك، وانته عما نهاك، واعمل بمحكمه، واعتبر بأمثاله، وآمن بمتشابهه؛ وقل: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران:٧]»[(١)].

---

(١) رواه ابن حبان، والحاكم. وقال ابن عبدالبر في التمهيد (٨/ ٢٧٥): (هذا حديث عند أهل العلم لا يثبت؛ لأنه يرويه حيوة، عن عقيل، عن سلمة هكذا. ويرويه الليث، عن عُقيل، عن ابن شهاب، عن سلمة بن أبي سلمة، عن أبيه، عن النبي ﷺ مرسلًا، وأبو سلمة لم يلق ابن مسعود، وابنه سلمة ليس ممن يحتج به). اهـ

- وفي هذا الأثر ذكر سبعة أبواب وسبعة أحرف، ثم فسَّر الأبواب السبعة، وسكت عن تفسير الأحرف السبعة؛ وتفسيرها: أنها لغات العرب السبع التي اختارها الله وأنزل كتابه عليها في أول الأمر توسعة على العباد، وليس بينها اختلاف؛ إنما هي كقول الرجل: (تعال، وهلم، وأقبل)، فلما لانت ألسنة العرب بالقرآن؛ جمعهم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على حرف قريش خاصة، وهو المصحف الموجود بأيدي الناس من عهد عثمان إلى قيام الساعة، وفي كتاب فضائل القرآن لأبي عبيد تفصيل ذلك كله.

=

٧٦- عن معقل بن يسار المزني ؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«اعملوا بالقرآن؛ أحلوا حلاله، وحرموا حرامه، واقتدوا به، ولا تكفروا بشيء منه، وما تشابه عليكم؛ فردوه إلى الله وإلى أولي العلم من بعدي، كيما يخبرونكم»[(١)].

٧٧- وفي طريق آخر: عن معقل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مثله، وزاد فيه:

«وآمنوا بالتوراة والإنجيل والزبور، وما أوتي النبيون من ربهم، وليَسَعْكُم القرآن وما فيه؛ فإنه شافع مشفع، ومَاحِلٌ مُصَدَّقٌ، وإن لكل آية نورًا يوم القيامة، ألا وإني أعطيت سورة البقرة من الذكر الأول، وأُعْطيت طه والطَّوَاسِينَ من ألواح موسى، وأُعْطيت فاتحة الكتاب وخواتيم البقرة من تحت العرش، وأُعْطيت المفصل نافلة»[(٢)].

- قال الآجري في الأربعين حديثًا: (لن يدرك علم هذا كله إلا بالسنن، لأن السنن تبين مراد الله فيما أمر به العباد ونهاهم عنه، ألم تسمع إلى قول الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، فقد بيَّن لأمته ما أحله لهم، وما حرمه عليهم، وما فرض عليهم، فمن أراد أن يعلم الحلال من الحرام لزم السنن، وذلك أمر الله له بطاعة رسوله ﷺ والانتهاء عما نهى، وحذر من خالفه، بقوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. ثم يؤمن بمتشابه القرآن، ولا يماري فيه، ولا يجادل، فإن الله تعالى قد حذرك عن ذلك، وتعتبر بأمثاله، وتعمل بمحكمه، وتؤمن بجميع ما فيه، واعلم أن في القرآن ناسخًا ومنسوخًا، فاسأل عنه العلماء على وجه التعلم لا على وجه الجدل والمراء). اهـ

(١) سيأتي تخريجه في الحديث التالي.

(٢) رواه ابن بطة في الإبانة، والطبراني في الكبير، وابن حبان في المجروحين، والحاكم، وصحح إسناده. ومعنى: (ماحِلٌ مُصَدَّقٌ) أي: شاهد مصدق في ما يقوله فيمن أعرض عنه ولم يعمل به؛ فهو مصدَّق فيه لا يَكْذِب ولا يُكَذَّب.

=

٧٨- وفي لفظ آخر: **«فاسألوا أهل العلم يبينونه لكم، وآمنوا بالتوراة والإنجيل والفرقان؛ فإن فيه البيان»**[١].

٧٩- وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

تعلموا القرآن تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، واعلموا أنه ليس من حق ذي حق أن يطاع في معصية الله تعالى. وإنه لا يُقَرِّبُ من أجل، ولا يُنْقِّصُ من رزق؛ أن يتكلم عبد بكلمة حقٍ عند خوف.

٨٠- وعن حمزة الزيات رَحِمَهُ اللَّهُ قال:

قال جندب الخير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا أيها الناس! عليكم بهذا القرآن؛ فإنه نور الليل المظلم، وسراج النهار، فاعملوا به على ما كان من جَهد وفاقة، فإن عَرَض بلاء؛ فقدموا دنياكم بين يدي أنفسكم، فإن عَرَض بلاء؛ فقدموا أنفسكم بين يدي دينكم، فإن المحروم من حُرِم دينه، والمسلوب من سُلِب دينه[٢]، ألا لا فقر بعد الجنة، ولا غنى بعد النار، إن النار لا يُفَكُّ أسيرها، ولا يَسْتَغْنِي فقيرها.

- وقال ابن الأثير في معناها: (أي: خَصْم مُجادل مُصدَّق، وقيل: ساعٍ مُصدَّق، من قولهم: مَحَل بفلان إذا سعى به إلى السلطان، يعني: أن من اتَّبعه وعمل بما فيه؛ فإنه شافع له مقبول الشفاعة، ومُصدَّق عليه فيما يرفع من مساويه إذا ترك العمل به). اهـ

- ويؤيده الرواية الأخرى: (من شفع له القرآن يوم القيامة نجا، ومن محل به القرآن يوم القيامة؛ كبَّه الله في النار على وجهه).

(١) رواه الحاكم.

(٢) وفي لفظ: (المحروب)، ومعناه قريب من المسلوب، ولهذا الأثر قصة رواها أبو عبيد في فضائل القرآن (٤٠) عن حطان بن عبدالله السدوسي، قال: قدم علينا جندب بن عبدالله البصرة- =

٨١- عن عمران بن حصين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ:

أنهم كانوا يتذاكرون الحديث؛ فقال رجل: دعونا من هذا، وجيئونا بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ؛ فقال عمران رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: يا أحمق! أتجد في كتاب الله الصلاة مفسرةً؟ أتجد في كتاب الله الصوم مفسرًا؟ إن القرآن أحكم ذلك، والسُّنة تفسر ذلك.

٨٢- ومن طريق آخر: أن عمران رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كان جالسًا فذكروا حديث الشفاعة؛ قال: فقال رجل من القوم: يا أبا نُجَيْد! إنكم تحدثونا بأحاديث ما نجد لها أصلًا في القرآن. قال: فغضب عمران رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وقال للرجل: أقرأت القرآن؟ قال: نعم؛ قال: فوجدتَ في القرآن: أن أقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة؟ قال: نعم؛ قال: فكم وجدت فيه صلاة المغرب؟ وجدت فيه صلاة المغرب ثلاثًا؟ وجدت العشاء أربعًا؟ والغداة ركعتين؟ والظهر أربعًا؟ والعصر أربعًا؟ قال: لا؛ قال: فعمن أخذتم؟ أليس عنا أخذتموه؟! أخذناه عن نبي الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأخذتموه عنا؛ قال: فوجدتم في

وفي رواية: فلما أراد أن يخرج؛ شيعناه إلى حصن المُكاتب-، فقلنا له: يا صاحب رسول الله! أوصنا. فقال: «من استطاع منكم ألا يجعل في بطنه إلا طيبًا فليفعل؛ فإن أول ما ينتن من الإنسان بطنه، ومن استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين الجنة ملء كف من دم امرئ مسلم، يهريقه كأنما يذبح به دجاجة، لا يأتي بابًا من أبواب الجنة إلا حال بينه وبينه فليفعل، وعليكم بالقرآن؛ فإنه هدى النهار ونور الليل المظلم، فاعملوا به على ما كان من جهد وفاقة، فإن عرض بلاء فقدموا أموالكم دون دمائكم، فإن تجاوزها البلاء فقدموا دماءكم دون دينكم، فإن المحروب من حُرِب دينه، وإن المسلوب من سُلِب دينه. إنه لا فقر بعد الجنة، ولا غنى بعد النار؛ إن النار لا يُفك أسيرها، ولا يستغني فقيرها، والسَّلام عليكم».

كتاب الله: في كل أربعين درهمًا درهم؟ ومن كل شاة كذا، ومن كل بقرة كذا؟ أوجدتم في القرآن هذا؟ قال: لا؛ قال: فعمن أخذتم هذا؟ أخذناه عن نبي الله ﷺ وأخذتموه عنَّا؛ قال: فهل وجدتم في القرآن: وليطوفوا بالبيت العتيق؟ فوجدتم طوفوا سبعًا، واركعوا خلف المقام ركعتين، وجدتم هذا في القرآن؟ عمن أخذتموه؟ أليس عنا أخذتموه؟ أخذناه عن رسول الله ﷺ، وأخذتموه عنا؛ قال: بلى؛ قال: وجدتم في القرآن: لا جَلَبَ ولا جَنَبَ ولا شِغَارَ في الإسلام؟ أوجدتم هذا في القرآن؟ قال عمران رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فإني سمعت رسول الله ﷺ، يقول: **«لا جَلَبَ ولا جَنَبَ ولا شِغَارَ في الإسلام»**(١). قال: أسمعتم الله عَزَّ وَجَلَّ يقول في كتابه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧].

---

(١) أخرجه أحمد، والترمذي والنسائي، وفي آخره زيادة: (ومن انتهب نهبة، فليس منا).
- وفي السنن الكبرى للبيهقي (١٠/ ٢١) عن ابن بكير، قال: (سئل مالك؛ ما تفسير ذلك؟ فقال: أما الجلب: فأن يتخلف الفرس في السباق، فيحرك وراءه الشيء يُستحث به فيسبق فهذا الجلَب. وأما الجَنَب: فإنه يجنب مع الفرس الذى يسابق به فرس آخر، حتى إذا دنى تحول راكبه على الفرس المجنوب فأخذ السبق).
- وفي جامع الأصول لابن الأثير (٤/ ٦٠٥) قال محمد بن إسحاق: (معنى: لا جَلَب: لا تُجلب الصدقات إلى المصدِّق. ولا جَنَب: لا ينزل المصدِّق بأقصى مواضع أصحاب الصدقة، فتجنب إليه، ولكن تؤخذ من الرجل في موضعه).
- والشِّغار: أن يزوج الرجلُ الرجلَ ابنته أو أخته، ويتزوج هو ابنة المتزوج أو أخته، ولا يكون بينهما مهر غير تزويج هذا من هذا، وهذا من هذا. وهي التي تسمى: المهانحة.

قال عمران رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فقد أخذنا عن رسول الله ﷺ أشياء ليس لكم بها علم، ثم ذكر الشفاعة؛ فقال: هل سمعتم الله يقول لأقوام: «مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ - قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ - وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ - وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ - وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ - حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ - فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ» [المدثر:٤٢-٤٨].

قال حبيب: فإني سمعت عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يقول: الشفاعة نافعة دون ما تسمعون[1].

❐ ❐ ❐

---

(١) عند الطبراني في الكبير: (فقال الرجل: يا أبا نجيد! أحييتني أحياك الله). ثم قال الحسن: فما مات ذلك الرجل حتى كان من فقهاء المسلمين.

- وقوله: (الشفاعة نافعة دون ما تسمعون) أي: في غير هذه الأمور الأربعة التي في الآيات، وهي: ترك الإيمان، وترك التوحيد، وترك الصلاة، وترك الزكاة.

- وحبيب: هو حبيب ابن أبي فضالة المالكي؛ يروي عن عمران بن حصين، وأنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، روى له أبو داود حديثًا واحدًا.

١٦- باب: ترك الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ آرائهم لسنة رسول الله ﷺ والأخذ بها، وما يجب على الأمة من المصير إليها

٨٣- قال أبو الزناد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إن السُّنن ووجوه الحقِّ لتأتي كثيرًا على خلاف الرأي، فما يجد المسلمون بُدًا من اتباعها؛ من ذلك: أن الحائض تقضي الصوم، ولا تقضي الصلاة.

٨٤- عن الزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ ؛ قال:

أخبرني سالم أن أباه كان يفتي النِّساء إذا أحرمن أن يقطعن الخفين، حتى أخبرته صفية بنت أبي عبيد؛ أن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا تفتيهن بأن لا يقطعن؛ فانتهى[1].

٨٥- وعن وبَرَة بن عبدالرحمن:

أتى ابنَ عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا رجلٌ؛ فقال: أيصلح أن أطوف بالبيت وأنا محرم؟ فقال: وما يمنعك؟ قال: ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ينهى عن ذلك، ويقول: حتى يرجع الناس من الموقف، وقد مالت به الدنيا، وأنت

---

(١) وفي مسند الشافعي (٢٨٤) عن همام بن الحارث، قال: (صلى بنا حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ على دكانٍ مرتفع، فجاء فسجد عليه، فجبذه أبو مسعود البدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ فتابعه حذيفة، فلما قضى الصلاة، قال أبو مسعود: أليس قد نهي عن هذا؟ فقال حذيفة: ألم ترني قد تابعتك؟). اهـ

أعجب إلينا منه، فقال ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: وأينا لم تَمِلْ به الـدنيا! قـد حـجَّ رسول الله ﷺ فطاف بالبيت، وسعى بين الصفا والمروة، وسـنة رسـول الله ﷺ أحق أن تتبع من سنة ابن عباس، إن كنت صادقًا[1].

---

(١) وفي رواية عند أحمد في المسند، عن وبرة، قال: (أتى رجلٌ ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، فقال: أيصلح أن أطوف بالبيت وأنا محرم؟ قال: ما يمنعك من ذلك؟ قال: إن فلانًا ينهانا عن ذلك، حتى يرجع الناس من الموقف، ورأيته كأنه مالت به الدنيا، وأنت أعجب إلينا منه. قال ابن عمر: حجَّ رسول الله ﷺ فطاف بالبيت، وسعى بين الصفا والمروة- أي: قبل الخروج إلى منى، وعرفة- وسنة الله تعالى ورسوله ﷺ أحق أن تتبع من سنة ابن فلان، إن كنت صادقًا.

- وقول الرجل: (وقد مالت به الدنيا) وذلك لأن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا كان قد تولى البصرة، والولاية فتنة، وأما ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا فلم يتول شيئًا، ولكن الصحابة منزهون عن التلاعب بالدِّين، وسيأتي أن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قد قال ذلك اجتهادًا منه، ولا مدخل للدنيا في ذلك.

- وقوله: (وأينا لم تَمِلْ به الدنيا) فهذا من تواضعه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وإلا فقد قال جابرِ بنِ عبدالله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: (ما مِنَّا مِن أحد إلا قد مَالَتْ به الدنيا أو مَالَ بها غير عبدالله بن عمر).

- وقوله: (إن كنت صادقًا) إما أن يكون معناه: إن كنت صادقًا في إسلامك، وشهادتك أن محمدًا رسول الله ﷺ؛ فلا تعدل عن سنته وطريقته إلى قول أحدٍ كائنًا من كان.

وإما أن يُحمل على ورع ابن عمر؛ لئلا يذكر ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا بشيء لم يسمعه منه- أي: إن كنت صادقًا في نقلك عنه-.

- وقد وقع مثل ذلك لابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا فإن زيد بن ثابت سمع النبي ﷺ يقول: (لا يصدرن أحد من الحاج حتى يطوف بالبيت- يعني طواف الوداع بعد طواف الزيارة- فخالفه ابن عباس؛ فقال: تصدر الحائض دون غيرها؛ فأنكر زيد ذلك على ابن عباس؛ فقال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: سل أم سليم؛ فسألها فأخبرته: أن النبي ﷺ أرخص للحائض في أن تصدر ولا تطوف بالبيت؛ فرجع إلى ابن عباس، وقال: وجدت الأمر كما قلت).

- وأما مذهب ابن عباس الذي أشار إليه الرجل؛ فهو أن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا كان يذهب إلى أن من لم يسق الهَدْي، وأهلَّ بالحجِّ إذا طاف بالبيت فإنه يحلُّ من حجه رغمًا عنه، ومن ساق الهدي وبقي على إحرامه وطاف وسعى، فلا يطف بالبيت حتى يرجع من عرفة، وروى البخاري في باب: حجة الوداع في أواخر كتاب المغازي، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن
=

٨٦- وعن عبدالله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خرج إلى الشام، حتى إذا كان «بسَرغ[١]»، لقيه أمراء الأجناد- أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه - فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام. قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ادع لي المهاجرين الأولين، فدعاهم فاستشارهم، وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام، فاختلفوا، فقال بعضهم: خرجتَ لأمرٍ، فلا ترجع عنه. وقال بعضهم: معك بقية الناس، وأصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء. فقال: ارتفعوا عني. ثم قال: ادع لي الأنصار، فدعوتهم فاستشارهم، فسلكوا سبيل المهاجرين، واختلفوا كاختلافهم، فقال: ارتفعوا عني. ثم قال: ادع لي من كان ههنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، فدعوتهم، فلم يختلف عليه منهم رجلان، فقالوا: نرى

عباس، قال: (إذا طاف بالبيت، فقد حلَّ، قال ابن جريج: فقلت: من أين؟ قال عطاء: هذا ابن عباس، يقول: من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾، ومِنْ أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه أن يَحِلّوا في حجة الوداع، قلت: إنما كان ذلك بعد المُعَرَّف، قال: كان ابن عباس يراه قبلُ وبعدُ).

أي: من وصل البيت العتيق وليس معه هدي؛ فقد حلَّ.

- ولأحمد في المسند من طريق قتادة، قال: (سمعت أبا حسّان الأعرج، قال: قال رجل من بَلْهُجَيْم لابن عباس: ما هذه الفتيا التي تشغَّفت، أو تشغَّبت بالناس أن من طاف بالبيت، فقد حلَّ! فقال: سُنَّة نبيكم، وإن رغمتم).

- وهذا الذي قاله ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قد خالفه فيه الجمهور.

(١) سَرغ: بسكون الراء وفتحها، هي قرية بِوادي تبوك من طريق الشام. وقيل: على ثلاث عشرة مرحلة من المدينة، وقيل: هو موضع يَقْربُ من ريف الشَّام. (لسان العرب).

أن ترجع ولا تقدمهم على هذا الوباء، فنادى عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في الناس: إني مُصْبِحٌ على ظهرٍ، فأصبحوا عليه؛ قال أبو عبيدة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أفرارًا من قدر الله؟ فقال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة! نعم، نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كان لك إبل، فهبطتَ واديًا به عُدْوَتان، إحداهما خصبة، والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟ قال: فجاء عبدالرحمن بن عوف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وكان متغيبًا في بعض حاجته، فقال: إن عندي في هذا علمًا، سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها؛ فلا تخرجوا فرارًا منه**»، قال: فحمد اللهَ تعالى عمرُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ثم انصرف[1].

---

(١) متفق عليه. ومعنى: (مُصْبِحٌ على ظهر): أي على ظهر جملي راجعًا إلى المدينة.
- وقال الشافعي في مسنده (١١٨٩): (أخبرنا مالك، عن ابن شهاب، عن سالم: أن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إنما رجع بالناس عن خبر عبدالرحمن بن عوف. يعني: حين خرج إلى الشام، فبلغه وقوع الطاعون بها).
- وقال الشافعي في الرسالة (١٠٠٧): (أخبرنا مالك، عن جعفر بن محمد، عن أبيه أن عمر ذكر المجوس، فقال: ما أدري كيف أصنع في أمرهم؟ فقال له عبدالرحمن بن عوف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أشهد لسمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: سنوا بهم سنة أهل الكتاب).
- وقال في مسنده: أخبرنا سفيان، عن عمرو بن دينار أنه سمع بَجالة، يقول: (لم يكن عمر بن الخطاب أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبدالرحمن بن عوف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخذها من مجوس هجر).
- وروى أحمد في مسنده، عن مجاهد، عن ابن عباس: (أنه طاف مع معاوية بالبيت، فجعل معاوية يستلم الأركان كلها، فقال له ابن عباس: لم تستلم هذين الركنين؟ ولم يكن رسول الله
=

٨٧- وعن طاوس:

أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: أُذَكِّرُ اللهَ امْرَأً سمع من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الجنين شيئًا؟ فقال حَمَلُ بن مالك بن النابغة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إني كنت بين جارتين لي- يعني ضرتين- فضربت إحداهما الأخرى بمِسْطح؛ فألقت جنينًا ميتًا، فقضى فيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بغُرَّة.

فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لو لم نسمع هذا لقضينا فيه بغير هذا[1].

٨٨- وعن (سعد بن إسحاق بن) كعب بن عجرة،

عن عمته زينب ابنة كعب:

أن الفُرَيْعَة ابنة مالك بن سنان أخبرتها أنها جاءت إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسألته أن ترجع إلى أهلها في بني خُدْرة، فإن زوجها خرج في طلب أَعْبُدٍ له، حتى إذا كان «بِطَرَفِ القَدُومِ» (لحقهم) فقتلوه، فسألتُ رسول الله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستلمهما، فقال معاوية: ليس شيء من البيت مهجورًا، فقال ابن عباس: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، فقال معاوية: صدقت).

- وروى أبو داود في سننه (٢٧٥٩)، عن سليم بن عامر- رجل من حِمْير- قال: (كان بين معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبين الروم عهد، وكان يسير نحو بلادهم، حتى إذا انقضى العهد؛ غزاهم، فجاء رجلٌ على فرس أو برذون، وهو يقول: الله أكبر! الله أكبر! وفاءٌ لا غدر، فنظروا فإذا عمرو بن عبسة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأرسل إليه معاوية، فسأله، فقال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: (من كان بينه وبين قوم عهدٌ، فلا يشد عقدة ولا يحلها، حتى ينقضي أمدها أو ينبذ إليهم على سواء). قال: فرجع معاوية). اهـ

- ما أعظم تعظيم الصحابة لحديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! في السِّلم والحرب.

(١) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي.

ﷺ أن أرجع إلى أهلي، فإن زوجي لم يتركني في مسكن يملكه؛ قالت: فقال رسول الله ﷺ: **«نعم»**، فانصرفتُ حتى إذا كنتُ في الحجرة أو في المسجد، دعاني أو أمر بي فدُعيت له؛ فقال: **«كيف قلتِ؟»**، فرددتُ عليه القصة التي ذكرت له من شأن زوجي، فقال: **«امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله»** قالت: فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشرًا، فلما كان عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أرسل إلي فسألني عن ذلك، فأخبرته فاتبعه، وقضى به[1].

٨٩- وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال:

«كنا نُخابِر ولا نرى بذلك بأسًا، حتى زعم رافع بن خديج رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ نهى عنها؛ فتركناها من أجل ذلك»[2].

٩٠- وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

أن أبا بكر وعمر، وأُناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ جلسوا بعد وفاة رسول الله ﷺ فذكروا أعظم الكبائر، فلم يكن عندهم فيها علم

---

(١) رواه مالك في الموطأ، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، والدارمي.

(٢) رواه أحمد، والنسائي، وابن ماجه.

- وجاء من طريق آخر عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رواه البخاري ومسلم.

- قال النسائي: (جمع سفيان بن عيينة الحديثَيْن، فقال: عن ابن عمر، وجابر، وقال عطاء: فسَّر لنا جابر، قال: (أما المخَابَرة: فالأرض البيضاء، يدفعها الرجل إلى الرجل، فيُنْفِقُ فيها، ثم يأخذ من الثَّمر).

- وحديث رافع: ألوان- كما قال الإمام أحمد- أي: فيه اضطراب.

- وفي المسألة تفصيل في موضعه. والعبرة هنا في فعل ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حيث عَظَّم نهي النبي ﷺ حين بلغه.

ينتهون إليه، فأرسلوني إلى عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أسأله عن ذلك؛ فأخبرني أن أعظم الكبائر: شرب الخمر، فأتيتهم فأخبرتهم فأنكروا ذلك، وتواثبوا إليه جميعًا حتى أتوه في داره، فأخبرهم أنهم تحدثوا عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ملك بني إسرائيل أخذ رجلًا؛ فخيره بين أن يشرب خمرًا، أو يقتل نفسًا، أو يأكل لحم الخنزير، أو يقتله إن أبى؛ فاختار شرب الخمر، وأنه لما شربها لم يمتنع من شيء أرادوا منه، وإن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لنا مجيبًا: **«ما أحد يشربها؛ فيقبل الله منه صلاة أربعين يومًا، ولا يموت وفي مثانته منها شيء؛ إلا حرمت عليه الجنة، وإن مات في أربعين ليلة مات ميتة جاهلية»**[1].

قال عبدالله الحميدي:

فلم ينكروا ذلك على عبدالله بن عمرو بعد أن أخبرهم عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالذي أخبر؛ بل سلَّموا بعد إنكارهم.

٩١- وعن سعيد بن المسيب رَحِمَهُ اللَّهُ:

أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يقول: الدية للعاقلة، ولا ترث المرأة من دية زوجها شيئًا.

حتى قال له الضحاك بن سفيان الكلابي: كتب إليَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أورث امرأة أَشْيَم الضِّبابي من دية زوجها؛ فرجع عمر عن قوله[2].

---

(١) رواه الطبراني، والحاكم في المستدرك، وقال: صحيح على شرط مسلم. والمحفوظ أنه موقوف.

(٢) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي؛ والعاقلة هنا: يعني العَصَبة الوارثون.

٩٢- عن عكرمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ قال:

لما بلغ ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حرَّق المرتدين أو الزنادقـة؛ قال: لو كنت أنا لم أحرقهم، ولقتلتهم؛ لقول رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«من بـدَّل دينه؛ فاقتلوه»**. ولمَاَ حرقتهم لقول رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«ولا ينبغي لأحـد أن يعذب بعذاب الله»**[1].

❒ ❒ ❒

(١) رواه أحمد، والبخاري، وأبو داود، والترمذي.

١٧- باب: من فعل ذلك من الأئمة والعلماء بعد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والاقتداء بهم كما أمرهم الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

٩٣- عن مخلد بن خُفَاف بن إيماء الغفاري:

«أن عبدًا كان بين شركاء فباعوه، ورجل من الشركاء غائب، فلما قدم أبى أن يجيز بيعه؛ قال: فاختصموا في ذلك إلى هشام بن إسماعيل[1]، فقضى أن يُرَدَّ البيع ويَبْتَاعُوهُ لليوم، ويؤخذ منه- أي: من المشتري- الخَراج، فوجدوا الخراج فيما مضى من السنين ألف درهم؛ قال: فبيع فيه غلامان له[2]؛ فجئت إلى عروة بن الزبير فذكرت ذلك له؛ فقال: حدثتني عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قضى أن الخَراج بالضَّمان؛ قال: فدخل عروة على هشام، فحدثه بذلك فردَّ بيع الغلامين، وترك الخراج»[3].

---

(١) هو: هشام بن إسماعيل المخزومي المكي، أمير المدينة من قِبَل عبدالملك بن مروان، جدُّ هشام بن عبدالملك لأمه. وهو الذي ضرب سعيد بن المسيب بالسياط. يروي عن معاوية بن أبي سفيان، ويروي عنه محمد بن يحيى بن حبان، ومحمد بن إبراهيم التيمي. انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، والثقات لابن حبان.

(٢) أي: باع المشتري غلامين له؛ لكي يعطيهم خراج العبد الذي اشتراه.

(٣) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، والدراقطني.

قال الترمذي في سننه: (وتفسير الخراج بالضمان، هو الرجل يشتري العبد، فيستغله ثم يجد به عيبًا، فيرده على البائع، فالغَلَّة للمشتري، لأن العبد لو هلك هلك من مال المشتري، ونحو هذا من المسائل يكون فيه الخراج بالضمان). اهـ

=

٩٤- وفي طريق آخر؛ قال مخلد:

«ابتعت غلامًا فاستغللته، ثم ظهرت منه على عيب، فخاصمت فيه إلى عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقضى لي برده، وقضى عليَّ برد غلته؛ فأتيت عروة فأخبرته؛ فقال: أروحُ إليه العشيَّة، فأُخبره أن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أخبرتني أن رسول الله ﷺ قضى في مثل هذا أن الخراج بالضمان؛ فعجلت إلى عمر، فأخبرته ما أخبرني عروة عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا عن رسول الله ﷺ.

فقال عمر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما أيسر عليَّ من قضاء قضيته؛ الله يعلم أني لم أرد فيه إلا الحقَّ، فبلغتني فيه سنة رسول الله ﷺ فأرد قضاء عمر، وأُنفذ

وقال: (وقد روي هذا الحديث من غير هذا الوجه، والعمل على هذا عند أهل العلم). اهـ

- ويشبه هذا ما رواه أحمد في فضائل الصحابة (١/ ٣٤٤)، وأبو داود في سننه، واللفظ لأحمد، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: (تزوج رئاب بن حذيفة بن سعيد بن سهم أم وائل بنت معمر بن حبيب الجمحية؛ فولدت له ثلاثة غلمة: وائلًا ومعمرًا ورجلًا آخر، فماتت فورثوها ولاء مواليها، وكان عمرو بن العاص عصبتهم، فخرج بهم عمرو إلى الشام، فماتوا في طاعون عمواس، فلما قدم عمرو جاء بنو معمر بن حبيب إخوة أم وائل، فخاصموه في موالي أختهم إلى عمر بن الخطاب، فقال عمر: أقضي بينكم بما سمعت من رسول الله ﷺ؛ سمعته يقول: (ما أحرز الولد أو الوالد فهو لعصبته مَنْ كان). قال: فكتب عمر بذلك كتابًا فيه شهادة عبدالرحمن بن عوف، وزيد بن ثابت، ورجل آخر، فلم يزل الكتاب في أيدينا حتى استخلف عبدالملك بن مروان، فمات مولاها وترك ألفي دينار، فبلغهم أن الحجاج قد غيَّر هذا القضاء؛ فخاصموه إلى هشام بن إسماعيل، فرفعهم إلى عبدالملك بن مروان، فرفعنا إلى القاضي، فأتيته بكتاب عمر بن الخطاب، فقال عبدالملك للقاضي: حقيقٌ إذا أتيتَ بكتاب عمر أن ننتهي إليه، ثم قال: هذا من القضاء الذي كنت أرى أن أحدًا لا يشك فيه، وما كنت أرى أنه بلغ من رأي أهل المدينة أن يشكوا فيه، وقضى لنا بكتاب عمر، فنحن فيه بعد). اهـ

سنة رسول الله ﷺ فراح إليه عروة؛ فقضى لي أن آخذ الخراج من الذي قضى له عليَّ به»(١).

٩٥- وعن أبي شريح الكعبي رضي الله عنه:

أن رسول الله ﷺ قال عام الفتح- أي فتح مكة-: **«من قُتل له قتيل؛ فهو بخير النظرين، إن أحب أخذ العقل، وإن أحب فله القَوَد»**.

فقال أبو حنيفة: فقلت لابن أبي ذئب: أتأخذ بهذا يا أبا الحارث؟! فضرب صدري وصاح عليَّ صياحًا كثيرًا، ونال مني؛ وقال:

أحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول: أتأخذ بهذا؟! نعم آخذ به، وذلك الفرض عليَّ، وعلى من سمعه؛ إن الله تعالى اختار محمدًا ﷺ من الناس وهداهم به وعلى يديه، واختار لهم ما اختار له على لسانه؛ فعلى الخلق أن يتبعوه طائعين أو داخرين، لا مخرج لمسلم من ذلك. وما سكت عني حتى تمنيت أن يسكت(٢).

---

(١) رواه البيهقي في معرفة السنن والآثار.

(٢) وفي ترجمة سعد بن إبراهيم من تهذيب الكمال (٢١٩٩) قال الربيع بن سليمان، عن الشافعي: (أخبرني من لا أتهم من أهل المدينة عن ابن أبي ذئب، قال: قضى سعد بن إبراهيم على رجل برأي ربيعة، فأخبرته عن رسول الله ﷺ بخلاف ما قضى به، فقال سعد لربيعة: هذا ابن أبي ذئب وهو عندي ثقة يحدث عن النبي ﷺ بخلاف ما قضيت به، فقال ربيعة: قد اجتهدتَ ومضى حكمك، فقال سعد: واعجبًا! أُنفذ قضاء سعد ابن أم سعد وأرد قضاء رسول الله ﷺ ؟! بل أرد قضاء سعد ابن أم سعد وأُنفذ قضاء رسول الله ﷺ، فدعا سعد بكتاب القضية فشقه، وقضى للمقضي عليه). اهـ

وأبو حنيفة المذكور في المتن، ليس إمام أهل الرأي، بل رجل آخر- وتقدَّم ذلك-.

٩٦- وعن عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال:

قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إذا رميتم- يعني الجمرة- وذبحتم وحلقتم؛ فقد حَلَّ لكم كل شيء حَرُم عليكم إلا النساء والطيب.

قال سالم بن عبدالله: قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنا طيبتُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لحُرْمِهِ حين أحرم، ولحِلِّه بعدما رمى الجمرة قبل أن يزور؛ قال سالم: وسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحق أن تُتبع[1].

---

(١) رواه الشافعي في مسنده، والنسائي، وابن خزيمة، والبيهقي، وأصله في الصحيحين.
- وقال الشافعي في اختلاف الحديث (١/ ٤٨٠): (فترك سالم قول جده عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع إمامته وقَبِل قول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحق؛ وذلك الذي يجب عليه).
- وقال أبو شامة في مختصر المؤمل في الرد إلى الأمر الأول (١/ ٧١): (ومن العجب أن كثيرًا منهم إذا ورد على مذهبهم أثر عن بعض أكابر الصحابة يقول مبادرًا- بلا حياء ولا حشمة-: مذهب الشافعي الجديد؛ أن قول الصحابي ليس بحجة، ويرد قول أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ولا يرد قول أبي إسحاق- الشيرازي- والغزالي، ومع هذا يرون مصنفات أبي إسحاق وغيره، مشحونة بتخطئة المزني وغيره من الأكابر في ما خالفوا فيه مذهبهم، فلا تراهم ينكرون شيئًا من هذا، فإن اتفق أنهم سمعوا أحدًا يقول: أخطأ الشيخ أبو إسحاق في كذا بدليل كذا وكذا؛ انزعجوا وغضبوا، ويرون أنه ارتكب كبيرًا من الإثم؛ فإن كان الأمر كما ذكروا، فالأمر الذي ارتكبه أبو إسحاق أعظم، فما بالهم لا ينكرون ذلك ولا يغضبون منه، لولا قلة معرفتهم وكثرة جهلهم بمراتب السلف). اهـ
- بل كان الشافعي نفسه يهجر من يردّ قول الصحابي، أو يسيء الأدب معه، ففي آداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم (١/ ١٣٣) عن أبي ثور، قال: (سمعت الشافعي يقول: قلت لبشر المريسي: ما تقول في رجل قُتل، وله أولياء صغار وكبار، هل للأكابر أن يَقْتُلوا دون الأصاغر؟ فقال: لا. فقلت له: فقد قتل الحسن بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ابنَ ملجم، ولعليّ أولاد صغار؟ فقال: أخطأ الحسن بن علي! فقلت له: أما كان جوابٌ أحسن من هذا اللفظ؟! قال: وهجرته من يومئذ). اهـ

=

٩٧- وعن معمر، عن هشام بن عروة، عن أبيه؛ قال:

دخل هشام بن حكيم بن حزام على عمير بن سعد الأنصاري بالشام- وكان عاملًا لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- فوجد عنده ناسًا من الأنباط مُشمَّسين؛ فقال: ما بال هؤلاء؟ قال: حَبستُهم في الجزية؛ قال هشام: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إن الذي يعذب الناس في الدنيا يعذبه الله** عَزَّ وَجَلَّ **في الآخرة**»؛ قال: فخلى عنهم عمير، وتركهم[1].

❐ ❐ ❐

- وفي مسائل الكوسج (١/ ٢٢٤) قال إسحاق بن راهويه: (وأما العالم يفتي بالشيء يكون مخالفًا لما جاء عن أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو التابعين بإحسان، لما يكون قد عزب عنه معرفة العلم الذي قد جاء فيه. فإن على المتعلمين أن يهجروا ذلك القول بعينه من العالم الذي خفي عليه سنته). اهـ

(١) يُشبه هذا ما رواه أحمد في مسنده (١٣٥٢٨) عن علي بن زيد قال: بلغ مصعب بن الزبير عن عريف الأنصار شيء فَهَمَّ به، فدخل عليه أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال له: (سمعتُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: استوصوا بالأنصار خيرًا- أو قال: معروفًا- اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم؛ فألقى مصعب نفسه عن سريره، وألزق خده بالبساط، وقال: أَمْرُ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الرأس والعين؛ فتركه). اهـ

١٨- باب: فضيلة أصحاب الحديث وأنهم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر[١]

٩٨- عن عبدالرحمن الحضرمي[٢]؛ قال:

أخبرني من سمع النبي ﷺ يقول: **«إن في آخر أمتي قومًا يُعطَون من الأجر مثل ما لأولهم؛ ينكرون المنكر، ويقاتلون أهل الفتن»**[٣].

---

(١) أعظم فضيلة لأصحاب الحديث؛ أنهم أعظم الناس تحقيقًا لشهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ؛ ولهذا حفظوا سنته وعظَّموها ونشروها ولم يعارضوها برأي أو استدراكٍ، فهم: (الذين دوَّنوا أقوال النبي ﷺ وأفعاله، وضبطوا على اختلاف الأمور أحواله، في يقظته ومنامه، وقعوده وقيامه، وملبسه ومركبه، ومأكله ومشربه، حتى القُلامة من ظفرة ما كان يصنع بها، والنُّخاعة من فِيهِ كيف كان يلفظها، وقوله عند كل فعل يُحْدِثُه، ولدى كل موقف يشهده، تعظيمًا لقدره ﷺ، ومعرفةً بشرف ما ذُكر عنه وعُزي إليه). قاله الخطيب في الكفاية.

ولهذا قال بعض السَّلف في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَـٰمِهِمْ﴾. قال: (هذا أكبر شرف لأصحاب الحديث؛ لأن إمامهم النبي ﷺ). اهـ

فهو إمامنا نُشْهِدُ اللهَ على ذلك، وجميع خلقه، لا إمام لنا دونه، ونسأله ألا يدعونا مع إمام غيره.

- ولهذا اشتد نكير السَّلف على أهل الرأي من هذا الباب؛ أنهم ما قدروا النبي ﷺ حقَّ قدره، بل جعلوه مثل غيره؛ فرفعوا عليه أصواتهم، وعارضوا سنته بآرائهم.

- ففي تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (١/ ٥١) عن الأوزاعي، قال: (إنا لا ننقم على أبي حنيفة أنه رأى، كلنا يرى، ولكننا ننقم عليه أنه يجيئه الحديث عن النبي ﷺ فيخالفه إلى غيره).

- وقال عبدالله في السنة (٢٨٦): حدثني أبي، حدثنا مؤمل بن إسماعيل، قال: (سمعت حماد ابن سلمة، وذكر أبا حنيفة، فقال: (إن أبا حنيفة استقبل الآثار والسُّنن؛ يردها برأيه).

(٢) هو: عبدالرحمن بن جبير بن نفير الحضرمي، أبو حميد، روى عنه عطاء بن السائب الثقفي.

(٣) رواه أحمد في مسنده.

٩٩- عن سعيد بن العباس؛ قال:

سئل إبراهيم بن موسى[١]: مَن الآمرون بالمعروف، والناهون عن المنكر؟ فقال: نحن هم؛ نقول: قال رسول الله ﷺ: افعلوا كذا، قال رسول الله ﷺ: لا تفعلوا كذا.

١٠٠- قيل للإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما الأبدال؟ وهل من أبدال في الأرض؟ فقال: نعم؛ لله تعالى في الأرض أبدال، قيل: من هم؟ قال: إن لم يكن أصحاب الحديث هم الأبدال، فلا أعرف لله أبدالًا[٢].

---

(١) هو: إبراهيم بن موسى بن يزيد بن زاذان التميمي، أبو إسحاق الرازي الفراء، المعروف بالصغير، وكان الإمام أحمد يُنكر على من يقول له: الصغير، ويقول: هو كبير في العلم والجلالة. ولذلك روى عنه البخاري، ومسلم، وأبو داود، وأبو زرعة، وأبو حاتم، ومحمد بن مسلم بن وارة، ومحمد بن يحيى الذهلي وغيرهم.

(٢) الأبدال: هم الطائفة المنصورة؛ كلما هلك منهم رجلٌ، أخلف الله مكانه رجلًا. وليسوا أبدال الصوفية الذين يُعتقد فيهم علم الغيب، والتصرف في الكون؛ من غير أن يُعرفوا بعلم أو عمل.
- وروى الطبراني في الأوسط (٣٩٠٥)، والحاكم في المستدرك (٨٧٢٢) عن عبدالله بن زُرير الغافقي، قال: سمعت علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، يقول: (ستكون فتنة يُحصَّل الناس منها كما يُحصَّل الذهب في المعدن، فلا تسبوا أهل الشام، وسبوا ظلمتهم، فإن فيهم الأبدال).
أي: لا ينجو منها إلا القليل، كما أنه لا يحصل من المعدن- أي: المنجم- إلا الذهب القليل.
قال الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه). اهـ
- وهو كما قال، ويشهد له ما رواه ابن المبارك في الجهاد (١٩٢) عن معمر، عن الزهري، قال: (أخبرني صفوان بن عبدالله بن صفوان أن رجلًا قال يوم صفين: اللهم العن أهل الشام! فقال علي: (لا تسبوا أهل الشام جمًا غفيرًا، فإن فيهم قومًا كارهون لما ترون، وإن فيهم الأبدال).
- وروى يعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ (٢/ ٣٠٥) عن أبي صادق، قال: (سمع عليٌّ رجلاً وهو يلعن أهل الشام، فقال علي: لا تعم؛ فإن فيهم الأبدال).

=

- قال ابن رجب في مجموع رسائله (٣/ ٢١٥): (وقد روي ذكر الأبدال عن عليٍّ موقوفًا، وهو أشبه... وقال أيضًا: وروي عن علي من وجوه أخر، فهذا الأثر صحيح عن علي من قوله.
وقال: وقد رُوي في ذلك آثار موقوفة كثيرة... وقال: وقد رُوي ذكر الأبدال عن الحسن وقتادة وغيرهم من السَّلف... وقال: روى إبراهيم بن هانئ عن الإمام أحمد، قال: إن لم يكن أصحاب الحديث هم الأبدال، فلا أدري من هم.
قال ابن رجب: ومراده- أي الإمام أحمد- بأصحاب الحديث: من حفظ الحديث وعلمه وعمل به، فإنه نص أيضًا على أن أهل الحديث من عمل بالحديث لا من اقتصر على طلبه. ولا ريب أن من علم سنن النبي ﷺ وعمل بها وعلَّمها الناس؛ فهو من خلفاء الرسل، وورثة الأنبياء، ولا أحدَ أحق بأن يكون من الأبدال منه، والله أعلم). اهـ
- وقال ابن رجب في المصدر السابق (٣/ ٢٢٠): (ومن أحسن ما ورد في وصف الأبدل: ما رواه ابن أبي الدنيا عن سفيان بن عيينة، قال: قال أبو الزناد: لما ذهبت النبوة وكانوا أوتاد الأرض، أخلف الله مكانهم أربعين رجلاً من أمة محمد ﷺ يقال لهم: الأبدال، لا يموت الرجل منهم حتى ينشئ الله مكانه آخر يخلفه، وهم أوتاد الأرض، قلوب ثلاثين منهم على مثل يقين إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، لم يفضلوا الناس بكثرة الصلاة ولا بكثرة الصيام، ولا بحسن التخشع، ولا بحسن الحلية، ولكن بصدق الورع، وحسن النية، وسلامة القلوب، والنصيحة لجميع المسلمين ابتغاء مرضاة الله، بصبر وخير، ولب حليم، وبتواضع في غير مذلة، واعلم أنهم لا يلعنون شيئًا، ولا يزدرون أحدًا فوقهم، ولا يتطاولون على أحد تحتهم، ولا يحقرون، ولا يحسدون، ليسوا بمتخشعين ولا متماوتين ولا معجبين ولا يحبون الدُّنْيَا، ليسوا اليوم في خشية وغدًا في غفلة).اهـ
- وفي شرف أصحاب الحديث، عن صالح بن محمد الرازي، وسأله رجل، فقال: (إذا لم يكن أصحاب الحديث هم الأبدال، فلا أدري من الأبدال). وقال: هذا كلام يزيد بن هارون؛ ذكره عن سفيان الثوري، ثم قال صالح الرازي: (ليس العدل الذي يُعَدَّل على الفروج والدماء والأموال، العدل الذي إذا شهد على النبي ﷺ قُبلت شهادته).
- وعن النضر بن شُميل، قال: (سمعت الخليل بن أحمد، يقول: إن لم يكن أهل القرآن والحديث أولياء الله، فليس لله في الأرض ولي).
- وعن محمود بن خالد، قال: (قلت لأبي حفص عمرو بن أبي سلمة: تحب أن تُحَدِّث؟ قال: ومن يحب أن يَسقط اسمه من ديوان الصالحين؟!).

=

١٠١- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«يحمل هذا العلم من كل خلف عُدُوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»[١].

١٠٢- قال الخطيب:

وهذه شهادة من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنهم أعلام الدين وأئمة المسلمين؛ لحفظهم الشريعة من الانتحال للباطل، ورد تأويل الأبله الجاهل، وأنه يجب الرجوع إليهم، والمعول في أمر الدين عليهم.

١٠٣- وذكر ابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحقِّ، لا يضرهم من ناواهم حتى تقوم الساعة»**[٢].

- وفي الفوائد الحسان التي انتقاها الرُّهاوي من مسموعات أبي طاهر السِّلفي (١٥): قال أبو عثمان سعيد بن العباس- هو المتقدم ذكره في المتن السابق رقم (٩٩)-: (قِوام الدنيا والآخرة بثلاثة نفر: قوم في نحر العدو، فينام الناس لسهر أولئك ويأمنون لخوفهم. وقوم قد أخلصوا إيمانهم وفرَّغوا أبدانهم وجانبوا فضول الدنيا وغمومها، فقربهم الله وأعطاهم المنزلة العليا، فهم في عبادتهم ودعائهم يسألون الله حفظ الناس والتعطف عليهم، فإذا أراد الله بقوم بلاء، نظر إليهم، ودفع عن العباد والبلاد بهم. وقوم قد كتبوا- إنما يُحفظ دائمًا بكَتْب- فقاموا على حديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحفظٍ أو كَتْبٍ، على أن لا يُدخلوا أهل الزيغ في حديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، فكل الخلق عيال على أهل الحديث من أهل السنة، الذين حفظوا وعرفوا. والثلاثة لا يستغنون عن علم الحلال والحرام والأمر النهي). اهـ

(١) رواه الطبراني في مسند الشاميين، وذكره ابن وضاح في أول كتاب البدع، وقد صححه الإمام أحمد- كما في العِلل للخلال-. وفي مقدمة كتاب البدع لابن وضاح من منشورات دار الأمر الأول بحثٌ كبيرٌ حول هذا الحديث، فراجعه هنالك إن شئت.

(٢) رواه البزار في مسنده، وأصله عند مسلم في صحيحه.

قال ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هم عندي أصحاب الحديث.

١٠٤- ومن طريق آخر: عن معاوية بن قرة عن أبيه؛ قال:

قال رسول الله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي منصورين على من خذلهم**»(١).

قال عليٌّ ابن المديني:

هم أصحاب الحديث.

١٠٥- عن معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من يرد الله به خيرًا؛ يفقهه في الدين فإنما أنا قاسم ويعطي الله** عَزَّوَجَلَّ، **ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله** عَزَّوَجَلَّ **لا يضرهم من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس**»(٢).

---

(١) رواه أحمد، والترمذي.

وقال الحاكم في معرفة الحديث: (من أَمَّرَ السُّنة على نفسه قولًا وفعلًا؛ نطق بالحق، فلقد أحسن أحمد بن حنبل في تفسير هذا الخبر: أن الطائفة المنصورة التي يُرْفَعُ الخذلان عنهم إلى قيام الساعة هم أصحاب الحديث، ومن أحق بهذا التأويل من قوم سلكوا محجة الصالحين، واتبعوا آثار السلف من الماضين، ودمغوا أهل البدع والمخالفين، بسنن رسول الله ﷺ، من قوم آثروا قَطْع المفاوز والقفار على التنعم في الدِّمَنِ والأَوْطَارِ وتنعموا بالبؤس في الأسفار، مع مساكنة العلم والأخبار، وقَنَعُوا عند جمع الأحاديث والآثار، بوجود الكِسَرِ والأَطْمَار، قد رفضوا الإلحاد الذي تتوق إليه النفوس الشهوانية، وتوابع ذلك من البدع والأهواء والمقاييس والآراء والزيغ، جعلوا المساجد بيوتهم، وأساطينها- أي: السواري- متكأهم، وبَوَارِيها- أي: حصير المساجد- فرشهم). اهـ

(٢) رواه البخاري.

١٠٦- قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كنا ثلاثة أو أربعة على باب عليٍّ بن عبدالله (ابن المديني)؛ فقال: إني لأرجو أن تأويل هذا الحديث: «**لا تزال طائفة...**»، إلى آخره. تأويله: أنتم؛ لأن التجار قد شغلوا أنفسهم بالتجارات، وأهل الصنعة قد شغلوا أنفسهم بالصناعات، والملوك قد شغلوا أنفسهم بالمملكة، وأنتم تحيون سنة النبي ﷺ.

١٠٧- قال كهمس الهمذاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من لم يتحقق أن أهل الحديث حفظة الدين؛ فإنه يُعَدُّ في ضعفاء المساكين، الذين لا يدينون لله تعالى بدين؛ يقول الله تعالى لنبيه ﷺ: «ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ» [الزمر:٢٣]، ويقول رسول الله ﷺ: حدثني جبريل عن الله عَزَّوَجَلَّ.

١٠٨- وقال سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الملائكة: حُراس السماء.

وأصحاب الحديث: حُراس الأرض.

١٠٩- قال معن بن عيسى القَزَّاز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كان مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا أراد أن يجلس للحديث؛ اغتسل وتطيب، فإذا رفع أحد صوته في مجلسه زجره؛ وقال له: اغضض من صوتك، فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يقول: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ» [الحجرات:٢].

فمن رفع صوته فوق صوت حديث رسول الله ﷺ؛ فكأنما يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ(١).

١١٠- قال أبو الفضل البلعمي:

دخل محمد بن نصر المروزي على إسماعيل بن أحمد والي خراسان؛ فقام له وبجَّله وبالغ في تعظيمه وإجلاله؛ فلما خرج عاتبه أخوه إسحاق ابن أحمد على ذلك؛ فقال له إسماعيل: إنما قمت له إجلالًا لأخبار رسول الله ﷺ، ثم إن إسماعيل رأى رسول الله ﷺ في النوم؛ فقال له: قمتَ لمحمد بن نصر إجلالًا لأخباري؛ لا جرم!! ثَبَتَ ملكك، وملك بنيك بإجلالك له، وذهب ملك إسحاق أخيك وملك بنيه لاستخفافه بمحمد بن نصر؛ فبقي ملك إسماعيل وبنيه أكثر من مئة وعشرين سنة.

---

(١) ويدخل في هذا- من باب أولى-: المبتدع؛ فإنه قد رفع صوته ببدعته فوق حديث النبي ﷺ وآثار أصحابه، وتقدَّم بين يدي الله ورسوله ﷺ واتبع غير سبيل المؤمنين.
- قال محمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة (ص٣٩٥): (نهى الله المؤمنين أن يتقدموا بين يدي رسول الله ﷺ، ونهاهم أن يرفعوا أصواتهم فوق صوت النبي ﷺ أو يجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض، إعظامًا له وإجلالًا، وأَعْلَم أن ذلك يحبط أعمالهم، فكيف بمن جعل رسول الله ﷺ وغيره في دين الله وأحكامه مِلَّتَيْن!! ثم يؤخر حديث رسول الله ﷺ ويقدم غيره إذا حُدث عن رسول الله ﷺ بما لا يوافقه، قال: هذا منسوخ، فإذا حُدث عنه بما لا يعرفه؛ قال: هذا شاذ؛ فمِن رسول الله ﷺ المنسوخ، ومنه الناسخ؟! ثم مِن رسول الله ﷺ الشاذ، ومنه المعروف؟! ومِن رسول الله ﷺ المتروك، ومنه المأخوذ؟!). اهـ

١١١- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«تسموا باسمي، ولا تكنَّوا بكنيتي، ومن رآني في المنام فقد رآني؛ فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي، ومن كذب عليَّ متعمدًا؛ فليتبوأ مقعده من النار»[1].

١١٢- وقال وكيع بن الجراح:

لو أن الرجل لم يُصِب من الحديث شيئًا، إلا أنه يمنعه من الهوى؛ كان قد أصاب منه.

١١٣- قال يوسف بن أسباط:

من نعمة الله تعالى على الشاب إذا تَنَسَّك؛ أن يوفَّق لصاحب سنة يحمله عليها، كان أبي قدريًا، وأخوالي رافضة؛ فأنقذني الله بسفيان[2].

١١٤- وأنشد أحمد بن منصور الشِّيرازي لبعضهم:

عليكم بالحديث فليس شيءٌ يعادله على كل الجهاتِ

نصحتُ لكم فإن الدين نُصحٌ ولا أُخفي نصائحَ واجباتِ

---

(١) رواه البخاري. وأراد المؤلف بهذا الحديث: الرؤيا التي في المتن السابق، وأن من رأى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام فقد رآه.

(٢) الجزء الأول من الأثر مشهور عن ابن شوذب أيضًا وعن غيره من السلف؛ فقد جاء في شرح السنة للالكائي، عن أيوب السختياني؛ قال: (إن من سعادة الحدث والأعجمي أن يوفقهما الله لعالمٍ من أهل السُّنة).

- ومراد يوسف بن أسباط بسفيان، هو: سفيان الثوري.

وجـدنا في الروايـة كـلَّ فقـهٍ ... وأحكامًـا ومـن كـل اللغـاتِ
بـذكر المُـسْنَدَات أَنِـسْتُ لـيلي ... وحِفْـظُ العلـم خـيرُ العائـداتِ
فمن طلب الحديث أفـاد ذُخـرًا ... وفـضلًا ثُـم دينًـا ذا ثبـاتِ
علـيكم بالروايـات اللـواتي ... رواهـا مالـكٌ أزكـى الـرُّواةِ
وشعبةُ وابنُ عمـروٍ وابـنُ زيـد ... وسفيانُ: الثقـاتُ عـن الثقـاتِ
ويحيـى وابـنُ حنبـلٍ المُزكَّـى ... وإسـحاقُ الـرِّضى وابـنُ الفُـرَاتِ
أئمتُنـا النجـوم وهـل رشـيدٌ ... تكلَّمَ في النُّجوم الزَّاهِـراتِ؟!(١)

١١٥ - قال أحمد بن سنان:

كان الوليد الكرابيسي(٢) خالي؛ قال: فلما حضرته الوفاة؛ قال لبنيه: تعلمون أحدًا أعلم مني بالكلام؟ قالوا: لا؛ قال: فتتهموني؟ قـالوا: لا؛ قال: فإني أوصيكم أَتَقْبَلـون؟ قـالوا: نعـم؛ قـال: علـيكم بـما عليـه

---

(١) مالك: هو مالك بن أنس، وشعبة: هو ابن الحجاج، وابن عمرو: هـو عبـدالرحمن بـن عمـرو الأوزاعي، وابن زيد: هو حماد بن زيد بن درهم، وسفيان: هو ابن سعيد بن مسروق الثـوري، ويحيى: هو ابن سعيد القطان، أو يحيى بن معين، وابن حنبل: هو أحمـد بـن حنبـل، وإسـحاق الرضى: هو ابن راهويه، وابن الفرات: هو أسد بن الفرات.
وهذه الأبيات ذكرها الخطيب البغدادي في كتابه شرف أصحاب الحديث (١/ ١٠٥).

(٢) هو الوليد بن أبان الكرابيسي؛ كان من كبار علماء المعتزلة بالبصرة، له مقالات في تقوية مذهب الاعتزال، ويُعدُّ من كبار علماء الكلام. وهو المشهور في كتب التراجم بالوليد بن أبان المتكلم.

أصحاب الحديث؛ فإني رأيت الحق معهم، لست أعني الرؤساء، لكن هؤلاء المزَّقين؛ ألم تر أحدهم يجيء إلى الرئيس منهم، فيخطِّئُه ويُهَجِّنُه[١].

قال أبو بكر بن الأشعث[٢]:

كان أعرف الناس بالكلام بعد حفص الفرد[٣]: الكرابيسي، وكان حسين الكرابيسي منه تعلَّم الكلام.

---

(١) وفي الحجة في بيان المحجة (١/ ٢٢٥): (لما حضرته- الوليد الكرابيسي- الوفاة، قال له بنوه: أوصنا، قال: أوصيكم بواحدة إن لزمتموها كنتم بخير؛ هل تعلمون أحدًا أعلم بالكلام مني؟ قالوا: لا، قال: فعليكم بما عليه أصحاب الحديث، فإني رأيت الحق يدور معهم، لست أعنيكم- أصحاب القلانس- ولكن هؤلاء الممزقين، ألم تروا إلى الواحد منهم يجيء إلى الرجل الجليل- يعني: من أهل الكلام- فيبدعه، ويمزق في وجهه- أي: يبزق).

(٢) هو: ابن أبي داود، صاحب الحائية في السُّنة، وكتاب المصاحف.

(٣) حفص الفرد من أهل مصر، قدم البصرة؛ فكان يناظر المعتزلة ثم تأثر بهم؛ قال النسائي: (صاحب كلام، لكنه لا يُكتب حديثه). كان يقول بخلق القرآن، وكان صاحب كلام في مسائل الصفات والقدر. وذُكر أنه من المجبرة. وقد تابع ضرار بن عمرو في أن الله سبحانه يخلق حاسة سادسة يوم القيامة للمؤمنين يرون بها ماهيته، أي: ما هو عليه. وناظره الشافعي، وكان يسميه بالقرد وبالمنفرد.
- ففي السُّنة للالكائي: (ناظر الشافعي حفص الفرد؛ فبلغ أن القرآن مخلوق، فقال له الشافعي: والله كفرتَ بالله العظيم. قال: وكان الشافعي لا يقول: حفص الفرد، وكان يقول: حفص المنفرد. قال الربيع: فلقيته، فقال: أراد الشافعي قتلي). أي: إثبات الرِّدة عليه والمطالبة بالحدِّ.
- وفي آداب الشافعي ومناقبه (١/ ١٤٧): قال حرملة بن يحيى: (اجتمع حفص الفرد، ومصلاق الإباضي، عند الشافعي في دار الجروي، يعني: بمصر، فاختصما في الإيمان، فاحتج مصلاق في الزيادة والنقصان، واحتج حفص الفرد في أن الإيمان قول، فعلا حفص الفرد على مصلاق، وقوي عليه، وضعف مصلاق. فحمي الشافعي، وتقلد المسألة، على أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، فطحن حفصًا الفرد، وقطعه). اهـ

=

١١٦- وأنشد أبو مزاحم الخاقاني شعرًا:

أهل الحديث هم الناجون إن عملوا ... به إذا ما أتى عن كل مؤتمنِ

قد قيل: إنهمُ خير العباد على ... ما كان فيهم إذا أُنجوا من الفتنِ

من مات منهم كذا؛ حانت شهادته ... فطاب من ميِّتٍ في اللحد مرتهنِ

١١٧- عن سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال:

إن النبي ﷺ قال: «**كيف أنتم إذا بقيتم في حُثالةٍ من الناس، قد مرجت أماناتهم وعهودهم، وكانوا هكذا؟**». ثم أدخل أصابعه بعضها

- وعن أبي الوليد بن الجارود، قال: (دخل حفص الفرد على الشافعي، فقال لنا: لأن يلقى الله العبد بذنوبٍ مثل جبال تهامة، خير له من أن يلقاه باعتقاد حرف مما عليه هذا الرجل وأصحابه، وكان يقول بخلق القرآن).

- وفي جامع بيان العلم، عن الجارودي قال: (مرض الشافعي بمصر مرضة أيسوا منه فيها، ثم أفاق، وكلٌ يقول له: من أنا، فيجيبه، حتى قال له حفص الفرد: من أنا يا أبا عبدالله؟ قال: أنت حفص الفرد، لا حفظك الله ولا رعاك ولا كلأك، إلا أن تتوب مما أنت فيه).

- وسئل الشافعي عن شيء من الكلام فغضب، وقال: (سل عن هذا حفصًا الفرد وأصحابه، أخزاهم الله).

- وفي قول الشافعي المتقدِّم: (كفرتَ بالله العظيم)؛ دليل على تكفير المعين وأنه عنى به الكفر الأكبر، وليس كما زعم بعضهم أن القول كفر والقائل ليس بكافر؛ فإن الشافعي قال: (كفرت) أي: أنت، ولم يقل: (كلامك كفر). مع ما أجمع عليه العلماء من كُفر من قال بخلق القرآن كفرًا أكبر. ففي تلبيس إبليس (١/ ٨١) عن سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، قال: أدركت تسعة من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: (من قال القرآن مخلوق؛ فهو كافر).

- وأما حسين الكرابيسي، فستأتي بعض أخباره في ثنايا هذه التعليقات والحواشي، ومن ذلك التعليق على الأثر رقم (٣٨٦)، وغيره.

في بعض؛ فقالوا: إذا كنا كذلك كيف نفعل يا رسول الله؟! قال: **«خـذوا ما تعرفون، ودعوا ما تنكرون»**. ثم خصَّ بها عبـدالله بـن عمـرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فيما بينه وبينه؛ فقال: فما تأمرني به يا رسـول الله! إذا كـان ذلـك؟ فقـال: **«أوصيك بتقوى الله، وعليك بخاصة نفسك، وإياك وعوام الأمور»**[(١)].

١١٨- وعن العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال:

صلى بنا رسول الله ﷺ ثم أقبل علينا؛ فوعظنا موعظة ذرفـت منهـا العيون ووجلت منها القلوب؛ قيل: يا رسول الله! كأنها موعظـة مـودع فأوصنا؛ قال: **«أوصيكم بتقوى الله والـسمع والطاعـة، وإن كـان عبـدًا حبشيًا؛ فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا؛ فعليكم بسنتي وسـنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليهـا بالنواجـذ، وإيـاكم ومحـدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة»**[(٢)].

❒ ❒ ❒

(١) رواه الروياني في مسنده، والطبراني في الكبير، والبيهقي في الشعب من طريـق سـهل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأما من طريق عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقد رواه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه، والحـاكم في المستدرك؛ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.
- وقال سعيد بن منصور: (حثالة الناس): رُذالتهم.
- ومعنى قوله: مرجت عهودهم. أي: لم يفوا بها.
- وقال الحسن البصري- كما في فوائد تمام الرازي-: (فتُرِك والذي لا إله غيره أمر رسـول الله ﷺ، وخبط فيها خبط العشواء في الظلمة).

(٢) رواه أحمد، أبو داود، والترمذي، وقال: حسن صحيح.

١٩- باب: هلاك من خالف السُّنة

١١٩- عن عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لكل عملٍ شِرَّة، ولكل شِرَّةٍ فترة، فمن كانت فترته إلى سنتي فقد أفلح، ومن كانت فترته إلى غير ذلك؛ فقد هلك».**

قال شعبة: فذكرته للحَكَم؛ فقال مثله(١).

---

(١) رواه أحمد، وابن أبي عاصم.

- وفي الحديث فائدة: أن الزيادة تؤدي إلى نقص، وما زاد شيء إلا نقص، فمعنى الشِّرَّة: الحماس والتسرع في العمل والعجلة فيه على غير بصيرة، وفي سنة الله أنَّ كل من زاد عما عليه النبي ﷺ وأصحابه؛ ستصيبه فترة وفتور.

- ومعنى حديث الباب: أن لكل عمل قوةً وشدةً، يتبعها فتور وكسل، ولكنَّ الناس يختلفون في هذا الفتور، بعضهم يكون فتوره في العمل ولم يخرج عن السُّنة، وبعضهم يكون فتوره ردة فعل لتنطعه، فيخرج عن السُّنة ويعتنق المذاهب الفاسدة؛ فإذا به قد هلك، وقد رأينا منهم في زماننا هذا ما لا يُحصى كثرة، ولهذا جاء في بعض ألفاظ الحديث: (لكل عامل شرة، ولكل شرة فترة، فإن صاحبها سدَّد وقارب؛ فارجوا له، وإن أشير إليه بالأصابع؛ فلا تعدوه شيئًا). فسئل راوي الحديث عن معنى: أشير إليه بالأصابع، فقال: هو المبتدع في دينه، الفاجر في دنياه.

- ولذلك فالاقتصاد في العمل مع إحسانه ظاهرًا وباطنًا والمداومة عليه هو الجادة لمن أراد الآخرة، ومن أحسن مِنْ تكلم في هذا المعنى ابن القيم في مدارج السالكين (٢/ ١٠٧) حيث قال: (الاجتهاد في الاقتصاد، لا عاديًا رسم العلم، ولا متجاوزًا حدَّ الإخلاص، ولا مخالفًا نهج السنة، هذه درجة تتضمن ستة أمور:

١- عملًا.

٢- واجتهادًا فيه، وهو بذل المجهود.

٣- واقتصادًا، وهو السلوك بين طرفي الإفراط: بالجور على النفوس، والتفريط: بالإضاعة.

=

٤- ووقوفًا مع ما يرسمه العلم، لا وقوفًا مع داعي الحال.
٥- وإفراد المعبود بالإرادة وهو الإخلاص.
٦- ووقوع الأعمال على الأمر، وهو متابعة السُّنة.
فبهذه الأمور الستة تتم لأهل هذه الدرجة استقامتهم، وبالخروج عن واحد منها يخرجون عن الاستقامة: إما خروجا كليًا وإما خروجًا جزئيًا، والسلف يذكرون هذين الأصلين كثيرًا وهما: الاقتصاد في الأعمال، والاعتصام بالسنة؛ فإن الشيطان يشم قلب العبد ويختبره، فإن رأى فيه داعية للبدعة وإعراضًا عن كمال الانقياد للسنة؛ أخرجه عن الاعتصام بها، وإن رأى فيه حرصًا على السُّنة وشدة طلب لها؛ لم يظفر به من باب اقتطاعه عنها، فأمره بالاجتهاد والجور على النفس ومجاوزة حد الاقتصاد فيها قائلًا له: إن هذا خير وطاعة، والزيادة والاجتهاد فيها أكمل؛ فلا تفتر مع أهل الفتور ولا تنم مع أهل النوم، فلا يزال يحثه ويحرضه حتى يخرجه عن الاقتصاد فيها، فيخرج عن حدها، كما أن الأول خارج عن هذا الحد، فكذا هذا الآخر خارج عن الحد الآخر؛ وهذا حال الخوارج الذين يحقر أهل الاستقامة صلاتهم مع صلاتهم، وصيامهم مع صيامهم، وقراءتهم مع قراءتهم، وكلا الأمرين خروج عن السنة إلى البدعة، لكن هذا إلى بدعة التفريط والإضاعة، والآخر إلى بدعة المجاوزة والإسراف.
قال بعض السَّلف: ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى تفريط، وإما إلى مجاوزة وهي الإفراط، ولا يبالي بأيهما ظفر: زيادة أو نقصان. وقال النبي لعبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: يا عبدالله بن عمرو! إن لكل عامل شرة، ولكل شرة فترة، فمن كانت فترته إلى سنة أفلح، ومن كانت فترته إلى بدعة خاب وخسر. قال له ذلك حين أمره بالاقتصاد في العمل.
فكل الخير في اجتهاد باقتصاد، وإخلاص مقرون بالاتباع؛ كما قال بعض الصحابة: اقتصاد في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة.
فاحرصوا أن تكون أعمالكم على منهاج الأنبياء عليهم السلام وسنتهم، وكذلك الرياء في الأعمال يخرجه عن الاستقامة، والفتور والتواني يخرجه عنها أيضًا). اهـ
- وليُعْلَم أن الفتور أمرٌ لا يسلم منه أحد، فما منا إلا، ولكنَّ الله يذهبه بالاقتصاد واتباع السنة؛ قال ابن القيم في مدارج السالكين (٣/ ١٢٦): (تخلل الفترات للسالكين أمرٌ لازمٌ لابد منه، فمن كانت فترته إلى مقاربة وتسديد، ولم تخرجه من فرض ولم تدخله في محرم؛ رجي له أن يعود خيرًا مما كان؛ قال عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: إن لهذه القلوب إقبالًا وإدبارًا، فإذا أقبلت فخذوها بالنوافل، وإن أدبرت فألزموها الفرائض). اهـ

=

١٢٠- ورواه من طريق آخر: عن عبدالرحمن بن أبي عمرة مثله.

١٢١- وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي ﷺ قال: **«الإثم ثلاث: الإشراك بالله** عَزَّوَجَلَّ**، ونكث الصفقة، وترك السُّنة»**. قيل: يا رسول الله! ما ترك السُّنة؟ قال: **«الخروج من الجماعة»**[1].

❒ ❒ ❒

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ - نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ - لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾.

والعرب تقول: (شر السير الحقحقة)، وهو السير بعنف وتسرع؛ فإن المنبتّ لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى، وخير العمل أدومه وإن قلَّ، والعبرة بالخواتيم، فاللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

- قال المروذي في كتاب الورع (١/ ١١٨): (سمعت أبا عبدالله- الإمام أحمد- يقول: نهى النبي ﷺ عن التبتل، فمن رغب عن فعل النبي ﷺ؛ فهو على غير الحق. ومن رغب عن فعل أصحاب النبي ﷺ والمهاجرين والأنصار؛ فليس هو من الدين في شيء). اهـ

والتبتل هنا: عدم الزواج ديانة ورهبانية، وليس هو المراد في قوله تعالى: «وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا». فإن المراد بالآية: انْقَطِعْ إلى ربك بقلبك وعملك.

(١) رواه أحمد، والحاكم وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وفيه: (أما نكث الصفقة: فالإمامُ تُعطيه بيعتك، ثم تُقْبِلُ عليه، تُقاتله بسيفك).

٢٠- باب: حبوط العمل ورده إذا لم يوافق السُّنة

١٢٢- عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«القرآن في الصلاة أفضل من القرآن في غير الصلاة، والقرآن في غير الصلاة أفضل من الذكر، والذكر أفضل من الصدقة». ثم قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لا قول إلا بعمل، ولا عمل إلا بنية، ولا قول ولا عمل ولا نية إلا بإصابة السُّنة»**(١).

١٢٣- رواه من طريق آخر، عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال:

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لا يصلح قول وعمل ونية إلا بالسُّنة»**(٢).

١٢٤- قال أبو عبدالله الحسين بن علي بن جعفر:

فإذا عرف الله بقلبه، وأقر بلسانه، وعمل بجوارحه وأركانه بما افترض عليه، وخالف السُّنة- سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كان بذلك خارجًا من الإسلام، وإذا عرف الله بقلبه، وأقر بلسانه، وعمل بجوارحه بما

---

(١) رواه ابن عدي في الكامل، وابن حبان في المجروحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
- والشطر الثاني رواه ابن بطة في الإبانة عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا، ولا يصح رفعه، بل هو موقوف من كلام علي بن أبي طالب، وابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كما في الإبانة.
- وقال المقدسي في تذكرة الحفاظ: (وهذا الكلام يُعرف من قول سفيان الثّوريّ نفسه)، وسيأتي في الأثر رقم: (١٢٧).

(٢) رواه الآجري في الشريعة، وعنه ابن بطة في الإبانة، ولا يصح رفعه.

افترض عليه، ولم يخالف السُّنة- سنة رسول الله ﷺ- كان مؤمنًا؛ وتلك العروة الوثقى.

١٢٥- قال أبو عبدالله سعيد بن يزيد:

خمس خصال بها تمام العمل: وهي معرفة الله عَزَّوَجَلَّ، ومعرفة الحق، وإخلاص العمل لله عَزَّوَجَلَّ، والعمل على السُّنة، وأكل الحلال؛ فإن فقدت واحدة لم يُرفع العمل، وذلك أنك إذا عرفت الله عَزَّوَجَلَّ ولم تعرف الحق لم تنتفع، وإن عرفت الله عَزَّوَجَلَّ وعرفت الحق، ولم تخلص العمل لم تنتفع، وإن عرفت الله وعرفت الحق وأخلصت، ولم تكن على السُّنة لم تنتفع، وإن تمت الأربع ولم يكن الأكل من الحلال؛ لم تنتفع[1].

---

(١) تأمل هذا الأثر كثيرًا، فما أعظمه! وما أكثر فوائده ونفعه، وأول ما طرق سمعي هذا الأثر من رجلٍ صالحٍ يسكن البادية سمعه من العلماء الأولين.

- وفي الطيوريات لأبي الحسن الطيوري (٢/ ٣٣٣) قال شقيق بن إبراهيم البلخي: (لقيت إبراهيم بن أدهم في بلاد الشام. فقلت: يا إبراهيم! تركت خراسان؟ فقال: ما تهنيتُ بالعيش إلا في بلاد الشام؛ أفر بديني من شاهق إلى شاهق- أي: من جبل إلى جبل- فمن رآني يقول: موسوس. وفي لفظ: ومن رآني يقول: حمال. ثم قال: يا شقيق! لم ينبل عندنا من نبل بالحج ولا بالجهاد، وإنما نبل عندنا من كان يعقل ما يدخل جوفه؛ يعني: الرغيف من حِلِّه).

- وفي طبقات الحنابلة (١/ ٢١٩) قال عمر بن صالح: (سألت أبا عبدالله- الإمام أحمد- بم تلين القلوب؟! فأبصر إليَّ، ثم أبصر إليَّ، ثم أطرق إليَّ ساعة، فقال: بأكل الحلال، فذهبت إلى أبي نصر بشر، فقلت له: يا أبا نصر! بأي شيء تلين القلوب؟ فقال: ألا بذكر الله تطمئن القلوب، فقلت له: فإني قد سألت أبا عبدالله، فتهلَّل وجهه لذكري لأبي عبدالله، قال: سألته؟! قلت: نعم، قال: هيه، قلت: قال لي: بأكل الحلال! قال: جاءك بالأصل، كما قال. قال: فذهبت إلى عبدالوهاب الوراق، فقلت: يا أبا الحسن! بم تلين القلوب؟ فقال: ألا بذكر الله تطمئن القلوب، فقلت: قد سألت أبا عبدالله، فاحمرَّ وجهه من فرحه بأحمد، فقال: سألت أبا عبد

=

١٢٦- وعن الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال يومًا:

إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان صوابًا خالصًا، فإن كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل، وإن كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، حتى يكون خالصًا صوابًا؛ قال: فقيل: يا أبا عليّ! ما الخالص والصواب؟ قال: الخالص: أن يكون لله خالصًا، والصواب: أن يكون على السُّنة.

١٢٧- قال عبدالرحمن بن مهدي:

سمعت الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: لا يستقيم قول إلا بعمل[1]، ولا عمل إلا بنية، ولا قول ولا عمل ولا نية إلا بموافقة السُّنة[2].

الله؟! قلت: نعم، قال: هيه، قلت: قال لي: بأكل الحلال، فقال لأصحابه: أما تسمعون! أجابه بالجوهر، أجابه بالجوهر، الأصل كما قال، الأصل كما قال). اهـ

(١) هذا أمرٌ متواترٌ عند السَّلف.

وعليه، فمن قال كلمة التوحيد بلسانه ولم يعمل بالتوحيد ويبرأ من الشرك وأهله؛ لم يستقم قوله ولم ينفعه، وهكذا من قالها ولم يعمل الصالحات بالكلية- وأعظمها الصلاة- لم تنفعه. وكذلك السُّنة، فمن ادعاها ودعا إليه، ولكنه لم يعمل بها ولم يبرأ من المبتدعة والأحزاب الضالة؛ لم يستقم قوله ولم ينفعه، ولهذا قال سفيان الثوري في آخر وصيته: (لا يستقيم قول ولا عمل ولا نية إلا بموافقة السُّنة).

- قال ابن القيم في أعلام الموقعين (١/ ٥١): (قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾، فإذا كان رفع أصواتهم فوق صوته سببًا لحبوط أعمالهم، فكيف بتقديم آرائهم وعقولهم وأذواقهم وسياستهم ومعارفهم على ما جاء به ورفعها عليه؟! أليس هذا أولى أن يكون محبطًا لأعمالهم؟). اهـ

(٢) وفي الجزء العاشر من المخلصيات (٤/ ٨١) قال شعيب بن حرب لسفيان الثوري: (يا أبا عبدالله! وما موافقة السُّنة؟ قال: تقدمة الشيخين أبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا). اهـ

=

١٢٨- وقال الحسن:

لا إيمان إلا بقول، ولا قول إلا بعمل، ولا عمل إلا بنية، ولا قول ولا عمل ولا نية إلا بسنة.

١٢٩- عن سعيد بن جبير؛ قال:

خذف ذو قرابة لعبدالله بن مُغَفَّل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عنده فنهاه؛ وقال: إن رسول الله ﷺ نهى عنها، وقال: «**إنها لا تصيد صيدًا، ولا تنكأ عدوًا، وإنها تفقأ العينَ، وتَكْسِر السِّنَّ**». فعاد فخذف؛ فقال ابن مغفل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أحدثك عن رسول الله ﷺ وتعود؛ لا أكلمك أبدًا[1].

❐ ❐ ❐

- وهذا أحد أعلام السُّنة، وإنما خصَّه سفيان؛ لأنه بالكوفة والتشيع فيها منتشر، فتكون تقدمة الشيخين أوضح مظاهر السُّنة في ذلك الوقت، ولو قال إنسان: ما موافقة السُّنة في بلدٍ يظهر فيه الشِّرك؟ لقلنا: تقدمة التوحيد وتكفير المشركين والبراءة منهم والهجرة عنهم. وهكذا.

(١) متفق عليه.

- وروى الدارمي في سننه (٤٣٨) عن خراش بن جبير، قال: (رأيت في المسجد فتى يخذف، فقال له شيخ: لا تخذف! فإني سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن الخذف، فغفل الفتى فظن أن الشيخ لا يفطن له، فخذف، فقال له الشيخ: أحدثك أني سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن الخذف، ثم تخذف، والله لا أشهد لك جنازة، ولا أعودك في مرض، ولا أكلمك أبدًا).

- وروى الحاكم في المستدرك (٧٧٦٠) عن عمرو بن مسلم، قال: (خذف رجل عند ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فقال: لا تخذف! فإني سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن الخذف، ثم رآه ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بعد ذلك يخذف، فقال: أنبأتك أن النبي ﷺ ينهى عن الخذف، ثم خذفت، والله لا أكلمك أبدًا).

- وأمثلة هجر الصحابة لمن خالف سنة النبي ﷺ أكثر من أن يحيط بها الإحصاء.

٢١- باب: فضل العمل وتضعيفه وتمامه إذا وافق السُّنة

١٣٠- عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ:
«عملٌ قليلٌ في سنة، خير من اجتهاد في بدعة»[(١)].

---

(١) لم أجده مرفوعًا من رواية أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وجاء مرسلًا عن الحسن البصري؛ رواه معمر بن راشد في جامعه، والمروزي في السنة، وابن زمنين في أصول السنة، وابن بطة في الإبانة الكبرى، والأشبه أنه من قول الحسن البصري، وسيأتي برقم: (٣٦٩). وهو أثر متواتر؛ ثبت من قول الصحابة؛ كابن مسعود، وأُبيّ بن كعب، وأبي الدرداء.
- قال عبدالله بن مسعود، وأبي بن كعب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: (اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة؛ فانظروا أعمالكم، إن كانت اقتصادًا أو اجتهادًا أن تكون على منهاج الأنبياء وسنتهم).
- وعن أبي الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: (اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة، إنك إن تتبع خير من أن تبتدع، ولن تخطئ الطريق ما اتبعت الأثر). السُّنة للمروزي (١/ ٣٢).
- وليس المقصود بالاقتصاد في سنة؛ التفريط في أداء الفرائض والواجبات والأعمال الصالحة، وإنما المقصود هو ما فسره عبدالله بن مسعود، فيما رواه عنه أحمد في الزهد (١/ ٤٩٥) عن أبي البختري، قال: (أخبر رجل عبدالله بن مسعود أن قومًا يجلسون في المسجد بعد المغرب، وفيهم رجل يقول: كبروا الله كذا وكذا، وسبحوا الله كذا وكذا، واحمدوا الله كذا وكذا، فقال عبدالله: فيقولون؟! قال: نعم. قال: فإذا رأيتهم فعلوا ذلك، فأتني فأخبرني بمجلسهم؛ فأتاهم وعليه برنس، فجلس فلما سمع ما يقولون؛ قام وكان رجلًا حديدًا، فقال: أنا عبدالله بن مسعود، والذي لا إله غيره! لقد جئتم ببدعة ظلماء، أو لقد فضلتم أصحاب محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ علمًا، فقال: مِعْضَد: والله ما جئنا ببدعة ظلماء، ولا فضلنا أصحاب محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ علمًا. فقال عمرو بن عتبة: يا أبا عبدالرحمن! نستغفر الله. قال: عليكم بالطريق فالزموه، فوالله لئن فعلتم لقد سَبقتم سَبقًا بعيدًا، وإن أخذتم يمينًا وشمالًا لَتَضِلُّوا ضلالًا بعيدًا».
- والاقتصاد في اللغة: هو التوسط والاعتدال، قال تعالى: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾. وقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: (القصد القصد تبلغوا). رواه أحمد، والبخاري.

١٣١- قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أدركت الناس كلهم أصحاب سنة؛ ينهون عن أصحاب البدع، وصاحب السُّنة وإن قلَّ عمله؛ فإني أرجو له، وصاحب البدعة لا يرتفع له إلى الله تعالى عمل، وإن كثر[١].

١٣٢- عن أبي بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«من كتب عني علمًا فكتب معه صلاةً عليَّ؛ لم يزل في أجرٍ؛ ما قُرئ ذلك العلم، أو عُمل بذلك الحديث»[٢].

١٣٣-عن عيسى بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب عن أبيه؛ قال:

صحبت ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في الطريق؛ فصلى بنا ركعتين، ثم أقبل فرأى ناسًا قيامًا؛ فقال: ما يصنع هؤلاء؟ فقلت: يسبحون، يصلون؛ فقال: لو كنتُ مُسَبِّحًا لأتممت صلاتي[٣]. يا ابن أخي! إني صحبت رسول الله ﷺ فلم يزد على ركعتين حتى قبضه الله، وصحبت أبا بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فلم يزد على ركعتين حتى قبضه الله، وصحبت عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فلم

(١) وعن عمارة بن زاذان، قال: (قال لي أيوب: يا عمارة! إذا كان الرجل صاحب سنة وجماعة؛ فلا تسأل عن أي حال كان فيه).
- وقال أحمد بن أبي الحواري: (من عمل عملًا بلا اتباع سنة؛ فباطل عمله).

(٢) رواه ابن عدي في الكامل، والخطيب في شرف أصحاب الحديث، وفي إسناده سليمان بن عمرو النّخعي، وهو كذاب وضَّاع؛ ولذا لا يصح رفعه.

(٣) أي: لو كنت متنفلًا في السَّفر لأتممت الفريضة، ولكن السُّنة في السفر إسقاط نصف الفريضة وإسقاط الراتبة. فتعجب ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا من قوم يُسْقِطون نصف الفريضة، ثم يصلون الراتبة- وليس هذا من الفقه- فقال: لو كنت مسبحًا لأتممت صلاتي.

يزد على ركعتين حتى قبضه الله، وصحبت عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فلم يزد على ركعتين حتى قبضه الله؛ وقال: قال الله تعالى: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ» [الممتحنة:٦].

١٣٤- عن سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«لا تقوم الساعة حتى تَرَوْا أمورًا عظامًا، لم تكونوا ترون مثلها متلاحمة وردفًا، وبلاء؛ نتجا من سب الخلف السلف، واندارس السنن؛ وذلك كائن بعد خمسين وثلاثمئة، ولا يزال على ذلك إلى خروج العبد الصالح، فسألوا ربكم العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة، فإن الله جل ثناؤه لم يعطِ عبدًا شيئًا أفضل من اليقين، والعاقبة المحمودة في عافية»[1].

❒ ❒ ❒

---

(١) لم أتمكن من العثور عليه بهذا السِّياق، غير أن ابن وضاح قد روى أوله في كتاب البدع بلفظ: (لا تقوم السَّاعة حتى تروا أمورًا عظامًا لم تكونوا ترونها، ولا تحدثون بها أنفسكم)؛ ولا يصح رفعه، إنما يُشبه أحاديث الفتن التي تروى عن كعب الأحبار ونحوه، ومعنى بعد خمسين وثلاثمئة، أي: بعد سنة (٣٥٠) للهجرة، والمراد بالعبد الصالح: نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٢٢- باب: الإجماع

١٣٥- قال الشيخ الفقيه أبو الفتح نصر رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قد تقدَّم ذكر ما شرطته من الرجوع إلى كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وسنة رسوله ﷺ. ثم أذكر بعدهما الإجماع؛ وهو حجة مقطوع عليها، يجب المصير إليه ويحرم مخالفته إذا ثبت ذلك؛ لما يأتي من الأدلة.

ثم كان الإجماع قد استقر على خلاف ما ذهبت إليه المبتدعة، وعلى أن الحق في غير ما انتحلوه، وأن الباطل فيما اختلقوه.

والأصل في ثبوت الإجماع: قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

١٣٦- وقيل: إن هارون الرشيد طلب من الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الدليل على الإجماع من كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ فاستنظره، وختم القرآن فجاءه بهذه الآية؛ فاستحسن ذلك منه[1].

---

(١) وفي معرفة السنن والآثار (١/ ٩٨): (واحتج الشافعي- أي: على الإجماع- بحديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: (ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة للمسلمين، ولزوم جماعتهم؛ فإن دعوتهم تحيط من وراءهم)). اهـ

- وتأمل فعل الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث فزع إلى القرآن في النوازل والمشكلات، ولم يفزع إلى الكُتب والرِّجال- كما هو حال أهل عصرنا-.

ووجه الدليل فيها: أن الله تعالى توعد على اتباع غير سبيل المؤمنين فدل على أن اتباع سبيلهم واجب.

❐ وأيضًا قوله تعالى: «وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا» [البقرة:١٤٣].

والوسط: الخيار العدول، وهذا كما قال في آية أخرى: «قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ» [القلم:٢٨]؛ يعني: أعدلهم وخيرهم.

وكما قال الشَّاعر:

هُمُ وسط ترضى الأنام بحكمهمْ إذا نزلت إحدى الليالي بمُعْظَمِ

ويقال: ميزان وسط: إذا لم يكن فيه ميل. وإذا أخبر الله تعالى أن الأمة عدول لم يجز اجتماعهم على الضلالة، لأنه لا عدالة مع الضلالة. ولأن الله تعالى جعلهم شهداء على الناس، والشاهد إذا قال قولًا؛ وجب قبوله والعمل به، ثم أكد حالهم بقوله: «وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا» [البقرة:١٤٣] أي يكونوا شهداء كما يكون الرسول شهيدًا.

❐ وأيضًا قوله تعالى: «فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا» [النساء:٥٩]؛ فدلَّ على أنَّ الردَّ يجب في حال الاختلاف والنزاع، ولا يجب في حالة الاجتماع.

❐ وأيضًا قوله تعالى: «كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ» [آل عمران:١١٠]. فوصفهم الله تعالى بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فلا يجوز أن يجتمعوا على المنكر.

❐ ❐ ❐

٢٣- باب: ما ورد من السُّنة في ذلك

١٣٧- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن الله عَزَّ وَجَلَّ أجاركم من ثلاث: أن تستجمعوا على الضلالة كلكم، وأن يظهر أهل الباطل على أهل الحق(١)، وأن أدعو عليكم فتهلكوا، وأَبدَلَكم بهن: الدجالَ، والدخانَ، والدابةَ، وخُوَيْصَّةَ أحَدِكُم، وأمرَ العامة»(٢).

---

(١) المراد: لا يظهر أهل الباطل على أهل الحق ظهورًا تامًا، بل تبقى طائفة منصورة تمنع الاجتماع على الضلالة، وأيضًا لو ظهر أهل الباطل في الظاهر- كما كان في زمن الإمام أحمد- فإنه لا سلطان لهم على القلوب ولا يغلبون على ما فيها من الحق، كما قال الإمام أحمد.

- والمعنى الثالث: كما في حديث كعب بن عاصم الأشعري التالي ذِكره: (ولا تستباح بيضة المسلمين)، أي: لا تُستباح بيضة المسلمين ويُستأصلوا ويُجتاحوا جميعًا، بل كما قال تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾.

(١) رواه إسحاق بن راهويه في مسنده، وأبو عمرو الداني في الفتن؛ وأصله عند أبي داود في السنن، دون قوله: (وخويصة أحدكم، وأمر العامة)؛ فقد رواها أحمد، ومسلم واللفظ له، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: (بادروا بالأعمال ستًا: الدجال، والدخان، ودابة الأرض، وطلوع الشمس من مغربها، وأمر العامة، وخويصة أحدكم). وخويصة أحدكم: الموت، أو فتنة الرجل في خاصته- أهله وماله-. وأمر العامة: الفتنة.

وقال الإمام أحمد: (كان قتادة يقول- إذا قال: وأمر العامة، قال-: أي أمر الساعة).

- وفي حديث المتن أن الله تعالى أجارنا من ثلاث وأبدلنا بهن ثلاث، أما الموت والساعة فهما من وراء الجميع. والمراد هنا: ثم تأتي خويصة أحدكم أو أمر العامة. وله معنى آخر: وهو أن المسلم يكون مع العامة ما داموا على الحقِّ، فإذا فسدوا فعليه بخويصة نفسه؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا

=

١٣٨- عن عبدالله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ قال:

إن الله عَزَّوَجَلَّ نظر في قلوب العباد؛ فاختار محمدًا ﷺ فبعثه برسالته وانتخبه بعلمه، ثم نظر في قلوب الناس من بعده؛ فاختار له أصحابه، فجعلهم أنصار دينه ووزراء نبيه ﷺ، فما رآه المؤمنون حسنًا فهو عند الله حسن، وما رآه المؤمنون قبيحًا فهو عند الله قبيح[1].

١٣٩- وعن كعب بن عاصم الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن الله** عَزَّوَجَلَّ **أجارني على أمتي من ثلاث: لا تجوعوا، ولا تستجمعوا على ضلالة، ولا تُستَبَاح بيضة المسلمين»**[2].

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴾. وقال نعيم بن حماد: (إذا فسدت الجماعة، فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد وإن كنت وحدك؛ فإنك أنت الجماعة حينئذ). رواه البيهقي في كتاب المدخل.

- وحدَّث عاصم الأحول عن أبي العالية، قال: (عليكم بالأمر الأول الذي كانوا عليه قبل أن يفترقوا). قال عاصم: فحدثت به الحسن، فقال: قد نصحك والله وصدقك.

(١) هنا علَّق الأمر بأهل العلم والإيمان الصحيح، فهم الذين إذا رأوا الشيء حسنًا أو قبيحًا واجتمعوا على ذلك فهو عند الله كذلك، وليس ما رآه العامة وأشباههم.

- ويشهد له ما ثبت في الصحيحين عن أنس بن مالك، قال: (مُرَّ على النبي ﷺ بجنازة فأثنوا عليها خيرًا، فقال: وجبت، ثم مُرَّ بأخرى فأثنوا عليها شرًا، فقال: وجبت، فقيل: يا رسول الله! لِمَ قلت لهذا وجبت ولهذا وجبت؟ قال: شهادة القوم، والمؤمنون شهداء الله في الأرض).

- وفي لفظ مسلم، قال: (من أثنيتم عليه خيرًا وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شرًا وجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض- ثلاثًا).

(٢) رواه ابن أبي عاصم في السُّنة، والدارقطني في السنن.

٢٤- باب: اتباع السواد الأعظم وترك الشذوذ والانفراد

١٤٠- عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«إن الله عَزَّ وَجَلَّ لا يجمع أمتي على ضلالة، فإذا رأيتم الاختلاف؛ فعليكم بالسواد الأعظم»(١).

١٤١- عن أبي غالب رَحِمَهُ اللَّهُ؛ قال:

كنت أمشي مع أبي أُمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فقال لي: تفرقت بنو إسرائيل على سبعين فرقة؛ واحدة في الجنة وسائرهم في النار، ولتزيدن عليهم هذه الأمة، واحدة في الجنة وسائرهم في النار.

قال حماد: لا أعلمه إلا رفع الحديث إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: قلت: يا أبا أمامة! ما تأمرني؟ قال: عليك بالسواد الأعظم، قلت: ما السواد الأعظم! ما ترى؟! قال: السمع والطاعة، خير من الفرقة والمعصية(٢).

---

(١) رواه ابن ماجه، وابن أبي عاصم في السُّنة، وفيه زيادة: (الحق وأهله).

- وفي لفظ آخر عند الطبراني؛ قال: (من كان على ما أنا عليه، وأصحابي: من لم يمار في دين الله، ومن لم يكفر أحدًا من أهل التوحيد بذنب؛ غفر له).

(٢) وفي لفظ آخر رواه المروزي في السُّنة؛ قلت: (قد تعلم ما في السواد الأعظم- وذلك في خلافة عبدالملك بن مروان، والقتل يومئذ ظاهر- فقال: أما والله إني لكاره لأعمالهم، ولكن عليهم ما حُمِّلوا وعليكم ما حُمِّلتم، والسمع والطاعة خير من الفجور والمعصية).

- فمعنى السواد الأعظم: ليس تقليد العامة وجعل أعمالهم ميزانًا للحق والباطل، وإنما لزوم الجماعة وعدم الخروج عليهم، حتى وإن ابتعد العبد عن مواطن الشرِّ.

=

❐ ❐ ❐

– وتأمل هذا الأثر العظيم:
قال عمرو بن ميمون: (قدم علينا معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على عهد رسول الله ﷺ، فوقع حُبُّه في قلبي، فلزمته حتى واريته في التراب بالشام، ثم لزمت أفقه الناس بعده عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فسمعته يقول: عليكم بالجماعة؛ فإن يد الله على الجماعة، ثم ذُكر يومًا عنده تأخير الصلاة عن وقتها، فقال: صلوها في بيوتكم فهي الفريضة، واجعلوا صلاتكم معهم نافلة.
قال عمرو بن ميمون: فقلت لعبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا أصحاب محمد! ما أدري ما تحدِّثون! قال: وما ذاك؟ قلت: تأمرني بالجماعة وتحضني عليها، ثم تقول لي: صل الصلاة وحدك وهي الفريضة، وصَلِّ مع الجماعة وهي نافلة؟! قال: يا عمرو بن ميمون! قد كنت أظنك من أفقه أهل هذه القرية، تدري ما الجماعة؟ قلت: لا، قال: إن جمهور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة، إنما الجماعة ما وافق الحقَّ وإن كنت وحدك.
وفي رواية: فقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ويحك، إن جمهور الناس فارقوا الجماعة، وإن الجماعة ما وافق طاعة الله تعالى). اهـ

٢٥- باب: وجوب الرجوع إلى الإجماع وتحريم خلافه

١٤٢- عن عليٍّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال:

قلت: يا رسول الله! الأمر ينزل بنا من بعدك لم ينزل به القرآن، ولم نسمع فيه بشيء؛ قال: «**اجمعوا له العابدين من المؤمنين؛ فاجعلوه شورى بينكم، ولا تقضوا فيه برأي واحد**»[(١)].

١٤٣- عن عبدالرحمن بن يزيد[(٢)]؛ قال:

كثر الناس على عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يسألونه؛ فقال: يا أيها الناس! إنه قد أتى علينا زمان لسنا نقضي ولسنا هنالك، وإنه قد بلغنا من الأمر ما ترون؛ فمن ابتُلي بقضاء؛ فليقضِ بما في كتاب الله تعالى، فإن لم يكن في كتاب الله، فليقضِ بما قضى به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن لم يكن في كتاب الله ولا قضى به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فليقضِ بما قضى به الصالحون، فإن لم يكن فيما قضى به الصالحون؛ فليجتهد رأيه، ولا يقولن أحدكم: إني

---

(١) رواه ابن عبدالبر في الجامع، والخطيب في الفقيه والمتفقه.
- والمراد بالعابدين: العاملين بعلمهم، فلا تشاوروا العالم الفاجر ولا العابد الجاهل، فإنهما فتنة لكل مفتون، بينما العاملون بعلمهم هم أقرب الناس إلى أن يوفقوا للصواب.

(٢) في الأصل: عبدالله بن يزيد؛ والتصحيح من المصادر. وهو عبدالرحمن بن يزيد بن قيس النخعي، أبو بكر الكوفي أخو الأسود بن يزيد، وابن أخي علقمة بن قيس النخعي، ووالد محمد بن عبدالرحمن بن يزيد. مات في الجماجم سنة ثلاث وثمانين. تهذيب الكمال (٣٩٩٤).

أخاف، وإني أرى؛ فإن الحلال بَيِّن والحرام بَيِّن، وشبهاتٌ بين ذلك؛ فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك[١].

١٤٤- عن الشعبي؛ قال:

كتب عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى شريح: إذا حضرك أمر لابد منه؛ فانظر في كتاب الله تعالى فاقضِ به، فإن لم يكن فبما قضى به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن لم يكن فبما قضى به الصالحون وأئمة العدل، فإن لم يكن فأنت فيه بالخيار[٢]، إن شئتَ أن تجتهد رأيك، وإن شئت أن تؤامرني، ولا أرى مؤامرتك لي إلا خيرًا لك، والسَّلام[٣].

١٤٥- عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال:

إن الشيطان ذئب (الإنسان) كذئب الغنم، يأخذ النَّاحية والقاصية والشَّاذة؛ فعليكم بالعامة والجماعة والمساجد، وإياكم والشِّعاب[٤].

---

(١) رواه الدارمي في مسنده (١٦٥) عن حُريث بن ظُهير، عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) في الأصل: (فأنت فيه بالخير فيه). وما أثبتناه من المصادر.

(٣) هذا الأثر يشهد لما جاء عن معاذ بن جبل، قال: (لما بعثني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى اليمن؛ قال لي: بِمَ تقضي إن عُرِض عليك قضاء؟ قلت: أقضي بما في كتاب الله. قال: فإن لم يكن في كتاب الله؟ قلت: أقضي بما قضى به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال: فإن لم يكن فيما قضى به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قلت: أجتهد رأيي. قال: فضرب في صدري، وقال: الحمد لله الذي وفَّق رسولَ رسولِ الله لما يُرضي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). اهـ
وقد تقدَّم هذا الأثر والتعليق عليه برقم: (٤٥).

(٤) رواه أحمد والطبراني. فمن شذَّ عن الجماعة؛ اختطفته الشياطين كما يختطف الذئب الشَّاة من الغنم. ووصف الشاة بثلاث صفات: فالناحية- بحاء مهملة- هي التي غُفِل عنها، وبقيت في جانبٍ من ناحية الأرض، والقاصية هي التي قَصدت البُعد لا عن تنفير، والشَّاذة هي النافرة.

١٤٦- وعن حُصين بن عبدالرحمن، عن خيثمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ قال:

قدمتُ المدينة، فجعلت أركع كما يركع أصحاب عبدالله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أُطَبِّقُ[1]؛ فقال لي رجل من المهاجرين: يا عبدالله! ما يحملك على هذا؟ قال: قلت: إن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان يفعله، وزعم أن رسول الله ﷺ كان يفعله؛ قال: صدق، ولكن رسول الله ﷺ كان ربما فعل الأمر، ثم يُحْدِث الله غيره؛ فانظر ما اجتمع عليه المسلمون فافعله، فلما رجع كان لا يُطَبِّق.

١٤٧- وعن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال:

«سيكون بعدي في أمتي اختلاف وفرقة، وإن قومًا منهم يقولون: ما وجدنا في كتاب الله، وما اجتمع عليه المسلمون صدَّقناهم، وما اختلفوا فيه وكلناه إلى الله عَزَّوَجَلَّ**؛ أولئك أهدى أمتي، وأولئك أرشد أمتي»**[2].

١٤٨- وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«اثنان خير من واحد، وثلاثة خير من اثنين، وأربعة خير من ثلاثة؛ فعليكم بالجماعة فإن يد الله على الجماعة، ولن تجتمع أمتي إلا على الهدى، واعلموا أن كل صاحبِ هوى يهوي في النار»[3].

---

(١) التَّطْبيقُ في الصلاة: جعل اليدين بين الفخذين في الركوع، وكان من فعل المسلمين في أول ما أمروا بالصلاة، وهو إطباق الكفين مبسوطتين بين الركبتين إذا ركع، ثم أمروا بإلقام الكفين رأس الركبتين، وكان ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ استمر على التطبيق. لسان العرب (١٠/ ٢١١).

(٢) رواه أبو يعلى من طريق أنس؛ وفي رفعه نظر. ويشهد لمعناه ما تقدَّم، مما صحَّ عن عمر بن الخطاب، ومعاذ بن جبل، وابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

(٣) رواه أحمد، دون قوله: (واعلموا أن كل صاحب.....)؛ فقد ثبت من قول السَّلف، كما في ذم =

١٤٩ - وقال: «ألف عن ألف أوثق من واحد عن واحد، وإن واحدًا عن واحد ينتزع السُّنة من أيديكم»[١].

١٥٠ - وقال أبو ضمرة - أنس بن عياض - عن عبدالله بن يزيد بن هرمز: عليكم بدين العواتق؛ لا يعرفن إلا الله عَزَّوَجَلَّ[٢].

الكلام للهروي، عن الشعبي؛ قال: (إنما سمي هوى؛ لأنه يهوي بأصحابه).

وقال الإمام مالك: (كل صاحب هوى ليس منه على رجاء؛ إنما يهوي بصاحبه في نار جهنم).

(١) لم أجده مرفوعًا بهذا اللفظ، لكن جاء مثله عن ربيعة؛ ذكره عنه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٦١) قال: (قال ربِيعَة: ألفٌ عن ألفٍ، خيرٌ من واحدٍ على واحدٍ).

وفي العمل بخبر الواحد إذا لم يعارضه شيء تفصيل مشهور ذكره الشافعي في الرسالة، وكان أهل المدينة يجعلون ما عليه عمل الناس في المدينة في الصدر الأول مُرجِّحًا عند الاختلاف، ونعم ما صنعوا. وهذا مرادهم بقولهم: (ألفٌ عن ألفٍ).

وقولهم: (واحد عن واحد ينتزع السُّنة من أيديكم)، له وجهٌ صحيحٌ يعلمه الراسخون.

(٢) أول الأثر كما في القدر للفريابي (١/ ٢٤٠) عن أنس بن عياض، قال: أرسل إليَّ عبدالله بن يزيد بن هرمز، فقال: (لقد أدركت وما بالمدينة أحد يُتَّهم بالقدر، إلا رجل من جهينة يقال له: معبد، فعليكم بدين العواتق اللاتي لا يعرفن إلا الله).

- وفي سنن الدارمي (٣٠٩) عن عمر بن عبدالعزيز: (أنه سأله رجل عن شيء من الأهواء، فقال: عليك بدين الأعرابي، والغلام في الكُتَّاب، واله عما سوى ذلك).

- وفي حلية الأولياء عن عبدالصمد بن حسان؛ قال: (سمعت سفيان الثوري، يقول: عليكم بما عليه الحمّالون - وفي لفظ: الجمّالون - والنساء في البيوت، والصبيان في الكُتّاب من الإقرار والعمل).

- وسئل سفيان الثوري؛ قالوا: (يا أبا عبدالله! لا يزال قوم يسألون عن الإسلام، ما الإسلام؟ قال له: إذا غدوتَ إلى السوق فانظر إلى أدنى حمّال، فاسأله عنه، فإذا أخبرك عنه فهو ذاك). اهـ

- وهذا إذا كان الناس على الفطرة الأولى، ولم تتغير، أما اليوم فقد تلوَّث كثير من عوام الناس بالشِّرك والإرجاء.

- فعن يونس بن عبيد، قال: (سمعت معاوية بن قرة، يقول: لقد أتى علينا زمان وما أحد يموت على الإسلام إلا ظننا أنه من أهل الجنة، حتى إذا كان الآن خلَّطتم علينا).

١٥١- وعن سعيد بن أبي عَروبة[١]، عن الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: **«الزموا الجماعة؛ فإن يد الله على الجماعة، فمن جَذَّ من تحتها؛ فلن يضر الله جذوذه، ومن خرج عليهم يريد فرقة جماعة المسلمين؛ فاقتلوه كائنًا من كان»**[٢].

❐ ❐ ❐

---

(١) هو: سعيد بن مهران العدوي، أبو النضر البصري مولى بني عدي بن يشكر. روى عن أيوب السختياني، والحسن البصري، وقتادة، ومحمد بن سيرين وغيرهم كثير. وروى عنه إبراهيم بن طهمان، وإسماعيل بن علية، وبشر بن المفضل، وسفيان الثوري، وأبو خالد الأحمر، وأبو عاصم الضحاك بن مخلد وغيرهم كثير. ثقة في الحديث إلا أنه كثير التدليس واختلط في آخر عمره، وأما في المعتقد فقد رُمي بالقدر؛ قال بندار كما في الكامل لابن عدي (٤/ ٤٤٧): (حدثنا عبدالأعلى، وكان قدريًا؛ عن سعيد، وكان قدريًا، عن قتادة، وكان قدريًا). وقال سليمان ابن طرخان التيمي: (لا والله ما كنت أجيز شهادته، لا والله ولا شهادة معلمه قتادة). ولكنه كما قال أحمد: (لم يكن له كتاب، كان يحفظ حديثه كله، وكان يقول بالقدر **ويكتمه**). وقال أحمد بن عبدالله العجلي: (ثقة قدري غير داعية).

(٢) لم أجد من رواه بهذا اللفظ، وهو مرسل، ومعناه صحيح؛ تشهد له الأحاديث الأخرى، فعن عرفجة ابن شريح الأشجعي، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (سيكون بعدي هنات وهنات، فمن رأيتموه فارق الجماعة، أو يريد أن يُفرق بين أمة محمد ﷺ وأمرهم جميع، فاقتلوه كائنًا من كان، فإن يد الله مع الجماعة، وإن الشيطان مع من فارق الجماعة يرتكض). رواه ابن حبان في صحيحه، وأصله في مسلم.
واللفظ المحفوظ: (فمن شذَّ عن يد الله؛ لن يضر الله شذوذه)؛ كما في مسند الشاميين للطبراني.
- ومعنى: (جَذَّ من تحتها). أي: انقطع وسقط، مثل جذاذ عذوق النخل، فإنها إذا جُذَّت انقطعت وسقطت، فهكذا من خرج من يد الله وخالف الجماعة.

٢٦- باب: الأمر باتباع الصحابة والسلف الصالح رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ [(١)]

١٥٢- قال محمد بن المنكدر رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الدين سُنة؛ يأثر الآخِر عن الأول.

١٥٣- وقال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

من كان مستنًا؛ فليستن بمن قد مات، أولئك أصحابُ محمد ﷺ كانوا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أفضل هذه الأمة؛ أبرها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا؛ قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه؛ فاعرفوا لهم فضيلتهم، واتبعوهم في أثرهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم[(٢)].

---

(١) لما فرغ المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ من بيان وجوب اتباع الكتاب والسَّنة والإجماع، ذكر الأصل الرابع الذي نفزع إليه عند الاختلاف والمشكلات، ألا وهو قول الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

(٢) قال أبو داود في مسائله (١/ ٣٦٩): (سمعت أحمد غير مرة، يُسأل: يُقال لِمَا كان من فعل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ: سُنَّة؟ قال: نعم. وقال مرةً: لحديث رسول الله ﷺ: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين)؛ فسماها سُنة. قيل له: تقول لمثل قول أُبَيٍّ ومعاذٍ وابن مسعودٍ: سُنَّة؟ قال: ما أدفعه أن أقول- أي: لا يَبعد أن يُسمى سنة- وما يعجبني أن أخالف أحدًا منهم). اهـ

- وروى الخلال في السنة (١١١٠) عن أبي عبدالرحيم الجوزجاني، قال: (كتب إليَّ أحمد بن حنبل: اعلم- رحمك الله- أن تأويل من تأول القرآن بلا سنة تدل على معناه أو معنى ما أراد الله عز وجل أو أثر- قال المروذي: أو أثر عن أصحاب الرسول ﷺ- ويُعرف ذلك بما جاء عن النبي ﷺ أو عن أصحابه، فهم شاهدوا النبي ﷺ، وشهدوا تنزيله، وما قصَّه له القرآن، =

١٥٤- وقال عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

من كان مستنًا؛ فليستن بمن قد مات، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا خير هذه الأمة؛ أبرها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، قومٌ اختارهم الله عَزَّ وَجَلَّ لصحبة نبيه ﷺ ونقل دينه؛ فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم كانوا- ورب الكعبة- على الهدى المستقيم.

ابن آدم! صاحِبِ الدنيا ببدنك، وفارقها بهمك وقلبك؛ فإنك موقوف بعملك؛ فخلِ مما في يديك لما بين يديك، فعند الموت يأتيك الخبر.

وما عُني به، وما أراد به، وخاص هو أو عام، فأما من تأوله على ظاهرٍ بلا دلالةٍ من رسول الله ﷺ ولا أحد من أصحابه، فهذا تأويل أهل البدع، لأن الآية قد تكون خاصة ويكون حكمها حكمًا عامًا، ويكون ظاهرها على العموم، وإنما قصدت لشيء بعينه، ورسول الله ﷺ المعبر عن كتاب الله عز وجل). اهـ

- وروى الدارمي في مسنده (١٦٢) عن أبي سهيل، قال: (كان على امرأتي اعتكاف ثلاثة أيام في المسجد الحرام، فسألت عمر بن عبدالعزيز، وعنده ابن شهاب. قال: قلت: عليها صيام؟ قال ابن شهاب: لا يكون اعتكاف إلا بصيام. فقال له عمر بن عبدالعزيز: عن النبي ﷺ؟ قال: لا. قال: فعن أبي بكر؟ قال: لا، قال: فعن عمر؟ قال: لا. قال: فعن عثمان؟ قال: لا. فقال عمر: ما أرى عليها صيامًا، فخرجتُ فوجدتُ طاوسًا وعطاء بن أبي رباح فسألتهما؛ فقال طاوس: كان ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لا يرى عليها صيامًا إلا أن تجعله على نفسها. قال: وقال عطاء: ذلك رأيي). اهـ

- ففيه وجوب السؤال عن سنة أبي بكر وعمر وسائر الخلفاء الراشدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إذا لم يوجد في الباب حديثٌ مرفوع عن النبي ﷺ.

١٥٥ - قال الشيخ أبو الفتح نصر رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا الذي ذكره ابن مسعود، وعبدالله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ قد أخبر الله تعالى عنهم بأكثر منه في غير موضع من كتابه، وبيَّن عدالتهم وأزال الشبه عنهم، وكذلك أخبر به الرسول ﷺ وأمر بالرجوع إليهم، والأخذ عنهم، والعمل بقولهم مع علمه بما يكون في هذا الزمان من البدع، واختلاف الأهواء[1]، ولم يأمر بأن نتمسك بغير كتاب الله، وسنته ﷺ، وسنة أصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ[2]، ونهانا عما ابتُدع خارجًا عن ذلك، وعما جاوز ما كان عليه هو وأصحابه، فواجب علينا قبول أمره فيما أمر، وترك ما نهى عنه وزجر، وعلى هذا الأمر كانت العلماء والأئمة فيما سلف؛ إلى أن حدث من البدع ما حدث.

١٥٦ - وعن الفضيل بن عمرو؛ قال:

جاء رجل إلى إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فقال: إني أريد أن أقتدي وآخذ برأيك، فأي هذه الأهواء تأمرني أن آخذ به؟

---

(١) وفي سنن سعيد بن منصور (٢/ ٣٤٦) عن أيوب، عن محمد، قال: (قال رجل: اللهم أبق عبدالله بن عمر ما أبقيتني؛ أقتدي به، فإني لا أعلم أحدًا اليوم على الأمر الأول غيره).

(٢) ثم سنة التابعين- إذا لم يوجد عن الصحابة شيء- كما ذكره المؤلف في هذا الكتاب في غير ما موضع، كما في قوله: (لا يجوز اعتقادُ ما لم يكن له أصل في كتاب الله تعالى، ولا سنة رسوله ﷺ وإجماع أهل العلم من الصحابة، والتابعين لهم بإحسان).

وكما قال الإمام أحمد في عقيدته: (ثم بعد كتاب الله: سنة النبي ﷺ والحديث عنه، وعن المهديين أصحاب النبي ﷺ، والتابعين من بعدهم). اهـ

فقال: والله ما في شيء منها خير، وإنما لزينة من الشيطان، وما الأمر إلا الأمر الأول[١].

١٥٧- وعن الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أن عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان جالسًا ومعه أصحابه؛ فقال رجل من القوم: ما تحدثونا إلا بالقرآن، أو لا تحدثنا إلا بالقرآن؛ فقال: ادنه فدنا؛ فقال: أرأيت لو وُكلت أنت- يعني وأصحابك- إلى القرآن كنت تجد فيه صلاة الظهر أربعًا، والعصر أربعًا، والمغرب ثلاثًا تقرأ في اثنتين، أرأيت لو وكلت- أنت وأصحابك- إلى القرآن كنت تجد فيه الطواف سبعًا، والطواف بالصفا والمروة، ثم قال: أيْ قوم! خذوا عنا؛ فإنكم والله إن لا تَفْعَلُنَّ؛ لَتَضِلُّنَّ[٢].

---

(١) وفي لفظ قال: (ما جعل الله تعالى في شيء منها مثقال حبة من خردل من خير).
وإبراهيم: هو النخعي. والرجل السائل: هو أبو حمزة ميمون الأعور؛ كما في حديث أبي الفضل الزهري للحسن بن علي الجوهري (ت٣٨١) وتلخيص المتشابه في الرسم (٢٤٣) عن أبي معشر، قال: قال أبو حمزة لإبراهيم النخعي: (أي الأهواء أحبّ إليك؟ فإني أحبُّ...)، الأثر.
- وعن عثمان بن حاضر، قال: قلت لابن عباس: (أوصني، قال: عليك بالاستقامة، واتبع الأمر الأول، ولا تبتدع).
- وعليه؛ فالخير الذي يُتوهم في الأحزاب الضالة- من هداية الناس ونحوه- ما هو إلا زينة من الشيطان يصطاد به الناس للبدعة وما هو شر من المعصية؛ قال سفيان الثوري كما في حلية الأولياء (٧/ ٢٩): (ليس من ضلالة إلا وعليها زينة).

(٢) وقال التيمي في الحجة على تارك المحجة (٢/ ٤٦٩): (ليس العلم بكثرة الرواية، وإنما هو الإتباع، والاستعمال. يقتدي بالصحابة، والتابعين وإن كان قليل العلم، ومن خالف الصحابة والتابعين فهو ضال، وإن كان كثير العلم). اهـ

١٥٨- وعن عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«سيأتي على أمتي ما أتى على بني إسرائيل مِثْلًا بمثل، حَذو النعل بالنعل، وإنهم تفرقوا على اثنتين وسبعين ملة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة؛ كلها في النار غير واحدة» فقيل: يا رسول الله! وما تلك الواحدة؟ قال: **«هو ما نحن عليه اليوم وأصحابي»**(١).

١٥٩- وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«يا ابن سلام! على كم افترقت بنو إسرائيل؟». قال: على واحد وسبعين فرقة، واثنتين وسبعين فرقة؛ كلهم يشهد على بعض بالضلالة؛ قالوا: أفلا تخبرنا يا رسول الله! لو قد خرجت من الدنيا فتفرقت أُمَّتُك على ما يصير أمرهم؟ فقال نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إن بني إسرائيل تفرقوا على ما قُلْتَ، وستفترق أمتي على ما افترقت عليه بنو إسرائيل، وستزيد فرقة واحدة لم تكن في بني إسرائيل»**.

قال ابن سلام: يا رسول الله! أفلا تدلنا على قوم ترضى لنا، نخبر أولادنا، وتخبر أولادنا أولادهم، فيكون فيهم إلى آخر الزمان؟ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«انظروا إلى قوم يصلون الخمس في جماعة، ويصومون رمضان، ويأتون الجمعة، ويعودون المريض، ويشيعون الجنائز، جيرانهم**

(١) رواه الترمذي، والمروزي في السُّنة، وابن بطة في الإبانة.

آمنون من أيديهم وألسنتهم وبوائقهم؛ فتكون من أولئك فإنهم قوم صالحون». قيل: يا رسول الله! ومن هم؟ قال: **«المتقون»**[١].

١٦٠- وكان أبو هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يقول في الصلاة:

ما أَسْمَعَنا رسول الله ﷺ أسمعناكم، وما أخفى عنا أخفينا عنكم، وإن لم تزد على أمِّ القرآن أجزأتْ، وإن زدت فهو خير.

❐ ❐ ❐

---

(١) رواه الآجري في الشريعة، وابن بطة في الإبانة إلى قوله: (... لم تكن في بني إسرائيل)، وباقي الحديث لم أجده؛ ومعناه جاء في أحاديث أُخر.

٢٧- باب: وجوب اتباع سنة الأئمة الراشدين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ

١٦١- عن عبدالرحمن بن عمرو السُّلميّ، وحُجْر بن حُجْر؛ قالا: أتينا العرباض بن سارية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهو ممن نزل فيه: «وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ» [التوبة:٩٢]؛ فسلمنا عليه، وقلنا: أتيناك زائرِيْنَ، وعائدِيْنَ، ومُقْتَبِسَيْن(١)؛ (فقال العرباض رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح ذات يوم)، ثم أقبل علينا، فوعظنا موعظة بليغة.

---

(١) فيه مشروعية جمع نياتٍ صالحةٍ كثيرة في عملٍ واحد، وهذا من فقه العبادة: أن يجمع العبد في العمل الواحد نياتٍ كثيرة صالحة. وقد قال رسول الله ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى)، فلو أراد العبد أن يذهب إلى صلاة الجمعة مثلًا، فنوى بذلك:

١- المرابطة في بيت من بيوت الله بالتبكير وانتظار الصلاة.

٢- والقرب من الإمام، ليكون قريبًا من الله يوم القيامة.

٣- والاستماع إلى الخطبة وما فيها من الذكر والعلم، ثم العمل بما سمع.

٤- وأن يؤدي فرضًا من فرائض الله اختصه به دون غيره من النساء والعبيد والصبيان.

٥- وأن يلتقي بإخوانه المسلمين ويسلم عليهم ويتفقدهم.

٦- وأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في طريقه ذهابًا وإيابًا.

٧- وأن يعطي سائلًا أو مسكينًا قابله في الطريق.

فإن الله عزَّ وجلَّ يثيبه على هذه الأعمال جميعًا، والله شكور وفضله واسع، فهذان الرجلان نويا أجر عيادة المريض، وزيارة الإخوان، وطلب العلم؛ فرزق الله الأمة بهذه النوايا الصالحة حديثًا من أعظم الأحاديث على الإطلاق، وقد روى هذا الحديث عن العرباض بن سارية ثلاثة من تابعي الشام المعروفين، وهم: عبدالرحمن بن عمرو السلمي، وحُجْر بن حُجْر، ويحيى بن أبي مُطَاع، وثلاثتهم من علماء التابعين بالشام، وهذا الحديث لم يُرو إلا من طريقهم =

وذكر الحديث المتقدِّم[١].

❒ ❒ ❒

عن العرباض رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فلهم وللعرباض وقبلهم رسول الله ﷺ أجرُ من سمع به إلى يوم القيامة، فتأمل أثر النية الصالحة! ولذلك قيل: تجارة النيات تجارة العلماء.

وصدق من قال:

من لي بمثل سيرك المدلل ... تمشي رويدًا وتجي في الأوّل

(١) قال محمد بن الحسين الآجري في الأربعين حديثًا (١/ ٩٥): (في هذا الحديث علوم كثيرة يحتاج إلى علمها جميع المسلمين ولا يسعهم جهله، منها: أنه ﷺ أمرهم بالسمع والطاعة لكل من ولي عليهم من عبد أسود وغير أسود، ولا تكون الطاعة إلا بالمعروف، لأنه أعلمهم أنه سيكون اختلاف كثير بين الناس، فأمرهم بلزوم سنته وسنة أصحابه الخلفاء الراشدين المهديين، وحثّهم على أن يتمسكوا بها التمسك الشديد، مثل ما يعض الإنسان بأضراسه على الشيء، يريد أن لا يفلت منه، فواجب على كل مسلم أن يتبع سنن رسول الله ﷺ ولا يعملوا أشياء إلا بسنته وسنة الخلفاء الراشدين بعده: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، وكذا لا يخرج عن قول صحابته رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ؛ فإنه يرشد إن شاء الله. ومنها أنه ﷺ حذَّرهم البدع وأعلمهم أنها ضلالة، فكل من عمل عملًا أو تكلم بكلام لا يوافق كتاب الله، ولا سنة رسوله ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين، وقول صحابته رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ؛ فهو بدعة، وهو ضلالة، وهو مردود على قائله أو فاعله). اهـ

٢٨- باب: وجوب اتباع أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[١]

١٦٢- عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«اقتدوا بِاللَّذَيْنِ من بعدي: أبي بكر وعمر»**[٢].

١٦٣- وكان ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إذا سئل، فإن لم يكن في كتاب الله وكان عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ قال به، فإن لم يكن ذلك في كتاب الله، ولا عن

---

(١) عن أيوب، قال: (إذا بلغك اختلافٌ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوجدتَ في ذلك الاختلاف أبا بكر وعمر فشُدَّ يدك به؛ فإنّه الحقُّ وهو السُّنَّة).
- ومعنى: (فشُدَّ يدك به). أي: شُدَّ يدك بالقول الذي عليه الشيخان أبو بكر وعمر، مثاله: عدم وجوب الأضحية، والتحصيب في الحجِّ ونحوه.
- وروى أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٨٥) عن أبي جعفر محمد بن علي، قال: (من لم يعرف فضل أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ فقد جهل السُّنة).
- وفي الإبانة الكبرى لابن بطة، عن عبدالله بن الزبير، قال: (لقيني ناس من أهل العراق فخاصموني في القرآن، فوالله ما استطعت بعض الرد عليهم، وهِبْتُ المراجعة- أي: خفت أن يراجعوني في القرآن- فشكوت ذلك إلى أبي الزبير، فقال الزبير: إن القرآن قد قرأه كل قوم فتأولوه على أهوائهم، وأخطئوا مواضعه، فإن رجعوا إليك فخاصمهم بسنن أبي بكر وعمر، فإنهم لا يجحدون أنهما أعلم بالقرآن منهم. قال عبدالله بن الزبير: فلما رجعوا فخاصمتهم بسنن أبي بكر وعمر، فوالله ما قاموا معي ولا قعدوا). اهـ
- وروى ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٤) عن عاصم الأحول، عن أبي العالية في قوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾، قال: (هو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصاحباه من بعده أبو بكر وعمر. قال عاصم: فذكرنا ذلك للحسن، فقال: صدق أبو العالية ونصح). اهـ

(٢) رواه أحمد، والترمذي.

رسول الله ﷺ وكان عن أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال به، فإن لم يكن ذلك كله؛ اجتهد برأيه.

١٦٤- عن أبي ليلى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«تمسكوا بطاعة الله، وطاعة رسوله ﷺ، وطاعة أئمتكم ولا تخالفوهم؛ فإن طاعتهم طاعة الله، ومعصيتهم معصية الله؛ فإن الله بعثني أدعو إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة، فمن خالفني في ذلك؛ فهو بريء[1]، وقد برأت منه ذمة الله وذمة رسوله ﷺ، وعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين»**.

١٦٥- وتقدَّم حديث العرباض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

«عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين...». إلى آخره.

١٦٦- عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«ما أنا قدمت أبا بكر وعمر، الله قدمهما قبلي، يَقِرَّان على أمر الله تعالى؛ فاتبعوهما ترشدوا، فمن تكلم فيهما بسوء؛ فاقتلوه، فإنما أراد ذمي والإسلام»[2].

---

(١) هكذا في الأصل؛ والذي جاء في المصادر: (فمن خلفني في ذاك فهو وليي- وفي لفظ: فهو مني وأنا منه، ومن ولي من أمركم شيئًا فعمل بغير ذلك؛ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين). رواه الطبراني في الكبير.

(٢) لا يصح رفعه؛ ومعناه صحيح ثابت في غير ما حديث.

١٦٧- وعن عبدِ خير رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ قال:

رأيت عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ صلى العصر، فصف له أهل نجران صفين، فلما صلى أومى لرجلٍ منهم؛ فأخرج كتابًا فناوله، فلما رآه دمعت عيناه، ثم رفع رأسه إليهم؛ فقال: يا أهل نجران! أو يا أصحابي! هذا والله خطي بيدي، وإملاء رسول الله ﷺ؛ قالوا: يا أمير المؤمنين! أعطنا ما فيه، قال: ودنوتُ منه؛ فقلت: إن كان رادًّا عليٌّ على عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يومًا، فاليوم يرد عليه؛ فقال: لست برادٍ اليوم على عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ شيئًا صنعه، إن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان رشيد الأمر، وإن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أخذ منكم خيرًا مما أعطاكم، ولم يَجُرَّ عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ما أخذ منكم لنفسه، إنما جَرَّ لجماعة المسلمين[1].

١٦٨- وعن الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ قال:

قال لي علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حين قدم الكوفة: ما جئت لأَحُلَّ عُقْدة شَدَّها عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

١٦٩- وعن جعفر بن محمد عن أبيه؛ قال:

جاء رجل من قريش إلى علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ فقال: يا أمير المؤمنين! سمعتك تقول في الخطبة: اللهم أصلحنا بما أصلحت به الخلفاء الراشدين المهديين؛ فمن هم؟ قال: فاغرورقت عيناه، ثم أهملهما؛ فقال:

---

(١) لعلَّ أهل نجران أرادوا من عليٍّ تغيير قضاء قضاه عمر، ومعهم كتاب من النبي ﷺ لهم. وروى البغوي في الجعديات (١١٧٣) عن عَبيدة، عن عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: (اقضوا كما كنتم؛ فإني أكره الخلاف، حتى يكون للناس جماعة، أو أموت كما مات أصحابي). اهـ

حبيباي وعماك؛ أبو بكر وعمر، إماما الهدى، وشيخا الإسلام، ورجلا قريش، والمقتدى بهما بعد رسول الله ﷺ؛ من اقتدى بهما عُصم، ومن اتبع آثارهما هدي إلى صراط مستقيم، ومن تمسك بهما فهو من حزب الله عَزَّوَجَلَّ، وحزب الله هم المفلحون.

١٧٠- عن حميد بن عبدالرحمن:

أن المسور بن مخرمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخبره: أن الرهط الذين ولاَّهم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اجتمعوا فتشاوروا؛ فقال لهم عبدالرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لست بالذي أنافسكم هذا الأمر، ولكن إن شئتم اخترت لكم منكم؛ فجعلوا ذلك إلى عبدالرحمن، فلما ولوا عبدالرحمن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَمْرَهم انثال على عبدالرحمن الناس، ومالوا إليه، حتى ما أرى أحدًا من الناس يتبع أحدًا من أولئك الرهط، ولا يطأ عقبه، وانثال الناس على عبدالرحمن يشاورونه، ويناجونه تلك الليالي، حتى إذا كان من الليلة الثالثة التي أصبح منها فبايع عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال المسور رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فطرقني عبدالرحمن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد هجع من الليل؛ فضرب الباب حتى استيقظت؛ فقال لي: أراك نائمًا، فوالله ما اكتحلت منذ هذه الثلاث كثير نوم، انطلق فادع الزبير وسعدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فشاورَهما، ثم أرسلني إلى عليٍّ فدعوته فشاورَه حتى ابهارَّ الليل، ثم قام من عنده عليٌّ وهو على طمع؛ فكان عبدالرحمن يخشى من علي شيئًا، ثم قال: ادع لي عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فناجاه، حتى فرَّق بينهما المؤذن؛ فلما صلوا صلاة الصبح اجتمع أولئك الرهط عند المنبر، وأرسل عبدالرحمن إلى من كان حاضرًا من المهاجرين والأنصار، وأرسل

إلى أمراء الأجناد، وقد كانوا وافوا تلك الحَجَّة مع عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فلما اجتمعوا؛ تشهد عبدالرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثم قال: أما بعد يا عليُّ! إني نظرت في الناس، فلم أرهم يعدلون بعثمان بن عفان؛ فلا تجعل على نفسك سبيلًا، ثم أخذ بيد عثمان؛ فقال: أبايعك على سنة الله تعالى وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والخليفتين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا من بعده؛ فبايعه عبدالرحمن، وبايعه الناس، والمهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد، والمسلمون[1].

❐ ❐ ❐

(١) رواه البخاري.

٢٩- باب: ذكر من انتقل إليه العلم من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وغيرهم

١٧١- قال علي ابن المديني:

لما قبض رسول الله ﷺ صار العلم في أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إلى تسعة[1]:

إلى أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، ومعاذ ابن جبل، وزيد بن ثابت، وأُبَيّ بن كعب، وعبدالله بن مسعود، وأبي موسى الأشعري، وعبدالله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[2].

---

(١) المراد: الذين اشتهروا بالتعليم أو الفتوى أو القضاء أو الخلافة أو كان له أصحاب أخذوا عنه أو نُقل عنه كلام كثير في العلم. وإلا فالصحابة في أصل العلم كلهم علماء حكماء.

تنبيه: هذا التقسيم وهذه الأسماء إنما هي اجتهاد من ابن المديني، بعضه متفقٌ عليه وبعضه لم يوافق عليه، وهو بعدما فرغ من طبقة الصحابة وفقهاء المدينة، نظر من زاوية الأسانيد؛ لأنها صنعته، ولذلك فلفظ هذا الأثر في كتاب ابن المديني نفسه بعدما ذكر الصحابة وفقهاء المدينة، قال: (ثم نظرتُ فإذا الإسناد يدور على ...). وذكره.

(٢) وفي علل الحديث لابن المديني (ص١٠٢) قال الشعبي: (أُخذ العلم عن ستة: عمر، وعبدالله ابن مسعود، وزيد بن ثابت، وأُبَيّ- وكان هؤلاء يستفتي بعضهم من بعض- وعليّ، وأبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ فقال أبو إسحاق الشيباني: فقلت للشعبي: فكان عند أبي موسى؟ قال: كان عالمًا. فقلت: فأين معاذ؟ قال: مات قبل ذلك). ثم ذكره عن مسروق؛ وزاد: (وأبي الدرداء).

وأما ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ فقال عنه ابن المديني في العلل (ص١٠٧): (لم يكن في أصحاب رسول الله ﷺ من له صُحبية، يذهبون مذهبه، ويفتون بفتواه، ويسلكون طريقته؛ إلا ثلاثة: عبدالله بن مسعود، وزيد بن ثابت، وعبدالله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ). اهـ

=

فلما قبض هؤلاء صار العلم - بالمدينة - إلى تسعة[1]:

سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وسالم بن عبدالله، والقاسم بن محمد، وقبيصة بن ذؤيب، وعبيدالله بن عبدالله بن عتبة، وأبان بن عثمان، وعبدالملك بن مروان، وسليمان بن يسار رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

فلما قبض هؤلاء صار العلم - في الدنيا - إلى ستة[2] نفر:

أبي بكر المدني محمد بن مسلم بن عبيدالله بن عبدالله الزهري، وأبي محمد عمرو بن دينار المكي، وأبي الخطاب قتادة بن دعامة البصري[3]،

أما أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فكما قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للأنصار: (يا معشر الأنصار، ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قد أمر أبا بكر أن يؤم الناس، فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر، قالت الأنصار: نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر).

(١) وفي علل الحديث لابن المديني (ص١٢٣) قال: (وأصحاب زيد بن ثابت، الذين كانوا يأخذون عنه ويفتون بفتواه، منهم من لقيه ومنهم من لم يلقه؛ اثنا عشر رجلًا - مع أن المعدود ثلاثة عشر -: سعيد ابن المسيب، وعروة بن الزبير، وقَبيصة بن ذؤيب، وخارجة بن زيد، وسليمان بن يسار، وأبان بن عثمان، وعبيدالله بن عبدالله، والقاسم بن محمد، وسالم بن عبدالله، وأبو بكر بن عبدالرحمن، وأبو سلمة بن عبدالرحمن، وطلحة بن عبدالله بن عوف، ونافع بن جبير بن مطعم). وأما عبدالملك بن مروان فقد ذكره في موضع آخر.

(٢) في المخطوط: ثمانية؛ والتصحيح من المصادر، وعند ابن المديني في العلل (ص٧٦) قال: (نظرت فإذا الإسناد - يعني معظم الأسانيد الصحاح - يدور على ستة؛ ثم سردهم على ترتيب الأمصار).

(٣) رُمي بالقدر؛ قال حنظلة بن أبي سفيان: (كان طاوس يفر من قتادة، وكان قتادة يُرمى بالقدر. وقيل له - أي طاوس -: هذا قتادة يأتيك؛ قال: لئن جاء لأقومنه - أو لأقيمنه - قيل: إنه فقيه. قال: إبليس أفقه منه؛ قال: (رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي)). وقال ابن شوذب: (سمعت قتادة يصيح بالقدر في مسجد البصرة صياحًا). والصواب ما سيأتي عن الإمام أحمد: أنه كان يكتمه.

=

وقال يحيى بن أبي كثير: (لا يزال أهل البصرة بشر ما كان فيهم قتادة).
وقال الشعبي: (قتادة حاطب ليل، وقيل له: رأيت قتادة؟ قال: نعم؛ فرأيت كياسته بين حشين).
وقال مالك: (أي رجل معمر؛ لولا أنه يروي تفسير قتادة).
وقال وكيع: (كان سعيد ابن أبي عَروبة وهشام الدستوائي وغيرهما؛ يقولون: قال قتادة: كل شيء بقدر إلا المعاصي).
وقال معمر: (لولا كلامه في القدر، وقد قال رسول الله ﷺ: (إذا ذُكر القدر فأمسكوا)؛ لما عدلت به أحدًا من أهل دهره). وقال أحمد: (كان قتادة وسعيد يقولان بالقدر، **ويكتمان**).اهـ
وسعيد هذا هو: ابن أبي عَروبة؛ وتقدمت ترجمته برقم: (١٥١).
- ومن عَلِم هذا، ثم قرأ ما يقوله الذهبي فيه وفي غيره ممن تلبس ببدعةٍ، بل بشركٍ وكفرٍ؛ لرأى تأصيلًا لمنهج الموازنات المبتدع، ولعرف السبب في حرص الحزبيين وأهل البدع في تعظيم مثل هذا الكلام؛ حيث وجدوا فيه مبررًا ومشجعًا لهم على تعظيم المبتدعة؛ فقال في السِّير (٥/ ٢٧١) في ترجمة قتادة: (كان يرى القدر، نسأل الله العفو ... ثم قال: ولعلَّ الله يعذر أمثاله ممن تلبس ببدعة يريد بها تعظيم الباري وتنزيهه وبَذَل وسعه، والله حَكم عدل لطيف بعباده ولا يُسأل عما يَفعل، ثم إن الكبير من أئمة العلم إذا كثر صوابه وعلم تحريه للحق واتسع علمه وظهر ذكاؤه وعرف صلاحه وورعه واتباعه؛ يغفر له زلله ولا نضلله ونطرحه وننسى محاسنه، نعم؛ ولا نقتدي به في بدعته وخطئه ونرجو له التوبة من ذلك).
- وقال في موضع آخر من نفس الكتاب: (ولو أن كل من أخطأ في اجتهاده مع صحة إيمانه وتوخيه لاتباع الحق أهدرناه وبدعناه؛ لقلَّ من يسلم من الأئمة معنا). اهـ
ويكفي في الردِّ على هذا الهراء؛ قوله تعالى: (وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ). فكيف يقال: بذل وسعه وأراد بتأويله أو تحريفه أو تعطيله أو تفويضه تنزيه الباري في أمر جلي فرغ منه رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعون لهم بإحسان، وبينوه بيانًا لا يحتاج معه إلى بذل وسع ولا اجتهاد، إنما يحتاج إلى اتباع سبيل المؤمنين فقط، لو كان هذا في الأمور الاجتهادية؛ لكان للعذر مساغٌ، والحمد لله على العافية.
- والذهبي هنا خلط بين مسألة تسميته والحكم عليه بالبدعة، وهي من الأسماء والأحكام الظاهرة المرتبطة بنفس الفعل، وبين عذره أو تأثيمه أو الحكم عليه بالنار، وهي مسألة أخرى،
=

وأبي نصر يحيى بن أبي كثير البصري- مات باليمامة- وأبي إسحاق السَّبيعي عمرو بن عبدالله بن عَبدِ وُدٍّ الكوفي، (وأبي محمد سليمان بن مهران الأعمش الكوفي)[١] رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

فلما قبض هؤلاء صار العلم إلى اثني عشر نفرًا[٢]:

سفيان الثوري، وشعبة بن الحجاج، وابن جريج- واسمه عبدالملك ابن عبدالعزيز بن جريج-، وسفيان بن عيينة أبي محمد الهلالي، وأبي عبدالله مالك بن أنس، ومحمد بن إسحاق أبي بكر صاحب المغازي[٣]،

وأما مسألة قبول الرواية عنه دون رأيه؛ فهذا لأنه كان يكتم بدعته- كما قال الإمام أحمد- أو لا يخاصم دونها، ويجتهد في نشرها؛ كما هي قاعدة أهل الحديث.

- وفي التعديل والتجريح (١/ ٢٦٨) قال عبدالرحمن بن مهدي: قال شعبة: (كنت أنظر إلى فم قتادة، فإذا قال: حدثنا؛ كتبنا عنه فوقفته عليه، وإذا لم يقل: حدثنا؛ لم أكتب عنه). اهـ

(١) ما بين القوسين غير موجود بالأصل؛ والتصحيح من علل الحديث لابن المديني (ص٧٩).

(٢) وفي علل الحديث لابن المديني (ص٨٣) هكذا: (ثم صار علم هؤلاء الستة إلى أصحاب الأصناف ممن صنف...)؛ ثم عَدَّ الاثني عشر نفرًا على ترتيب الأمصار.

(٣) إدخال علي ابن المديني لمحمد بن إسحاق مع من تدور عليه الأسانيد الصحيحة؛ فيه نظر شديد، للاختلاف الشديد في قبول روايته والاحتجاج بها؛ لشهرته بالتدليس. قال أبو حاتم الرازي: (ليس عندي في الحديث بالقوي، ضعيف الحديث). وقال أحمد بن حنبل: (حسن الحديث، وقال مرة: ليس بحجة، وقال مرة: إذا تفرد لا يقبل حديثه، والله إني رأيته يحدث عن جماعة بالحديث الواحد، ولا يفصل كلام ذا من ذا، وقال مرة: أمّا في المغازي وأشباهه؛ فيكتب. وأمّا في الحلال والحرام؛ فيُحتاج إلى مثل هذا؛ ومدَّ يده وضم أصابعه، وقال مرة: كثير التدليس جدًا، فكان أحسن حديثه عندي ما قال: أخبرني، وسمعت). ومعنى: (مدَّ يده وضم أصابعه)، أي: ضم الأصابع الأربعة، ومدَّ الإبهام- كما جاء مفسرًا- أي: يحتاج إلى متمكن

=

وسعيد بن أبي عروبة أبي النَّضر، وحماد بن سلمة، وأبي عوانة، والأوزاعي عبدالرحمن بن عمرو، وهُشيم بن بَشير أبي معاوية الواسطي، وأبي عروة معمر بن راشد[1] رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ. اهـ

فلما قبض هؤلاء صار العلم إلى ستة نفر إلى:

أبي عبدالرحمن عبدالله بن المبارك، وأبي سعيد يحيى بن سعيد القطان، وأبي سعيد عبدالرحمن بن مهدي، وأبي سفيان وكيع بن الجراح، وأبي زكريا يحيى بن آدم بن سليمان، وأبي سعيد يحيى بن زكريا بن أبي زائدة[2].

١٧٢- قال الشيخ الفقيه نصر بن إبراهيم المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال أبو عليّ صالح[3]: سمعت أصحابنا يقولون: فلما قبض هؤلاء صار العلم إلى أربعة[4]: إلى أبي عبدالله أحمد بن حنبل، وأبي يعقوب إسحاق بن راهويه، وعلي ابن المديني، ويحيى بن معين[5] رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.

متثبت. هذا بخلاف ما رُمي به من بدع؛ منها: أنه كان يتشيع، وينسب إلى القدر؛ قال إبراهيم ابن يعقوب الجوزجاني: (الناس يشتهون حديثه، وكان يُرمى بغير نوع من البدع).

(١) رتبهم عليٌّ ابن المديني في علل الحديث، على الأمصار. (العلل، ص٨٣).

(٢) السادس سقط من المخطوط؛ وهو في علل الحديث لابن المديني (ص٩٠).

(٣) جاء ذكره في المخطوط بـ (أبو صالح). والصحيح: هو أبو عليّ صالح بن محمد البغدادي؛ وهو أحد الرواة الذين رووا هذا الأثر عن علي ابن المديني.
وقد سقط اسم: (عليّ) من الأصل، كما قال محقق تاريخ دمشق (٦٥/ ١٦).

(٤) كما تقدَّم، أن هذا كلام نسبي حسب البلدان والعلوم ونحو ذلك، وحسب تقييم القائل نفسه، وإن كان بعضهم قد اتفق على إمامته في العلم، كالإمام أحمد وغيره.

(٥) وفي تاريخ دمشق؛ قال أبو علي صالح بن محمَّد البغدادي: (أعلم من أدركت بالحديث وعلله: علي ابن المديني).

=

فلما قبض هؤلاء صار العلم- بالمشرق- إلى أربعة نفر:

إلى عبدالله بن عبدالرحمن السمرقندي[(١)]، ومحمد بن إسماعيل البخاري، وأبي زرعة الرازي رَحِمَهُمُاللَّهُ، وإبراهيم بن خالد الجُرْمِيهني[(٢)].

قال أبو صالح[(٣)]:

وصار العلم اليوم- بالمشرق- إلى أبي علي صالح بن محمد البغدادي[(٤)].

زاد هناد: (وأفقههم في الحديث: أحمد بن حنبل، وقالا: وأعلمهم بتصحيف المشايخ: يحيى بن معين، وأحفظهم عند المذاكرة: أبو بكر بن أبي شيبة، زاد هناد: وأمهرهم بالحديث: سليمان الشاذكوني).

وقال أبو عُبيد القاسم بن سلام: (انتهى العلم في زماننا هذا إلى أربعة: إلى أحمد بن حنبل وهو أفقههم فيه، وإلى يحيى بن معين، وهو أكتبهم له، وإلى علي ابن المديني، وهو أعلمهم به- أي: بعلله- وإلى أبي بكر بن أبي شيبة، وهو أحفظهم له).

(١) هو: الدارمي صاحب المسند.

(٢) هو: إبراهيم بن خالد المروزي الجرميهني، أبو إسحاق الحافظ الملقب بالبطيطي، صاحب حديث، مات شابًا سنة خمسين ومئتين. قال السمعاني في الأنساب (٢/ ٤٧): الحافظ إمام الدنيا في عصره، وكان يُشبَّه بإمامي العصر: أبي زرعة عبيدالله بن عبدالكريم الرازي، وأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري في الحفظ والإتقان. وهو الذي يقول فيه بندار: حفاظ الدنيا أربعة، كلهم غلماني: إبراهيم بن خالد الجرميهني، وأبو زرعة، والبخاري، والدارمي.

- وفي تاريخ دمشق؛ قال أحمد بن سيار: حفاظ زماننا أربعة: أبو زرعة عبيدالله بن عبدالكريم بالري، وإبراهيم بن خالد الجرميهني بمرو، ومحمد بن إسماعيل ببخارى، وعبدالله بن أبي عرابة بالشاش.

(٣) لعلَّ الأقرب- والله أعلم- أنه أبو صالح خلف بن محمد بن إسماعيل الخيام البخاري. وهو من تلاميذ أبي علي صالح بن محمد جزرة البغدادي؛ المشار إليه في المتن.

(٤) وهو المتقدِّم قبل قليل، الذي أكمل كلام شيخه ابن المديني، وهو شيخ أبي صالح- قائل هذا الكلام-.

١٧٣- قال الشيخ الفقيه نصر بن إبراهيم المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فهؤلاء أئمة الدين، وجلة الموحدين من لدن رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا، ومن وافقهم من أئمة الفقهاء، وأصحاب الفتاوى، ومن صَنَّف في العلوم ومهَّد؛ لبيان ما تحتاج إليه هذه الأمة، وهم الذين يُعَوَّل عليهم في علوم الشريعة، ويرجع إليهم عند الحوادث النازلة، والأمور المبهمة، فما نطق أحد منهم في بدعة، ولا تكلم بهوى ولا ضلالة؛ بل أجمعوا كلهم على الرجوع إلى كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ وإجماع من أخبر الرسول ﷺ عن صدقهم؛ فكان الواجب علينا الأخذ بما أخذوا به، ولزوم ما صاروا إليه، وعولوا عليه، من أصول الشريعة، ورد ما أحدثه أهل البدع والضلالات، وانتحله أهل الزيغ والجهالات، ومن خالف ليُعرف، وباين الإجماع ليُوصف؛ طلبًا لعاجل الرياسة، ورغبة في حظوة النفاسة.

فنسأل اللهَ تعالى حسن التوفيق بمنِّه وجوده وكرمه، وقد منَّ الله تعالى على أهل السُّنة والآثار، وأصحاب الحديث والأخبار، بالإمام الأنظر والنور الأزهر، مَن نعش الله بعلومه العباد، ونشر ذكره في جميع البلاد؛ أبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعي المطلبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فحصَّل علوم أكثر من تقدم ذكره، وغيرهم من الأئمة، ممن وافقه وعاصره من أهل السُّنة والجماعة؛ فما نَقَل عن أحدٍ منهم شيئًا من البدع، ولا اعتقده، ولا وضعه في شيء من علمه؛ بل نهى عن جميع ذلك وردع، وقد شهدت له الأئمة بالعلم الصائب والرأي الثاقب، والبصيرة النافذة والقريحة الباهرة.

١٧٤- قال الشيخ نصر رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

سمعت الحافظ أبا بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي[1]؛ يقول: قد كان العلم- بالمدينة- انتهى إلى الفقهاء السبعة وهم:

سعيد بن المسيِّب، وعروة بن الزبير، وعبيدالله بن عبدالله بن عتبة، وأبو بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام، وخارجة بن زيد بن ثابت، وسليمان بن يسار، والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.

فأخذ عن هؤلاء السبعة علمهم: محمد بن مسلم ابن شهاب الزهري، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وربيعة بن أبي عبدالرحمن- ربيعة الرأي-، وأبو الزناد عبدالله بن ذكوان رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.

وأخذ الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ علم هؤلاء الأربعة من أصحابهم.

أما الزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فحفظ علمه من مالك، وسفيان بن عيينة، وإبراهيم بن سعد، ومسلم بن خالد الزنجي، وعمه محمد بن علي بن شافع رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.

وأما يحيى بن سعيد، وربيعة، وأبو الزناد: فعن مالك، وسفيان أيضًا.

وكان من فقهاء المدينة ومحدثيها محمد بن عبدالرحمن بن أبي ذئب؛ فلم يدركه الشافعي، لكنه أخذ علمه عن صاحبيه؛ محمد بن إسماعيل بن أبي فُديك، وعبدالله بن نافع الصائغ رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.

---

(١) هو: الخطيب البغدادي؛ صاحب تاريخ بغداد.

وأما أهل مكة:

فانتهى العلم فيهم إلى عطاء، وطاوس، ومجاهد، وعمرو بن دينار، وابن أبي مليكة؛ فأخذ الشافعي علم عطاء عن أصحاب ابن جريج، وهم: مسلم بن خالد، وعبدالمجيد بن عبدالعزيز ابن أبي رَوَّاد[١]، وسعيد ابن سالم القداح[٢]. وهؤلاء كانوا بمكة المشرفة.

ورحل إلى اليمن؛ فأخذ عن هشام بن يوسف قاضي صنعاء، ومطرف ابن مازن؛ وهما من كبار أصحاب ابن جريج رَحِمَهُمُاللَّهُ، وكان ابن جريج

---

(١) قال الإمام أحمد: (عبدالمجيد بن أبي رواد: ثقة، وكان فيه غلو في الإرجاء. وكان يقول- عن أهل السُّنة-: هؤلاء الشُّكاك).
- وقال أبو داود: (كان مرجئًا داعية للإرجاء، وما فسد عبدالعزيز؛ حتى نشأ ابنه عبدالمجيد، وأهل خراسان لا يحدثون عنه). وقال في موضع آخر: (كان عبدالعزيز لا يرى الإرجاء، وما غلا عبدالعزيز في الإرجاء؛ حتى نشأ ابنه عبدالمجيد، وكان عبدالمجيد رأسًا في الإرجاء).
- وقال يعقوب بن سفيان الفسوي: (مبتدع عنيد داعية).
- وقال سلمة بن شبيب: (كنت عند عبدالرزاق، فجاءنا موت عبدالمجيد بن عبدالعزيز بن أبي رَوَّاد، وذلك في سنة ست ومئتين، فقال عبدالرزاق: الحمد لله الذي أراح أمة محمد ﷺ من عبدالمجيد).

(٢) سعيد بن سالم بن أبي الهيفاء القداح المكي؛ قال عنه العُقَيلي: (كان ممن يغلو في الإرجاء، وفي حديثه وهْم).
- وقال ابن حبان: (كان يرى الإرجاء، وكان يهم في الأخبار حتى يجئ بها مقلوبة حتى خرج بها عن حدِّ الاحتجاج به).
- وقال أبو داود السجستاني: (صدوق يذهب إلى الإرجاء).
- وقال يعقوب بن سفيان الفسوي: (له رأي سوء وداعية؛ يرغب عن حديثه). اهـ
- وإنما أخذ الشافعي عنه، وعن عبدالمجيد الرواية فقط.

أخذ العلم من عطاء نفسه.

وأما طاوس، ومجاهد: فإن علمهما انتهى إلى ابن جريج أيضًا، وكان أخذه عن عبدالله بن طاوس، والحسن بن مسلم بن يناق، وإبراهيم بن ميسرة، وشاركه ابن عيينة في السماع من ابن طاوس، وإبراهيم بن ميسرة رَحِمَهُمُ اللَّهُ؛ فأخذ الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ علم ابن جريج عن أصحابه؛ الذين قدَّمنا ذكرهم، وأخذ عن ابن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ نفسه ما كان عنده من هذا النوع.

وعنه أيضًا أخذ علم عمرو بن دينار، وابن أبي مليكة رَحِمَهُمَا اللَّهُ، وبعضه أخذه عن داود بن عبدالرحمن العطار رَحِمَهُ اللَّهُ وكان ممن علت سِنُّه، وتقدَّم سماعه.

وانتهى العلم في الشاميين إلى عبدالرحمن بن عمرو الأوزاعي؛ فأخذ الشافعي علمه، عن صاحبه عمرو بن أبي سلمة التنيسي.

وكان الليث بن سعد رَحِمَهُ اللَّهُ، قد انتهى إليه علم أهل مصر؛ فأخذ الشافعي علمه عن جماعة من أصحابه، والذي عول عليه من بينهم؛ يحيى بن حسان رَحِمَهُ اللَّهُ.

وأخذ الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ علم العراقيين عن فريقين:

فما كان عن أهل الكوفة: عن أبي إسحاق السبيعي، ومنصور بن المعتمر، وسليمان الأعمش، وإسماعيل بن أبي خالد(١) رَحِمَهُمُ اللَّهُ ونحوهم؛

(١) هو: إسماعيل بن هرمز البجلي الأحمسي؛ قال عنه الإمام أحمد: (أصح الناس حديثًا عن الشعبي؛ ابن أبي خالد، شرب العلم شربًا).

فإنه أخذه عن سفيان بن عيينة، وأبي أسامة حماد بن أسامة، ووكيع بن الجراح رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.

وما كان عن أهل البصرة: فأخذه عن إسماعيل بن عُلية، وعبدالوهاب بن عبدالمجيد الثقفي، وغيرهما.

فكمَّل الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مطالعة علم جميع الأمصار، والإشراف على حال علماء سائر الأقطار، ولم يروِ عن واحد منهم شيئًا مما ذهب إليه أهل البدع، ولا تكلموا فيه؛ بل زجروا عنه ومنعوا منه، وحذروا من أهل الكلام، ومنعوا أن يكون أصلًا يرجع إليه، أو يعول في النوازل عليه.

وقد ذكره الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في غير موضع بالمنع والزجر، وأبان عن عَواره، وأظهر من شناره، وحذر من فتنته وسوء مغبته، وأمر بالرجوع إلى الكتاب والسُّنة وإجماع الأمة، وعليه بنى علمه، وصنف كتبه، وسنذكر ذلك في موضعه- إن شاء الله تعالى-[1].

---

(١) من المعلوم لدى الخاصة والعامة أن الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو مجدد المئة الثانية، ولكن الذي لا يعلمه كثيرون أن الشافعي جدَّد الباب الذي نحن اليوم بصدد بيانه وتجليته لطلبة العلم ولعامة المسلمين؛ ألا وهو: (فصل الرأي عن الدِّين)، وساعده على ذلك ما حباه الله به من فقه في الكتاب والسُّنة، ونفوذ النظر فيهما، ودقة الاستنباط منهما. واطلاعٍ واسعٍ بمذاهب السَّلف، مع قوة اللغة، ونور البصيرة، والتمكن من إقامة الحجة وإفحامٍ مناظريه؛ حتى لقبَّه علماء زمانه: «ناصر الحديث والسُّنة». وما ذاك إلا لرده بدعة أهل الرأي، بل جاء في ترجمته أن الإمام أحمد جلس معه مرة، فجاء من يعتب عليه أن ترك مجلس ابن عيينة- شيخ الشافعي- ويجلس إلى هذا الأعرابي! فقال له أحمد: (اسكت، إنك إن فاتك حديث بعلو وجدته بنزول، وإن فاتك عقل هذا أخاف ألا تجده، ما رأيت أحدًا أفقه في كتاب الله من هذا الفتى).

=

- ويتجلى هذا الأمر في الآثار الآتية:
- في آداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم (١/ ٤٢) عن محمد بن يحيى بن حسان، قال: (سمعت أحمد بن حنبل، يقول: (كانت أَقْفِيَتُنَا- أصحاب الحديث- في أيدي أصحاب أبي حنيفة ما تُنْزع، حتى رأينا الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكان أفقه الناس في كتاب الله عز وجل، وفي سنة رسول الله ﷺ، ما كان يكفيه قليل الطلب في الحديث). اهـ
- وفي مناقب الشافعي للآبري (٦٠) قال سعيد بن عمرو البرذعي: (وردت الرَّي، فدخلت على أبي زرعة عبيدالله بن عبدالكريم الرازي، وأخبرته بقول أحمد بن حنبل، فقلت: يا أبا زرعة! سمعت حميد بن الربيع، يقول: سمعت أحمد بن حنبل، يقول: ما أعلم أحدًا أعظم مِنَّةً على الإسلام في زمن الشافعي من الشافعي. فقال أبو زرعة: صدق أحمد بن حنبل! ما أعلم أحدًا أعظم مِنةً على الإسلام في زمن الشافعي من الشافعي، ولا أحدًا ذبَّ عن سنن رسول الله ﷺ مثل ما ذبَّ الشافعي، ولا أحدًا كشف عن سوءات القوم- أي: أهل الرأي- كشفه). اهـ
- وفي ذم الكلام للهروي (١١٢٦) عن عبدالله بن أحمد بن حنبل، قال: (سمعت محمد بن داود، يقول: لم يحفظ في دهر الشافعي كله أنه تكلم في شيء من الأهواء، ولا نُسب إليه، ولا عُرف به، مع بغضه لأهل الكلام والبدع). اهـ
- وفي الحلية لأبي نعيم (٩/ ١٠٣) قال أبو ثور: (كنت أنا وإسحاق بن راهويه، وحسين الكرابيسي، وذكر جماعة من العراقيين **ما تركنا بدعتنا** حتى رأينا الشافعي).
قال أبو عثمان الخوارزمي- أحد الرواة-: (وحدثنا أبو عبدالله التستري عن أبي ثور، قال: لما ورد الشافعي العراق جاءني حسين الكرابيسي- وكان يختلف معي إلى أصحاب الرأي- فقال: قد ورد رجلٌ من أصحاب الحديث يتفقه، فقم بنا نسخر به. فذهبنا حتى دخلنا عليه، فسأله الحسين عن مسألة، **فلم يزل الشافعي يقول: قال الله، وقال رسول الله** ﷺ، حتى أظلم علينا البيت؛ **فتركنا بدعتنا، واتبعناه**). اهـ
- فهذا هو تجديد الشافعي الحقيقي للدين؛ كان من أشد الناس على أهل الهوى والرأي، ولم يتركهم حتى تركوا بدعتهم باعترافهم، **وكانت وسيلته في ذلك: (قال الله، وقال رسوله** ﷺ**)**، وليس بالدخول معهم في قرمطة أو سفسطة، أو ردٍّ للباطل بمثله.
- روى الطبراني في الكبير (٧١٩) عن قتادة، قال: (لما مات أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال مُوَرِّق العِجْلي: ذهب اليوم نصف العلم! فقيل: وكيف ذاك يا أبا المعتمر؟! فقال: كان الرجل من أهل الأهواء إذا خالفنا في الحديث عن رسول الله ﷺ، قلنا له: تعالَ إلى من سمعه منه). اهـ

=

❐ ❐ ❐

- إذا علمت هذا عن الشافعي، فتأمل حال أكثر الشافعية ممن شرحوا كتب الحديث والفقه وكتبوا في التفسير والأصول وسائر الفنون؛ تر العجب العجاب، ولا يستحي أحدهم أن يكتب في ترجمته: (الشافعي مذهبًا، الأشعري معتقدًا، الحكمي خرقة، اليافعي تصوفًا). حتى قال قائلهم:

أنا شافعي في الفروع ويافعي ... في التصوف أشعري المعتقد

وبذا أدين الله ألقاه به ... أرجو به الرضوان في الدنيا وغد

- وكان أبو الحسن القصاب- صاحب القصيدة الرائعة في السُّنة- من أشد الناس جهادًا في الأمر بالتمييز بين الشافعي وأصحابه الحقيقيين وبين أصحاب الأشعري وابن كلاب وأمثالهما المنتحلين للشافعي زورًا وبهتانًا، فكان يغضب جدًا إذا انتسب الأشعريةُ للشافعي، وكان بعض السَّلف يلقنون الموتى البراءة من الأشعرية؛ ففي ذيل طبقات الحنابلة (١/ ٣٨) في ترجمة طاهر بن الحسين بن أحمد بن عبدالله بن القواس البغدادي، وصفه ابن رجب بالفقيه الزاهد الورع، وقال عنه ابن عقيل: (كان حسن الفتوى، متوسطًا في المناظرة في مسائل الخلاف إمامًا في الإقراء، زاهدًا شجاعًا مقدامًا، ملازمًا لمسجده، يهابه المخالفون، حتى إنه لما توفي ابن الزوزني، وحضره أصحاب الشافعي- على طبقاتهم وجموعهم- في فورة أيام القشيري وقوتهم بنظام الملك، فلما بلغ الأمر إلى تلقين الحفار قال له: تنحّ حتى ألقنه أنا، فهذا كان على مذهبنا، ثم قال: يا عبد الله وابن أمته، إذا نزل عليك ملكان فظّان غليظان، فلا تجزع ولا تُرَعْ، فإذا سألاك، فقل: رضيتُ بالله ربًا، وبالإسلام دينًا؛ لا أشعري ولا معتزلي، بل حَنبلي سُنِّي. قال: فلم يتجاسر أحد أن يتكلم بكلمة، ولو تكلم أحد لفَضَخ رأسَه أهلُ باب البصرة). اهـ

٣٠- باب: فضل من اتبع سنة السلف والصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين

١٧٥- عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«سيأتي على أمتي زمان؛ من خاف الله فيه عَزَّ وَجَلَّ، وأخذ بمثل ما أنتم عليه؛ كان له مثل أجر خمسين منكم»[١].

١٧٦- وعن ابن مسعود، وأبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قالا: قال رسول الله ﷺ:

«من ورائكم أيام صبر؛ فالمتمسك بما أنتم عليه؛ له أجر خمسين». قالوا: يا رسول الله! منَّا أو منهم؟ قال: **«منكم»**[٢].

١٧٧- وتقدَّم حديث: **«إن الأمة تفترق على ثلاث وسبعين فرقة، وأن الواحدة ما أنا عليه اليوم وأصحابي»**[٣].

١٧٨- وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«مهما أوتيتم من كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ فالعمل به، لا عذر لأحد في تركه، فإن لم يكن في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ؛ فسنة مني ماضية، فإن لم تكن سنة مني

---

(١) رواه ابن وضاح في البدع، وفيه: عدي بن الفضل؛ متروك.

(٢) رواه الطبراني في الكبير، وهو حديث معضل.

(٣) انظر: (١٥٨) و(١٥٩)، وكذلك مقدمة المصنِّف.

ماضية؛ فبما قال أصحابي، إن أصحابي بمنزلة النجوم في السماء، فبأيهم أخذتم به؛ اهتديتم، واختلاف أصحابي لكم رحمة»[1].

١٧٩- وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«سألت ربي عَزَّوَجَلَّ فيما اختلف فيه أصحابي من بعدي؛ فأوحى الله عَزَّوَجَلَّ إليَّ: يا محمد! إن أصحابك عندي بمنزلة النجوم في السماء، بعضها أَضْوَأُ من بعض، فمن أخذ بشيء مما هم عليه من اختلافهم؛ فهو عندي على هدى»[2].

---

(١) رواه البيهقي في المدخل، والخطيب في الكفاية؛ ولا يصح رفعه؛ فيه سليمان بن أبي كريمة الشامي، وجويبر بن سعيد البلخي؛ وهما متروكا الحديث، وأيضًا فيه انقطاع.
- وأما معناه فصحيح؛ فعن قتادة أن عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ اللَّهُ كان يقول: (ما سرني لو أن أصحاب محمد ﷺ لم يختلفوا، لأنهم لو لم يختلفوا لم تكن رخصة).
- وقال ابن قدامة: (إن اختلاف الأمة رحمة، واتفاقهم حجة).
- ونقل السمهودي عن مالك أن المراد بالاختلاف: (إنما هو في الأحكام).
- ونقل ابن الصلاح عن الإمام مالك أنه قال في اختلاف أصحاب النبي ﷺ: (منهم مخطئ ومصيب؛ فعليك بالاجتهاد).
- ومعنى هذا أن الناس قسمان: مجتهد ومقلد؛ فالمجتهد مكلف بما أداه إليه اجتهاده فلا توسعة عليه في اختلافهم، بل يبحث عن الراجح ويعمل به؛ ولهذا قال مالك: (فعليك بالاجتهاد).
- وأما المقلد فهو مأمور باتباعهم وتقليدهم، وهذا هو الذي عليه التوسعة؛ فقوله: (اختلاف أصحابي رحمة): أي لمقلديهم.
- وفي طبقات الحنابلة (١/ ١١٠) أن إسحاق بن بهلول الأنباري قد سمى كتابه: (كتاب الاختلاف). فقال له الإمام أحمد: (سمِّه كتاب السَّعة).

(٢) رواه البيهقي في المدخل، وابن بطة في الإبانة، ولا يصح رفعه.
- ومن هذا الباب حديث: (أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم). ذكره ابن عبدالبر في جامع بيان العلم (٢/ ٩١)، وقال: (هذا إسناد لا تقوم به حجة).

=

١٨٠- قال صالح بن كيسان رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اجتمعت أنا وابن شهاب، ونحن نطلب العلم؛ فاجتمعنا على أن نكتب السنن، فكتبنا كل شيء سمعنا عن رسول الله ﷺ. ثم قال: نكتب أيضًا ما جاء عن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ فقلت: لا، ليس بسنة؛ قال: بل هو سنة؛ قال: فكتب، ولم أكتب؛ فأنجح وضيعت[1].

١٨١- وقال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لو أن رجلًا من السَّلف الأول، بُعث اليوم ما عرف من الإسلام شيئًا- إلا هذه الصلاة- ثم وضع يده على خده هنية، ثم قال: أما والله مع ذلك لَمَن عاش في هذه النكراء، فرأى مبتدعًا يدعو إلى بدعته، ورأى صاحب دنيا يدعو إلى دنياه، فعصمه الله من ذلك، وجعل قلبه يَحِنُّ إلى ذلك السلف الصالح؛ يسأل عن سبيلهم ويقتص آثارهم ويتبع سبيلهم؛ ليُعوَّض أجرًا عظيمًا، فكذلك فكونوا- إن شاء الله[2].

❒ ❒ ❒

- وقال ابن تيمية في منهاج السُّنة (٤/ ٢٣٨): (ضعَّفه أئمة الحديث).

(١) وفي هذا دليلٌ على حُجية قول الصحابة، وأن العمل به نجاحٌ وفلاحٌ، خلافًا لمن ضيَّع هذا الأصل من الأصوليين وأهل الرأي.

- قال ابن تيمية في الفتاوى: (هذا بابٌ ينبغي للمسلم أن يعتني به وينظر ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ الذين هم أعلم الناس بما جاء به، وأعلم الناس بما يخالف ذلك من دين أهل الكتاب والمشركين والمجوس والصابئين، فإن هذا أصل عظيم؛ ولهذا قال الأئمة- كأحمد بن حنبل وغيره- أصول السُّنة هي التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ). اهـ

(٢) أخرجه ابن وضاح في البدع.

٣١- باب: فضل الجماعة ونجاة أهلها، وضلالة مخالفها وكونه من أهل النار

١٨٢- عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [آل عمران:١٠٦].

قال: أما الذين ابيضت وجوههم؛ فأهل السُّنة والجماعة[١]، وأما الذين اسودت وجوههم؛ فأهل البدعة[٢].

---

(١) وهذه بداية استخدام أهل العلم لهذا المصطلح، أعني: (أهل السنة والجماعة). من عصر الصحابة، ثم تتابع ورود استعمال هذا اللفظ وإطلاقه عن كثير من أئمة السلف، منهم: أيوب السختياني، وسفيان الثوري، والفضيل بن عياض، وأحمد بن حنبل... وغيرهم كثير، فليس مصطلحًا حادثًا كما يدعي بعضهم.

(٢) وهذه الآية قد استدل بها أهل السُّنة والجماعة على عصمة الله للخلق أجمعين عن الوقوع في الشِّرك- ولو لم يأتهم رسول- وذلك عن طريق أخذ الميثاق، فإنَّ من أعظم ما يعصم الخلق عن الإشراك بالله واتخاذ النِّد له؛ هو الميثاق الأول المؤكَّد بالإقرار والشهود، فمن أشرك بالله بعد ذلك؛ فهو خائن لعهده، ناقض لميثاقه، مستوجب لعذابه.

- روى ابن جرير في تفسيره (٤/ ٢٧) عن أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (صاروا يوم القيامة فريقين، فقال لمن اسود وجهه، وعيَّرهم: (أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ)، قال: هو الإيمان الذي كان قبل الاختلاف في زمان آدم، حين أخذ منهم عهدهم وميثاقهم، وأقروا كلهم بالعبودية، وفطرهم على الإسلام، فكانوا أمة واحدة مسلمين، يقول: (أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ)، أي: أكفرتم بعد ذلك الإيمان الذي كان في زمان آدم. وقال في الآخرين الذين استقاموا على إيمانهم ذلك، فأخلصوا له الدين والعمل، فبيض الله وجوههم، وأدخلهم في رضوانه وجنته.

=

١٨٣- وعن أبي عامر الهَوْزَنِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ قال:

حججت مع معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فلما قدم مكة أُخبر برجل قام يقص على أهل مكة- مولى لبني مخزوم- فأرسل إليه معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ فقال: أُمرت بالقَصَص؟ قال: لا؛ قال: فما حملك على أن تقص بغير إذن؟ قال: ننشر علمًا علمنا الله؛ قال: لو كنتُ تقدمتُ إليك قبل مرتي هذه؛ لقطعت منك طابقًا[1]، ثم قام حين صلى الظهر بمكة؛ فقال: إن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن أهل الكِتَابَيْن افترقوا في دينهم على اثنين**

قال ابن جرير: الإيمان الذي يوبخون على ارتدادهم عنه، هو الإيمان الذي أقروا به يوم قيل لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾. وذلك أن الله جلَّ ثناؤه جعل جميع أهل الآخرة فريقين: أحدهما سُودًا وجوههم، والآخر بيضًا وجوههم. فمعلوم- إذ لم يكن هنالك إلا هذان الفريقان- أن جميع الكفار داخلون في فريق من سُوِّد وجهه، وأن جميع المؤمنين داخلون في فريق من بُيِّض وجهه، فلا وجه إذًا لقول قائل: عني بقوله: ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾، بعض الكفار دون بعض، وقد عمَّ الله الخبر عنهم جميعهم، وإذا دخل جميعهم في ذلك، ثم لم يكن لجميعهم حالة آمنوا فيها ثم ارتدوا كافرين بعدُ إلا حالة واحدة، كان معلومًا أنها المرادة بذلك.

فتأويل الآية إذًا: فأما الذين اسودت وجوههم، فيقال: أجحدتم توحيد الله وعهده وميثاقه الذي واثقتموه عليه، بأن لا تشركوا به شيئًا، وتخلصوا له العبادة.

وقوله: ﴿بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ يعني: بعد تصديقكم به.﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾، يقول: بما كنتم تجحدون في الدنيا ما كان الله قد أخذ ميثاقكم بالإقرار به والتصديق.﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾. أي: ممن ثبت على عهد الله وميثاقه، فلم يُبدِّل دينه، ولم ينقلب على عقبيه بعد الإقرار بالتوحيد، والشهادة لربه بالإلوهية، وأنه لا إله غيره). اهـ

(١) الطابق: العضو من أعضاء الإنسان، كاليد، والرجل ونحوهما. وفي حديث عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (إنما أمر في السارق بقطع طابقه، أي: يده). وفي حديث عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (أنَّ غلامًا له أبق، فقال: لئن قدرت عليه؛ لأقطعن منه طابقًا، يريد عضوًا). تاج العروس (٢٦/ ٥٧).

وسبعين، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة- يعني الأهواء- كلهم في النار إلا واحدة؛ وهي الجماعة، وإنه سيخرج في أمتي أقوام تتجارى بهم تلك الأهواء، كما يتجارى الكَلَبُ[1] **بصاحبه، فلا يبقى منه عرق ولا مفصل؛ إلا دخله».** والله يا معشر العرب! لئن لم تقوموا بما جاء به نبيكم ﷺ، لَغيركم من الناس أحرى أن لا يقوم به[2].

١٨٤- وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قام بالجابية خطيبًا؛ فقال: إن رسول الله ﷺ قام فينا كقيامي فيكم؛ فقال:

«أكرموا أصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يظهر الكذب حتى إن الرجل ليحلف ولا يُستحلف، ويشهد ولا يُستشهد، ألا فمن سرَّه بحبوحة الجنة؛ فليلزم الجماعة، فإن الشيطان

---

(١) جاء في لسان العرب (١/ ٧٢١): (الكَلَبُ، بالتحريك: داء يعرض للإنسان من عضِّ الكلب، فيصيبه شبه الجنون، فلا يعض أحدًا إلا كلب، ويعرض له أعراض رديئة، ويمتنع من شرب الماء حتى يموت عطشًا؛ وتقول العرب: إن دواءه قطرة من دم ملك يخلط بماء فيسقاه. ولهم في ذلك أشعار). اهـ

(٢) رواه أحمد، ومن طريقه أبو داود، ورواه ابن أبي عاصم في المذكِّر والتذكير والذِّكر. ومناسبة آخر كلام معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن سبب هذه الخطبة، هو ذلك القاص المولى.

- ومما يُذكر لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في هذا الشأن؛ ما رواه البخاري في صحيحه، عن حُميد بن عبدالرحمن أنه سمع معاوية بن أبي سفيان- عام حجٍّ- على المنبر، فتناول قُصَّةً من شَعْرٍ- كانت في يد حَرَسيٍّ- فقال: (يا أهل المدينة! أين علماؤكم؟ سمعت النبي ﷺ ينهى عن مثل هذه، ويقول: إنما هلكت بنو إسرائيل حين اتخذها نساؤهم). اهـ

مع الفذِّ، وهو من الاثنين أبعد، ولا يخلون رجل بامرأة؛ فإن الشيطان ثالثهما، ومن سرته حسنته، وساءته سيئته؛ فهو مؤمن»(١).

١٨٥- وعن الأسود، عن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«نَضَّرَ الله امرأً سمع مقالتي فحفظها؛ فإنه رُبَّ حامل فقه غير فقيه، ورُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغلُّ عليهن قلب رجل مسلم: إخلاص العمل لله، والنصح لولاة الأمر، ولزوم جماعة المسلمين»(٢).

١٨٦- وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«إن لله عَزَّ وَجَلَّ في كل يوم ثلاثمئة وستين لحظة إلى اللوح المحفوظ، ليس منها لحظة إلا يحيي ويميت فيها، ويعز ويذل فيها، ويرفع قومًا ويضع آخرين، منها سبعون لحظة لأهل الذِّكر»(٣).

---

(١) رواه أحمد، والترمذي، والضياء المقدسي في المختارة.

(٢) رواه الترمذي، والطبراني في الأوسط، وكلمة (يغل) جاء ضبطها هكذا: يُغِلُّ، يَغِلُّ، يَغُلُّ. وفيه زيادة: (فإن دعوتهم تحيط من ورائهم)، وفي لفظ: (فإن رحمة الله تحوط من وراءهم).
- قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة (ص٧٩): (أي لا يحمل الغِلَّ ولا يبقى فيه مع هذه الثلاثة؛ فإنها تنفي الغِلَّ والغِشَّ وفساد القلب وسخائمه... إلى أن قال: وقوله (ومناصحة أئمة المسلمين)، هذا أيضًا منافٍ للغلِّ والغش؛ فإن النصيحة لا تجامع الغلَّ؛ إذ هي ضده، فمن نصح الأئمة والأمة فقد برئ من الغلِّ. وقوله: (ولزوم جماعتهم)، هذا أيضًا مما يُطهر القلب من الغلِّ والغشِّ؛ فإن صاحبه للزومه جماعة المسلمين يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لها، ويسوؤه ما يسوؤهم، ويسره ما يسرهم). اهـ
- وقد استدل الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ بهذا الحديث على مسألتين؛ الأولى: تثبيت خبر الواحد؛ كما في قوله: (نضر الله امرأً)، والثانية: الإجماع؛ كما في قوله: (ولزوم جماعة المسلمين).

(٣) رواه الطبراني في الكبير، واللالكائي في السُّنة، وأبو نعيم في الحلية.

=

قال أبو الحسين محمد بن إسحاق:

هم أهل السُّنة والجماعة؛ الذين يذكرون الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

١٨٧ - وقال عبدالرحمن بن ميمون رَحِمَهُ اللَّهُ:

كتب رجل من إخوان عبدالله بن عمر إلى عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

أما بعد: فاكتب إليَّ من العلم وأكثر، والعلم أكثر من ذلك، فكتب إليه:

أما بعد: فإنك كتبت إليَّ أن أكتب إليك من العلم وأُكْثِر، ولكن من لقي الله عَزَّوَجَلَّ وهو خفيف الظهر من دماء المسلمين، خميص البطن من أموالهم، عفيف اللسان عن أعراضهم، غير مفارق لجماعتهم؛ فليبشر.

١٨٨ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«تفترق هذه الأمة على بضع وسبعين فرقة، إني لأعلم أهداها».

قالوا: وما هي يا رسول الله؟! قال: **«الجماعة»**[1].

١٨٩ - وعنه أيضًا؛ قال: ذكروا رجلًا عند رسول الله ﷺ فذكروا قوته في الجهاد، واجتهاده في العبادة، فأقبل الرجل؛ فقال رسول الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده إني لأرى في وجهه سفعة من الشيطان».**

- والمحفوظ أنه من رواية ابن عباس من قوله، وليس عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ ولفظه: (إن الله خلق لوحًا محفوظًا من درة بيضاء صفحاتها من ياقوتة حمراء، قلمه نور، لله فيه في كل يوم ستون وثلاثمئة لحظة، يخلق ويرزق ويميت ويحيي ويعز ويذل ويفعل ما يشاء)، وليس فيه: (منها سبعون لحظة لأهل الذكر).

(١) رواه ابن عدي في الكامل، والبزار في مسنده.

ثم أقبل فسلم عليهم؛ فقال له رسول الله ﷺ: **«هل حدثت نفسك حين أشرفت علينا؛ أنه ليس في القوم أحد خير منك؟»**، قال: نعم، فذهب فاختط مسجدًا، وصفَّ قدميه يصلي؛ فقال رسول الله ﷺ: **«من يقوم إليه فيقتله؟»**، قال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنا؛ فانطلق فوجده قائمًا يصلي فهاب أن يقتله؛ فقال رسول الله ﷺ: **«أيكم يقوم إليه فيقتله؟»**، فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنا؛ فانطلق إليه فوجده يصلي، فصنع كما صنع أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم قال رسول الله ﷺ: **«أيكم يقوم إليه فيقتله؟»**، فقال عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنا؛ فقال رسول الله ﷺ: **«أنت له إن أدركته»**. فذهب فوجده قد انصرف فرجع؛ فقال رسول الله ﷺ: **«هذا أول قرن خرج من أمتي، لو قتلته ما اختلف اثنان من أمتي، ثم قال: إن بني إسرائيل افترقوا على إحدى وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة؛ وهي الجماعة»**(١).

١٩٠- قال أبو إدريس الخولاني رَحِمَهُ اللَّهُ:

سمعت حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر؛ مخافة أن يدركني؛ فقلت: يا

---

(١) رواه الضياء المقدسي في المختارة، وأبو يعلى في مسنده؛ وفي آخره: (قال يزيد الرَّقَاشِيُّ: فقلت لأنس: يا أبا حمزة! وأين الجماعة؟ قال: مع أمرائكم، مع أمرائكم).
وقال موسى بن عبيدة- أحد الرواة-: (فسمعت محمد بن كعب، يقول: هو الذي قتله علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد ذلك- يعني: ذو الثدية).

رسول الله! إنا كنا في جاهلية وشر؛ فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «**نعم**» قلت: فهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «**نعم، وفيه دخن**» فقلت: وما دخنه؟ قال: «**قوم يهدون بغير هدي، تعرف منهم وتنكر**» قلت: صفهم لنا؛ قال: «**هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا**» قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «**تلزم جماعة المسلمين، وإمامهم**» قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «**فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة؛ حتى يدركك الموت، وأنت على ذلك**»[1].

١٩١- وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾:

«**فأما الذين ابيضت وجوههم؛ فأهل السُّنة، وأما الذين اسودت وجوههم؛ فأهل البدعة والأهواء**»[2].

❑ ❑ ❑

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الدارقطني؛ والمحفوظ أنه من كلام ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وتقدَّم التعليق عليه في أول الباب.

٣٢- باب: كون يد الله على الجماعة ووجوب نصيحتهم

١٩٢- عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال:

خطبنا رسول الله ﷺ بمنى؛ فقال: «**رحم الله امرأً سمع مقالتي فوعاها؛ فرُبَّ حامل فقه غير فقيه، ورُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب رجل مسلم: النصيحة لله ولرسوله ولكتابه، ولولاة الأمر، ولزوم جماعتهم؛ فإن يد الله على الجماعة**»[1].

١٩٣- قال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لا إسلام إلا بطاعة، ولا خير إلا في الجماعة، والنصيحة لله عَزَّ وَجَلَّ ولرسوله ﷺ ولولاة الأمر وللمؤمنين.

❐ ❐ ❐

---

(١) أصله رواه الدارمي وابن ماجه، وهو بهذه الطريق عند البزار في مسنده، والطبراني في مسند الشاميين؛ انظر الحديث ذي الرقم: (١٨٥).

٣٣- باب: فضل العمل في الجماعة وبطلانه في الفُرقة

١٩٤- عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«من عمل لله في الجماعة؛ فأصاب تقبل منه، وإن أخطأ غفر له، ومن عمل في الفرقة؛ فإن أصاب لم يتقبل منه، وإن أخطأ فليتبوأ مقعده من النار»[١].

١٩٥- وفي لفظ آخر: **«من عبدالله في الجماعة...»**، إلى آخره.

١٩٦- وقال معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لأن أصلي صلاة في جماعة، أحبّ إليَّ من أن أصلي الدهر كله وحدي، ولأن أصوم يومًا في جماعة[٢]، أحبّ إليَّ من أن أصوم الدهر كله وحدي.

❐ ❐ ❐

---

(١) رواه الطبراني في الكبير، والأوسط، وابن بطة في الإبانة. فيه: نوح بن أبي مريم؛ متروك.
ومعنى: (عمل في الفرقة)، أي: أنه فارق جماعة المسلمين- في غير أوقات الفتن- مُشاقًا لهم منفردًا برأيه عنهم.

(٢) المقصود: الصيام في رمضان مع الإمام وفي جماعة المسلمين. وليس المقصود اتفاق جماعة من الناس على صيام يوم بعينه ليس عليه دليل؛ فإن هذا لم يَرِدْ.

٣٤- باب: عقوبة تارك الجماعة في الدنيا والآخرة وهو مفارق السُّنة

١٩٧- عن شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«أتاني جبريل وميكائيل وإسرافيل مع كل واحد منهم سبعون ألف ملك؛ فقالوا: يا محمد! إن الله عَزَّ وَجَلَّ يقرئك السَّلام، ويقول لك: بلغ أمتك: أنه من مات منهم وهو مفارق الجماعة، لا يشم رائحة الجنة؛ ولو كان أكثر أهل الأرض عملًا، ومن ترك الجماعة؛ لعنته أنا وملائكتي، وقد لعنتُه في التوراة والإنجيل والزبور، وتارك الجماعة يمسي ويصبح في لعنتي وسخطي»**[1].

١٩٨- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة فمات؛ فميتته ميتة جاهلية، ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها، لا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفي لذي عهد عهده؛ فليس من أمتي، ومن قُتل تحت راية عِمِّيَّة يغضب للعصبية، ويدعو للعصبية فقُتِل؛ فقِتْلَةٌ جاهلية»[2].

---

(١) لم أجده؛ وفي رفعه نظر.
وصحَّ عن الفُضيل بن عياض: (لا يَشُمُّ مبتدع رائحة الجنة، أو يتوب).

(٢) رواه مسلم.

١٩٩- وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ:

«من خالف الجماعة شبرًا؛ فقد خلع رِبقة الإسلام من عنقه»(١).

٢٠٠- وتقدَّم حديث:

«الإثم ثلاث: الإشراك بالله عَزَّ وَجَلَّ، ونكث العهد، وترك السُّنة». قيل: يا رسول الله! وما ترك السُّنة؟ قال: **«الخروج من الجماعة»**(٢).

٢٠١- وقال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

والله ما فارق رجل الجماعة شبرًا؛ إلا فارق الإسلام.

٢٠٢- وعن فَضالة بن عُبيد: أن رسول الله ﷺ قال:

«ثلاثة لا يُسألُ عنهم: رجل فارق الجماعة وعصى الإمام ومات عاصيًا؛ لا يُسأل عنه، وأمة أو عبد أَبَق من سيده فمات؛ فلا يسأل عنه أحد، وامرأة غاب عنها زوجها وقد كفاها مؤنة الدنيا، فتبرجت بعده؛ فلا يُسألُ عنها»(٣).

❒ ❒ ❒

---

(١) رواه أحمد، وأبو داود.

(٢) انظر الحديث رقم: (١٢١).

(٣) رواه أحمد في مسنده، وابن حبان في صحيحه، والحاكم في مستدركه وصححه.
- وفي آخره زيادة: (وثلاثة لا يسأل عنهم: رجل ينازع الله رداءه، فإن رداءه الكبر وإزاره العز، ورجل في شكٍّ من أمر الله، والقانط من رحمة الله). ومعنى: (فتبرجت بعده) أي: فخانته بعده؛ كما في الرواية الآخرى.
- ومعنى: (لا يُسأل عنهم)، أي: لا تسأل عن حالهم وخبرهم؛ فإنهم في شرٍّ، فظن بهم شرًا.

٣٥- باب: التغليظ في ذلك وغيره

٢٠٣- عن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»(١).

٢٠٤- وعن أسامة بن شريك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من جاء إلى أمتي وهم جميع، يريد أن يفرق بينهم؛ فاقتلوه كائنًا من كان»**(٢).

٢٠٥- ومثله عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا(٣).

٢٠٦- وعن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، عن أبيه: عن رسول الله ﷺ قال: **«من أُذِل عنده مؤمن، فلم ينصره وهو يقدر على أن ينصره؛ أذلَّه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة»**(٤).

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه ابن أبي عاصم في السُّنة، والطبراني في الكبير، وله شاهد.

(٣) لم أجده من رواية ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ ولعلَّه أراد عَرْفَجَة بن شُرَيح، فهو الذي جاء ذكره في جميع روايات هذا الحديث مع أسامة بن شريك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) رواه أحمد، والطبراني في الكبير.

=

٢٠٧- وبسنده عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا؛ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«من خرج من الجماعة قِيد شبر؛ فقد خلع رِبْقة[1] الإسلام من عنقه، حتى يراجعها»[2].**

- ولم يتبيّن لي سبب إيراد المؤلِّف هذا الحديث في باب التغليظ على من فارق الجماعة. إلا إن كان يقصد أن إذلال المؤمن وعدم وجود من ينصره لا يكون إلا في حال عدم وجود جماعة من المؤمنين ينصر بعضهم بعضًا، وأن هذا من الآثار السيئة للفُرْقة وعدم الجماعة.

- ومما يدل للمعنى الذي أراده المؤلِّف، ما رواه البخاري في الأدب المفرد (٧٣٤) عن ابنِ أمِّ عبد، قال: (من اغتيب عنده مؤمنٌ فنصره، جزاه الله بها خيرًا في الدنيا والآخرة، ومن اغتيب عنده مؤمنٌ، فلم ينصره، جزاه الله في الدنيا والآخرة شرًّا، وما التقم أحدٌ لقمةً شرًّا من اغتياب مؤمنٍ؛ إن قال فيه ما يعلمُ، فقد اغتابَه، وإن قال فيه بما لا يعلم، فقد بهتَه). اهـ

(١) الرّبق- بكسر الراء المشددة وفتحها-: الحبل أو الحلقة أو العقدة تشد بها الغنم في أعناقها، واستعيرت للإسلام، فيقال: (خلع ربقة الإسلام)، أي: فارق الجماعة. و(خلع الربقة عن عنقه)، أي: نقض عهده. انظر: لسان العرب، مادة ربق، وانظر: المحكم والمحيط الأعظم.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا بهذا السِّياق، وقال الحاكم (١/ ١١٧): (هذا الحديث حُجَّةٍ للعلماء بأن الإجماع حُجَّة). اهـ

ورواه أحمد ومسلم عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا بلفظ: (من نزع- وفي رواية: خلع- يَدًا من طاعةٍ، فلا حُجَّة له يوم القيامة، ومن مات مفارقًا للجماعة، فقد مات ميتة جاهلية). وفي الباب عن ابن عباس، وأبي هريرة، وعامر بن ربيعة، ومعاوية بن أبي سفيان، وحذيفة بن اليمان، وأبي ذر.

- وجاءت موقوفة على الصحابة من أمثال علي بن أبي طالب، وحذيفة بن اليمان.

- روى ابن أبي شيبة في المصنف وكتاب الإيمان، عن أبي صادق، عن عليٍّ، قال: (إن الإسلام ثلاث أثافي: الإيمان والصلاة والجماعة، فلا تُقبل صلاة إلا بإيمان، ومن آمن صلى، ومن صلى جامع، ومن فارق الجماعة قيد شبر؛ فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه). اهـ

- وفي الإبانة الكبرى، عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال: (من أقرَّ باسم من هذه الأسماء المحدثة- أي: فارق الجماعة ورضي بهذه الأحزاب- فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه). اهـ

- قال الشَّاعر في وصفهم:

=

٢٠٨- وعن سعيد بن جبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى:
﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [طه:٨٢].
قال: لزم السُّنة والجماعة.

٢٠٩- وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
«توضئوا مما غيَّرت النار، ولو من ثَوْرٍ من أَقِط».

فقال عبدالله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: يا أبا هريرة! إنا نتوضأ من الحميم وقد أُغْلِي على النار، وإنا لنتدهن بالدهن وقد طُبخ بالنار!

فقال أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: يا ابن أخي! إذا سمعت الحديث يُحدَّث به عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فلا تضرب له الأمثال. وقد تقدَّم[1].

٢١٠- وعن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
«كيف أنتم وأئمة من بعدي يستأثرون بهذا الفيء؟».

فقطعوا ربقة الإسلام وانقطعوا ... عن الجماعةِ أهلِ الحق وانخذلوا
وأصبحوا مثل أُتْنٍ لا رُعاة لها ... بلى لها من هوى شيطانها طِيَلُ

وصدق! فكلٌّ من فارق الجماعة؛ أصابه الخذلان، وجاءته الشياطين فاجتالته حتى يكون مثل الأتن لا رعاة لها.

(١) رواه ابن ماجه، وذِكْرُ المؤلِّف هذا الحديث في هذا الباب مُشكلٌ؛ لأن الباب في مفارقة الجماعة، إلا إذا أراد أن مفارقة السُّنة هي مفارقة للجماعة والعكس، وابن عباس لم يعارض السُّنة برأيٍ أو قياسٍ، وإنما أراد التثبت من أبي هريرة، وتقدَّم بسط هذه المسألة عند الأثر رقم: (٢٩).
والأقط: اللبن المحمض يجمد حتى يستحجر ويطبخ. والثَوْر قطعة منه.

قلت: إذًا والذي بعثك بالحق! أضع سيفي على عاتقي، ثم أضرب به حتى ألقاك أو ألحقك؛ قال: «**أو لا أدلك على خيرٍ من ذلك؟ تصبر حتى تلقاني**»(١).

٢١١- وعن علي بن الحسين عن أبيه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من حُسن إسلام المرء؛ تركه ما لا يعنيه**»(٢).

❒ ❒ ❒

---

(١) رواه أحمد، وأبو داود. وجاء بـ(الفيء) دون غيره من الأموال لمزيد إظهار ظلمهم واستئثارهم بحقوق غيرهم، فهم يأخذون مال بيت المال، وما حصل من الغنيمة والفيء ويستخلصونه لأنفسهم ولا يعطونه لمستحقيه. وهذه صورة بشعة جدًا من الاستئثار، ومع ذلك قال في آخر الحديث: (اصبر حتى تلقاني).

(٢) رواه مالك في الموطأ، ومن طريقه الترمذي في سننه، ورواه أحمد في مسنده، وفي لفظ: (إن من حُسْن إسلام المرء؛ قلة الكلام فيما لا يعنيه). وله شاهدٌ رواه الترمذي عن أبي هريرة.
- ومن اللطائف أن المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أتى بهذا الحديث بعد حديث استئثار الولاة بالفيء دون رعيتهم؛ ليدل على أن ترك الكلام في ولاة الأمر والخوض فيهم ونشر مثالبهم ومساوئهم من حسن إسلام المرء. وأن الواجب على من كانت عنده مظلمة أو نصيحة لذي سلطان؛ فلا يكلمه بها علانية وليذهب إليه ويأخذ بيده وليخل به فإن قبلها قبلها، وإلا كان قد أدى الذي عليه- كما قال النبي ﷺ-. وجاء في الحديث: (إن الله يرضى لكم ثلاثًا ويسخط لكم ثلاثًا؛ يرضى لكم: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا، وأن تناصحوا من ولَّى الله أمركم، والذي يكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال). فجمع بين النصيحة لهم وبين المنع من قيل وقال.
- ويجوز أن يكون معنى حسن إسلام المرء: حسن تسليمه، فمن بايع الإمام؛ فإن من حسن تسليمه له ألا ينكث البيعة ولا يشق العصا ولا يفرق كلمة المسلمين وجماعتهم، ولا ينزع يده من طاعة الإمام ولا يخرج عليه بلسانه ويده وقلبه؛ كما تقدَّم في الحديث: (أما نكث الصفقة: فالإمام تُعطيه بيعتك، ثم تُقْبِلُ عليه، تقاتله بسيفك).

جماع أبواب النهي عن:

الكلام والأهواء والبدع والجدل والخصومات في الدين،

وما يتشعب من ذلك مع ما تقدَّم بيانه.

ووجوب الرجوع إلى:

الكتاب والسُّنة والإجماع، دون ما سوى ذلك.

٣٦- باب: من ذم الكلام من الأئمة، ونهى عنه ولم يجعله من جُملة العلم(١)

(١) القول في علم الكلام يشتمل على عدة مباحث:

أولًا: تعريفه: هو خليط من الأدلة العقلية المنطقية، والقواعد الفلسفية؛ يراد منه إثبات العقائد والرد على المخالفين باستخدام هذه الأدلة والقواعد، وطريقه في ذلك: الألفاظ البدعية والمعاني المجملة مما لم يستخدمه أهل السُّنة والجماعة مثل: العرض والجوهر، وهو في الأصل علم نشأ في بيئة وثنية خالية من التوحيد، أساسه الفلسفة اليونانية، وبيئة المجتمع الإغريقي الإباحي المنحل. وهو الذي عناه الإمام مالك بقوله: (إياكم والبدع، قيل: يا أبا عبدالله! ما البدع؟ قال: أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته، وكلامه، وعلمه، وقدرته، ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة وتابعوهم). وهو علم مذموم حتى لو نوى به صاحبُه ردَّ الباطل، أو الدعوة إلى الحق. ولذلك قال عبدالرحمن بن مهدي لما قيل له: إن فلانًا قد صنف كتابًا في السُّنة يرد به على فلان. فقال عبدالرحمن: (ردًّا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ؟ قالوا: بكلام؛ فقال: ردَّ باطلًا بباطل!).

ثانيًا: نشأته: يقول ابن تيمية: (في أواخر عصر التابعين حدث ثلاثة أشياء: الرأي، والكلام، والتصوف، فكان جمهور الرأي في الكوفة، وكان جمهور الكلام والتصوف في البصرة).

قال الشهرستاني في الملل والنحل (١/ ٣٠): (ثم طالع بعد ذلك شيوخ المعتزلة كتبَ الفلاسفة حين نشرت أيام المأمون فخَلطت مناهجها بمناهج الكلام وأفردتها فنًا من فنون العلم وسمتها باسم الكلام).

ثالثًا: سبب تسميته بهذا الاسم: قيل: لأن أول خلاف وقع في الدين كان في كلام الله؛ أمخلوق هو أم غير مخلوق؟ فتكلَّم الناس فيه؛ فسمي هذا النوع من العلم كلامًا، واختص به.

وقيل: لأن هذا العلم كلام صِرْفٌ، وليس تحته عمل.

رابعًا: موضوعاته: الوحدانية، والمعاد، وإثبات النبوات، والوعد والوعيد، والإيجاب على الله، والتجويز، وهو قولهم: يجب على الله ألا يعذبنا، أو ننفي قَدَره وخلقه ومشيئته، وأنه يجوز على الله تعذيب ملائكته وأنبيائه، وأهل طاعته، وإكرام إبليس وجنوده، وجعلهم فوق أوليائه في النعيم المقيم- كما تقول الأشعرية المتكلمون-.

=

خامسًا: أشهر المتكلمين: المتكلمون كثيرون، وليسوا على درجةٍ واحدة، حيث يدخل في اسم (أهل الكلام) كثير من الطوائف كالجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية والكلابية والزنادقة والفلاسفة والصوفية والرافضة، والزيدية والإمامية وغيرهم. ومن المشاهير: أبو حنيفة النعمان بن ثابت- وهو أول من أحدث الرأي- والجعد بن درهم، والجهم بن صفوان، ومعبد الجهني، وغيلان القدري، وبشر المريسي، وحفص الفرد، وواصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، وذر بن عبدالله الهمداني- وهو أول من أخرج العمل عن مسمى الإيمان- وقيس الماصر- وقيل: هو أول من أحدث الإرجاء- وحماد بن أبي سليمان، ويونس الأسواري، وأبي الهذيل العلاف، وإبراهيم النَّظام، والحارث المحاسبي، والقلانسي، وابن كُلّاب، وحسين الكرابيسي، وأبو الحسن الأشعري، وأبو منصور الماتريدي، وأبو بكر الباقلاني، وأبو المعين النسفي، والملقب بإمام الحرمين الجويني، وأبو حامد الغزالي، والملقب بفخر الدين الرازي، والشهرستاني، والآمدي، والقاضي الإيجي، وسعد الدين التفتازاني، والشريف الجرجاني، وغيرهم.

سادسًا: موقف أهل البدع من هذا العلم: كلام أبي حامد الغزالي، وأبي المعالي الجويني، والآمدي وأشباههم في ضرورة تعلم هذا النوع من العلم مشهور ومعروف. وممن حثَّ عليه من المتأخرين:

١- النووي كما في شرح مسلم (٦/ ١٥٥)، حيث قال: (قال العلماء: البدعة خمسة أقسام: واجبة ومندوبة ومحرمة ومكروهة ومباحة، فمن الواجبة نظم أدلة المتكلمين للرد على الملاحدة والمبتدعين وشبه ذلك). وهذا التقسيم نفسه من آثار الكلام، ثم إنه جعل تعلم الكلام من البدع الواجبة! ورسول الله ﷺ يقول: (كل بدعة ضلالة).

٢- ابن حجر الهيتمي في (الفتاوى الحديثية ص٢٧) حيث قال: (وأما تعلم الحجج الكلامية والقيام بها؛ للرد على المخالفين فهو فرض كفاية، اللهم إلا إن وقعت حادثة وتوقف دفع المخالف فيها على تعلم ما يتعلق بها من علم الكلام أو آلاته فيجب عينًا على من تأهل لذلك، فيتعلمه للرد على المخالفين!!).

سابعًا: موقف أهل السُّنة من علم الكلام: حذَّر السلف تحذيرًا شديدًا مِنْ تعاطي هذا العلم والاشتغال به ومجالسة أصحابه والرد عليهم، والخوض معهم- كما سيمر بك في هذا الكتاب- بل لا يوجد كتاب من كتب السُّنة إلا ينهى عن هذا النوع من العلم ويذمه، وأفردوا لذلك المصنفات كما فعل أبو إسماعيل الهروي في كتابه النفيس: (ذم الكلام وأهله).

- قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الكلام في الدين أكرهه، ولم يزل أهل بلدنا يكرهونه، ولا أحبُّ الكلام إلا فيما تحته عمل. فأما الكلام في الدين وفي الله؛ فالسكوت أحب إليَّ؛ لأني رأيت أهل
=

بلدنا ينهون عن الكلام في الدين إلا ما تحته عمل). اهـ

- وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالته للخليفة المتوكل في أمر القرآن: (ولست بصاحب كلام ولا أرى الكلام في شيء من هذا، إلا ما كان في كتاب الله أو في حديث عن النبي ﷺ أو عن أصحابه أو عن التابعين، فأما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود).

- وعن صالح بن أحمد بن حنبل، قال: (كتب رجل إلى أبي فسأله عن مناظرة أهل الكلام والجلوس معهم فأملى عليّ جوابه: أحسن الله عاقبتك ودفع عنك كل مكروه ومحذور، الذي كنا نسمع وأدركنا عليه من أدركنا من أهل العلم أنهم كانوا يكرهون الكلام والخوض مع أهل الزيغ، وإنما الأمر بالتسليم والانتهاء إلى ما في كتاب الله).

- وقال: (لا يفلح صاحب كلام أبدًا ولا أرى أحدًا نظر في الكلام إلا في قلبه دغل).

ثامنًا: أسباب نهي السلف عن علم الكلام: المتأمل في نهي السلف عن هذا العلم وتشديدهم في ذلك يجد أنه يرجع إلى أمور، منها:

١- أنه يؤول بصاحبه إلى البدعة أو الكفر أو الشك أو الحيرة أو التشويش.

قال البربهاري: (واعلم أنها لم تكن زندقة ولا كفر ولا شكوك ولا بدعة ولا ضلالة ولا حيرة في الدين، إلا من الكلام وأهل الكلام). وكما قيل: أكثر الناس شكًّا عند الموت: أهل الكلام.

٢- أنه يتضمن حكاية مذاهب أهل البدع والأهواء، وذكر شبهاتهم ونشر مذهبهم، وقد أُمرنا بإخمادها، فإن الشبهة كثيرًا ما تكون واضحة ويكون الجواب عنها خفيًا؛ ولذلك هجر الإمام أحمد الحارث المحاسبي مع إظهاره الزهد والرقائق؛ لأسباب منها: تصنيفه كتابًا في الرد على المبتدعة، وقال له: (ويحك تحكي بدعتهم أولًا، ثم ترد عليهم؛ ألست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة، والتفكر في تلك الشبهات، فيدعوهم ذلك إلى الرأي والبحث). وقال أحمد: (علماء الكلام؛ زنادقة).

٣- أنه يتضمن سقوط هيبة الربِّ من القلب، قال الشافعي: (لقد سمعت من حفص الفرد كلامًا لا أقدر أن أحكيه). وقال ابن المبارك: (نحكي كلام اليهود والنصارى، ولا نحكي كلام الجهمية).

٤- أنه يتضمن ترك العمل؛ فإن الله إذا غضب على قوم فتح لهم باب الجدل، وحجب عنهم باب العمل؛ ومن أجل ذلك كان كثير من المتكلمين المقتصرين على الكلام رقيقي الدين، حتى نُقل عن بعضهم التهاون بإقامة الصلاة. وقد نَقل أبو إسماعيل الهروي عن أبي الحسن الأشعري أخبارًا مخزية من تركه الصلاة في كتابه: (ذم الكلام وأهله).

٥- أنه يتضمن التكلف والتنطع الذي نهى عنه النبي ﷺ بقوله: (هلك المتنطعون).

=

٢١٢- قال أبو نعيم[١]: سمعت الرَّبيع؛ يقول:
سمعت الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وناظره رجل من أهل العراق فخرج إلى شيء من الكلام؛ فقال له: هذا من الكلام فَدَعْهُ[٢].

٦- أنه يتضمن مجالسة المبتدعة ومناظرتهم وقد نُهينا عن ذلك؛ قال اللالكائي: (فما جُنى على المسلمين جناية أعظم من مناظرة المبتدعة، ولم يكن لهم قهر وإذلال أعظم مما تركهم السلف على تلك الحالة، يموتون من الغيظ كمدًا، ولا يجدون إلى إظهار بدعتهم سبيلًا، حتى جاء المغررون ففتحوا إليهم طريقًا، وصاروا لهم إلى هلاك الإسلام دليلًا، حتى كثرت بينهم المشاجرة، وظهرت دعوتهم بالمناظرة، وطرقت بدعهم أسماع من لم يكن عرفها من الخاصة والعامة). اهـ

- وقال الدارمي عن أهل الكلام- بعد ذكره لمقتل الجعد بن درهم-: (ثم لم يزالوا بعد ذلك مقموعين، أذلة مدحورين، حتى كان الآن بأَخَرَة، حين قلَّت الفقهاء، وقبض العلماء، ودعا إلى البدع دعاة الضلال، فشد ذلك طمع كل متعوذ في الإسلام- أي: مستتر به- من أبناء اليهود والنصارى وأنباط العراق، ووجدوا فرصة للكلام فجدوا في هدم الإسلام، وتعطيل ذي الجلال والإكرام، وإنكار صفاته وتكذيب رسله وإبطال وحيه، إذ وجدوا فرصتهم وأحسوا من الرعاع جهلًا، ومن العلماء قلة، فنصبوا عندها الكفر للناس إمامًا، بدعوتهم إليه وأظهروا لهم أغلوطات من المسائل، وعمايات من الكلام ليغالطوا بها أهل الإسلام). اهـ

(١) هو: أبو نعيم عبدالملك بن محمد بن عدي الجرجاني الإستراباذي الفقيه، صاحب الربيع بن سليمان. قال ابن عساكر في تاريخ دمشق (١/ ٥٤): (قال الخطيب: كان أحد أئمة المسلمين ومن الحفاظ في الشرائع والدين مع صدق وتورع وضبط وتيقظ، سافر الكثير وكتب بالعراق والحجاز والشام ومصر. ومات حدود سنة عشرين وثلاثمئة. قلت: وكان ينصر السُّنة بجرجان).
وفي طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (١/ ١١٢) قال الحاكم: (كان من أئمة المسلمين سمعت حسان بن محمد الفقيه يقول: لم يكن في عصرنا من الفقهاء أحفظ للفقهيات وأقاويل الصحابة بخراسان منه). وقال أبو علي النيسابوري: (ما رأيت بخراسان بعد ابن خزيمة مثله).

(٢) كان الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أشد الناس على أهل الكلام والأهواء؛ حتى قال الحسن بن محمد الزعفراني: (سمعت الشافعي يقول: حكمي في أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد، ويحملوا
=

٢١٣- وقال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مبسوطه في الوصايا:
لو أنَّ رجلًا وصى بكتبه من العلم لآخر، وكان فيها كتب الكلام؛ لا تدخل في الوصية؛ لأنها ليست من كتب العلم[1].

على الإبل، ويطاف بهم في العشائر والقبائل، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسُّنة، وأخذ في الكلام).

- وحكم الشافعي هذا يحتاج منا إلى وقفة تأمل، فإنه لم ينظر إلى حسن مقصدهم، ولم يقل: هؤلاء إخواننا يُبيّن لهم برفق، ولم يقل: نفع الله بهم في الرد على الملحدين، ولم يقل: فيهم أفاضل وعلماء. وإنما حكم عليهم بالضرب بالجريد والنعال.

- وقال محمد بن عبدالله بن عبدالحكم: (سمعت الشافعي، يقول: لو علم الناس ما في الكلام والأهواء، لفروا منه كما يفرون من الأسد).

-وقال حرملة بن يحيى: (سمعت الشافعي، يقول: ما في أهل الأهواء أمة أشهد بالزور من الرافضة).

- وقال ابن تيمية في الاستقامة (١/ ١٥): (الشافعي من أعظم الناس ذمًّا لأهل الكلام ولأهل التغيير، ونهيًا عن ذلك، وجعلًا له من البدعة الخارجة عن السُّنة، ثم إن كثيرًا من أصحابه عكسوا الأمر! حتى جعلوا الكلام الذي ذمَّهُ الشافعي هو السُّنة وأصول الدين الذي يجب اعتقاده وموالاة أهله، وجعلوا موجب الكتاب والسُّنة الذي مدحه الشافعي هو البدعة التي يعاقب أهلها). اهـ

- وانظر الآن تجد أكثر الذين ينتسبون للشافعي من شُرَّاح الأحاديث وتفسير القرآن؛ هم أئمة أهل الكلام والأهواء.

- وأما ما تقدَّم عن الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه ربما ناظر حفصًا الفرد أو غيره، وربما تناظر عنده أهل البدع؛ فهذا وجهه أنه يحصل اتفاقًا، فإن أهل البدع أقلّ الناس حياءً ومروءة، وهم يبتلون الناس في بيوتهم وحلقاتهم، فكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا اعترضه ثعبان في طريقه قتله، ولم يكن يبحث عن الثعابين ويترك الطريق، وقد بيَّن أبو إسماعيل الهروي في كتابه ذم الكلام وأهله حقيقة أمر الشافعي بيانًا شافيًا؛ فليراجع هناك، وسيأتي عنه بعد قليل من الآثار ما يشرح صدور المؤمنين.

(١) بل يحرم النظر في كتب الكلام؛ وقد صنَّف ابن قدامة كتابًا سماه: (تحريم النظر في كتب الكلام). وكل كتاب في أمر الدين ليس فيه وحي أو أثر؛ فهو من الكلام.

=

٢١٤- وقال عبدالرحمن بن مهدي:

دخلت على مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ وعنده رجل يسأله عن القرآن والقَدَر؛ فقال: لعلَّك من أصحاب عمرو بن عبيد؛ لعن الله عمرًا، فإنه

وقال ابن خويز منداد المصري المالكي: (قال مالك: لا تجوز الإجارات في شيء من كتب الأهواء والبدع والتنجيم، وذكر كتبًا، ثم قال: كتب أهل الأهواء والبدع عند أصحابنا؛ هي كتب أصحاب الكلام من المعتزلة وغيرهم، وتفسخ الإجارة في ذلك. قال: وكذلك كتب القضاء بالنجوم، وعزائم الجن وما أشبه ذلك).

- بل لو أوصى رجل بمال يوزع بين طلاب العلم، فلا يدخل أصحاب الرأي فيها:

- ففي المحَدِّث الفاصل (١/ ٢١٠) قال سليمان بن داود المنقري: (وَجَّه المأمون- عبدالله بن هارون- إلى محمد بن عبدالله الأنصاري خمسين ألف درهم، وأمر أن يقسمها بين الفقهاء بالبصرة؛ فكان هلال بن مسلم- من أهل الرأي- يتكلم عن أصحابه. قال الأنصاري: وكنت أنا أتكلم عن أصحابي- أي: من أهل الحديث- فقال هلال: هي لي ولأصحابي، وقلت أنا: بل هي لي ولأصحابي، فاختلفنا؛ فقلنا لهلال: كيف تتشهد، فقال هلال: أوَ مثلي يُسأل عن التشهد؟! قلت: إنما عليك الجواب، والجواب عن الواضح السهل أولى؛ فتشهد هلال على حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ فقال له الأنصاري: من حدَّثك به، ومن أين ثبت عندك؟ فبقي هلال- أي: فانقطع- ولم يجبه؛ فقال الأنصاري: تصلي في كل يوم وليلة خمس صلوات، وتردد فيها هذا الكلام، وأنت لا تدري من رواه عن نبيك ﷺ، قد باعد الله بينك وبين الفقه؛ فقسمها الأنصاري في أصحابه). اهـ

- وعلى مثل هذا قال فقهاء المذاهب في باب الأيمان: (لو حلف ألا ينظر في كتب العلم، فنظر في كتب الكلام؛ لم يحنث).

- وفي باب النذور، قالوا: (لو نذر أن يقرأ في كتب العلم، فنظر في كتب الكلام؛ لم يفِ بنذره).

- بل لو سرق رجل شيئًا من هذه الكتب فلا قطع عليه؛ فعن حرب بن إسماعيل، قال: (سألت إسحاق ابن راهويه، قلت: رجل سرق كتابًا من رجل فيه رأي جهم أو رأي القدر؟ قال: يرمي به. قلت: إنّه أُخذ قبل أن يحرقه أو يرمي به، هل عليه قطع؟ قال: لا قطع عليه، قلت لإسحاق: رجل عنده كتاب فيه رأي الإرجاء أو القدر أو بدعة، فاستعرته منه فلما صار في يدي؛ أحرقته أو مزقته؟ قال: ليس عليك شيء). اهـ

ابتدع هذه البدعة من الكلام، ولو كان الكلام علمًا؛ لتكلم بـه الـصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والتابعون، كما تكلموا في الأحكام والشرائع؛ ولكنه باطل يـدل على باطل[1].

(١) قال أبو المظفر السمعاني في الانتصار لأصحاب الحديث (١/ ٢٤): (اعلم أن الأئمة الماضين وأولي العلم من المتقدمين لم يتركوا هذا النمط من الكلام وهذا النوع من النظر عجزًا عنه ولا انقطاعًا دونه، وقد كانوا ذوي عقول وافرة وأفهام ثاقبة، وقد كانت هذه الفتن قد وقعت في زمانهم وظهرت، وإنما تركوا هذه الطريقة وأضربوا عنها لما تخوفوه من فتنتها، وعلموه من سوء عاقبتها وسوء مغبتها، وقد كانوا على بينة من أمورهم وعلى بصيرة من دينهم، لما هداهم الله بنوره وشرح صدورهم بضياء معرفته؛ فرأوا أن فيما عندهم من علم الكتاب وحكمته وتوقيف السُّنة وبيانها غناء ومندوحة مما سواها، وأن الحجة قد وقعت وتمت بها، وأن العلة والشبهة قد أزيحت بمكانها، فلما تأخر الزمان بأهله وفترت عزائمهم في طلب حقائق علوم الكتاب والسُّنة، وقَلَّت عنايتهم بها واعترضهم الملحدون بشبههم، والطاعنون في الدين بجدلهم، حسبوا أنهم إن لم يردوهم عن أنفسهم بهذا النمط من الكلام ودلائل العقل لم يقووا عليهم، ولم يظهروا في الحجاج عليهم، فكان ذلك ضِلَّة من الرأي وخدعة من الشيطان، فلو سلكوا سبيل القصد ووقفوا عندما انتهى بهم التوقيف لوجدوا برد اليقين ورَوح القلوب ولكثرت البركة، وتضاعف النماء، وانشرحت الصدور، وأضاءت فيها مصابيح النور، وإنما وقعوا فيما وقعوا فيه- عند أهل الحق بعدما تدبروا وظهر لهم بتوفيق الله سبب ذلك-؛ وهو أن الشيطان صار اليوم بلطيف حيلته يسول لكل من أحس من نفسه زيادة فهم وفضل ذكاء وذهن يوهمه، أنه إن رضي في عمله ومذهبه بظاهر من السُّنة واقتصر على واضح بيانٍ منها كان أسوة العامة، وعُدَّ واحدًا من الجمهور والكافة، وأنه قد ضل فهمه واضمحل عقله وذهنه، فحركهم بذلك على التنطع في النظر والتبدع لمخالفة السُّنة والأثر؛ ليمتازوا بذلك عن طبقة الدهماء، ويتبينوا في الرتبة عمن يرونهم دونهم في الفهم والذكاء، فاختدعهم بهذه المقدمة حتى استزلهم عن واضح المحجة، وأورطهم في شبهات تعلقوا بزخارفها وتاهوا عن حقائقها، ولم يخلصوا منها إلى شفاء نفس ولا قبلوه بيقين علم، ولما رأوا كتاب الله ينطق بخلاف ما انتحلوه ويشهد عليهم بباطل ما اعتقدوه؛ ضربوا بعض آياته ببعض، وتأولوها على ما يسنح لهم في عقولهم، واستوى عندهم على ما وضعوه من أصولهم، ونصبوا العداوة لأخبار رسول الله ﷺ

=

٢١٥- وقال ابن أبي حاتم: قال بعض أصحاب الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حضرت الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكلَّمه رجل في مسجد الجامع في مسألة، وطالت مناظرته؛ فخرج الرجل إلى شيء من الكلام، فقال له: دع هذا؛ فإن هذا من طريق الكلام.

٢١٦- عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: **«لا تجالسوا أهل القدر، ولا تُفاتِحُوهم بالكلام»**[1].

٢١٧- وقال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ما رأيت أحدًا ارتدى بالكلام؛ فأفلح، ولأن يبتلى المرء بكل ما نهى الله عنه، ما خلا الشرك؛ خير له من أن يبتلى بالكلام.

ولسنته المأثورة عنه وردوها على وجوهها وأساؤوا في نَقَلتها القالة، ووجهوا عليهم الظنون ورموهم بالتزيد، ونسبوهم إلى ضعف المُنَّة وسوء المعرفة بمعاني ما يروونه من الحديث، ولو أنهم أحسنوا الظن بسلفهم وآثروا متابعتهم، وسلَّموا حيث سلَّموا وطلبوا المعاني حيث طلبوا، واجتهدوا في ردِّ الهوى وخداع الشيطان؛ لانشرحت صدورهم وظهر لهم من برد اليقين وروح المعرفة، وضياء التسليم ما ظهر لسلفهم، وبرز لهم من أعلام الحق ما كان مكشوفًا لهم، غير أن الحقَّ عزيز والدين غريب والزمان مفتن، ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور). اهـ

(١) رواه أحمد، وعنه أبو داود، وعند ابن أبي عاصم بلفظ: (ولا تُقَاعِدُوهم)؛ وفيه دليل على هجر المبتدع وعدم مجالسته، وعند الفريابي في القدر بلفظ:(ولا تُنَاكِحُوهم).

وروى ابن عبدالبر في جامع بيان العلم (٢/ ٩٤٩) عن عبدالرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، قال: (وايم الله! إن كنا لنلتقط السنن من أهل الفقه والثقة ونتعلمها شبيهًا بتعلمنا آي القرآن، وما برح من أدركنا من أهل الفقه والفضل من خيار أوليَّة الناس يعيبون أهل الجدل والتنقيب والأخذ بالرأي، وينهون عن لقائهم ومجالستهم، ويحذرون مقاربتهم أشد التحذير، ويخبرون أنهم أهل ضلال وتحريف، لتأويل كتاب الله وسنن رسول الله ﷺ). اهـ

٢١٨- وقال المزني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الكلام يلعن أهل الكلام.

٢١٩- وقال الرَّبيع:

نزل الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الدرجة، وقوم في المجلس يتكلمون في شيء من الكلام؛ فصاح عليهم، وقال: إما أن تجاورونا بخير، وإما أن تقوموا عنَّا.

٢٢٠- وقال الرَّبيع:

قال لي الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لو أردت أن أضع على كل مخالف لي كتابًا كبيرًا؛ لفعلت، ولكنْ ليس الكلام من شأني، ولا أحب أن ينسب إليَّ منه شيء.

٢٢١- وقال المزني:

وكان الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يكره الخوض في الكلام.

٢٢٢- وقال إسحاق بن عيسى:

سمعت مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ يعيب الجدال في الدين، ويقول: كلما جاءنا رجل أجدل من رجل؛ أرادنا أن نرد ما جاء به جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى النبي ﷺ.

٢٢٣- قال الشيخ نصر رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذه قاعدة أصحاب الكلام، وقوام دينهم: الجدال والخصومات مما لم يرد به شرع، ولا سبق إليه أحد من أئمة الدين؛ فعلم بطلانه وفساده.

٢٢٤- وقال أبو حنيفة: لعن اللهُ عمرو بن عبيد؛ فإنه فتح للناس الطريق إلى الكلام فيما لا يعنيهم من الكلام.

قال محمد بن الحسن: وكان يحثنا على الفقه، وينهى عن الكلام[1].

---

(١) كلام أبي حنيفة ومحمد بن الحسن محمولٌ على أنهما يحذران من الكلام أمام العامة تلبيسًا وتمويهًا، والمشهور عنهم أنهم كانوا أئمة في الكلام والرأي والقياس والحيل والاستحسان، وهل تورطهما في مسألة خلق القرآن وغيرها إلا من دخولهما في علم الكلام؟! قال سلمة بن عمرو القاضي على المنبر كما في تاريخ أبي زرعة الدمشقي (١/ ٢٤٦): (لا رحم الله أبا حنيفة! فإنه أول من زعم أن القرآن مخلوق). اهـ

- وأما لعن أبي حنيفة لعمرو بن عبيد؛ فقد يكون لأجل أن الناس أنفسهم كانوا ينفرون منه ويلعنونه، ولقد لخص السجزي هذه الطريقة في رسالته؛ فقال: (ومن الناس من يظهر الرد على الأشعرية؛ ويقول: ما أتكلم في الحرف والصوت. ومن كان هكذا لم يخل أمره من أحد وجهين: إما أن يكون غير خبير بمذهب أهل الأثر وهو يريد التظاهر به تكسبًا أو تحببًا، وإما أن يكون من القوم فيتظاهر بمخالفتهم؛ ليدُس قولهم فيما يقوله، فيقبل منه. أو يحسن قبيحهم؛ فيتابع عليه ظنًا أنه مخالف لهم. وكثيرًا ما يتم على أهل السُّنة مثل هذا). وقال: (وفي ضمن هذا إخفاء المذهب عن قوم وإظهاره لآخرين، وهذا شبيه بالزندقة. وبهذا الفعل منهم دخل كثير من العوام والمبتدئين في مذهبهم؛ لأنهم يظهرون له الموافقة في الأول، ويُكذِّبون بما ينسب إليهم؛ حتى يصطادوه. فإذا وقع جروه قليلًا قليلًا حتى ينسلخ من السُّنة. وكان أبو بكر ابن الباقلاني من أكثرهم استعمالًا لهذه الطريقة، وقد وشح كتبه بمدح أصحاب الحديث، واستدل على الأقاويل بالأحاديث في الظاهر. وأكثر الثناء على أحمد بن حنبل وأشار في رسائل له إلى أنه كان يعرف الكلام، وأنه لا خلاف بين أحمد والأشعري، وهذا من رقة الدين، وقلة الحياء).اهـ

- وهذه طريقة معروفة عند كثير من المبتدعة؛ حتى إن بعضهم يقول: (تأويل الصفات وعدم اعتقاد ظاهرها يكون فيما بين العلماء، أما العوام فالأصلح لاعتقادهم ظواهر الآي، لأنهم يأنسون بالإثبات، فمتى محونا ذلك من قلوبهم، زالت الحشمة). اهـ

- وثمة احتمال آخر، وهو أنه لعن عمرو بن عبيد لدخوله في القدر، لكنَّ أبا حنيفة فتح للناس الطريق إلى الإرجاء، والقياس، والرأي، والاستحسان، والحيل، والسَّيف، وغير ذلك. وكون الرجل يلعن أحد المبتدعة لا يعني أنه على السُّنة، فقد يكون مبتدعًا في أبواب أخرى.

=

٢٢٥- وقال شعبة:

كان سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ يبغض أهل الأهواء، وينهى عن مجالستهم أشد النهي؛ ويقول: عليكم بالأثر، وإياكم والكلام في ذات الله تعالى.

٢٢٦- وقال عبدالله بن داود الخُريبي:

سألت سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الكلام؛ فقال: دع الباطل أين أنت عن الحق؟! اتبع السُّنة، ودع البدعة.

٢٢٧- وسئل أبو جعفر الباهلي عن الخوض في الكلام:

فقال: سئل الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عنه؛ فقال: اجتنب علمًا إذا بلغت فيه المنتهى؛ نسبوك إلى الزندقة، وعليك بالاقتداء، والتقليد[1].

٢٢٨- وقال يونس بن عبدالأعلى:

قلت للشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تدري يا أبا عبدالله! ما كان يقول فيه صاحبنا- أريد الليث رَحِمَهُ ٱللَّهُ-؟ كان يقول: إن رأيته يمشي على الماء- أي صاحب الكلام- فلا تثق به، ولا تعبأ به، ولا تكلمه.

قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإنه والله قد قَصَّر[2].

وانظر إلى هذا الأثر العجيب! الذي ذكره الخطيب في تاريخ بغداد (١٥/ ٥٦٨) بإسناد رجاله أئمة ثقات عن المروذي، قال: (سألت أبا عبدالله- الإمام أحمد- عن أبي حنيفة وعمرو بن عبيد؟ فقال: أبو حنيفة أشد على المسلمين من عمرو بن عبيد؛ لأن له أصحابًا). اهـ

(١) أي: الاتباع بإحسان.

(٢) تتمة كلام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في ذم الكلام للهروي؛ قال الشافعي: (لقد قَصَّرَ، إن رأيته يمشي في الهواء؛ فلا تركن إليه). وقال بعضهم: (لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى

=

٢٢٩- قال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عليكم بالسُّنة والحديث وما ينفعكم، وإياكم والخوض والمراء؛ فإنه لا يفلح من أحبَّ الكلام[1].

٢٣٠- قال[2]: سمعت أبا عبدالله رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول- وذكر أهل البدع-: لا أحبُّ لأحد أن يجالسهم ولا يخالطهم ولا يأنس بهم؛ فكل من أحبَّ الكلام لم يكن آخر أمره إلا إلى بدعة؛ لأن الكلام لا يدعوه إلى

يرتقي في الهواء؛ فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي، وحفظ الحدود، وآداب الشريعة).

(١) وروى الخلال في السنة (١١١٠) عن أبي عبدالرحيم محمد بن أحمد بن الجراح الجوزجاني، قال: (كتب إليَّ أحمد بن حنبل: أحسن الله إلينا وإليك في الأمور كلها، وسلَّمك وإيانا من كل سوء برحمته، أتاني كتابك تذكر فيه ما يُذكر من احتجاج من احتج من المرجئة، واعلم- رحمك الله- أن الخصومة في الدين ليست من طريق أهل السُّنة). اهـ

- وروى الخلال في السنة (١٨١٠) عن يعقوب بن يوسف المطوعي، قال: (حضرت باب أحمد بن حنبل، فجاء قوم من أهل (وان القُطن)، فقالوا: إن ههنا رجلًا قد علق بقلبه مذهب ابن الأشعث، وقال: إنه ما قال لي أبو عبدالله فأنا أصير إليه. فقال: جيئوا به. فجاء الرجل، فقال أحمد: ما لكم وللجدل؟ ما لكم وللكلام؟ ما لكم وللخصومة؟ فقال الرجل: يا أبا عبد الله، جزاك الله خيرًا، تنهى عن الجدال وعن الكلام وعن الخصومة. فقال له القوم الذين جاءوا به: إن هذا الساعة يذهب فيقول: ذهبت إلى أحمد بن حنبل فنهاني عن الجدال، والكلام، والخصومة، ويسكت على الشَّك، فقال أحمد: من شكَّ فهو كافر).

- وفي السُّنة للمروزي (١/ ٣٣) قال سُليم بن أخضر: (سمعت ابن عون يقول غير مرة: (ثلاثٌ أرضاها لنفسي ولإخواني: أن ينظر هذا الرجل المسلم القرآن فيتعلمه ويقرؤه ويتدبره وينظر فيه، والثانية: أن ينظر ذاك الأثر والسُّنة فيسأل عنه ويتبعه جُهده، والثالثة: أن يدع هؤلاء الناس إلا من خير).

(٢) القائل هو: حنبل بن إسحاق، كما في الإبانة الكبرى لابن بطة، والآداب الشرعية لابن مفلح.

خير، فلا أحبُّ الكلام ولا الخوض ولا الجدال؛ عليكم بالسنن والفقه الذي تنتفعون به، ودعوا الجدال وكلام أهل الزيغ والمراء؛ أدركنا الناس وما يعرفون هذا، ويجانبون أهل الكلام، ومن أحبَّ أهل الكلام؛ لم يفلح. عاقبة الكلام لا توصل إلى خير. أعاذنا الله وإياكم من الفتن، وسلمنا وإياكم من كل هلكة برحمته.

٢٣١- وقال هشام بن عبدالملك لبنيه: تعلموا الأدب؛ فإن وراثتي إياكم الأدب أحب إليَّ من وراثتي إياكم المال؛ فإن المال غاد ورائح. وإياكم وأصحاب الكلام؛ فإنه لا يؤول إلى الرشاد أمرُهم.

٢٣٢- وقال بشر بن الوليد:

سمعت أبا يوسف يقول: كان (يقال): من طلب الدين بالكلام تزندق، ومن طلب غريب الحديث كذب، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس[1].

٢٣٣- وأنشد الفقيه أبو زيد لبعض علماء شاش شعرًا:

كل العلوم سوى القرآن زندقةٌ ... إلا الحديث وإلا الفقه في الدينِ

والعلم مُتَّبَعٌ ما كان حدثنا ... وما سوى ذاك وسواس الشياطينِ[2]

---

(١) رُوي هذا أيضًا عن الشعبي، ومالك بن أنس؛ كما في ذم الكلام. والكيمياء هنا: هي تحويل المعادن إلى ذهب بنوع من الحيلة.

(٢) وأنشد بعضهم:

=

٢٣٤- وقال سهل بن عبدالله:

تظهر في الناس أشياء: ينزع منهم الخشوع بتركهم الورع، ويذهب منهم العلم بإظهارهم الكلام، ويضيعون الفرائض باجتهادهم في النوافل، ويصير نقض العهود، وتضييع الأمانة وارتفاعها من بينهم علمًا، ويرفع من بين المنسوبين إلى الصلاح في آخر الزمان؛ علم الخشية، وعلم الورع، وعلم المراقبة. فيكون بدل علم الخشية؛ وساوس الدنيا، وبدل علم الورع؛ وساوس العدو، وبدل علم المراقبة؛ حديث النفس ووساوسها، قيل: ولم ذلك يا أبا محمد؟! قال: تظهر في القراء دعوى التوكل والمحبة(١)؛ فترى أحدهم يصوم ويصلي عشرين سنة، وهو يأكل

أهل الكلام وأهل الرأي قد جهلوا ... علم الحديث الذي ينجو به الرجل

لو أنهم عرفوا الآثار ما انحرفوا ... عنها إلى غيرها لكنهم جهلوا

وقال آخر:

أهل الكلام دعونا من تعسفكم ... كم تبتغون لدين الله تبديلا

ما أحدث الناس في أديانهم حدثًا ... إلا جعلتم له وجهًا وتأويلا

(١) وفي حلية الأولياء زيادة: (والمقامات).

وقال أبو مسلم الصوري: (كتب عباد بن عباد الخواص- إلى إخوانه يعظهم-: اعقلوا والعقل نعمة، وإنه يوشك أن يكون خبره، فرب ذو عقل قد شغل قلبه بالتعمق فيما هو عليه ضرر حتى صار عن الحق ساهيًا؛ كأنه لا يعلمه. إخوانكم إن أرضوكم لم تناصحوهم، وإن أسخطوكم اغتبتموهم، فلا أنتم تورعتم في السخط ولا أنتم ناصحتموهم في الرضى. إنكم في زمان قد رقَّ فيه الورع وقلَّ فيه الخشوع، حملوا العلم؛ ففسدوا به. أحبوا أن يعرفوا بحمله، وكرهوا أن يعرفوا بإضاعة العمل؛ فطغوا فيه بالهوى ليزينوا ما دخلوا فيه من الخطأ، فذنوبهم =

الـشبهة والربـا، ولا يحفـظ لـسانه مـن الغيبـة والكـذب، ولا عَيْنَـه ولا جوارحه، مما نهى الله عنه[١].

وأصل ذلك؛ بدعة أربعة أشياء:

أولها: أن يضيف العبد الاستطاعة إلى نفسه[٢].

والثانية: ترك الأمر والنهي[٣].

والثالثة: ترك الافتقار[٤].

والرابعة: الإرجاء[٥].

ذنوب لا يستغفر منها، وتقصيرهم تقصير لا يعرف، كيف يهتدي السائل إذا كان الدليل حائرًا، أحبوا الدنيا وكرهوا منزلة أهلها؛ فشاركوهم في العيش وزايلوهم بالقول). حلية الأولياء (٨/ ٢٨٢).

(١) إلى هنا انتهى كلام سهل بن عبدالله التستري؛ كما في الحلية، وليس فيه: (وأصل بدعة ذلك..).

(٢) وهذا من آثار بدعة القدر. وبدعتا القدر والإرجاء هما من الأربع التي قال ابن المبارك: إنها أصول البدع. وسيأتي معنى استطاعة العبد وبيان أقسامها، وعقيدة أهل السُّنة والجماعة فيها عند التعليق على الأثر ذي الرقم: (٧٦١) في اعتقاد محمد بن يحيى الذُّهلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
- ولاشك أن العبد له استطاعة قبل الفعل ومع الفعل؛ بها يفعل أو يترك، لكنها لا تكفي وحدها في إيجاد الفعل أو الترك، فهي تابعة لقدرة الله وإرادته غير مستقلة عنها، كما أن العبد له مشيئة واختيار لكنها تابعة لمشيئة الله غير مستقلة عنها. قال تعالى: (وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا). وقال تعالى: (ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا).
وقال تعالى: (مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ).
- ولهذا كان أهل السُّنة والجماعة بين القدرية والجبرية.

(٣) وهذا من آثار بدعة الإرجاء.

(٤) هذه متعلقة بالبدعة الأولى.

(٥) هذه متعلقة بالبدعة الثانية.

٢٣٥- قال أبو القاسم الجنيد:

أقل ما في الكلام؛ سقوط هيبة رب العالمين من القلب، والقلب إذا عري من الهيبة من الله عَزَّوَجَلَّ؛ فقد عري عن الإيمان.

٢٣٦- وقال إبراهيم الخواص:

ما كانت زندقة ولا كفر ولا بدعة ولا جرأة في الدين؛ إلا من قِبل الكلام والجدال والمراء، وكيف يجترئ الرجل على المراء؛ والله تعالى يقول: «مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ »[غافر:٤].

٢٣٧- وقال أحمد بن الوزير القاضي، لأبي عمر الضرير[١]:

الرَّجل يتعلم شيئًا من الكلام يرد به على أهل الجهل؟ فقال: الكلام كله جهل، لا تتعلم الجهل؛ فإنك كلما كنت بالجهل أعلم، كنت بالعلم أجهل.

٢٣٨- وقال عبدالرحمن بن أبي حاتم:

سمعت أبي، وأبا زرعة رَحِمَهُمَاٱللَّهُ يأمران بهجران أهل الزيغ والبدع، ويغلظان في ذلك أشد التغليظ، وينكران وضع الكتب بالرأي[٢]، وينهيان

---

(١) هو: حفص بن عمر بن عبدالعزيز بن صهيب، أبو عمر الدوري المقرئ الضرير الأصغر، سكن سامراء. روى عن أحمد بن حنبل، وإسماعيل بن عياش، وسفيان بن عيينة، وأبي الربيع سليمان بن داود الزهراني. وروى عنه ابن ماجه، وابن أبي الدنيا، وأبو زرعة الرازي، وأبو حاتم. قال أبو حاتم: (صدوق). وقال أبو داود: (رأيت أحمد بن حنبل يكتب عنه).
وقال أحمد بن فرح المقرئ: (سألت أبا عمر الدوري؛ فقلت: ما تقول في القرآن، فقال: كلام الله غير مخلوق). مات في شوال سنة ست وأربعين ومئتين، وقيل: ثمان وأربعين ومئتين.

(٢) قال سعيد بن عمرو البرذعي: شهدت أبا زرعة، وسئل عن الحارث المحاسبي وكتبه؛ فقال للسائل: (إياك وهذه الكتب؛ هذه كتب بدع وضلالات؛ عليك بالأثر فإنك تجد فيه ما يغنيك =

عن مجالسة أهل الكلام، والنظر في كتب المتكلمين، ويقولان: لا يفلح صاحب الكلام أبدًا.

٢٣٩- وقال أبو عبدالله ابن ماجه رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حُدثت عن عبدالرحمن بن مهدي أنه قال:

من طلب الغريب؛ فآخره مؤدب، ومن طلب الشِّعر؛ فآخره شاعر يهجو ويمدح، ومن طلب الكلام؛ فآخر أمره الزندقة، ومن طلب الحديث فإن قام به كان إمامًا، وإن فرط فيه ثم أناب يومًا يرجع إليه وقد عَتُقَت وجادت[1].

٢٤٠- قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

سمعت علي ابن المديني[2]؛ يقول: من السُّنة اللازمة التي من لم يؤمن بها لم يكن من أهلها؛ أن القرآن كلام الله ليس بمخلوق، ولا تضعف أن

عن هذه الكتب؛ قيل له: في هذه الكتب عبرة؛ قال: من لم يكن له في كتاب الله عبرة؛ فليس له في هذه الكتب عبرة؛ بلغكم أن مالك بن أنس، وسفيان الثوري، والأوزاعي، والأئمة المتقدمين؛ صنفوا هذه الكتب في الخطرات والوساوس وهذه الأشياء؟! هؤلاء قوم خالفوا أهل العلم؛ يأتونا مرة بالحارث المحاسبي، ومرة بعبدالرحيم الديبلي، ومرة بحاتم الأصم، ومرة بشقيق؛ ثم قال: ما أسرع الناس إلى البدع). تاريخ بغداد (٨/ ٢١١).

(١) أي: الأحاديث.

(٢) هكذا في الأصل؛ والمحفوظ أنه من كلام الإمام أحمد نفسه كما في اعتقاد أحمد برواية عبدوس ابن مالك العطار.

- وجاء عند اللالكائي في السُّنة قوله: (اعتقاد علي ابن المديني، ومن نقل عنه ممن أدركه من جماعة السَّلف)، ثم ساق بسنده إلى محمد بن عبدالله بن بسطام، قال: (سمعت سهل بن محمد =

تقول: ليس بمخلوق؛ فإن كلام الله منه، وليس شيء منه مخلوق، ولا تخاصم أحدًا، ولا تناظره، ولا تتعلم الجدل؛ فإن الكلام مكروه، ولا يكون صاحبه وإن أصاب بكلامه السُّنة من أهل السُّنة، حتى يترك الجدال، ويؤمن بالآثار.

٢٤١- قال أبو محمد المرتعش: سئل أبو حفص: ما البدعة؟

قال: التعدي في الأحكام، والتهاون بالسنن، واتباع الآراء والأهواء، وترك الاقتداء والاتباع.

٢٤٢- بلغني أن أصحاب أبي عليّ الجوزجاني سأله بعضهم؛ فقال:

كيف الطريق إلى الله عَزَّوَجَلَّ؟ فقال: الطرق إليه كثيرة، وأصحُّ الطرق وأعمرها وأبعدها من الشُّبه؛ اتباع السُّنة قولًا وفعلًا وعزمًا وعقدًا ونية؛ لأن الله تعالى يقول: «وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ»[النور:٥٤].

وسأله كيف الطريق إلى اتباع السُّنة؟ فقال: مجانبة البدع، واتباع ما اجتمع عليه الصدر الأول من علماء الإسلام وأهله، والتباعد عن مجالس الكلام وأهله، ولزوم طريقة الاقتداء والاتباع؛ بذلك أُمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله تعالى: «ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا»[النحل:١٢٣][1].

قرأها على علي بن عبدالله بن جعفر المديني، فقال له قلت: أعزك الله: السُّنة اللازمة...)؛ ثم ذكرها. فالذي يظهر أن ابن المديني لما أراد أن يكتب عقيدته؛ كتب عقيدة أحمد واكتفى بها.

(١) وقال: (من علامات السعادة على العبد: تيسير الطاعة عليه، وموافقة السُّنة في أفعاله، وصحبته لأهل الصلاح، وحسن أخلاقه مع الإخوان، وبذل معروفه للخلق واهتمامه للمسلمين، ومراعاته لأوقاته).

=

٢٤٣- وقال ممشاذ الدينوري:

يا أصحابنا! لابد من إحدى الثلاث:

إما الاشتغال بالأوراد والعبادات، وإما ركوب الأحوال ومباشرة الحقائق، وإما تَعَلَّمُوا هذا العلم قبل أن يقصدكم أصحاب الكلام؛ فيخرجوكم من الدين.

٢٤٤- قال سهل بن عبدالله:

الكلام في الدين لأهل السُّنة بدعة، وأدنى البدعة أن يقف عن طلب العلم، وعقوبة الكلام في الدين ثلاثة أشياء عاجلة:

أول ذلك: أنه يرِق الإيمان.

والثاني: لا يرى لأمر الله ونهيه في قلبه موضعًا.

والثالث: يشهد بالكفر على من يعلم يقينًا، أنه أتقى لله منه وأورع وأخْيَرَ عند الله.

❑ ❑ ❑

- وقال أبو بكر الترمذي: (لم يجد أحد تمام الهمة بأوصافها إلا أهل المحبة، وإنما أخذوا ذلك باتباع السُّنة ومجانبة البدعة، فإن محمدًا ﷺ كان أعلى الخلق كلهم همة وأقربهم زلفى).
- وقال أبو الحسن الوراق: (لا يصل العبد إلى الله إلا بالله، وبموافقة النبي ﷺ في شرائعه. ومن جعل الطريق إلى الوصول في غير الاقتداء يضل من حيث أنه مهتد).
- وقال: (الصدق: استقامة الطريق في الدين، واتباع السُّنة في الشرع).

٣٧- باب: عقوبة أصحاب الكلام

٢٤٥- قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حُكمي في أصحاب الكلام: أن يُضربوا بالجريد، ويحملوا على الإبل، ويُطاف بهم في العشائر والقبائل، ويُنادى عليهم: هذا جزاء من ترك الكتاب والسُّنة، وأخذ في الكلام.

٢٤٦- وقال مجاهد لابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا:

إني أريد أن آتيك برجل منهم يتكلم معك في القدر؛ قال: لو أتيتني به لأَشَنْتُ له وجهه، ولأوجعتُ رأسه؛ لا تجالسهم ولا تكلمهم.

٢٤٧- وقال: ذكروا القدرية عند ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا؛ فقال:

لعلَّ في البيت منهم أحدًا؟ ومدَّ يده أين هو؟ قالوا: وما تصنع به؟ قال: آخذ برأسه- وذلك بعدما ذهب بصره.

٢٤٨- وعن نافع؛ قال:

بينما نحن عند عبدالله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قعود إذ جاء رجل؛ فقال: إن فلانًا يقرأ عليك السَّلام- والرجل من أهل الشَّام؛ فقال ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: بلغني أنه أحدث حدثًا، فإن كان كذلك؛ فلا تقرؤا عليه مني السَّلام، سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول:

«إنه سيكون في أمتي: مسخ وخسف؛ وهو في الزندقة والقدرية»[(١)].

٢٤٩- وقال عمرو بن شعيب:

كنت عند سعيد بن المسيِّب رَحِمَهُ اللَّهُ فذكروا رجالًا يقولون: قدَّر الله كل شيء ما خلا الأعمال؛ قال: فوالله ما رأيت سعيد بن المسيِّب غضب غضبًا قط أشد منه، حتى هَمَّ بالقيام؛ فقال: أتكلموا به؟! والله لقد سمعتُ فيهم حديثًا[(٢)]؛ قلت له: رحمك الله يا أبا محمد! ما هو؟ قال: فنظر إليَّ وقد سكن بعض غضبه؛ فقال:

حدثني رافع بن خديج؛ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«يكون قوم في أمتي يكفرون بالله وبالقرآن، وهم لا يشعرون؛ كما كفرت اليهود والنصارى»**.

فقلت: جُعلتُ فداك يا رسول الله! كيف ذلك؟ قال: **«يقرون ببعض القدر، ويكفرون ببعضه»**، قلت: وما يقولون؟ قال: **«يقولون: الخير من الله، والشر من إبليس**[(٣)]**؛ فيجعلون إبليس عِدلًا لله في خلقه وقدرته، ويقرءون كتاب الله على ذلك، ويكفرون بالقرآن، فما تلقى (أمتي) منهم**

---

(١) رواه أحمد، وابن ماجه، والترمذي؛ وقال: حديث حسن صحيح غريب.

(٢) وفي التنبيه والرد للملطي: (أمَا والله لقد سمعت فيهم حديثًا كفاهم به شرًا، ويحهم لو يعلمون).

(٣) وفي حلية الأولياء (٥/ ٣٥٠) قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- حين نجم القول بالقدر-: (هذا أول شرك هذه الأمة؛ والله ما ينتهي بهم سوء رأيهم حتى يخرجوا الله من أن يكون قدَّر خيرًا، كما أخرجوه من أن يكون قدَّر شرًّا).

من العداوة والبغضاء والجدال؛ أولئك زنادقة هذه الأمة، في زمانهم يكون ظلم السُّلطان؛ فيا له من ظلم وحيف وأَثَرة، ثم يبعث الله تعالى طاعونًا يُفني عامتهم، ثم يكون الخسف، حتى قَلَّ من ينجو، يبيت المؤمن يومئذ، قليل فرحه شديد غمه، ثم يكون المسخ؛ يمسخ الله عامة أولئك قردة وخنازير، ثم يخرج الدجال على إثر ذلك».

ثم بكى رسول الله ﷺ حتى بكينا لبكائه، قلنا: ما يبكيك يا رسول الله؟! قال: **«رحمة لهم، إن منهم المتعبدين، ومنهم المجتهدين؛ إنهم ليسوا بأول من سبق إلى هذا القول، وضاق بحمله ذرعًا، إن عامة من هلك من بني إسرائيل بالتكذيب بالقدر».**

قلت: يا رسول الله! كيف الإيمان بالقدر؟

قال: **«تؤمن بالله وحده، وأنه لا يملك الخير والشر إلا الله»**[1].

---

(١) رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده، والطبراني في الكبير، واللالكائي في السُّنة؛ وجميع طرقه لا تخلو من مقال؛ فيه: داود بن المحبر وهو وضاع، وفيه: عطية بن عطية وهو مجهول الحال، وفيه: حجاج بن نصير وهو ضعيف الحديث. فلا يصح رفعه بهذه الأسانيد.
- وأمثلُ إسنادٍ له ما رواه الفريابي في القدر، قال: حدثنا أبو بكر سعيد بن يعقوب الطالقاني، حدثنا المقرئ أبو عبدالرحمن، حدثنا ابن لهيعة، عن عمرو بن شعيب قال:..وذكره.
- ولا أرى في هذا الإسناد علة إلا ما كان من ابن لهيعة، وهنا رواه عنه أحد العبادلة المتثبتين فيه، وهو المقرئ عبدالله بن يزيد.
- وفي رواية قال: (تؤمن بالله وحده وأنه لا يملك أحدًا معه ضرًا ولا نفعًا، وتؤمن بالجنة والنار، وتعلم أن الله خلقهما قبل خلق الخلق، ثم خلق الخلق فجعل من شاء منهم إلى الجنة، ومن شاء منهم إلى النار عَدلًا ذلك منه، وكل يعمل لما قد فرغ له منه، وهو صائر إلى ما قد خلق له؛ قلت: صدق الله ورسوله ﷺ).

٢٥٠- عن أبي سهيل[(١)]؛ قال:

كنت أسير مع عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فقال لي: ما ترى في هـؤلاء القدريـة؛ فقلـت: أرى أن تـستتيبهم، فـإن تـابوا؛ وإلا عرضـتهم عـلى السيف؛ قال عمر: ذلك رأيي.

قال القعنبي: قال مالك: ذلك رأيي[(٢)].

٢٥١- وقال أبو غالب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كنت أمشي مع أبي أمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهو على حمارٍ له حتى إذا انتهـى إلى درج مسجد دمشق؛ فإذا رؤوس منصوبة[(٣)]؛ قيل: هذه رؤوس خـوارج،

---

(١) هو: نافع بن مالك بن أبي عامر الأصبحي، أبو سهيل المدني حليف بنـي تـيم، عـم مالـك بـن أنس، وأخو أويس بن مالك والربيع بن مالك، وهو من أقران محمد بن شهاب الزهـري. قـال عبدالله بن أحمد بن حنبل عن أبيه: من الثقات، وقال أبو حاتم والنسائي: ثقة، وقال الواقـدي: كان يُؤخذ عنه القراءة بالمدينة، وعن أبي جعفر. وقال ابن خراش: كان صدوقًا. قال الواقدي: هلك في إمارة أبي العباس. روى له الجماعة. انظر: تهذيب الكمال (٦٣٦٨).

(٢) وفي الإبانة الكبرى (٢/ ٢٣٤) قال عمر: (أما إن تلك سيرة الحق فيهم).

- وفي الشريعة للآجري (٢/ ٩٢٣) قيل لعمر بن عبدالعزيز: (إن قومًا ينكرون من القدر شيئًا، فقال عمر: بينوا لهم، وارفقوا بهم حتى يرجعوا. فقال قائل: هيهات هيهات يا أمير المؤمنين! لقد اتخذوه دينًا يدعون إليه الناس، ففزع لها عمر، فقال: أولئك أهل أن تسل ألسنتهم من أقفيتهم سلًا، هل طار ذباب بين السماء والأرض إلا بمقدار؟!).

- وتأمل تفريق السَّلف بين التعامل مع من التبست عليه مسألة في خاصة نفسه، ولم يظهرها أو يدعو إليها، والتعامل مع من اتخذ هواه دينًا يدعو الناس إليه.

(٣) وفي رواية: (فجيء بسبعين رأسًا من رؤوس الحرورية).

وفي رواية: (قد جيء بخمسين ومئة رأس من رؤوس الأزارقة).

يجاء بهم من العراق[١]؛ فقال أبو أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كلاب النار، كلاب النار، كلاب النار؛ شر قتلى تحت ظل السماء، طوبى لمن قتلهم أو قتلوه- يقولها ثلاثًا- ثم بكى؛ فقلت: ما يبكيك يا أبا أمامة؟! قال: رحمة لهم؛ إنهم كانوا من أهل الإسلام ثم خرجوا منه[٢]، ثم قرأ: «هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ»[آل عمران:٧] الآية[٣]، ثم قرأ: «وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ»[آل عمران:١٠٥]؛ فقلت: يا أبا أمامة! هم هؤلاء؟ قال: نعم[٤]؛ قلت: أشيء تقوله برأيك، أم شيء سمعته من رسول الله ﷺ؟ فقال: إني إذًا لجريء، إني إذًا لجريء، إني إذًا لجريء؛ سمعته من رسول الله ﷺ غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث ولا

---

(١) وفي رواية: (يا أبا غالب! إنك ببلد- يعني العراق- أهويته كثيرة، هولاته كبيرة، قلت: أجل، قال: أعاذك الله منهم).
- وقال محمد بن مسلم الطائفي: (إذا رأيت عراقيًا؛ فاستعذ بالله من شره، وإذا رأيت سفيان الثوري؛ فاسأل الله الجنة).

(٢) تأمل كيف اجتمع في الصحابي الإغلاظ عليهم وتسميتهم كلاب النار مع الرحمة لهم بعد قتلهم، فلا تنافي بين باب الأسماء والأحكام وبين الرحمة العامة للخلق أجمعين، فهنا نظر إليهم أبو أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعين الشرع وبعين القدر.

(٣) وفي رواية: (قلت: هؤلاء كان في قلوبهم زيغ فزيغ بهم). وقال الحسن في تفسير هذه الآية: هم الخوارج. وكان قتادة إذا قرأ هذه الآية: (فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ). قال: إن لم يكونوا الحرورية والسبئية، فلا أدري من هم؟!
- والصحيح أن هذا يعم جميع أهل البدع والضلال، ولهذا قال ابن جريج: (هم المنافقون).

(٤) وفي رواية: أنه قرأ الآية التي بعدها؛ وهي قوله تعالى: (يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ). قال: فقلت: إنهم هؤلاء؟ قال: نعم.

أربع ولا خمس ولا ست ولا سبع، ووضع إصبعيه في أذنه؛ وقـال: وإلا فَصُمَّتا- قالها ثلاثًا-، ثم ذكر حديث افتراق بني اسرائيـل عـلى إحـدى وسبعين فرقة؛ واحدة في الجنة وسائرهن في النار، ولتزيـدن هـذه الأمـة عليهم فرقة؛ واحدة في الجنة وسائرهن في النار؛ فقلت: يا أبا أمامة! فـما تأمرني؟ قال: عليك بالسواد الأعظم؛ قلـت: فـإن الـسواد الأعظـم مـا ترى!! قال: السمع والطاعة، خير من الفرقة والمعصية[1].

❒ ❒ ❒

(١) أخرجه عبدالله بن أحمد في السُّنة، والطبراني في الكبير والأوسط والصغير.

٣٨- باب: مدح من جانب الكلام ولم يَقُلْ به

٢٥٢- قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ:

كان الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ إذا ثبت عنده الخبر؛ قلَّده، وخير خصلة فيه أنه لم يكن يشتهي الكلام؛ إنما همته الفقه[1].

٢٥٣- وقال وكيع بن الجراح:

لو أن الرجل لم يُصب من الحديث شيئًا، إلا أنه يمنعه من الأهواء؛ كان قد أصاب منه.

٢٥٤- وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ- لما مات أبو بكر الأعين رَحِمَهُ اللَّهُ-:

إني لأغبطه؛ مات ولا يعرف إلا الحديث، ولم يكن صاحب كلام؛ إنما كان يكتب الحديث.

❑ ❑ ❑

---

(١) ومن الأمثلة الدالة على ذلك ما رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٩/ ١٠٩) عن أبي بكر المستملي، قال: (رأيت محمد بن إدريس الشافعي في المسجد الحرام، وقد جُعلت له طنافس يجلس عليها، فأتاه رجل من أهل خراسان؛ فقال: يا أبا عبدالله! ما تقول في أكل فرخ الزنبور؟ قال: حرام. فقال الخراساني: حرام؟! فقال: نعم؛ من كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ، والمعقول؛ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: «وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ»؛ هذا من كتاب الله. وعن حذيفة، أن رسول الله ﷺ قال: «اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر». هذه سنة رسول الله ﷺ. وعن سويد بن غَفَلة، أن عمر بن الخطاب أمر بقتل الزنبور. وفي المعقول أن ما أُمر بقتله؛ فحرام أكله؛ فسكت الرجل ومضى).

٣٩- باب: ذم الرأي والقياس[(١)]، والقول في دين الله  مما لم يثبت له أصل في كتاب الله، ولا سنة رسول الله ﷺ

٢٥٥- عن عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال: قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

اتهموا الرأي على الدين، ولقد رأيتني أردّ أمر رسول الله ﷺ برأيي اجتهادًا، ما آلو عن الحق؛ وذلك يوم أبي جندل، والكتاب بين يدي رسول الله ﷺ وأهل مكة؛ فقال: **«اكتبوا: بسم الله الرحمن الرحيم»**؛ فقالوا: ترانا قد صدقناك إذًا على ما تقول؟! ولكن اكتب: باسمك اللهم؛ قال: فرضي رسول الله ﷺ وأَبَيْتُ عليهم، حتى قال: **«يا عمر! أتراني أرضى، وتأبى أنت؟»** قال: فرضيت[(٢)].

---

(١) الرأي والقياس: توأم الكلام، أحدهما في أصول الدين، والآخر في الفقه، وكلاهما يخرج من مستنقعٍ واحد، وهي ردُّ الآيات والأحاديث والاستغناء بأهواء النفوس الدنيئة، وكلاهما خرج من المولَّدين أبناء سبايا الأمم، وكثير منهم قد امتلأ غِلًّا على الإسلام وأهله.
روى عبدالله بن أحمد في العلل ومعرفة الرجال (٨٣٩) عن حماد بن زيد، قال: قيل لأيوب: (الحديث اليوم أكثر أو قبل اليوم؟ قال: الكلام اليوم أكثر، والحديث قبل اليوم كان أكثر). اهـ

(٢) رواه بهذا السِّياق: البزار في مسنده، والطبراني في الكبير، واللالكائي في السنة. وأصل الحديث رواه أحمد في مسنده، والبخاري ومسلم في صحيحيهما، وعبدالرزاق وابن أبي شيبة في مصنفيهما. وقوله: (وذلك يوم أبي جندل). يعني: يوم الحديبية.
- قال ابن المنذر في الأوسط (١٠/ ٢٣٢): (وكان رسول الله ﷺ أعلمهم بالله، وأشدهم له خشية، ولأمره تعظيمًا، ولدينه إعزازًا، وفعله ذلك كان عن أمر ربه، لا شك فيه، لقوله لعمر: إني رسول الله، ولست أعصيه، وليس في شيء من ذلك لله معصية، وذلك أن المعنى في قوله:
=

٢٥٦- قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في غير هذه الرواية:

ثم كانت الخِيَرة لنا من الله فيما صنع، فلم يكن فتح كان خيرًا للناس من صلح الحديبية بلا سيف؛ دخل فيه من أهل الإسلام مثلُ من كان دخل من يوم بُعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى يوم كُتب الكتاب؛ فاتهموا الرأي.

٢٥٧- وقال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ:

إن المؤمن يأخذ دينه عن ربه، وإن المنافق نصب رأيه؛ فاتخذه دينًا[1].

باسمك اللهم، كالمعنى في قوله: بسم الله الرحمن الرحيم، لأن كل ذلك مخاطبة لله وحده لا شريك له، ليس فيه شيء يضاف إلى غيره، وكذلك قوله: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبدالله، دون ذكر رسول الله، لا يغير معنى النبوة، ونسبته إلى أبيه صدقٌ وحقٌّ، وليس في ردِّ من رُدَّ منهم- إلى المشركين- فيما شرطوه في الكتاب أكثر من تخوف الفتنة على من رد إليهم منهم، وقد وضع الله الحرج عن من فتن منهم عن دينه، فأعطى بلسانه مكرهًا خلاف ما يعقد عليه قلبه، فإما معطيًا بلسانه على الإكراه ما لا يضره، أو صابرًا على المكروه حتى يقتل شهيدًا، على أنهم إنما كانوا يُردَّون إما إلى أب أو إلى أخ، أو ذوي رحم يؤمن عليه منهم مكروهًا، لأن أولئك الذين ذكرناهم من أهاليهم أشفق عليهم من أن يسلموه للمكروه، وقد أمضى الله لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما فعل من ذلك، وسماه فتحًا مبينًا). اهـ

(١) وهذا يدلُّ على عزة المؤمن صاحب السُّنة والأثر، واستغنائه عن الرأي وأهله؛ فهو يأخذ دينه عن ربه عزَّ وجلَّ، قال تعالى: ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾.

- وفي معرفة علوم الحديث للحاكم (١/ ٦٦) عن علي بن خشرم، قال: (كنا في مجلس سفيان ابن عيينة، فقال: يا أصحاب الحديث! تعلَّموا فقه الحديث، لا يقهركم أصحاب الرأي، ما قال أبو حنيفة شيئًا إلا ونحن نروي فيه حديثًا أو حديثين). اهـ

- وفي تهذيب الكمال للمزي (١٧) عن أحمد بن عمر الوكيعي، قال: (وليت المظالم بمرو اثنتي عشرة سنة، فلم يَرِدْ عليَّ حُكْمٌ إلا وأنا أحفظ فيه حديثًا، فلم أحتج إلى الرأي، ولا إلى أهله).

- وقال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (١/ ٣٤٩): (سمعت أبي رَحِمَهُ اللَّهُ، يقول: جاءني رجلٌ من جِلَّة أصحاب الرأي من أهل الفهم منهم، ومعه دفتر فعرضه عليَّ، فقلت في بعضها:
=

٢٥٨- وعن مسروق رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ قال:

قال عبدالله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: والله الذي لا إله إلا هو؛ لا يأتيكم عام إلا الذي بعده شر منه، لا أقول: أمير خير من أمير، ولا عام أخصب من عام؛ ولكنْ علماؤكم وفقهاؤكم يذهبون، ويبقى قوم لا يعلمون؛ يقيسون الأمور برأيهم؛ فيفنى الإسلام ويُهدم.

٢٥٩- وقال ابن شبرمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

دخلت أنا وأبو حنيفة على جعفر بن محمد بن عليّ؛ فقال له جعفر: اتق الله ولا تقس الدين برأيك؛ فإنا نقف نحن وأنت ومن يخالفنا غدًا بين يدي الله، فنقول: قال الله، قال رسول الله ﷺ، وتقول أنت وأصحابك: سمعنا ورأينا؛ فيَفعل بنا وبكم ما يشاء[1].

هذا حديثٌ خطأ، قد دخل لصاحبه حديثٌ في حديث، وقلتُ في بعضها: هذا حديثٌ باطل، وقلتُ في بعضها: هذا حديثٌ منكر، وقلتُ في بعضها: هذا حديثٌ كذب، وسائر ذلك أحاديث صحاح، فقال: من أين علمت أن هذا خطأ، وأن هذا باطل، وأن هذا كذب؟! أخبرك راوي هذا الكتاب بأني غلطتُ، وأني كذبتُ في حديث كذا؟! فقلت: لا، ما أدري هذا الجزء مِنْ رواية مَنْ هو؟ غير أنى أعلم أن هذا خطأ، وأن هذا الحديث باطل، وأن هذا الحديث كذب، فقال: تدَّعي الغيب؟! قلت: ما هذا ادعاء الغيب. قال: فما الدليل على ما تقول؟ قلت: سل عما قلتُ مَنْ يُحسن مثل ما أُحْسِن، فإن اتفقنا علمتَ أنَّا لم نجازف، ولم نقله إلا بفهم). اهـ

(١) كان أبو حنيفة أول من فتح للناس باب القياس بعد إبليس القائل: (أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ)، ومن يقرأ ترجمته وترجمة أصحابه يرى من هذا الشيء الكثير؛ ولهذا سَهُل عليهم القول على الله بلا علم؛ قال سفيان بن عيينة: (ما رأيت أحدًا أجرأ على الله من أبي حنيفة؛ أتاه رجل من أهل خراسان بمئة ألف مسألة، فقال: إني أريد أن أسألك عنها، فقال: هاتها، قال سفيان: فهل رأيتم أحدًا أجرأ على الله من هذا).

=

- وقال مالك بن أنس: (لو خرج أبو حنيفة على هذه الأمة بالسيف كان أيسر عليهم مما أظهر فيهم من القياس والرأي).
- وفي حلية الأولياء (٩/ ١٠٣) عن ابن عبدالحكم، قال: (سمعت الشافعي، يقول: نظرت في كتاب لأبي حنيفة فيه عشرون ومئة، أو ثلاثون ومئة ورقة، فوجدت فيه ثمانين ورقة في الوضوء والصلاة، ووجدت فيه إما خلافًا لكتاب الله، أو لسنة رسول الله ﷺ، أو اختلاف قول، أو تناقض، أو خلاف قياس).
- قال ابن أبي حاتم: (لأن الأصل كان خطأ، فصارت الفروع ماضية على الأصل).
- وفي الضعفاء وأجوبة الرازي على سؤالات البرذعي (ص٧١٧) قال البرذعي: (رأى أبو زرعة في كتابي حديثًا عن أبي حاتم، عن شيخ له، عن أيوب بن سويد، عن أبي حنيفة حديثًا مسندًا، وأبو حاتم جالسٌ إلى جنبه، فقال لي: مَن يُعَاتَبْ على هذا، أنت أو أبو حاتم؟ قلت: أنا، قال: لمِ؟ قلت: لأني جبرته على قراءته، وكان يأبى، فقرأه عليَّ بعد جهد، فقال لي قولًا غليظًا أنسيته في كتابي ذلك الوقت، فقلت له: إن إبراهيم بن أورمة كان يُعنى بإسناد أبي حنيفة! فقال أبو زرعة: إنا لله وإنا إليه راجعون! عظُمت مُصيبتُنا في إبراهيم، يُعنى به لأي معنى! بصدقه؟! باتباعه؟! بإتقانه؟! ثم ذكر كلامًا غليظًا في إبراهيم، لم أخرجه ههنا، ثم قال: رحم الله أحمد بن حنبل، بلغني أنه كان في قلبه غُصص من أحاديثٍ ظهرت عن المُعلى بن منصور، كان يَحتاج إليها، وكان المُعلى أشبه القوم بأهل العلم، وذلك أنه كان طلاَّبة للعلم، ورَحَل، وعني به، فصبر أحمد عن تلك الأحاديث، ولم يسمع منه حرفًا، وأما علي بن المديني، وأبو خيثمة، وعامة أصحابنا سمعوا منه، وأي شيء يُشبه المعلى من أبي حنيفة؟! المعلى صدوق، وأبو حنيفة يوصل الأحاديث- أو كلمة قالها أبو زرعة هذا معناها- ثم قال لي أبو زرعة: حدَّث عن موسى بن أبي عائشة، عن عبدالله بن شداد، عن جابر، عن النبي ﷺ، فزاد في الحديث عن جابر- يعني: حديث القراءة خلف الإمام- ويقول: القرآن مخلوق، ويرد على رسول الله ﷺ، ويستهزئ بالآثار، ويدعو إلى البدع والضلالات، ثم يُعنى بحديثه! ما يفعل هذا إلا غبي جاهل- أو نحو ما قال- وجعل يحرد على إبراهيم، ويذكر أحاديث من رواية أبي حنيفة لا أصل لها، فذكر من ذلك: حديث علقمة بن مرثد، عن ابن بريدة، عن أبيه: (الدال على الخير كفاعله).
وأنكر عليه حديثًا آخر يرويه عن علقمة بن مرثد، عن ابن بريدة، حديث عمر: جاء جبريل إلى النبي ﷺ، فقال: ما الإيمان؟ قال أبو زرعة: فجعل هو وأبو سنان الإيمان شرائع الإيمان! وذكر أحاديث قد أوهم فيها، وأنكرها من رواياته، ثم قال لي: من قال: القرآن مخلوق؛ فهو كافر، =

أفيُعنى بها أسند الكفار؟! أي قوم هؤلاء؟!). اهـ

- ومع ذلك يأبى المتأخرون إلا أن يصيروه أحد الأئمة الأربعة!

- وروى أبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ٢٥٨) عن إسحاق بن عيسى، قال: (كنا عند حماد بن زيد ومعنا وهب بن جرير، فذكرنا شيئًا من قول أبي حنيفة؛ قال حماد بن زيد: اسكت؛ لا يزال الرجل منكم داحضًا في بوله؛ يذكر أهل البدع في مجلس عشيرته حتى يسقط من أعينهم، ثم أقبل علينا حماد؛ فقال: أتدرون ما كان أبو حنيفة؟ إنما كان يخاصم في الإرجاء، فلما تخوف على مهجته؛ تكلم في الرأي، فقاس سنن رسول الله ﷺ بعضها ببعض؛ ليبطلها، وسنن رسول الله ﷺ لا تقاس).

- وصدق القائل:

كنا من الدين قبل اليوم في سَعة	حتى ابتلينا بأصحاب المقاييس
قاموا من السوق إذ قَلَّت مكاسبهم	فاستعملوا الرأي عند الفقر والبؤس
أما العُرَيْب فأمسوْا لا عطاء لهم	وفي الموالي علامات المفاليس

- ومن يقرأ ترجمته يجد عنده إدمانًا على القياس في كل أمره، وله أقيسة لا يقول بها أحد؛ فعن عثمان بن زائدة، قال: (كنت عند أبي حنيفة، فقال له رجل: ما قولك في الشرب في قدح أو كأس في بعض جوانبها فضة؟ فقال: لا بأس به، فقال عثمان: فقلت له: ما الحجة في ذلك؟ فقال: يا عثمان، ما تقول في رجل مرَّ على نهر وقد أصابه عطش، وليس معه إناء، فاغترف الماء من النهر فشربه بكفه، وفي إصبعه خاتم، فقلت: لا بأس بذلك، قال: فهذا كذلك!!). اهـ

- حتى كان يقيس في أمور الدنيا قياس المفتون؛ فعن الحسن بن أبي مالك؛ قال: (أخذ حجَّام من شعر أبي حنيفة، قال: فكان في لحيته أو في رأسه شعرات بيض، فقال للحجَّام: القط هذه الشعرات البيض، قال الحجَّام: إن لقطتها كثُرت- قال: فلو كان تاركًا قياسه تركه في هذا الموضع- فقال له أبو حنيفة: إذا لقطت كثرت؛ فالقط السود حتى تكثر!). اهـ

- وكان أبو حنيفة في أول أمره نحويًا، فطرد القياس في النحو؛ فطرده النُّحاة:

- ففي تاريخ بغداد (١٣/ ٣٣٢) قال إبراهيم الحربي: «كان أبو حنيفة طلب النحو في أول أمره، فذهب يقيس فلم يحسن، وأراد أن يكون فيه أستاذًا؛ فقال: قلب وقلوب، وكلب وكلوب! فقيل له: كلب وكلاب؛ فتركه ووقع في الفقه، فكان يقيس ولم يكن له علم بالنحو، =

٢٦٠- وقال مسروق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا أقيس شيئًا بشيء؛ قلت: ولم؟! قال: أخاف أن تزل قدم بعد ثبوتها.

٢٦١- وقال الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إن السُّنة لم توضع بالمقاييس[1].

فسأله رجل بمكة، فقال له: رجل شجَّ رجلًا بحجر؟ فقال: هذا خطأ! ليس عليه شيء، لو أنه حتى يرميه بأبا قبيس؛ لم يكن عليه شيء!». اهـ

(١) والآثار عن الشعبي في هذا المعنى كثيرة؛ منها قوله: (إياكم والمقايسة، والذي نفسي بيده، لئن أخذتم بالمقاييس لتحلن الحرام ولتحرمن الحلال، ولكن ما بلغكم عن أصحاب رسول الله ﷺ، فاعلموا به).

- ومنها: (يوشك أن يصير الجهل علمًا ويصير العلم جهلًا؛ قالوا: وكيف يكون هذا يا أبا عمرو؟ قال: كنا نتبع الآثار وما جاء عن الصحابة، فأخذ الناس في غير ذلك: القياس).

- ومنها: سئل الشعبي عن مسألة، فقال: (لا أدري، ولكن احفظ ثلاثًا: لا تقل لما لا تعلم: إنك تعلم، ولا تقولن لشيء قد كان: لو لم يكن، ولا تجالس أصحاب القياس؛ فتحل حرامًا أو تحرم حلالًا).

وقال: (إنما هلكتم حين تركتم الآثار وأخذتم بالمقاييس، يعلم الله لقد بغضوا إليَّ هذا المسجد حتى لهو أبغض إليَّ من كناسة داري؛ هؤلاء الصعافقة، هؤلاء الرَّأْيَتِيُّون- أو الآرائيون- أصحاب: أرأيت! أرأيت!).

- قال أبو عبيد في غريب الحديث (٤/ ٤٤٣): «قال الأصمعي: الصَّعافِقَةُ: قوم يحضرون السُّوق للتجارة ولا نَقْدَ معهم وليست لهم رؤوس أموال، فإذا اشترى التجار شيئًا دخلوا معهم فيه. والواحد منهم: صَعْفَقيّ. وكذلك كل من لم يكن له رأس مال في شيء.

قال أبو عبيد: أراد الشعبي أن هؤلاء ليس عندهم فِقْهٌ ولا علم، بمنزلة أولئك التجار الذين ليست لهم رؤوس أموال». اهـ

- فهؤلاء يدخلون سوق العلم، ولم يعرفوا القرآن والحديث والأثر؛ قال علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «سماه أشباه الناس عالمًا، ولم يفنِ في العلم يومًا سالمًا».

٢٦٢- وعن مكحول؛ قال: كتب إلينا عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن رسول الله ﷺ قضى في «المُوضِحة»[١] فصاعدًا؛ فاكتبوا بذلك، وما كان دون ذلك، فإن كان من رأي الناس؛ فلا تكتبوا به، وخلوا بينهم وبين رأيهم[٢].

٢٦٣- وقال داود بن أبي هند:

سمعت ابن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: أول من قاس إبليس[٣]؛ وإنما عُبدت الشمس والقمر بالمقاييس[٤].

---

(١) المُوضِحة من الشِّجاج: هي التي بلغت العظم فأَوضَحَتْ عنه. وقيل: هي التي تَقْشِر الجلدة التي بين اللحم والعظم، أو تشقها حتى يبدو وَضَحُ العظم، وهي التي يكون فيها القصاص خاصة؛ لأنه ليس من الشجاج شيء له حدٌّ ينتهي إليه سواها؛ وفيها خمس من الإبل. لسان العرب (٦/ ٤٨٥٦).

(٢) والمعنى: ما كان دون الموضحة من الشِّجاج، فاجتهدت فيه القضاة؛ فخلوا بينهم وبين اجتهادهم حسب حرصهم على العدل، ولكن لا تخلدوه في الكتب؛ فيكون دينًا لمن بعدهم، أما الموضحة التي فيها نص؛ فخلدوها في الكتب.

(٣) وذلك في قوله: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾. [الأعراف:١٢].

(٤) وكذلك ما عُبدت الأصنام إلا بالقياس؛ سئل سفيان بن عيينة كيف عبدت العرب الحجارة والأصنام؟ فقال: (أصل عبادتهم الحجارة، أنهم قالوا: البيت حجر، فحيثما نصبنا حجرًا، فهو بمنزلة البيت!). وقال أبو معشر: (كان كثير من أهل الهند يعتقد الربوبية ويقرون بأن لله تعالى ملائكة، إلا أنهم يعتقدونه صورة كأحسن الصور، وأن الملائكة أجسام حِسان، وأنه سبحانه وتعالى وملائكته محتجبون بالسماء، فاتخذوا أصنامًا على صورة الله سبحانه عندهم وعلى صور الملائكة؛ فعبدوها وقربوا لها، لموضع المشابهة على زعمهم، ثم عملوا الأصنام). اهـ

- والمقصود بالقياس هنا: القياس الفاسد؛ قال ابن عبدالبر في جامع بيان العلم (٢/ ١٥٤): (إذا صح النص من الكتاب والأثر؛ بطل القياس والنظر. وأيُّ أصل أقوى من أمر الله تعالى

=

٢٦٤- قال الطائي:

سألت الشعبي؛ فقال: لعلك من القِيَاسِيِّين، لعلك من القِيَاسِيِّين[1].

لإبليس بالسجود، وهو العالم بما خلق منه آدم وما خلق منه إبليس، ثم أمره بالسجود له فأبى واستكبر لعلة ليست بمانعة من أن يأمره الله بما يشاء؟ فهذا ومثله لا يحل ولا يجوز.

وأما القياس على الأصول- الجليَّة- والحكم للشيء بحكم نظيره، فهذا ما لا يختلف فيه أحدٌ من السَّلف، بل كل من رُوي عنه ذم القياس قد وُجِد له القياس الصحيح منصوصًا؛ لا يدفع هذا إلا جاهل أو متجاهل مخالف للسَّلف في الأحكام). اهـ

- لكن قال الشافعي وأحمد: إنه كالميتة للمضطر، أي: استنباط علة الحكم بالاجتهاد، وقد يكون المجتهد أصاب العلَّة التي أرادها الله، وقد يكون أخطأها، ثم يلحق المجتهد الفرع المختلف فيه بذاك الأصل المنصوص عليه، بسبب تلك العلَّة الجامعة التي استنبطها.

- أما إذا كانت العلَّة منصوصة كحديث: (لا يتناجى اثنان دون الثالث؛ فإن ذلك يحزنه)، فيلحق به كل ما فيه تحزين للمؤمن بنص الحديث، أو كانت العلَّة مُجمعًا عليها؛ كحديث: (لا يقض القاضي وهو غضبان)، فإنهم قد أجمعوا على أن العِلَّة هي تشويش الذهن المانع من إقامة العدل، فيلحق بالغضب كل ما يشوش الذهن. فما كان هكذا، فلا يدخل في القياس العقلي أصلًا، بل هو قياس لفظي؛ إذ لا فرق عند العرب بين قوله: (حرمت الخمر؛ لأنه مُسْكِر)، وقوله: (حرمت كل مسكر). وكذلك قياس الأولى؛ مثل تحريم ضرب الوالدين المأخوذ من قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾. ونحو ذلك.

- فكل هذا لا يدخل في القياس، ولكن أهل القياس يأتون بأمورٍ لا تستنكر يسمونها قياسًا؛ ليروجوا بها سلعتهم الكاسدة، وصدق من وصفهم بالصعافقة.

(١) الطائي: هو أيوب بن عائذ الطائي. وأصل الأثر كما في مصنف عبدالرزاق (٨/ ٤٦٢): قال سفيان بن عيينة: (حدثنا أيوب بن عائذ الطائي، قال: سألت الشعبي عن بعض الأمر- وفي رواية: أنه سأله عن رجل نذر أن ينحر ابنه- فقال: قال مسروق: النذر نذران؛ فما كان لله فالوفاء به والكفارة، وما كان للشيطان فلا وفاء به؛ قال: قلت: أفي طاعة الشيطان؟! قال: لعلك من القِيَاسِيِّين. وفي لفظ: القَيَّاسِين). وقد جاء نفس المعنى عن الصحابة؛ فما كان منهم إلا أن أبطلوا القياس فيها؛ فعن القاسم بن محمد قال: (سألت امرأةٌ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن إنسان نذر أن ينحر ابنه عند الكعبة، قال: فلا ينحر ابنه وليكفر عن يمينه؛ فقال رجل لابن =

٢٦٥- قال شعبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كنت عند يونس بن عبيد؛ فقيل له: يا أبا عبدالله! تنهانا عن مجلس عمرو بن عبيد(١)، وقد دخل عليه ابنك!

عباس: كيف يكون في طاعة الشيطان كفارة اليمين؟! فقال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: (ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم)، ثم جعل فيه من الكفارة ما قد رأيت).

(١) عمرو بن عبيد أشهر من أن يُترجم له! فهو رأس من رؤوس البدعة والضلال والقدر والخروج والاعتزال؛ كان جده من سبايا كابل- كأبي حنيفة- وكان أبوه شيعيًا من شُرَط الحجَّاج، قال ابن علية: (أول من تكلم في الاعتزال واصل الغزال، فدخل معه عمرو بن عبيد، فأعجب به وزوجه أخته). وقد لعنه مالك بن أنس وغيره من الأئمة، وموقف السَّلف منه خير دليل على إبطال بدعة الموازنات التي ينادي بها من لا علم له؛ فقد ذكروا من إظهاره الزهد والورع الشيء الكثير، وكان الخليفة المنصور مخدوعًا به، فكان يعظمه، ويقول: (كلكم يمشي رويد... كلكم يطلب صيد... غير عمرو بن عبيد). ومرةً قال: (ألقيت الحَبَّ فلقطوا كلهم إلا عمرو بن عبيد). وقال أبو القاسم البلخي: (حج أربعين سنة ماشيًا، وبعيره يقاد معه يركبه الفقير والضعيف والمنقطع به، وكان يُحيي الليل كله في ركعة)، ومات في مورد ماءٍ يقال له: (مَرَّان) في طريق الحج قبل الطائف بمراحل. وقال بعضهم: ما لقيت أزهد منه. ومع ذلك لم يعتبروا بصلاته ولا قيامه ولا حجه ولا علمه؛ حينما أفسد في دين الله، وصدق من قال فيه وفي غيره من أهل البدع: (هذه معاملته واجتهاده، وذلك خبثه واعتقاده).

- ولننظر ماذا قال عنه أهل السُّنة: قال قريش بن أنس: (وما تصنع بعمرو بن عبيد، كَفٌّ من تراب خير منه). وقال سلام بن أبي مطيع: (أنا للحجاج أرجى مني لعمرو بن عبيد). وذكر محمد بن عبدالله الأنصاري: (أنه رأى عمرو بن عبيد في النوم قد مُسخ قردًا). وقال أيوب السختياني: (لا تعدن لصاحب بدعة عقلًا، ما عددت لعمرو بن عبيد عقلًا). وقال عاصم الأحول: (جلست إلى قتادة؛ فذكر عمرو بن عبيد فوقع فيه ونال منه؛ فقلت: أبا الخطاب! ألا أرى العلماء يقع بعضهم في بعض! فقال: يا أحول! أولا تدري أن الرجل إذا ابتدع بدعة ينبغي لها أن تُذكر حتى يُحذر؛ فجئت من عند قتادة وأنا مغتم بما سمعت من قتادة في عمرو بن عبيد، وما رأيت من نسكه وهديه؛ فوضعت رأسي نصف النهار، فإذا أنا بعمرو بن عبيد والمصحف في حجره، وهو يحك آية من كتاب الله؛ فقلت له: سبحان الله! تحك آية من كتاب الله؛ فقال:
=

قال: ابني؟! قال: نعم؛ فتغير وجهه، فلم أبرح حتى جاء؛ فقال: يا بُني! عرفتَ رأيي في عمرو، ثم تدخل عليه؟ قال: كان معي فلان، فجعل يعتذر؛ فقال يونس: أنهاك عن الزنا والسرقة وشرب الخمر، وأن تلقى الله تعالى بهن أحب إليَّ من أن تلقاه برأي عمرو وأصحابه![1].

قال لنا الحارث: ما رأيت أخوف ولا أزكى، من سعيد بن عامر[2].

إني سأعيدها؛ قال: فتركته حتى حكها؛ فقلت له: أعدها، قال: لا أستطيع). وقال حماد بن زيد: (كنت مع أيوب ويونس وابن عون وغيرهم؛ فمر بهم عمرو بن عبيد، فسلَّم عليهم ووقف وقفة؛ فلم يردوا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ثم جاز فما ذكروه). وهذا تمام الإعراض والهجران.

وقال حماد بن سلمة: (ما كان عمرو ابن عبيد عندنا إلا عُرة). وهي عُرَّة الجرب التي تسبب الحكة والعدوى.

- وليس هذا فحسب؛ بل كانوا يهجرون من يصاحبه أو يجالسه؛ قال عمر بن الفضل: (قال لي عبدالوارث: إن يونس بن عبيد يعرض عني ويجفوني ونحو هذا؛ فالقه فاسأله عن ذلك، فلقيت يونس فسألته؛ فقلت: إن عبدالوارث يشكو منك جفاء؛ قال: نعم، رأيته قريبًا من باب عمرو بن عبيد، أو عند عمرو بن عبيد). وقال إسماعيل بن إبراهيم: (جاءني عبدالعزيز الدباغ؛ فقال: قد أنكرت وجه ابن عون؛ فلا أدري ما شأنه؟! قال: فذهبت معه إلى ابن عون؛ فقلت: يا ابن عون! ما شأن عبدالعزيز؟! قال: أخبرني قتيبة صاحب الحرير؛ أنه رآه يمشي مع عمرو ابن عبيد في السوق، قال: فقال له عبدالعزيز: إنما سألته عن شيء، ووالله ما أحب رأيه؛ قال: وتسأله أيضًا!).

(١) وفي تاريخ بغداد (١٢/ ١٧٢) لما سمع عمرو بن عبيد ما قاله يونس بن عبيد؛ قال: (ليت القيامة قامت بي وبك الساعة؛ فقال يونس بن عبيد: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾).

(٢) الحارث: هو ابن أبي أسامة، وسعيد بن عامر الضبعي: هو أحد رجال السند، والمشهور في هذا الأثر قول سعيد بن عامر: (ما رأينا رجلًا قط كان أفضل منه- يعنى يونس بن عبيد-). تاريخ بغداد (١٢/ ١٧٢). ثم قال الحارث في سعيد ما قاله سعيد في يونس.

٢٦٦- قال عبدالعزيز بن أبي سلمة:

دخلت على ربيعة[1] أعوده في مرضه؛ فقلت: إن الولاة تبعث إلينا يسألونا؛ فما سمعنا منك ومن غيرك أفتيناهم، وما لم نسمعه منك ولا من غيرك اجتهدنا فيه برأينا.

فقال: ويحك يا ابن أبي سلمة! أسندني إلى صدرك، فأسندته إلى صدري؛ فقال: يا ابن أبي سلمة! لو كان هذا الذي نفتي به بالرأي؛ لأفتت السفهاء به، فرأيتَها على ظهرها تقول: هذا رأيي![2].

(١) هو: ربيعة بن أبي عبدالرحمن، واسمه فروخ القرشي التيمي، أبو عثمان، ويقال: أبو عبدالرحمن المدني المعروف بربيعة الرأي مولى آل المنكدر، روى عنه حماد بن سلمة، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، وشعبة بن الحجاج، وابن المبارك، والأوزاعي، والليث بن سعد، ومالك بن أنس. وكان ثقة كثير الحديث، وكانوا يتقونه لموضع الرأي.
قال مطرف بن عبدالله المدني: سمعت مالك بن أنس، يقول: ذهبت حلاوة الفقه منذ مات ربيعة بن أبي عبدالرحمن. انظر: تهذيب الكمال (١٨٨١).
- وعبدالعزيز بن أبي سلمة: هو ابن الماجشون، وإنما سمي الماجشون؛ لأن وجنتيه كانتا حمراوين.

(٢) جاء هذا الأثر في التمهيد لابن عبدالبر (٣/ ٤) هكذا: (كان عبدالعزيز بن أبي سلمة يجلس إلى ربيعة، فلما حضرت ربيعة الوفاة؛ قال له عبدالعزيز: يا أبا عثمان! إنا قد تعلمنا منك، وربما جاءنا من يستفتينا في الشيء لم نسمع فيه شيئًا؛ فنرى أن رأينا له خير من رأيه لنفسه فنفتيه، فقال ربيعة: أجلسوني فجلس، ثم قال: ويحك يا عبدالعزيز! لأن تموت جاهلًا خير لك من أن تقول في شيء بغير علم، لا، لا، لا- ثلاث مرات-).
- ومعنى قوله في المتن: (فرأيتَها على ظهرها تقول: هذا رأيي!) أي: فرأيتَ السُّفهاء مستلقية على ظهرها وتفتي؛ لأن الرأي لا مؤونة فيه، إنما التعب في جمع الحديث وفهمه.

٢٦٧- وعن هشام بن عروة، عن أبيه؛ قال:

لم يزل أمر بني إسرائيل معتدلًا، حتى ظهر فيهم المُوَلَّدُونَ أبناء سبايا الأمم، فقالوا فيهم بالرأي؛ فضلوا وأضلوا[1].

❐ ❐ ❐

---

(١) وفي رواية: (عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: قال عمر بن الخطاب...)، وذكره.

- وفي ذم الكلام (١/ ٧٤) قال معمر: (فهلكوا).

- وفي تاريخ الطبري (٢/ ٥٩١): (أن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كتب إلى العامة؛ أما بعد: فإنكم إنما بلغتم ما بلغتم بالاقتداء والاتباع؛ فلا تلفتنكم الدنيا عن أمركم، فإن أمر هذه الأمة صائر إلى الابتداع بعد اجتماع ثلاث فيكم: تكامل النعم، وبلوغ أولادكم من السبايا، وقراءة الأعراب والأعاجم القرآن؛ فإن رسول الله ﷺ قال- فيما يروى عنه-: (الكفر في العجمة، فإذا استعجم عليهم أمرٌ؛ تكلَّفوا وابتدعوا). وفي رفع هذا الحديث نظر، ومعناه صحيح.

- ولقد فسَّر السَّلف هذا الأثر بمشاهير أهل الرأي في زمانهم؛ قال ابن عيينة كما في تاريخ أبي زرعة الدمشقي (١/ ٢٤٧): (لم يزل أمر الناس معتدلًا حتى ظهر- وفي لفظ: حتى غيَّر ذلك المولدون أبناء سبايا الأمم، وفي لفظ: فنظرنا فإذا أول من بدَّل هذا الشأن- أبو حنيفة بالكوفة، والبَتِّي بالبصرة، وربيعة بالمدينة، فنظرنا، فوجدناهم من أبناء سبايا الأمم).

- وفي لفظ، قال سفيان: (فنظرنا فوجدنا ربيعة ابن سبي، والبَتِّي ابن سبي، وأبو حنيفة ابن سبي، فنرى أن هذا من ذاك).

وقال موسى بن هارون: (أبو حنيفة من أبناء سبايا الأمم، أمه سندية وأبوه نبطي، قال: والذين ابتدعوا الرأي ثلاثة، وكلهم من أبناء سبايا الأمم، وهم: ربيعة بالمدينة، وعثمان البَتِّي بالبصرة، وأبو حنيفة بالكوفة).

وليس هؤلاء الثلاثة بسواء، لكن جمع بينهم الرأي، على فَرق بينهم فيه أيضًا:

- ربيعة: ليس مثل صاحبيه، لكن أهل المدينة في زمنه كانوا على الأمر الأول، فلم يقبلوا من الرأي شيئًا، ورأوا أنه يفتح بابَ شرٍّ.

- وعثمان البتي: أحسن حالًا من أبي حنيفة.

- وأما أبو حنيفة: فهو أسوأ الثلاثة.

٤٠- باب: ذم من أُعجب برأيه

٢٦٨- عن أبي أُمية الشَّعْبَاني؛ قال:

أتيت أبا ثعلبة الخشني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقلت: كيف تقول في هذه الآية؟

قال: أَيَّةُ آيَةٍ ؟ قلت: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ » [المائدة:١٠٥] قال: أما والله لقد سألتَ عنها خبيرًا، سألتُ عنها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فقال: **«ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحًا مطاعًا، وهوى متبعًا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، ورأيت أمرًا لا يَدانِ لك به؛ فعليك بنفسك، ودع عنك العوام، فإن من ورائكم أيام الصبر؛ صبرٌ فيهن على مثل قبض الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلًا يعملون عمله»**[1].

---

(١) رواه أبو داود، وابن ماجه، والترمذي؛ وقال: حديث حسن غريب.

وأخرج ابن جرير في تفسيره (١١/ ١٤٢) عن جبير بن نفير، قال: (كنت في حلقة فيها أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإني لأصغر القوم؛ فتذاكروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقلت: أليس الله يقول: (عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡ) فأقبلوا عليَّ بلسان واحد؛ فقالوا: تنزع آية من القرآن لا تعرفها ولا تدري ما تأويلها!! حتى تمنيت أني لم أكن تكلمت، ثم أقبلوا يتحدثون، فلما حضر قيامهم؛ قالوا: إنك غلام حدث السن، وإنك نزعت آية لا تدري ما هي، وعسى أن تدرك ذلك الزمان؛ إذا رأيت شحًا مطاعًا، وهوى متبعًا وإعجاب كل ذي رأي برأيه؛ فعليك بنفسك، لا يضرك من ضل إذا اهتديت). اهـ

ما أعظم ما في هذا الأثر من التزكية والعلم!!

٢٦٩- وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«ثلاث منجيات: خشية الله في السر والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر. وثلاث مهلكات: هوى متبع، وشح مطاع، وإعجاب المرء بنفسه»[1].

٢٧٠- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«ثلاث منجيات»؛ مثله[2].

٢٧١- وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

يا أيها الناس! إنما أتخوف عليكم من بعدي ثلاث خلال: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه؛ وهي أشدهن.

٢٧٢- وعن أبي ثعلبة الخشني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مثل حديثه الأول؛ وزاد فيه:

قالوا: يا رسول الله! أجر خمسين منهم؟ قال: **«بل أجر خمسين منكم»**[3].

❒ ❒ ❒

---

(١) رواه أبو الشيخ في طبقات المحدثين بأصبهان، والخرائطي في اعتلال القلوب، والدولابي في الأسماء والكنى، ولا يصح مرفوعًا؛ قال العقيلي في الضعفاء (١٤٩٧): (وقد رُوي عن أنسٍ من غير هذا الوجه، وعن غير أنس بأسانيد فيها لين). اهـ

(٢) رواه الخطيب في تاريخ بغداد، والبيهقي في الشعب، ولا يصح مرفوعًا.

(٣) رواه أبو داود، وابن ماجه، والترمذي؛ وقال: حديث حسن غريب. والصحابة لا يعدلهم أحدٌ البتة في الفضل أو الأجر.

٤١- باب: من جعل عقوبة من أحدث في الدين برأيه بدعةً: القتل

٢٧٣- ورد ذلك عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قال في ديننا هذا برأيه؛ فاقتلوه»**[(١)].

٢٧٤- وعن عكرمة، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال:

إياكم والرأي! فإن الله ردَّ الرأي على الملائكة؛ وذلك أن الله عَزَّ وَجَلَّ قال للملائكة: «إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً». قال الملائكة: «أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ» [البقرة:٣٠]. وقال للنبي ﷺ: «وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ» [المائدة:٤٩]، ولم يقل: بما رأيت[(٢)].

٢٧٥- وقال عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يا غيلان! بلغني أنك تقول في القدر؛ فقال: يكذبون عليَّ يا أمير المؤمنين! قال: اقرأ عليَّ سورة يس؛ قال: فقرأ: «يسٓ - وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ»،

---

(١) رواه ابن عدي في الكامل، والخطيب في التاريخ، والفقيه والمتفقه؛ ولا يصح رفعه، إسناده فيه سويد ابن سعيد الأنباري؛ قيل ليحيى بن معين: إن سويدًا يحدث عن ابن أبي الرجال، عن ابن أبي رواد، عن نافع، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن النبي ﷺ قال: (من قال في ديننا برأيه؛ فاقتلوه). فقال يحيى: (ينبغي أن يُبدأ به فيُقتل). وفيه أيضًا إسحاق بن نجيح الأزدي؛ من الوضّاعين. والمحفوظ قوله ﷺ: (من بدّل دينه؛ فاقتلوه).

(٢) وقال الله لنبيه ﷺ: (إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ). ولم يقل: بما رأيت.

إلى قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [يس:٩]. قال: فقال غيلان: لا والله يا أمير المؤمنين! لكأني لم أقرأها قبل اليوم، أشهدك يا أمير المؤمنين! إني تائب لله من قولي في القدر. قال عمر رَحِمَهُ اللَّهُ: اللهم إن كان صادقًا؛ فثبته، وإن كان كاذبًا؛ فاجعله آية للمؤمنين(١).

قال معاذ- أحد الرواة-: حدثني صاحب لي مرَّ بمنزل ابن عون فصعد إليه فحدثه بهذا؛ فقال ابن عون: فأنا رأيته مصلوبًا بباب دمشق(٢).

---

(١) وروى الآجري في الشريعة وعنه ابن بطة في الإبانة القصة كاملة: فعن عمرو بن مهاجر- الأنصاري حاجب عمر بن عبدالعزيز- قال: (بلغ عمر بن عبدالعزيز أن غيلان يقول في القدر؛ فبعث إليه فحجبه أيامًا، ثم أدخله عليه، فقال لغيلان: ما هذا الذي بلغني عنك؟ قال عمرو بن مهاجر: فأشرت إليه أن لا تقول شيئًا قال: فقال: نعم يا أمير المؤمنين! إن الله تعالى قال: (هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا -إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا - إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا) قال: اقرأ آخر السورة: (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا - يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ۚ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا). ثم قال: ما تقول يا غيلان؟! قال: أقول: قد كنت أعمى فبصرتني، وأصم فأسمعتني، وضالًا فهديتني، فقال عمر: اللهم! إن كان عبدك غيلان صادقًا، وإلا فاصلبه، فأمسك عن الكلام في القدر، فولاه عمر بن عبدالعزيز دار الضرب- أي: ضرب الدراهم- بدمشق، فلما مات عمر بن عبدالعزيز، وأفضت الخلافة إلى هشام، تكلم في القدر، فبعث إليه هشام فقطع يده، فمرَّ به رجل والذباب على يده، فقال له: يا غيلان! هذا قضاء وقدر، فقال: كذبت، لعمر الله! ما هذا قضاء ولا قدرًا، فبعث إليه هشام فصلبه).اهـ. وعند اللالكائي زيادة بيان وتفاصيل لهذه القصة (٤/ ٧١٤).

(٢) وفي السُّنة للالكائي؛ قال معاذ بن معاذ: (حدثني صاحب لي قال: مرَّ التيمي بمنزل ابن عون فحدثه بهذا الحديث، قال ابن عون: أنا رأيته مصلوبًا بدمشق).

٢٧٦- وعن محمد بن كثير؛ قال:

كان على عهد هشام بن عبدالملك رجل يقال له: غيلان القدري؛ فشكوه الناس إلى هشام بن عبدالملك، فبعث هشام إليه فأحضره؛ فقال له: قد كثر كلام الناس فيك؛ قال: نعم يا أمير المؤمنين! ادع من شئت فيجادلني، فإن أدركتَ عليَّ شيئًا؛ فقد أمكنتُك من علاوتي- يعني رأسه- فقال هشام: قد أنصفت.

فبعث هشام إلى الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فلما حضر الأوزاعي؛ قال له هشام: يا أبا عمرو! ناظر لنا هذا القدري. قال الأوزاعي لغيلان: اختر إن شئت ثلاث كلمات، وإن شئت أربع كلمات، وإن شئت واحدة؛ فقال القدري: ثلاث كلمات؛ فقال الأوزاعي للقدري: أخبرني عن الله عَزَّوَجَلَّ هل تعلم أنه قضى- أي: قدَّر- على ما نهى؟ قال القدري: ليس عندي في هذا شيء؛ فقال الأوزاعي: هذه واحدة، ثم قال الأوزاعي: أخبرني عن الله عَزَّوَجَلَّ هل تعلم أنه حالَ دون ما أَمَر؟ فقال القدري: هذه أشد من الأولى، ما عندي في هذا شيء؛ فقال الأوزاعي: هذه اثنتان يا أمير المؤمنين! فقال الأوزاعي للقدري: أخبرني عن الله عَزَّوَجَلَّ هل تعلم أنه أعانَ على ما حَرَّم؟ فقال القدري: هذه أشد من الأولى والثانية، ما عندي في هذا شيء؛ فقال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يا أمير المؤمنين! هذه ثلاث كلمات. فأمر به هشام فضُرب عنقه.

فقال هشام للأوزاعي: فسر لنا هذه الثلاث كلمات ما هي؟ فقال: يا أمير المؤمنين! أما تعلم أن الله قضى على ما نهى، نهى آدم عن أكل

الشجرة، ثم قضى عليه بأكلها فأكلها. ثم قال الأوزاعي: يا أمير المؤمنين! أما تعلم أن الله حال دون ما أمر؛ أمر إبليس بالسجود لآدم، ثم حال بينه وبين السجود. ثم قال الأوزاعي: يا أمير المؤمنين! أما تعلم أن الله تعالى أعان على ما حرَّم؛ حرَّم أكل الميتة والدم ولحم الخنزير، ثم أعان عليه بالاضطرار إليه؛ فقال هشام: أخبرني عن الواحدة، ما كنت تقول له؟ فقال الأوزاعي: كنت أقول له: أخبرني عن مشيئتك: أمع مشيئة الله تعالى، أو دون[1] مشيئة الله؟ فبأيها أجابني حَلَّ ضربُ عنقه[2].

قال هشام: فأخبرني عن الأربع كلمات ما هن؟ فقال الأوزاعي: كنت أقول له: أخبرني عن الله حيث خلقك؛ كما شاء أو كما شئت؟ فإنه كان يقول: كما شاء، ثم أقول له: أخبرني عن الله، يرزقك إذا شئت أو إذا شاء؟ فإنه كان يقول: كما شاء، ثم أقول له: أخبرني عن الله يتوفاك إذا

---

(١) دون هنا: بمعنى غير.
- قال ابن منظور في لسان العرب (١٣/ ١٦٥): (قال بعض النحويين: لـ(دون) عشرة معان: تكون بمعنى: قبل، وبمعنى: أمام، وبمعنى: وراء، وبمعنى: تحت، وبمعنى: فوق، وبمعنى: السَّاقط من الناس وغيرهم، وبمعنى: الشريف، وبمعنى: الأمر، وبمعنى: الوعيد، وبمعنى: الإغراء). اهـ

(٢) معناه: أنه إن زعم أن مشيئته قرينة لمشيئة الله، أو غير مشيئة الله؛ مستقلة عنها ليست تابعة لها؛ فقد كفر وحلَّ ضرب عنقه.
- وفي أصول السنة لابن أبي زمنين (ص٣٠١) عن أبي الزبير المكي، قال: (ذُكر لعبدالله بن عباس أن ناسًا يتكلمون في القدر، فوصف له بعض ما يقولون، فقال: أَهَلْ في البيت منهم أحدٌ، فأقوم إليه فأفرك رقبته؟). اهـ

شئت أو إذا شاء؟ فإنه كان يقول: إذا شاء، ثم أقول له: أخبرني عن الله إذا توفاك تصير حيث شئت أو حيث شاء؟ فإنه كان يقول: حيث شاء.

ثم قال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يا أمير المؤمنين! من لم يمكنه أن يُحسن خَلْقَه، ولا يزيد في رزقه، ولا يؤخر في أجله، ولا يُصيرَّ نفسه حيث شاء، فأي شيء في يده من المشيئة يا أمير المؤمنين؟! قال هشام: صدقت يا أبا عمرو!

ثم قال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يا أمير المؤمنين! إن القدرية ما رضوا بقول الله، ولا بقول الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، ولا بقول أهل النار، ولا بقول أهل الجنة، ولا بقول الملائكة، ولا بقول أخيهم إبليس.

فأما قول الله عَزَّوَجَلَّ؛ فقوله: «فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ» [القلم: ٥٠].

وأما قول الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ:

فقول شعيب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ» [هود: ٨٨].

وقال إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ» [الأنعام: ٧٧].

وقول نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» [هود: ٣٤].

وأما قول الملائكة؛ فقولهم: «سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ» [البقرة: ٣٢].

وأما قول أهل الجنة؛ فإنهم قالوا: «ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ» [الأعراف: ٤٣].

وأما قول أهل النار؛ فإنهم قالوا: «لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ» [إبراهيم: ٢١].

وأما قول إبليس؛ فقوله: «رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي» [الحجر:٣٩][(١)].

❐ ❐ ❐

(١) هذا الأثر العظيم والحجة البالغة؛ ينبغي أن يُحفظ ويُكثر النظر فيه؛ فإنه نافع بإذن الله من (أبجد الزندقة)؛ وهي الوسوسة في قدر الله تعالى وعدله.
- ولاحظ كيف وفَّق اللهُ الإمامَ الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لهذه الأدلة الدامغة والحُجج البالغة! مع أنه لم يطلب المناظرة ولم يتشوف لها، لكن لما احتيج إليها في قمع البدع وإطفائها؛ أنزل الله عليه توفيقه وتثبيته، وكان هو الإمام حقًّا، ويشبهه ما حصل للإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مناظرته للجهمية.
قال تعالى: (وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ).
وقال تعالى: (يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ).

٤٢- باب: ذم الأهواء والمُخَالَفَةِ للكتاب والسُّنة وإجماع الأمة

٢٧٧- عن طاوس، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال:
ما ذكر الله هوىً في القرآن؛ إلا ذمَّه.

٢٧٨- قال إبراهيم النخعي رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى:
«وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ »[المائدة: ٦٤].
قال: هم أصحاب الأهواء(١).

٢٧٩- ومثله عن التيمي؛ قال: هذه الأهواء والاختلاف في الدين.

٢٨٠- وعن مجاهد في قوله تعالى: «قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ »؛ قال: الرَّجم.
«أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ »؛ قال: الخسف.
«أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا »؛ قال: الأهواء المفترقة.
«وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ »؛ قال: يقتل بعضهم بعضًا؛ قال: وقال: هذا عذاب أهل الإقرار(٢).

---

(١) وفي السُّنة لعبدالله (١/ ٣٢٨) عن الشعبي؛ قال: (إنما سموا: أصحاب الأهواء؛ لأنهم يهوون في النار).

(٢) أي: أهل الإسلام؛ لأن رسولنا ﷺ سأل ربه عزَّ وجل أن يمنعها عن هذه الأمة، فلم يجبه إلى ذلك، حتى يكون بأسها بينها، وحتى يقتل بعضها بعضًا ويسبي بعضها بعضًا.

٢٨١- قال أبو الحسن علي بن إبراهيم:

فسَّرَ الصُّوري[١]- يعني الحافظ ببغداد- عذاب أهل الإقرار؛ أن إلباس الشيع، وإذاقةُ بعضٍ بأس بعضٍ: عذاب المقرين بالله عَزَّوَجَلَّ. والخسف ونحوه: عذاب المنكرين لله.

٢٨٢- وقال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لأن يلقى الله العبد بكل ذنبٍ ما خلا الشرك؛ خير له من أن يلقاه بشيء من الأهواء.

٢٨٣- وقال ابن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نُبِّئْتُ أن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان يقول: تكون ردة شديدة.

٢٨٤- قال ابن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا أعلم التَّقَحُّم في الكفر والرِّدة إلا سواء، وإن الرِّدة تكون في أصحاب الأهواء[٢].

---

(١) هو: محمد بن على بن عبدالله، أبو عبدالله الصوري؛ قال الخطيب: (قدم علينا سنة ثمان عشرة وأربعمئة؛ فسمع من أبي الحسن بن مخلد ومن بعده، أقام ببغداد يكتب الحديث، وكان من أحرص الناس عليه، وأكثرهم كتبًا له وأحسنهم معرفة به، ولم يقدم علينا من الغرباء الذين لقيتهم أفهم منه بعلم الحديث.. وكان يسرد الصوم ولا يفطر إلا يومى العيدين وأيام التشريق). وبعدما ذكر الخطيب أثر المغيرة الذي قال فيه: (خرج عدي بن حاتم، وجرير بن عبدالله البجلي، وحنظلة الكاتب من الكوفة؛ فنزلوا قرقيسيا، وقالوا: لا نقيم ببلد يُشتم فيه عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ!! قال الخطيب: قال لي محمد بن علي الصوري: أنا رأيت قبورهم بقرقيسيا).
- فما ظنك بمن يقيم ببلدٍ يُشتم فيه الله، أو يُشرك معه غيره، أو يُحكم فيها بغير شرعه عزَّ وجلَّ.

(٢) التَّقحُّم: هو الإقدام والوقوع في الأمور الشَّاقة من غير تثبت، والتَّقحُّم في الكفر منه الانضمام =

٢٨٥- قال وهب بن منبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إن من أعون الأخلاق على الدين: الزهادة في الدنيا، وأوشكها ردى: اتباع الهوى، ومن اتباع الهوى: الرغبة في الدنيا، ومن الرغبة في الدنيا: حبُّ المال والشرف، ومن حبِّ المال والشرف: استحلال المحارم، ومن استحلال المحارم: غضب الله، وغضب الله الداء الذي لا دواء له إلا رضوان الله، ورضوان الله: الدواء الذي لا يضر معه داء، ومن يُرد أن يرضي ربه؛ يسخط نفسه، ومن لم يسخط نفسه لا يرضي ربه، إنْ كان كلما ثقل على الإنسان شيء من أمر دينه تركه؛ أوشك أن لا يبقى معه (منه) شيء.

للأحزاب الضَّالة والفرق الهدَّامة، وهو طريق الرِّدة، وتولي المشركين ومحادة الله ورسوله ﷺ.

- قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢٢/ ٣٠٦): (فإن البدع لا تزال تخرج الإنسان من صغير إلى كبير، حتى تخرجه إلى الإلحاد والزندقة؛ كما وقع لغير واحد ممن كان لهم أحوال من المكاشفات والتأثيرات، وقد عرفنا من هذا ما ليس هذا موضع ذكره، فالسُّنة مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق، قال الزهري: كان من مضى من علمائنا يقولون: الاعتصام بالسنة نجاة. وعامة من تجد له حالًا من مكاشفة أو تأثير أعان به الكفار أو الفجار أو استعمله في غير ذلك من معصية، فإنما ذاك نتيجة عبادات غير شرعية، كمن اكتسب أموالًا محرمة، فلا يكاد ينفقها إلا في معصية الله، والبدع نوعان: نوع في الأقوال والاعتقادات، ونوع في الأفعال والعبادات، وهذا الثاني يتضمن الأول، كما أن الأول يدعو إلى الثاني). اهـ

- وبمفهوم المخالفة؛ فإن في هذا الأثر مدحًا لأهل السُّنة والحديث بأنهم أبعد الناس- بعصمة الله لهم- عن الرِّدة والكفر والنفاق.

- قال تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾. [آل عمران: ١٠١].

٢٨٦- وعن مجاهد، أو ميمون بن مهران؛ قال:
اجتنب كل هوى يُدعى بغير الإسلام[(١)].

٢٨٧- قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:
كل هوى ضلالة.

٢٨٨- وقال أبو العالية رَحِمَهُ اللَّهُ:
إياكم! وهذه الأهواء- قال الراوي: فلم يزل يرددها حتى قمنا من عنده- إياكم! وهذه الأهواء؛ التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء[(٢)].

---

(١) أي يرضى أهله بأسماء مُحْدَثة، ولا يكتفون باسم التوحيد والإسلام والسُّنة.
- وفي الإبانة عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: (من أقرَّ باسم من هذه الأسماء المحدثة، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه).
- وقال عبدالرحمن بن مهدي: (سئل مالك بن أنس عن السُّنة، قال: هي ما لا اسم له غير السُّنة، وتلا قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾).

(٢) أول الأثر؛ قال أبو العالية: (تعلَّموا الإسلام، فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم فإنه الإسلام، ولا تنحرفوا عن الصراط يميناً ولا شمالاً، وعليكم بسنة نبيكم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإياكم وهذه الأهواء...).
- قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه فضل الإسلام: (تأمل كلام أبي العالية هذا ما أجلَّهُ واعرف زمانه الذي يُحذِّرُ فيه من الأهواء التي من اتبعها فقد رغب عن الإسلام، وتفسيره الإسلام بالسُّنة، وخوفه على أعلام التابعين وعلمائهم من الخروج عن السُّنة والكتاب!! يتبين لك معنى قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ﴾. وقوله: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾. وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾. وأشباه هذه الأصول الكبار التي هي أصل الأصول، والناس عنها في غفلة، وبمعرفته يتبيَّن معاني الأحاديث في هذا الباب وأمثالها، وأمَّا الإنسان
=

٢٨٩- وعن أبي فراس؛ قال: قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:
قد أتى عليَّ حينٌ وأنا أحسب أن من قرأ القرآن؛ يريد به الله وما عنده، وقد خُيل إليَّ بأَخَرَةٍ أن أقوامًا يريدون به الناس وما عندهم، ألا فأريدوا الله بقراءتكم، ألا فأريدوا الله بأعمالكم، ألا وإنما كنا نعرفكم إذ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين أظهرنا، وإذ الوحي ينزل عليه، إذ نبأنا الله تعالى من أخباركم، ألا فقد قُبض رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورُفع الوحي، ألا فإنما أعرفكم بما أقول لكم: من أظهر منكم خيرًا؛ ظننا به خيرًا وأحببناه عليه، ومن أظهر منكم شرًّا؛ ظننا به شرًّا وأبغضناه عليه؛ وسرائركم بينكم وبين ربكم عَزَّ وَجَلَّ[1].

الثَّواءُ[2] ههنا قليل؛ أنتم خير أمتكم، وأمتكم خير الأمم، تَرْذُلُون في كل يوم وليلة، وقد أُسرِع بخياركم، فما الذي تنتظرون؟! المُعاينة!! فكأنها- والله الذي لا إله إلا هو- قد كانت، أتنتظرون أن يبعث نبي بعد نبيكم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيسبق لكم معه سابقة، ألا إنه لا نبي بعد نبيكم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا

الذي يقرأها وأشباهها وهو مطمئن أنها لا تناله ويظنُّها في قوم كانوا فبانوا (فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ). اهـ

(١) إلى هنا انتهى كلام عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المشهور.
وما بعده إلى آخر الأثر يُروى عنه- كما هنا- ويروى عن الحسن البصري؛ كما في حلية الأولياء، وغيره.

(٢) الثَّواء: هو طول المُقام؛ ومنه قوله تعالى: (إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ)؛ أي: إنه تَولاني في طول مُقامي.

كتاب بعد كتابكم، ولا أُمة بعد أمتكم. تسوقون الناس والساعة تسوقكم، وإنما يُنتظر بأولكم أن يَلحق آخركم.

رحم الله امرأً عرف ثم صبر، وتصبر ثم صبر؛ فإن أقوامًا قد جزعوا فانتزع الجزع أبصارهم، فلا هم أدركوا ما طلبوا، ولا هم رجعوا إلى ما تركوا. اتقوا هذه الأهواء المتفرقة الضالة المضلة البعيدة من الله عَزَّوَجَلَّ التي جِماعها الضلالة وميعادها النار، لهم محنة؛ من أصابها أضلته، ومن أصابته قتلته؛ زعموا أن محارم الله لهم قربة؛ افتراء على الله عَزَّوَجَلَّ[1].



(١) جاء الأثر بأطول من هذا في حلية الأولياء (٢/ ١٤٥) عن الحسن، قال: (رحم الله امرأً عرف ثم صبر ثم أبصر فبصر؛ فإن أقوامًا عرفوا فانتزع الجزع أبصارهم، فلا هم أدركوا ما طلبوا ولا هم رجعوا إلى ما تركوا، اتقوا هذه الأهواء المضلة البعيدة من الله التي جماعها الضلالة وميعادها النار، لهم محنة؛ من أصابها أضلته ومن أصابته قتلته، يا ابن آدم! دينك دينك؛ فإنه هو لحمك ودمك، إن يسلم لك دينك يسلم لك لحمك ودمك، وإن تكن الأخرى فنعوذ بالله؛ فإنها نارٌ لا تطفى، وجرح لا يبرى، وعذاب لا ينفد أبدا، ونفس لا تموت، يا ابن آدم! إنك موقوف بين يدي ربك ومرتهن بعملك؛ فخذ مما في يديك لما بين يديك، عند الموت يأتيك الخبر. إنك مسئول ولا تجد جوابًا، إن العبد لا يزال بخير ما كان له واعظ من نفسه، وكانت المحاسبة من همه). اهـ

٤٣- باب: ما رُوي عن النبي ﷺ في ذلك

٢٩٠- عن كُرْز بن وَبَرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«ما من شيء إلا وله آفة، وإن آفة هذا الدين: الأهواء»(١).

٢٩١- وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن أخوف ما أخاف على أمتي: الهوى وطول الأمل، فأما الهوى فيضلُ عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة، وهذه الدنيا مرتحلة، وهذه الآخرة قادمة، ولكل واحدة منهما بنون؛ فكونوا من بني الآخرة، ولا تكونوا من بني الدنيا؛ فإنكم اليوم في دار العمل، وأنتم غدًا في دار الجزاء ولا عمل»(٢).

٢٩٢- وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ؛ قال:

«إن من أشد ما أتخوف عليكم خصلتين: اتباع الهوى، وطول الأمل؛ فأما اتباع الهوى فإنه يعدل عن الحق، وأما طول الأمل فإنه يحبب الدنيا، ثم قال: ألا إن الله عَزَّ وَجَلَّ يعطي الدنيا من يحب ويبغض، وإن من أحبه الله

---

(١) رواه الأصبهاني في الحجة؛ وهو مرسل. وفيه عبيدالله بن الوليد الوصافي؛ متروك الحديث؛ ففي رفعه نظر، ومعناه صحيح.

(٢) رواه البيهقي في الشعب. وفي رفعه نظر، فيه اللَّهَبِيُّ؛ متروك الحديث. وهو محفوظ من قول علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- كما في الأثر الذي بعده-.

أعطاه الإيمان، ألا وإن للدين أبناء وللدنيا أبناء؛ فكونوا من أبناء الدين، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، ألا إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، ألا وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة، ألا وإنكم في يوم عمل ليس فيه حساب، وأنتم غدًا في يوم حساب وليس فيه عمل»[١].

٢٩٣- وعن كثير بن عبدالله المزني، عن أبيه، عن جده؛ قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إني أخاف على أمتي من بعدي من أعمال ثلاثة»**؛ قالوا: وما هي يا رسول الله؟ قال: **«زلة العالم، أو حكم جائر، أو هوى متبع»**[٢].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل. وفيه انقطاع، والصواب أنه موقوف على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مشهور من كلامه.

(٢) رواه الطبراني في الكبير، والبيهقي في المدخل. وهو كلام محفوظ عن عمر وعليّ وغيرهما من الصحابة، ورفعه لا يصح، وصحيفة كثير بن عبدالله عن أبيه عن جده، قال عنها عبدالله بن أحمد بن حنبل: (ضرب أبي على حديثه في المسند ولم يحدث بها). وقال الحاكم: (حدَّث عن أبيه، عن جده نسخة فيها مناكير). وقال ابن حبان: (منكر الحديث جدًا يروي عن أبيه عن جده نسخة موضوعة، لا يحل ذكرها في الكتب ولا الرواية عنه، إلا على سبيل التعجب). لأنه يرفع الموقوفات ويقلب أقوال الناس إلى وحي.

- وفي السنن الكبرى للبيهقي (١٠/ ٢١١) قال إسماعيل بن إسحاق القاضي: (دخلتُ على المعتضد، فدفع إليَّ كتابًا نظرت فيه، وكان قد جُمِع له الرخص من زلل العلماء؛ فقلت: يا أمير المؤمنين! مصنِّف هذا الكتاب زنديق! فقال: ألم تصح هذه الأحاديث؟! قلت: الأحاديث على ما رُويت، ولكن من أباح المسكر لم يبح المتعة، ومن أباح المتعة لم يبح الغناء والمسكر، وما من عالم إلا وله زلة، ومن جمع زلل العلماء ثم أخذ بها؛ ذهب دينه. فأمر المعتضد، فأُحرق ذلك الكتاب). اهـ

=

٢٩٤- وعن أسماء بنت عميس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ قالت:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الأعلى، بئس العبد عبد تخيل واختال ونسي الكبير المتعال، بئس العبد عبد سهى ولهى ونسي المقابر والبِلَى، بئس العبد عبد عتى وطغى ونسي المبتدا والمنتهى، بئس العبد عَبْدٌ يَخْتِلُ الدنيا بالدين، بئس العبد عبد يختل الدين بالشهوات، بئس العبد عَبْدٌ طَمَعٌ يقوده، بئس العبد عبدٌ هوىً يضله، بئس العبد عَبْدٌ رَغَبٌ يذله**». هذه رواية الترمذي[1].

قال أبو قلابة رَحِمَهُ اللَّهُ:

وجدت في كتابي بخط يدي:

«**بئس العبد عبد يزيله الرَغَبُ عن الحق**»[2].

❒ ❒ ❒

- وقال محمد بن شعيب: (سمعت الأوزاعي، يقول: من أخذ بنوادر العلماء؛ خرج من الإسلام).

- وقديمًا قالوا: (من أراد أن يتعطَّل ويتبطَّل؛ فليلزم الرُّخَص).

(١) قال الترمذي: (هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وليس إسنادُه بالقويّ). اهـ وما فيه من المعاني صحيحٌ نافعٌ، دون أن ينسب إلى رسول الله ﷺ أو يُقَوَّل ما لم يقل.

(٢) أخرجه الخطيب في الكفاية.

٤٤- باب: النهي عن اتباع الهوى، وما يخاف من سوء عاقبته

٢٩٥- عن (ابن أبي) صدقة اليماني؛ قال:

يبعث بين يدي الساعة أمراء كذبة، ووزراء فجرة، وأمناء خونة، وعرفاء ظلمة، وقراء فسقة؛ أهواءهم مختلفة، سيماهم سيما الرهبان، ليس لهم دَعَة[1]، قلوبهم أنتن من الجيف، تلبسهم فتنة غبراء مظلمة، يتهاوكون فيها تهاوك اليهود الظلمة.

٢٩٦- وعن مُطَرِّف بن عبدالله بن الشِّخير رَحِمَهُ اللَّهُ؛ قال:

لو كانت هذه الأهواء هوى واحدًا؛ لقال قائل: لعلَّ الحق فيه، فلما تشعبت فاختلفت، عرف كل ذي عقل أن الحقَّ لا يتفرق[2].

---

(١) هي السكون والوقار، وفي لفظ: (رِعة) بكسر الراء؛ أي: ورع عن المحرمات. وفي لفظ: (رغبة) أي: في الخير. وفي لفظ: (زِعة) بكسر الزاي؛ أي: وازع يمنعهم من مخالفة الأوامر وارتكاب النواهي.

(٢) وهذه طريقة حسنة في تمييز الباطل، ومعرفة ما تؤول إليه الأمور، وكان مُطَرِّف بن عبدالله بن الشِّخير رَحِمَهُ اللَّهُ من أكثر الناس استعمالًا لهذه الطريقة، فيقول: (لو كان كذا...) ثم يضع جميع الاحتمالات، ويُخْرِج منها ما لا يصلح، ومِنْ ثَم يُعرف الحق من الباطل، ومن أمثلة ذلك:
- ما رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٩٨٦٠) عن حميد بن هلال، قال: (أتى الحرورية مطرف بن عبدالله يدعونه إلى رأيهم. قال: فقال: يا هؤلاء! إنه لو كانت لي نفسان تابعتكم بإحداهما وأمسكت الأخرى؛ فإن كان الذي تقولون هُدى اتبعتها بالأخرى، وإن كانت ضلالة هلكت نفسٌ وبقيت لي نفسٌ، ولكنها نفس واحدة، وأنا أكره أن أغرر بها).

=

٢٩٧- وعن سهل بن عليٍّ؛ قال:

سمعت موسى بن عُليّ، يقول: دخل إخوة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ فعرفهم ولم يعرفوه، فخلا بكبيرهم- وكان ابن خالته- فقال له: ما أوصاك أبوك؟ قال: بأربع خصال؛ قال: ما هي؟ قال: قال: لا تتبع هواك؛

- وفيه، عن حميد بن هلال، قال: (أتى مُطرِّف بن عبدالله زمان ابن الأشعث ناسٌ يدعونه إلى قتال الحجاج. فلما أكثروا عليه، قال: أرأيتم هذا الذي تدعوني إليه، هل يزيد على أن يكون جهادًا في سبيل الله؟ قالوا: لا. قال: فإني لا أخاطر بين هلكةٍ أقع فيها، وبين فضلٍ أصيبه).

- وكان الأمر كما تنبأه مُطرِّف- لما قالوا له: هذا عبدالرحمن بن الأشعث قد أقبل- قال: (والله لقد رابني أمران: لئن ظهر لا يقوم لله دين، ولئن ظُهر عليه لا يزالون أذلةً إلى يوم القيامة).

وكان يقول: (لأن آخذ بالثقة في القعود أحبُّ إلي من أن ألتمس- أو قال-: أطلب فضل الجهاد بالتغرير).

- فرحمة الله على مطرِّف؛ فقد كان أغزر الناس عقلًا، وأرسخهم قدمًا، وأحلمهم وأعلمهم، وآثاره من أنفع الآثار على الإطلاق؛ لأنه أشبه أهل العراق بالصحابة في أمره كله، وموقفه لما هاجت فتنة القُرَّاء على الحجَّاج يشهد بذلك، ولهذا قال: (إذا كان ديني يضيق عليَّ حتى أقوم إلى رجلٍ معه مئة ألف سيف فأنبذ إليه بكلمة، يقتلني عليها، إن ديني إذًا أضيق).

- ولما قُدِّم إلى الحجَّاج ليضرب عنقه، قال له الحجاج: (أتُقِر على نفسك بالكفر؟ قال: إن من شق العصا، وسفك الدماء، ونكث البيعة، وأخاف المسلمين لجديرٌ بالكفر؟ قال: خليا عنه. ثم قُدِّم إليه سعيد بن جبير رَحِمَهُ اللَّهُ، فقال له: أتُقر على نفسك بالكفر؟ قال: ما كفرت بالله مذ آمنت به؟ قال: اضربوا عنقه).

- وفي الطبقات لابن سعد (٩٨٥٦) عن ثابت البناني، أن مطرف بن عبدالله، قال: (لبثت في فتنة ابن الزبير تسعًا أو سبعًا ما أخبرت فيها بخبر، ولا استخبرت فيها عن خبر).

- وفيه (٩٨٥٧) عن أبي عقيل بشير بن عقبة، قال: (قلت ليزيد بن عبدالله بن الشخير أبي العلاء: ما كان مطرِّف يصنع إذا هاج في الناس هيج؟ قال: كان يلزم قعر بيته، ولا يقرب لهم جمعة، ولا جماعة حتى تنجلي لهم عما انجلت). اهـ

- وكان أبوه صحابيًّا، وكان مطرف من ألزم الناس لعمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتى مات.

فتفارق إيمانك، ولا تسيء بالله عَزَّوَجَلَّ الظَّنَّ؛ فلا يستجيب دعاءك، ولا تكثر منطقك فيما لا يعنيك؛ فتسقط من عينه، ولا تظلم الناس؛ فالجنة لم تُخلق للظالمين[١].

٢٩٨- وقال عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ:

خرج جيش من المسلمين وأنا أميرهم، حتى إذا نزلنا بالإسكندرية؛ قال عظيمها: أخرجوا رجلًا أكلمه ويكلمني؛ فقلت: لا يخرج إليه غيري، فخرجت مع ترجمانٍ لي، وخرج معه بترجمان له، ووضع لنا منبران.

فقال: ما أنتم؟ فقلنا: نحن أضل العرب[٢]، وأهل الشوك والقَرَض، ونحن أهل بيت الله، أضيق الناس أرضًا وشرهم عيشًا؛ كنا نأكل الميتة والدم، ويغير بعضنا على بعض، بأشرِّ عيش عاش به الناس.

حتى خرج فينا رجل ليس بأعظمنا يومئذ شرفًا ولا أكثرنا مالًا؛ فقال: أنا رسول الله إليكم؛ فأمرنا بما لا نَعرِف، ونهانا عما كنا عليه، وكان عليه آباؤنا؛ فكذبناه ورددنا عليه الذي جاء به، حتى جاءه قوم غيرنا؛ فقالوا: نحن نصدقك ونؤمن بك ونتبعك ونقاتل من قاتلك، فخرج

---

(١) هذه- ورب الكعبة- وصايا الأنبياء ونورهم! فأدم النظر فيها والعمل بها؛ علَّك تُفلح.

(٢) وفي الاستيعاب لابن عبدالبر (٣/ ٢٨٦) عن أبي الحارث الكرماني، قال: (سمعت أبا رجاء العطاردي- يقول: أدركت النَّبي ﷺ وأنا شاب أمرد. قال: ولم أر ناسًا كانوا أضل من العرب، وكانوا يجيئون بالشاة البيضاء فيعبدونها، فيجيء الذئب فيذهب بها، فيأخذون أخرى مكانها فيعبدونها، وإذا رأوا صخرة حسنة جاءوا بها، وذهبوا يصلون إليها، فإذا رأوا صخرة أحسن من تلك رموها، وجاءوا بتلك يعبدونها). اهـ

إليهم وخرجنا فقاتلناه؛ فقَتَلَنا وظهر علينا، ثم خرج إلينا وظهـر علينـا، ثم تناول من يليه من العرب؛ فقاتلهم وظهر عليهم، فلو يعلم من ورائي من العرب ما أنتم فيه من العيش، لم يبق أحد إلا جاءكم حتى يـشرككم فيما أنتم فيه. فضحك، ثم قال: إن رسـولكم قـد صـدق، وقـد جاءتنـا رسلنا بمثل الذي جاءكم به رسولكم، وكنا عليه حتى ظهر فينا ملـوك؛ فجعلوا يعملون فينا بأهوائهم، ويتركون أمر الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. فإن أنـتم أخذتم بما جاء به نبيكم؛ لم يقاتلكم أحد إلا غلبتموه، ولم يتناولكم أحـد إلا ظهرتم عليه، وإن أنتم فعلتم مثل الذي فعلنا، وتـركتم أمـر نبـيكم، وعملتم بأهوائكم؛ خلى بيننا وبينكم، ولم تكونوا أكثر منَّا عددًا ولا أشد منَّا قوة. قال عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: والله ما كلمت رجلًا أمكر منه قط[1].

❒ ❒ ❒

(١) لأن كلامه حقٌّ محض، لكنه أراد به أن يقوموا على ملوكهم وتثور الفتن في بلادهم، ورسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد قال لنا: (إنكم ستلقون بعدي أثرة- أي: استئثارًا عليكم بالدنيا- فاصبروا حتى تلقوني على الحوض). وقال: (أدوا إليهم حقَّهم، وسلوا الله حقَّكم).
وقال: (خيار أئمتكم الذي تحبـونهم ويحبـونكم، وتـصلون علـيهم ويـصلون علـيكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم، قالوا: قلنا يا رسـول الله: أفـلا ننابذهم عند ذلك؟ قال: لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، لا، ما أقاموا فيكم الـصلاة، ألا مـن ولي عليه وال فرآه يأتي شيئًا من معصية الله، فليكره ما يـأتي مـن معـصية الله، ولا ينـزعن يـدًا مـن طاعة).
ونِعْمَ الشَّرع شرعنا.

٤٥- باب: إثم أصحاب الأهواء وما زين لهم الشيطان فيها

٢٩٩- عن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ؛ قال:

«عليكم بلا إله إلا الله، وبالاستغفار فأكثروا منهما؛ قال إبليس: أهلكتُ الناس بالذنوب، وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار، فلما رأيتُ ذلك؛ أهلكتهم بالأهواء، فهم يحسبون أنهم مهتدون»[١].

٣٠٠- وتقدَّم حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره:

«ثلاث منجيات، وثلاث مهلكات»[٢].

٣٠١- وقال منصور، عن إبراهيم:

إذا امتنع المؤمن من الشيطان؛ قال: من أين آتيه؟ من أين آتيه؟ ثم يقول: بلى، من قِبلِ هواه.

٣٠٢- قال يحيى البكاء:

كان الحسن يُنزل أصحاب الأهواء بمنزلة اليهود والنصارى[٣].

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في السُّنة، وأبو يعلى في مسنده؛ وإسناده شديد الضعف فيه عثمان بن مطر الشيباني وهو منكر الحديث، وعبدالغفور بن عبدالعزيز الواسطي؛ وهو متروك الحديث.
ومعناه صحيح متواتر عن السَّلف.

(٢) انظر: (٢٦٩) و(٢٧٠).

(٣) كلام الحسن لا يعني تكفير أهل البدع بالإطلاق أو بالأعيان؛ فالبدع منها المكفِّر ومنها دون ذلك. وكذلك المبتدع- كلٌّ حسب اعتقاده وعمله-.

=

- وإنما المقصود- والله أعلم- أنهم أقرب الناس شبهًا باليهود والنصارى؛ كما في الحديث الذي رواه الطبراني: (أنتم أشبه الأمم ببني إسرائيل، لتركبن طريقهم حذو القذة بالقذة، حتى لا يكون فيهم شيء إلا كان فيكم مثله).
- وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أنتم أشبه الناس سمتًا وهديًا ببني إسرائيل، لتسلكن طريقهم؛ حذو القذة بالقذة، والنَّعل بالنَّعل).
- وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (لم يكن في بني إسرائيل شيء إلا كائن فيكم).
- وقال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (نِعم الإخوة لكم بنو إسرائيل: إن كان لكم الحلو ولهم المر! كلا، والذي نفسي بيده حتى تحذى السُّنة بالسُّنة حذو القذة بالقذة).
- وقال سفيان بن عيينة: (من فسد من علمائنا ففيه شَبَهٌ من اليهود، ومن فسد من عُبّادنا ففيه شَبَهٌ من النصارى).
- ومن تدبر حال أهل البدع علم ذلك يقينًا، فاليهود علامة على الذين يعلمون ولا يعملون، والنصارى علامة على الذين يعملون ولا يعلمون، ويقولون على الله بلا علم.
- ولذلك فالجهمية تشبهوا باليهود والنصارى في تحريف الأسماء والصفات، بل فاقوهم في ذلك كما قال ابن المبارك: (نستطيع أن نحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية).
- والمرجئة كذلك تشبهوا باليهود بالنصارى؛ كما قال ابن عباس: (الإرجاء شعبة من النصرانية)، وقال سعيد بن جبير: (المرجئة يهود القبلة).
- والقدرية والرافضة تشبهوا بالمجوس واليهود، وقد قيل: (إن عامة من هلك من بني إسرائيل؛ بالتكذيب بالقدر).
- وفي شرح اعتقاد أهل السُّنة (٤/ ٧٣١) عن الحارث بن سريج البزاز، قال: (قلت لمحمد بن علي: إن لنا إمامًا يقول في القدر؛ فقال: يا ابن الفارسي! انظر كل صلاة صليتها خلفه فأعدها؛ إخوان اليهود والنصارى قاتلهم الله أنى يؤفكون). اهـ
- وأيضًا الرافضة تشبهوا بالنصارى؛ فكما أن النصارى غلوا في عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فنقلوه من مقام النبوة إلى أن اتخذوه إلهًا من دون الله يعبدونه كما يعبدون الله، بل غلوا فيمن زعم أنه على دينه من أتباعه، فادعوا فيهم العصمة، فاتبعوهم في كل ما قالوه، سواء كان حقًّا أو باطلًا، فكذلك فعلت الروافض مع عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثم مع الأئمة الذين يعتقدون فيهم العصمة.

=

٣٠٣- وقال ابن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:
كان يُروى أن أسرع الناس ردة: أصحاب الأهواء[1].

- وكذلك تشبهت الرافضة باليهود حتى في عباداتهم، وقد ذكر ابن تيمية في أول كتابه منهاج السنة أكثر من سبعين مسألة قلَّد فيها الرافضة اليهود.
- والصوفية تشبهوا بهم في زخرفة المساجد، وتعظيم قبور الصالحين، واتخاذها مساجد ودعائهم من دون الله، والرهبانية.
- والخوارج تشبهوا بهم في الغلو في الدين والإفراط فيه؛ فكما أن اليهود لم يؤمنوا بعيسى وأرادوا قتله، فكذلك الخوارج لم يرضوا بقسمة النبي ﷺ وخرجوا على أصحابه، وسعوا في قتلهم.
- وكذلك أهل الرأي من هذه الأمة متشبهون باليهود والنصارى؛ كما قال هشام بن عروة عن أبيه: (إن بني إسرائيل لم يزل أمرهم معتدلًا حتى نشأ فيهم المولدون أبناء سبايا الأمم؛ فأخذوهم بالرأي فضلوا وأضلوا). وقال ابن سيرين: (كانوا يرون أن بني إسرائيل إنما ضلوا بكتبٍ ورثوها)، وهي الكتب المحرفة وكتب أهل الرأي.
- وكذلك أهل الحيل من هذه الأمة متشبهون بأصحاب السبت وباليهود والنصارى؛ قال أبو عُبيد القاسم بن سلَّام في كتابه غريب الحديث (٤/ ٢٨٢): (سألت رجلًا- من أهل العلم بالكتب الأولى، قد عرفها وقرأها- عن المثناة؟ فقال: إن الأحبار والرهبان من بني إسرائيل بعد موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وضعوا كتابًا فيما بينهم على ما أرادوا من غير كتاب الله تبارك وتعالى، فسموه المثناة، كأنه يعني أنهم أحلُّوا فيه ما شاءوا، وحرَّموا ما شاءوا، على خلاف كتاب الله تبارك وتعالى).
- وفرقتا (الإخوان المسلمين والتبليغ) في عصرنا هم أشبه الناس باليهودية والنصرانية والهندوسية في أمور كثيرة يعرفها من خبر أمرهم.
- وقد قَرَن النبي ﷺ أهل البدع والأهواء باليهود والنصارى في حديث واحد؛ وهو حديث الافتراق العظيم.

(١) المحفوظ من الأثر كما في الإبانة الكبرى: عن ابن عون، قال: (كان محمد بن سيرين يرى أن أسرع الناس ردة أهل الأهواء، وكان يرى أن هذه الآية نزلت فيهم: «وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا »).

٣٠٤- وقال أرطأة بن المنذر رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لأن يكون لي ابن فاسق من الفُساق؛ أحبّ إليَّ من أن يكون صاحب هوى.

٣٠٥- وقال سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عن خُصيف[١]:

إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أوحى إلى موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: لا تجالس أهل الأهواء، فإنه إن حاك في صدرك شيء مما يقولون؛ يكبك في نار جهنم[٢].

٣٠٦- وقال أبو قلابة رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأيوب:

احفظ عني ثلاثًا: لا تأتين السلطان، ولا تجالس أصحاب الأهواء، والزم سوقك[٣].

---

(١) هو: خُصيف بن عبدالرحمن الجزري، أبو عون الحراني الحضرمي الأموي مولى عثمان بن عفان ويقال: مولى معاوية بن أبي سفيان، وهو أخو خصاف بن عبدالرحمن وكانا توأما، رأى أنس ابن مالك. وروى عن سعيد بن جبير، وسفيان الثوري- وهو من شيوخه- وعبدالعزيز بن جريج، وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة مولى ابن عباس، ومجاهد بن جبر، وميمون بن مهران، وأبي عبيدة بن عبدالله بن مسعود. قال الإمام أحمد: ليس بحجة ولا قوي في الحديث، ومرة قال: ضعيف الحديث. وقال: شديد الاضطراب في المسند. انظر: تهذيب الكمال (١٦٩٣).

(٢) وفي الإبانة الكبرى (١/ ١٧٢) بلفظ: (مكتوب في التوراة: يا موسى! لا تخاصم أهل الأهواء، يا موسى! لا تجادل أهل الأهواء؛ فيقع في قلبك شيء، فيرديك، فيدخلك النار).
فتكون المجالسة سببًا للشكِّ والحيرة في الدين، التي هي سبب دخول النار.

(٣) وفي آخره زيادة رواها البيهقي في الشعب (٢/ ٤٥٢)؛ قال: (فإن الغنى من العافية).
ومراده بالغنى: الاستغناء عن الناس.

٣٠٧- وقال إسحاق بن أبي يحيى الكعبي:

إن سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أتاه رجل، فسلم عليه ومد يده إلى سفيان؛ فرفع سفيان بصره إليه، ثم صَوَّب، ولم يمد يده إلى الرجل، فلما رأى الرجل ما فعل به سفيان؛ انصرف ولم يجلس؛ فقال سفيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن هذا كان يجالسنا، فبلغني أنه يجالس هؤلاء[1]، فأراد أن يأخذ بالطَّرَفيْن، فإذا فعل أحدهم هذا؛ فافعلوا به هكذا.

٣٠٨- وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٤٦].

قال: من خاف مقام الله تعالى عليه.

وقال: ما أدري أي النعمتين عليَّ أعظم: أن هداني للإسلام، أو عافاني من الأهواء.

٣٠٩- وكان ابن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ يرى أن هذه الآية نزلت فيهم: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾. [الأنعام:٦٨] الآية.

---

(١) مراد سفيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: (هؤلاء) أي: السلاطين والأمراء، وليس أصحاب الأهواء؛ وقد ذكر هذا الأثر أبو بكر المروذي في أخبار الشيوخ وأخلاقهم (ص١٢٩) قال: (سمعت إسحاق ابن داود بن صَبيح؛ يقول: حدثنا الحسن؛ قال: سمعت يحيى بن أبي غنية يقول: كنت جالسا عند سفيان الثوري فأتاه رجل...)؛ وذكره.

- ولعلَّ المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكره هنا على اعتبار أن الباب واحد؛ وهو التحذير من مجالسة أهل الأهواء ومجالسة الأمراء.

- قال عبدالله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: (من أراد أن يكرم دينه؛ فلا يختلف على السلطان، ولا يخلو بالنسوان، ولا يجالس أصحاب الأهواء).

- وقال يونس بن عبيد: (لا تجالس سلطانًا، ولا صاحب بدعة).

٣١٠- وعن ابن طاوس، عن أبيه:

أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أراد أن يسكن العراق؛ فقال له كعب رَحِمَهُ اللَّهُ: لا تفعل؛ فإن بها الدَّجال، وبها مردة الجن، وبها تسعة أعشار السِّحر، وبها كل داء عضال- يعني: الأهواء[1].

---

(١) المحفوظ في الموطأ وغيره: ليس أراد أن يسكن العراق، بل أراد زيارتها فقط والخروج إليها، وكان قد زار الشَّام في خلافته ثلاث مرات، ومما يؤكد ذلك ويوضحه ما ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢/ ١٧٠) قال: (بلغ أهل العراق أن عمر بن الخطاب زار أهل الشام، فكتبوا إليه يسألونه أن يزورهم كما زار أهل الشام، فهم أن يفعل، فقال كعب: أعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن تدخلها، قال: وَلِمَ؟ قال: فيها عصاة الجن، وهاروت وماروت، وفيها تسعة أعشار الشر، وكل داء معضل).

- وأما السُّكنى في غير المدينة، فما كان الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليرضى عن مدينة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدلًا، وقد سمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: (المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، لا يدعها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله فيها من هو خير منه، ولا يثبت أحد على لأوائها وجَهدها إلا كنت له شفيعًا أو شهيدًا يوم القيامة). فهي مُهاجر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعاصمة الإسلام الأولى، والإيمان يأرز إليها كما تأرز الحية إلى جحرها.

- وقال عبدالملك بن حبيب في تفسير غريب الموطأ (٢/ ١٦٠) في تفسير الداء العضال: (يعني الهلاك في الدين. ولقد أخبرني مُطَرِّف أنهم سألوا مالكًا عن تفسير الداء العضال في هذا الحديث؛ فقال: هو أبو حنيفة وأصحابه؛ وذلك أنه ضَلَّل الناس بوجهين: بالإرجاء، وبنقض السنن بالرأي. فهو عندنا أشأم مولود في الإسلام ضَلَّ به بَشَرٌ كثير، وهم مُتمادون في الضلال بما يَشْرَعُ إلى يوم القيامة). اهـ

- وهذا من الفراسة الإيمانية! فإن فتنة هذا المشؤوم ستبقى إلى يوم القيامة، بخلاف غيره من أهل البدع.

- وفي السنة لعبدالله بن أحمد (٢٤٣) عن إسماعيل بن أبي أويس، قال: قال لي خالي مالك بن أنس: (أبو حنيفة: الداء العضال).

=

٣١١- وتقدَّم كلام أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تسمية أهل الأهواء: كلاب النار.

٣١٢- وقال الشعبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

إنما سُميت الأهواء؛ لأنها تهوي بصاحبها في النار، ألا ترى في القرآن أنه ليس من هوى جرَّ إلى خير.

٣١٣- وقال الربيع بن صُبيح، عن الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ:

ليس في أهل البدع غيبة.

٣١٤- وقال زائدة الثقفي:

قلت لمنصور بن المعتمر رَحِمَهُ اللَّهُ:

أرأيتَ إذا كنتُ صائمًا أتناول السُّلطان؟ قال: لا، قلت: فأصحاب الأهواء والبدع؟ قال: نعم.

- وفي الإبانة الكبرى (١/ ١٧٥) عن يحيى بن بكير، قال: قال مالك: (الداء العضال: التنقُّل في الدين).

- وفي حلية الأولياء لأبي نعيم (٦/ ٣١٩) عن الحارث بن مسكين، وعبدالله بن يوسف، قالا: سئل مالك بن أنس عن الداء العضال، فقال: (الخبث في الدين).

- وفي المعرفة والتاريخ ليعقوب بن سفيان (٣/ ٧٧) قال: (حدثنا سفيان، عن فرات القزاز، عن كعب، قال: أراد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يأتي العراق، فقال له كعب: إن بها عصاة الحقِّ، وكل داء عضال، فقيل له: ما الداء العضال؟ قال: أهواء مختلفة ليس لها شفاء).

- وفي تاريخ دمشق لابن عساكر (٢/ ١٧٠) قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لكعب: (فهمت كل ما ذكرته غير الداء العضال فما هو؟! فقال: كثرة الأموال؛ هو الذي ليس له شفاء، قال: فلم يأتها عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ). اهـ

٣١٥- وعن الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ قال:
ثلاثة لا غيبة لهم: الفاسق المعلن بفسقه، وصاحب الهوى الذي يدعو إلى هواه[1].

---

(١) هكذا في الأصل، ولم يذكر الثالث؛ إلا أنه جاء ذكره بـ(السلطان الجائر) عن الحسن نفسه.
وجاء في ذم الكلام للهروي عن الأوزاعي، قال: (قال يحيى بن أبي كثير: ثلاثة لا غيبة فيهم: إمام جائر، وصاحب بدعة، وفاسق). اهـ
ولعلَّ المراد بغيبة السلطان الجائر -والله أعلم-: أي للمتظلم والشاكي؛ حتى تجتمع الأدلة.
- والآثار في جواز غيبة المبتدع كثيرة منها: قال أبو صالح الفراء: (ذكرت ليوسف بن أسباط عن وكيع شيئًا من أمر الفتن فقال: ذاك يشبه أستاذه- يعني الحسن بن صالح- فقلت ليوسف: أما تخاف أن تكون هذه غيبة؟ قال: لم يا أحمق؟ أنا خير لهؤلاء من آبائهم وأمهاتهم، أنا أنهى الناس أن يعملوا بما أحدثوا فتتبعهم أوزارهم، ومن أطراهم كان أضر عليهم).
- وعن إبراهيم، قال: (ثلاث كانوا لا يعدونهن من الغيبة- وفي لفظ عن الحسن: ثلاثة لا تحرم عليك أعراضهم-: الإمام الجائر والمبتدع والفاسق المجاهر بفسقه).
- وقال الحسن: (ليس بينك وبين الفاسق حرمة). وقال: (ليس لمبتدع غيبة).
- وعن زيد بن أسلم، قال: (إنما الغيبة لمن لم يعلن بالمعاصي).
- وقال هانئ بن أيوب: (سألت محارب بن دثار عن غيبة الرافضة؟ قال: إنهم إذًا لقوم صدق).
- وعن إبراهيم، قال: (ثلاثة ليس لهم غيبة: الظالم والفاسق وصاحب البدعة).
- وقال الصلت بن طريف المغولي: (قلت للحسن: الرجل الفاجر المعلن بفجوره ذكري له بما فيه غيبة؟ قال: لا، ولا كرامة).
- وقال: (سألت الحسن؛ قلت: رجل قد علمتُ عنه الفجور وقتلتُه علمًا- أي: تيقنتُ من أمره- أفذكري له غيبة؟ قال: لا، ولا نعمت عين للفاجر).
- وعن قتادة قال: قال عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (ليس لفاجر حرمة)، وكان رجل قد خرج مع يزيد بن المهلب فكان الحسن إذا ذكره هَرَّتَه- أي: مزقه وطعن فيه-.
- وقال الحسن: (إذا ظهر فجوره فلا غيبة له؛ قال: نحو المخنث، ونحو الحرورية).
=

٣١٦- وكذا قال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ:
صاحب الهوى في الدين ليست له غيبة.

٣١٧- وقال علي بن عبدالله بن العباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا:
إذا كان الإمام صاحب هوى؛ فلا تُصَلِّ خلفه.

- وفي كتاب الصمت لابن أبي الدنيا (١/ ٢٠٩) قال رافع بن أشرس: (كان يقال: إن عقوبة الكذاب أن لا يقبل صدقه، وأنا أقول: ومن عقوبة الفاسق المبتدع أن لا تذكر محاسنه). اهـ
- وما ذُكر من نهي النبي ﷺ عن الاغتياب، فليس هذا من الاغتياب، وإنما هذا من الدين، فإن الكلام في المبتدع، وإظهار بدعته، والكذاب وبيان كذبه؛ من الدين المتعين.
- وحديث النبي ﷺ: (لا تسبوا الأموات) وغيره من الأحاديث، أمرها مشهور، وكلام الأئمة فيها معلوم، فإنه في حقِّ أهل الخير، دون أهل الشر.
- ويشهد لجواز غيبتهم قول الله تعالى: (لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا).
ولاشك أن المبتدعة والمجاهرين بفسقهم قد ظلموا المسلمين أعظم الظلم في أعزِّ ما عندهم وهو دينهم، فلكل مسلم عندهم ثأر عظيم، يحل له الجهر بالسوء من القول حتى يكفوا شرهم وعدوانهم وصولتهم على الدين.
- ولاحظ أن الكلام في المجاهر بالبدعة أو المعصية، أما المستور فلا يُكشف ستر الله عليه- كما تقدَّم عن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
- والحرب في الحقيقة هي مع الشيطان الذي يوحي إليهم، كما قال تعالى: (وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ).
وقال تعالى: (شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا).
والشيطان خنَّاس، فإذا ذكر المسلمون الله ورفعوا الصوت عليه بالإنكار والتوبيخ؛ انخنس وله ضراط وانكفَّ شرُّه وشرُّ أوليائه عن المسلمين، فمن علم سبب الأمور الباطنة عرف كيف يتعامل معها. قال الشاعر:

٣١٨- وكره مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ الصلاة خلف أصحاب الأهـواء والقدرية[١].

❐ ❐ ❐

وإن عَـادت العقـرب عُـدنا لهـا		وكانـت النَّعـل لهـا حـاضرة

(١) وفي الإبانة الكبرى، عن ابن وهب، عن مالك؛ سمعه وسئل عن الصلاة خلف أهل البدع والقدرية. (قال مالك: ولا أرى أن يصلى خلفهم).
وله رسالة في القدر كتبها إلى ابن وهب.
- وفي تاريخ دمشق، عن أبي سليمان الداراني، قال: (ما أحبُّ أن أجعل بيني وبين القبلة مبتدعًا).
وسيعقد المؤلف في متن هذا الكتاب بابًا عن النهي عن الصلاة خلف أهل البدع.

٤٦- باب: ما قيل في توبتهم

٣١٩-عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

«يا عائشة! إن الذين فارقوا[١] دينهم وكانوا شِيَعًا؛ إنهم أصحاب البدع، وأصحاب الضلالة من هذه الأمة. يا عائشة! إن لصاحب كل ذنب توبة؛ إلا أصحاب الأهواء والبدع، فإنه ليست لهم توبة، أنا منهم بريء، وهم مني براء»[٢].

---

(١) هكذا في الأصل؛ وهي قراءة صحيحة متواترة، كان علي وابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقرآن بها، حتى سمع عليٌّ رجلًا يقرأ: فرَّقوا دينهم؛ فقال: (علام فرَّقوا، ولكنهم فارقوا دينهم).
وقد جاءت القراءة بـ (فرَّقوا) و(فارقوا).

(٢) رواه ابن أبي عاصم في السُّنة، والطبراني في الصغير، وابن بطة في الإبانة، وفيه بقية بن الوليد، ومجالد بن سعيد الهمداني؛ وهما ضعيفا الحديث.
- ومعناه صحيح. ويشهد لمعناه الكتاب والسُّنة والأثر.
- فأما الكتاب، فقوله تعالى عن المنافقين- ومنهم أهل الأهواء-: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾.
- وقال تعالى في سورة الفاضحة: ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾.
- وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾.
- وقال تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ﴾. ومِنْ ذكر الله: التوبة.
والآيات في هذا المعنى كثيرة.

=

- وأما الحديث فقوله ﷺ عن الخوارج: (يمرقون من الدين مروق السَّهم من الرمية، ثم لا يرجعون، حتى يرجع السهم إلى فوقه).

وكل أصحاب الأهواء خوارج على النص وعلى الأمة، بتفريقهم جماعتها.

- وأما الأثر؛ فقد قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (ما كان رجل على رأي من البدعة فتركه إلا إلى ما هو شر منه).

- وقال عطاء الخراساني: (ما يكاد الله أن يأذن لصاحب بدعة بتوبة).

- وقال أيوب: (كان رجل يرى رأيًا؛ فرجع عنه، فأتيت محمدًا- ابن سيرين- فرحًا بذلك أخبره، فقلت: أشعرت أن فلانًا ترك رأيه الذي كان يرى؟ فقال: انظروا إلى ما يتحول؛ إن آخر الحديث أشد عليهم من أوله: (يمرقون من الإسلام لا يعودون فيه).

- وقال سلام بن أبي مطيع: (قال سعيد لأيوب: يا أبا بكر! إن عمرو بن عبيد قد رجع عن قوله، قال أيوب: إنه لم يرجع. قال: بلى إنه قد رجع، قال: إنه لم يرجع- قالها غير مرة- ثم قال أيوب: أما سمعت إلى قوله- يعني في الحديث: (يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ولا يعودون فيه حتى يعود السهم إلى فوقه)، إنه لا يرجع أبدًا). اهـ

- وهذا أمر مشاهد؛ فإن أهل البدع لا يوفقون للتوبة- كما قال أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ- لاسيما من كان رأسًا في بدعته، قال سفيان: (البدعة أحب إلى إبليس من المعصية. زاد الأشج: لأن المعصية يتاب منها، والبدعة لا يتاب منها).

- واعتبر هذا بمن مضى؛ فهل تاب عمرو بن عبيد؟ أو هل تاب بشر المريسي؟ أو هل تاب حفص الفرد؟ أو هل تاب غيلان القدري؟

بل هل تاب أبو الحسن الأشعري؟ الذي بلغت توبته المزعومة الآفاق، ومع هذا لم يتب توبة نصوحًا. وإن صحت توبته؛ فإنه تاب عن الاعتزال، ولم يتب عن الكلام؛ كما قال خَلَف المُعلِّم: (أقام الأشعري أربعين سنة على الاعتزال، ثم أظهر التوبة؛ فرجع عن الفروع وثبت على الأصول). اهـ

بل إن جماعة من أهل العلم طعنوا في توبته، وقالوا: إنما فعل ذلك تمويهًا وتلبيسًا.

- وكثير من أهل البدع والأهواء- الذين يزعمون التوبة- لو فتشت، لوجدت وراء التوبة المزعومة أمرًا خفيًّا مرده إلى الدنيا.

- قال أبو الحسين ابن أبي المعمر- في شأن أبي الحسن الأشعري-: (وقعتْ إليَّ مسألة في الإيمان فتعجبت منها، وأخذتها وانحدرت إلى بغداد من أجلها لا غير، وجئت ابن الباقلاني، فأريته

=

❐ ❐ ❐

إياها، وقلت له: ما هذا؟ فقال لي: هذا صحيح عنه- أي: الأشعري- قد صنفها يتقي بها الحنابلة ببغداد، ولا يعتقد بها، وإنما جعلها وقاية من مخالفيه، قال الأهوازي: فحاله في التوبة كذلك؛ أظهر ذلك وقاية، لا اعتقادًا ومذهبًا). اهـ

- وقد قيل: إن توبة البدعي غير مقبولة، وفيئته إلى الحقِّ بعد الضلال ليست بمأمولة. والسبب في ذلك أن الحق ثقيل، والنفس إنما تنشط بما يوافق هواها لا بما يخالفها، وكل بدعة فللهوى فيها مدخل؛ وقد قال النبي ﷺ: (سيخرج في أمتي أقوام تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكَلَب بصاحبه، لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله).

- وغالب من يرجع هم من المغترين الذين لم يجرِ الهوى في عروقهم؛ كالذين رجعوا مع ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا من الحرورية، بينما أهل البدعة الأصليين ثبتوا حتى قتلوا في النهروان.

٤٧- باب: ثواب من خالف هواه في طاعة الله عَزَّوَجَلَّ

٣٢٠- عن عبدالله بن وهب رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ قال:

قال أسامة[(١)]: يقال: العلم النافع؛ الذي يحجز المرء عن معاصي الله، والعلم النافع؛ الذي يُرغِّب المرء في طاعة الله، قال: فهذا هو العلم النافع.

وقال: الصبر في اثنتين: صبر لله تعالى على ما أحب، وإن ثقل على الأنفس والأبدان، وصبر لله تعالى عما يكره، وإن نازعت إليه الأهواء، فمن كان هكذا؛ فهو من الصابرين الذين يُسَلَّمُ عليهم غدًا إن شاء الله، وقرأ: «سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ»[الرعد: ٢٤].

وقال: الخاسر؛ من عَمَّرَ دنياه بخراب آخرته، والخاسر؛ من استصلح معايشه بفساد دينه، والمغبون حظًّا؛ من رضي بالدنيا من الآخرة نصيبًا؛ فإن الله تعالى يقول: «إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا

---

(١) هكذا في الأصل؛ والصحيح هو عبدالرحمن بن زيد بن أسلم، وليس أسامة بن زيد بن أسلم، والتصحيح من تفسير ابن أبي حاتم في تفسير سورة البقرة (١/ ٢٦٢).
- وهذا الأثر هو في الأصل ثلاثة آثار:
الأول: لم أجده.
والثاني: وهو قوله: (وقال: الصبر في اثنتين- وفي رواية: في بابين، أو في هاتين). رواه ابن أبي حاتم في تفسيره.
والثالث: وهو قوله: (وقال: الخاسر...). رواه ابن أبي الدنيا في الزهد.

وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ - أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [يونس:٧-٨].

٣٢١- وقال فتح الموصلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من أدام الذكر بقلبه؛ ورَّثه ذلك الفرح بالمحبوب، ومن آثره على هواه؛ ورَّثه ذلك حبه إياه، ومن اشتاق إليه؛ زهد فيها سواه، ومن أَنِس به؛ آثر مجالسته على غيره، ومن حفظ وصيته، ورعى حقه، وخافه بالغيب؛ ورثه ذلك النظر إلى وجهه الكريم.

٣٢٢- وقال أحمد بن عبدالله بن يونس:

سمعت مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: لو أن رجلًا ارتكب الكبائر كلها ما خلا الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ؛ لرجوتُ أن يجعله الله تعالى في الفردوس الأعلى، إذا سَلَّمه الله تعالى من الأهواء والبدع[1].

(١) هذا الأثر وأمثاله؛ أراد به الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ الترهيب من الأهواء والبدع، لا التهوين من الكبائر، كقول العوام بن حوشب: (والله لأن أرى ابني عيسى يجالس أصحاب البرابط والأشربة والباطل، أحبُّ إليَّ من أن أراه يجالس أصحاب الخصومات).

- ويشهد له قول النبي ﷺ: (لأن يزني الرجل بعشرة نسوة، أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره).

فليس المقصود التهوين من الزنا بغير حليلة الجار، وإنما المقصود تعظيم شأن الزنا بحليلة الجار، وهذا من أساليب العرب في استبشاع الأمر العظيم:

- قال أبو نُعيم الفضل بن دُكين: سمعت شعبة بن الحجَّاج، يقول: (والله لأن أزني أحبّ إليَّ من أن أُدَلس). أي: في الحديث.

٣٢٣- وعن حُميد الطويل رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ قال:

دخلنا على أبي العالية الرِّياحي ونحن شببة؛ فقال: أرى عليكم من الإسلام سِيمَا خير؛ إن لم تكونوا حرورية، أو من أصحاب الأهواء.

٣٢٤- وقال إسحاق بن أبي يحيى الكعبي، عن سفيان بن عيينة:

من برَّأه الله عَزَّوَجَلَّ من هذه الأهواء، ومن هذا السُّلطان؛ فما أحسن حاله!

٣٢٥- وعن أحمد بن يونس؛ قال:

سمعت رجلًا يقول لسفيان- الثوري-: يا أبا عبدالله! أوصني؟

قال: إياك والأهواء، والخصومة، وإياك والسُّلطان[1].

---

(١) هذه ثلاث وصايا نفيسة من سفيان الثوري الإمام المرضِيّ والورِع الدُّرِّيّ.

- والفرق بين الأهواء والخصومة؛ أن الخصومة تكون في الحق والباطل، وعلماء اللغة يرون الخصومة أعم من الجدال والمراء.

- وصاحب السُّنة لا يخاصم ولو كان بحقٍّ، قال النبي ﷺ: (أنا زعيم ببيت في ربض الجنة؛ لمن ترك المراء وإن كان محقًّا).

- وقال الحسن: (ما رأيت فقيهًا قط يداري ولا يماري؛ إنما يُفشي حكمة الله، فإن قُبلت حمد الله، وإن رُدت حمد الله). اهـ

- وفي جامع بيان العلم (٢/ ٩٣٦) قال الهيثم بن جميل: قلت لمالك بن أنس: (يا أبا عبدالله! الرجل يكون عالمًا بالسُّنة أيجادل عنها؟ قال: لا، ولكن يخبر بالسُّنة، فإن قبلت منه وإلا سكت).

- وجاء في ذم الكلام: قال مالك لابن وهب: (لا تحملن أحدًا على ظهرك، ولا تمكن الناس من نفسك، أدِ ما سمعت وحسبك، ولا تقلد الناس قلادة سوء).

- وروى ابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/ ٥٢٩) عن عبدالرحمن بن مهدي، قال: (أدركنا الناس، وهم على الجملة؛ يعني: لا يتكلمون ولا يخاصمون).

- وفي طبقات الحنابلة (١/ ٢٣٦) عن العبَّاس بن غالب الهمداني الوراق، قال: (قلت لأحمد ابن حنبل: يا أبا عبدالله! أكون فِي المجلس ليس فيه من يعرف السُّنة غيري، فيتكلم مبتدع فيه؛
=

٣٢٦- وعن السَّامي؛ قال:

كان سفيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: لا تخاصم أهل البدع؛ فإنهم يُبَغِّضون إليك ما أنت فيه، ويَلبسون عليك دينك[١]، وكان يثبت القدر والرؤية؛ ويقول: إن الإيمان: قول وعمل، يزيد وينقص، وكان يقول: من قال القرآن مخلوق؛ فهو مرتد.

٣٢٧- وعن أبي يعلى، عن محمد بن الحنفية رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ؛ قال:

لا تنقضي الدنيا، حتى تكون خصومتهم في ربهم.

٣٢٨- وعن عمر بن عبيدالله بن الحسن، عن فاطمة بنت الحسين عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: إياكم والخصومات؛ فإنها محق الدين.

٣٢٩- وعن معاوية بن قُرَّة؛ قال:

كان يقال: الخصومات في الدين تحبط الأعمال[٢].

أردُّ عليه؟ فقال: لا تنصب نفسك لهذا؛ أخبره بالسُّنة، ولا تخاصم، فأعدت عليه القول، فقال: ما أراك إلا مخاصمًا). اهـ

(١) وورد عن سفيان الثوري- كما في البدع لابن وضاح (ص٤٧)- أنه قال: (من جالس صاحب بدعة لم يسلم من إحدى ثلاث: إما أن يكون فتنة لغيره، وإما أن يقع في قلبه شيء فيزل به، فيدخله الله في النار، وإما أن يقول: والله ما أبالي ما تكلموا وإني واثق بنفسي، فمن أمن الله على دينه طرفة عين؛ سلبه إياه).

- وقال الحسن: (لا تجالس صاحب هوى؛ فيقذف في قلبك ما تتبعه عليه فتهلك، أو تخالفه فيمرض قلبك).

(٢) مصداقُ ذلك في كتاب الله، قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـًٔا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾.

=

٣٣٠- وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ قالت: قال رسول الله ﷺ:

«أبغض الرجال إلى الله عَزَّ وَجَلَّ؛ الألَدُّ الخَصِمُ»(١).

٣٣١- وقال أبو قلابة رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا تجالسوا أصحاب الخصومات؛ فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، أو يلبسوا عليكم بعض ما كنتم تعرفون(٢).

- وقوله تعالى: (وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا).

- وأيضًا الخصومات في الدين تورث العداوة والبغضاء، قال تعالى عن أهل الكتاب ومن شابههم: (فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ).

- وفي الإبانة الكبرى (١/ ١٧٢) عن إبراهيم النخعي في قول الله عز وجل: (فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ). قال: (أغرى بعضهم ببعض في الخصومات والجدال في الدين).

- وهي سبب الأهواء والاختلافات، فعن عمرو بن قيس، قال: قلت للحكم: (ما اضطر الناس إلى الأهواء- يعني: ما الذي جعل الناس يركبون الأهواء؟ قال: الخصومات).

- وكان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يكرهون الخصومات ويفرون منها؛ قال أبو بلال الأشعري: (سألت أنس بن مالك: هل كان أصحاب رسول الله ﷺ يذكرون القدر؟ قال: إنه لم يكن شيء أكره إليهم من الخصومات، وكانوا إذا ذكر لهم شيء من ذلك؛ نفضوا أرديتهم وانصرفوا).

- وقال جعفر بن محمد: (إياكم والخصومة في الدين؛ فإنها تشغل القلب، وتورث النفاق).

- وعن محمد ابن الحنفية، قال: (لا تجالسوا أصحاب الخصومات، فإنهم الذين يخوضون في آيات الله).

- قال تعالى في جزاء الخائض في آيات الله: (وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ). وقال عن أهل النار: (وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ).

(١) متفق عليه. ومعنى: (الألدُّ الخصم). أي: الشديد اللَّدد، الكثيرُ الخصومة.

(٢) فمن جالسهم وسمع منهم؛ فإما أن يغمسوه معهم في ضلالتهم، وإما أن يخرج من مجلسهم بغير الوجه الذي دخل به، فيذهب عنه ذلك اليقين والإقبال والعمل ويحل بدلًا منه الشَّك =

واللبس والحيرة؛ بسبب تعريض قلبه لكلامهم المصحوب بمئات الشياطين ليثبتوه في القلوب، وتقدَّم قول جعفر بن محمد: (إياكم والخصومة في الدين؛ فإنها تشغل القلب، وتورث النفاق).

- والأصل في هذا الباب: قول الله تعالى: (وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا).

قال ابن جرير في تفسيره (٩/ ٣٢١): (وفي هذه الآية الدلالة الواضحة على النهي عن مجالسة أهل الباطل من كل نوع، من المبتدعة والفسقة عند خوضهم في باطلهم). اهـ

__فائدة__: كل ما قيل في حرمة مجالسة المبتدع، يقال في قراءة كتبه، والدخول إلى مواقعه، وسماع أشرطته... وغير ذلك مما يبث فيه سمومه ويدعو فيه لبدعته. بل إن الكتاب والموقع والشريط في كثيرٍ من الأحيان يفوق بكثير خطورة مجالسة ذات المبتدع، فإن هذه الأشياء قد جمع فيها المبتدع ضلالاته وشبهاته ورتبها بأحسن ترتيب وساقها بأحسن عبارة وأقام لها من الأدلة ما ينطلي على ضعاف العقول، فيقعوا في شراكه من حيث لا يشعرون، وأيضًا يستطيع الدخول إليها كل الأوقات.

__فائدة أخرى__: قال ابن بطة في الإبانة الكبرى (٨/ ٦١١): (حدثني أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأبو القاسم عمر بن يحيى العسكري، قالا: حدثنا أبو جعفر محمد بن الحسن بن بدينا، قال: سألت أبا عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل، فقلت: يا أبا عبدالله! أنا رجل من أهل الموصل، والغالب على أهل بلدنا الجهمية، وفيهم أهل سُنة نفر يسير يحبونك، وقد وقعت مسألة الكرابيسي، فأفتنهم قول الكرابيسي: لفظي بالقرآن مخلوق! فقال لي أبو عبدالله: إياك إياك إياك إياك! وهذا الكرابيسي لا تكلمه، ولا تكلم من يكلمه- أربع مرات أو خمس مرات- قلت: يا أبا عبدالله! فهذا القول عندك، فما تشعَّب منه يرجع إلى قول جهم؟ قال: هذا كله من قول جهم). اهـ

- ففي هذا الأثر الردُّ على أدعياء السلفية المعاصرة الذين يزعمون أن الهجر لا يصلح في البلدان التي يكثر فيها أهل البدع، ومن هؤلاء الألباني حيث قال في سلسلة الهدى والنور - زعموا- (٦٦٦/ ١٧): (لو نحن فتحنا باب المقاطعة والهجر والتبديع؛ لازم نبقى نعيش في الجبال). اهـ

- وهنا السائل يقول: (الغالب على أهل بلدنا الجهمية، وفيهم أهل سنة نفر يسير يحبونك). والإمام أحمد يقول له: (إياك إياك إياك! وهذا الكرابيسي؛ لا تكلمه ولا تكلم من يكلمه، =

أربع مرات، أو خمس مرات).

- بل هناك ما هو أشد من ذلك! وهـو قولـه تعـالى: (وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ)، فإن هذه الآية بإجماع العلماء من أصول الآيات في هجران الخائضين في آيات الله- ومنهم المبتدعة- وهذه الآية نزلت في سورة الأنعام، وسـورة الأنعـام مكيـة، أي كانت الشوكة والقـوة لأهـل الكفـر، ومـع ذلـك أُمِـر المسلمون بـالإعراض عـن المـشركين وهجرهم وترك مجالستهم.

- ولأهمية هذا الأمر وخطورته، فقد أحال الله عليه مرة أخرى في سورة النـساء، فقـال تعـالى: (وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ). قال المفسرون: إن الذي أحيل عليه هنا هو قوله تعـالى في سـورة الأنعام: (وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ).

- وروى ابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/ ٤٧٠) عن مغيرة، قال: (خرج محمد بن السائب، ومـا كان له هوى، فقال: اذهبوا بنا حتى نسمع قولهم- أي: أهل البدع- فما رجع حتـى أخـذ بهـا، وعلقت بقلبه). اهـ

- ولقد حفظ لنا التاريخ مثالين من أمثلة مضرة مجالسة أهل الأهواء والبدع، ولو كان بدعوى النصح لهم:

- **المثال الأول**: قال الزبير بن بكار: كان من بقي من الخوارج تعاقدوا على قتـل عـلي ومعاويـة وعمرو بن العاص، فخرج لذلك ثلاثة، فكان عبدالرحمن بن ملجم هو الذي التـزم لهـم قتـل علي، فدخل الكوفة عازمًا على ذلك واشترى سيفًا لذلك بألف، وسقاه الـسُّم- فـيما زعمـوا- حتى نفضه، وكان في خلال ذلك يأتي عليًّا يسأله ويستحمله فيحمله، إلى أن وقعت عينـه عـلى قطام امرأة رائعة جميلة كانت ترى رأي الخوارج، وكان عليٌّ قد قتل أباها وإخوتها بـالنهروان، فخطبها ابن ملجم، فقالت له البنت: أنا لا أتزوج إلا على مهر لا أريد سواه، فقال: ومـا هـو؟ قالت: ثلاثة آلاف دينار وقَتْلُ علي. قال: والله لقد قصدت قتل علي والفتك بـه، ومـا أقـدمني هذا المصر غير ذلك. قال: وما يغنيك أو يغنيني منك قتل علي وأنا أعلـم أني إن قتلـت عليًّـا لم أفلت؟ فقالت: إن قتلته ونجوت فهو الذي أردت، فتبلغ شفاء نفسي، ويهنيك العـيش معـي، وإن قُتلت فما عند الله خير من الدنيا وما فيها، فقال لها: لك ما اشترطت. فقالت له: سألتمس لك من يشد ظهرك، فبعثت إلى ابن عمٍّ لها يدعى وردان بن مجالد، فأجابها، ولقـي ابـن ملجـم شبيب بن نجرة الأشجعي، فقال: يا شبيب! هل لك في شرف الدنيا والآخرة؟ قال: وما هـو؟

=

٣٣٢- وعن ليث، عن أبي جعفر؛ قال:

لا تخالطوا أصحاب الخصومات؛ فإنهم يتجادلون في آيات الله عَزَّوَجَلَّ.

٣٣٣- وعن ميمون بن مهران، عن ابن عباس رَضِيَاللَّهُعَنْهُمَا؛ قال:

أنهاك عن ثلاث: أن تسب أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ؛ فإن الله أظهر بهم هذا الدين، وأنهاك أن تجادل في القدر؛ فإنه لن يتنازع فيه اثنان إلا أثما أو أحدهما، وأنهاك عن تعلم النجوم؛ فإنها تدعو إلى الكهانة.

❐ ❐ ❐

قال: تساعدني على قتل علي بن أبي طالب، قال: ثكلتك أمك! لقد جئت شيئًا إدًا، كيف تقدر على ذلك؟ قال: إنه رجل لا حرس له، ويخرج إلى المسجد منفردًا دون من يحرسه، فنكمن له في المسجد، فإذا خرج إلى الصلاة قتلناه، فإذا نجونا نجونا، وإن قتلناه سَعِدنا بالذكر في الدنيا والجنة في الآخرة. فقال: ويلك إن عليًّا ذو سابقة في الإسلام مع النبي ﷺ! والله ما تنشرح نفسي لقتله. قال: ويلك! إنه حكَّم الرجال في دين الله عز وجل، وقتل إخواننا الصالحين، فنقتله ببعض من قتل، ولا تشكنَّ في دينك؛ فأجابه، وأقبلا، حتى دخل على قطام وهي معتكفة في المسجد الأعظم في قبة ضربتها لنفسها فدعت لهم، وأخذوا أسيافهم، وجلسوا قبالة السُّدة التي يخرج منها علي... إلى أن ضرب عليًّا على رأسه فمات رَضِيَاللَّهُعَنْهُ.

- **المثال الثاني:** عمرن بن حطَّان بن ظبيان، السدوسي البصري، الملقب بشاعر الخوارج، كان قبل ذلك من رجال العلم والحديث، من أهل البصرة، وأدرك جماعة من الصحابة وروى عنهم، فقد حدَّث عن عائشة، وأبي موسى الأشعري، وابن عباس، وروى عنه أصحاب الحديث، قال أبو داود: ليس في أهل الأهواء أصحُّ حديثًا من الخوارج، ثم ذكر عمران بن حطان، وأبا حسَّان الأعرج. ثم لحق عمران بالخوارج الشراة، وسبب ذلك أنه تزوج قريبة له كانت على مذهب الخوارج، يريد أن يصرفها عن مذهبها، لكنها استمالته إلى مذهبها، وطارده الحجَّاج، ففرَّ من العراق إلى الشام، وجعل يتنقل من مدينة إلى مدينة إلى أن مات.

- وروى ابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/ ٤٧٠) عن عثمان البتي، قال: (كان عمران بن حِطَّان من أهل السُّنة، فقَدِم غلامٌ من أهل عُمان مثل البغل، فقَلَبَه في مَقْعد).

٤٨- باب: ما يخاف من ذلك

٣٣٤- عن أبي أمامة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ:
«ما ضلَّ قوم بعد هدى كانوا عليه؛ إلا أوتوا الجدل».
ثم قرأ: «مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ »[الزخرف:٥٨][1].

٣٣٥- وفي لفظ آخر:
«ما ضلَّت أمة بعد نبيها إلا أعطيت الجدل»[2].

٣٣٦- عن أبي عمرو الشيباني قال:
سمعت عبدالله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول:
«قتال المؤمن فسوق، وجداله كفر»[3].

---

(١) رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
- وفي الانتصار لأصحاب الحديث (١/ ١٧) قال: (اعلم أنك متى تدبرت سيرة الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ ومن بعدهم من السلف الصالح، وجدتهم ينهون عن جدال أهل البدعة بأبلغ النهي، ولا يرون رد كلامهم بدلائل العقل، وإنما كانوا إذا سمعوا بواحد من أهل البدعة؛ أظهروا التبري منه ونهوا الناس عن مجالسته ومحاورته والكلام معه وربما نهوا عن النظر إليه، وقد قالوا: إذا رأيت مبتدعًا في طريق فخذ في طريق آخر). اهـ

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره، وأبو يعلى في مسنده.

(٣) لم أجده بهذا اللفظ. والمحفوظ: (سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر).
- وجاء في شأن الجدال: قوله ﷺ: (جدال بالقرآن كفر). رواه ابن عدي في الكامل.

٣٣٧- وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«من خاصم في القدر وتكلَّم فيه؛ جحد ما جئتُ به، وكفر بما أنزل على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(١).

٣٣٨- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال:

من نال نَهمته من الدنيا؛ لم ينل نهمته(٢) في الآخرة، ومن فرح في الدنيا؛ حزن غدًا في القيامة، ومن ظنَّ أنه أفضل من أحد- لا بفضل

---

(١) رواه ابن بطة في الإبانة؛ وإسناده شديد الضعف؛ فيه صالح بن بيان الثقفي؛ منكر الحديث، وسوار بن مصعب الهمداني؛ متروك الحديث.

- ومعناه صحيح:

- أما إبليس إمام القدرية، فقد خاصم الله في قدره؛ حيث قال: (فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ). وقال: (رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ)؛ فخاصم الله في قدره.

- وأخبر عزَّ وجلَّ عن المشركين أنهم يحتجون بالقدر ويخاصمون فيه، قال تعالى: (سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ)، وقوله: (وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ).

- وأخبر عزَّ وجلَّ عن المنافقين أنهم يخاصمون الله في قدره، كما قال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ).

- والداعي لهذه الخصومة؛ هي كفرهم بما أنزل على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجحود ما جاء به.

- قال ابن القيم في شفاء العليل (ص٢٨): (والمخاصمون في القدر نوعان: أحدهما: من يبطل أمر الله ونهيه بقضائه وقدره، كالذين قالوا: (لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا). والثاني: من ينكر قضاءه وقدره السَّابق؛ والطائفتان خُصماء الله). اهـ

(٢) النهمة: الغرض والوطر والغاية، فمن نال كلَّ وطره في الدنيا؛ كان ذلك من نصيبه في الآخرة، كما كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحذر من هذه الآية: (أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا).

العافية- فهو من الجاهلين الذين عزبت عقولهم، وليبلغن العقل بأهله غدًا درجات ما يبلغها الصائمون القائمون.

٣٣٩- وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

لو كان عمل السَّفيه أثقل من أُحُد؛ لكان مثقال ذرة من عمل العاقل أفضل منه وأرجح في الميزان يوم القيامة، وما آمن المؤمن بالله حتى عقل، ولا جهل الجاهل حتى عزب عقله، واعلموا أن من حال التقوى ثلاث: ترك المراء والجدل؛ فإن أهل الجدل هم الخاسرون[1].

٣٤٠- قال الأصمعي رَحِمَهُ اللَّهُ:

دعا أعرابي أخًا له، وقال: يا أخي! إنك طالب ومطلوب؛ فبادر الموت واحذر الفوت، وخذ من الدنيا ما يكفيك، ودع منها ما يطغيك،

---

(١) ولم يذكر باقي الثلاث. ولتراجع رسالة (العقل) لابن أبي الدنيا.
- وقال الضحاك بن مزاحم: (ما بلغني عن رجل صلاح؛ فاعتددت بصلاحه، حتى أسأل عن خلال ثلاث، فإن تمت تم له صلاحه، وإن نقصت منها خصلة كانت وصمة عليه في صلاحه: أسأل عن عقله؛ فإن الحمق أهلك فئامًا من الناس؛ يمر بالمجلس فلا يسلم، فإذا قيل له؟! قال: من أهل الدنيا، ويترك عيادة الرجل من جيرانه، فإذا قيل له؟! قال: مِنْ أهل الدنيا! ويدع الجنازة لا يتبعها لمثل ذلك، ويدع طعام أبيه يبرد، وهو قائم يتنفل، فإذا هو قد صار عاقًّا، وأسأل عن النعمة العظيمة التي لا نعمة أعظم منها، ألا وهي الإسلام؛ إن كان أَحْسَنَ احتمال النعمة، ولم يدخلها بدعة ولا زيغ، وإلا لم أعتد به فيما سوى ذلك، وأسأل عن وجه معاشه، فإن لم يكن له وجه معاش؛ لم آمن عليه أن يعمل بخلافه أقرب ما يكون من أجله). اهـ رسالة العقل وفضله لابن أبي الدنيا (١/ ٤٤).
- وهذا الكلام يدلُّ على غزارة عقل الضحاك وجودته رَحِمَهُ اللَّهُ.

وإياك والبطنة؛ فإنها تعمي عين القلب، ودع المراء لقلة خيره؛ فإنه لا تؤمن فتنته ولا تفقه حكمته.

٣٤١- ووصى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا رجلًا؛ فقال:

لا تتكلم فيما لا يعنيك؛ فإنه فضل ولست آمن عليك الوزر، ولا تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعًا، فرُبَّ متكلم- يعني في غير موضعه- قد عَنِت، ولا تمارِ حليمًا ولا سفيهًا؛ فإن الحليم يقليك وإن السفيه يؤذيك، واذكر أخاك إذا توارى عنك بما تحب أن يذكرك به إذا تواريت عنه، ودعه مما تحب أن يدعك منه؛ فإن ذلك العدل، واعمل عمل امرئ يعلم أنه مجازى بالإحسان، مأخوذ بالإجرام[1].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في رسالة الصمت (١/ ٩٥) عن مجاهد، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: (سمعته يقول: خمس لهن أحسن من الدُّهم المُوْقَفَة: لا تتكلم فيما لا يعنيك فإنه فضل ولا آمن عليك الوزر، ولا تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعًا فإنه رب متكلم في أمر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فيعنت، ولا تمار حليمًا ولا سفيهًا؛ فإن الحليم يقليك وإن السفيه يؤذيك، واذكر أخاك إذا تغيب عنك بما تحب أن يذكرك به، وأعفه مما تحب أن يعفيك منه، واعمل عمل رجل يرى أنه مجازى بالإحسان مأخوذ بالإجرام). اهـ

- وفي الإبانة الكبرى (٢/ ٥٣٠) عن الأصمعي، قال: حدثنا سفيان، قال: قال عبدالله بن الحسن: (المراء يفسد الصداقة القديمة، ويحل العقدة الوثيقة، وأقل ما فيه أن تكون المغالبة، والمغالبة أمتن أسباب القطيعة).

- وفيه عن سفيان، قال: قيل لعبدالله بن الحسن: (ما لك لا تماري إذا جلست؟ فقال: ما تصنع بأمرٍ إن بالغت فيه أثمت، وإن قصرت فيه خصمت). اهـ

٣٤٢- وعنه أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال:

لا تمارِ أخاك ولا تمازحه؛ فإن المراء والمزاح يورث البُغضة، ولا تواعده موعدًا فتخلفه، ولا تفشِ سره؛ فيفسد الذي بينك وبينه[1].

٣٤٣- وعن يحيى بن أبي كثير رَحِمَهُ اللَّهُ؛ قال:

قال سليمان بن داود عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لابنه:

يا بني! إياك والغضب؛ فإنه يستخف الرجل الحليم، وإياك والمراء؛ فإن نفعه قليل، وهو يلقي العداوة بين الإخوان[2].

---

(١) وهي وصية أبيه العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ له في شبابه، فعن الشعبي، قال: قال ابن عباس: قال لي أبي: (يا بُني! إن عمر يُدنيك، فاحفظ عني ثلاثًا: لا تفشين له سرًّا، ولا تغتابن عنده أحدًا، ولا يجربن عليك كذبًا).
- وفي الشريعة للآجري (١/ ١٣٧) عن عبدالصمد بن معقل أنه سمع وهبًا يقول: (دع المراء والجدال عن أمرك، فإنك لا تعجز أحد رجلين: رجل هو أعلم منك، فكيف تماري وتجادل من هو أعلم منك؟ ورجل أنت أعلم منه، فكيف تماري وتجادل من أنت أعلم منه، ولا يطيعك، فاقطع ذلك عليك). اهـ
- وفي السِّير (٨/ ١٠٦) عن مالك بن أنس، قال: (الجدال في الدين ينشئ المراء، ويذهب بنور العلم من القلب، ويقسي ويورث الضغائن).

(٢) وفي مصنف عبدالرزاق، عن معمر أن عمر بن عبدالعزيز، قال: (قد أفلح من عُصم من المراء والغضب، والطمع).
- وفي سيرة عمر بن عبدالعزيز لابن الجوزي (ص٢٩٣) عن بشر بن عبدالله بن بشار أن عمر ابن عبد العزيز، قال: (احذروا المراء! فإنه لا تؤمن فتنته ولا تفهم حكمته).
- وروى ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت وآداب اللسان (ص١٠١) عن عمرو بن مهاجر، قال: سمعت عمر بن عبد العزيز، يقول: (إذا سمعت المراء؛ فأقصِر).
- وقال محمد بن واسع: (رأيت صفوان بن محرز في المسجد، وقريبًا منه ناس يتجادلون؛ فرأيته قام فنفض ثيابه؛ وقال: إنما أنتم جرب مرتين).

يا بني! لا تكثر الغيرة على أهلك؛ فيُرمَون بالسوء من أجلك وإن كانت بريئة، وعليك بخشية الله تعالى؛ فإنها غلبت على كل شيء.

٣٤٤- وقال مسلم بن يسار رَحِمَهُ اللَّهُ:

إياكم والمراء؛ فإنها ساعة جهل العالم، وبها يبتغي الشَّيطان زلَّته.



٤٩- بابٌ: ثواب من ترك المراء في الدين[١]

(١) قال الأزهري في تهذيب اللغة (١٥/ ٢٠٤): (أصل المراء في اللغة: الجدال، وأن يستخرج الرجل من مُناظِره كلامًا ومعاني الخصومة وغيرها، من مَرَيت الشاة، إذا حلبتها واستخرجت لبنها). اهـ

والجدال والمراء والخصومة: كلمات مترادفة لمعنى واحد، تقول: (ماريته، أماريه، مماراة، ومراء: جادلته). انظر: المصباح المنير.

- وقال المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٧٧): (الترهيب من المراء والجدال والمخاصمة والمحاججة والقهر والغلبة، والترغيب في تركه للمحق والمبطل). اهـ

- فدلَّ ذلك على أن الجدال والمراء مترادفان، وأن العطف فيهما عطف ترادف، وقد ورد لفظ الجدال والمراء وما تصرف منهما في القرآن أكثر من (٢٩) مرة.

- والأصل في المراء والجدال أنه ممنوع وصاحبه مذمومٌ، وكل ما ذُكر في كتاب الله في أمر الجدال والمراء فهو مذموم، إلا في ثلاثة مواضع:

- أحدها: في النحل: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾.

- والثاني: في العنكبوت: ﴿وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾.

- والثالث: في المجادلة: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾.

- والجدال والمراء نوعان:

- النوع الأول: إذا كان عن خصومة، أو لمراجعة الكلام بلا فائدة، أو عن جهل، أو كان لرد الحق، أو لنصرة الباطل، أو كان فيما نهى الله ورسوله ﷺ عنه- كالجدال في المتشابه، أو في القدر أو في القرآن- أو خصومة في الحق بعد ما تبيَّن، فهذا هو المذموم، وعليه تتوجه جميع الآيات والأحاديث والآثار الواردة في ذمه.

- قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَـٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ﴾.

- وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَـٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾.

- وقال الإمام أحمد فيما رواه اللالكائي في السُّنة (١/ ١٥٦): (أصول السُّنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب الرسول ﷺ، والاقتداء بهم، وترك البدع، وكل بدعة ضلالة، وترك الخصومات، والجلوس مع أصحاب الأهواء، وترك المراء والجدال في الدين). اهـ

=

- وروى أحمد في الزهد (ص٣٠٢) عن عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: (من جعل دينه غرضًا للخصومات؛ أكثر التنقل).

- وقال الأوزاعي: (المنازعة والجدال في الدين؛ مُحْدث).

- وقد جاء في تفسير قوله تعالى: (فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ). يعني: حُبُّ الجدل. فهم الذين يتبعون المتشابه.

- والنوع الثاني: إذا كان بلاغًا عن الله ورسوله ﷺ، أو لإقامة حجة، أو كان لإحقاق الحق أو لإبطال الباطل، أو رَجى صاحبُه قبول خصمه للحق، أو كان مسترشدًا، أو كان لفضح مبتدع دون مخاصمة، فهذا مما رُخص فيه:

- قال تعالى: (فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا).

- قال ابن جرير في تفسيره (١٧/ ٦٤٢): (اختلف أهل التأويل في معنى: المراء الظاهر الذي استثناه الله، ورخَّص فيه لنبيه ﷺ، فقال بعضهم: هو ما قصَّ الله في كتابه وأبيح له أن يتلوه عليهم، ولا يماريهم بغير ذلك؛ فعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في قوله: (فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا) يقول: حسبك ما قصصت عليك، فلا تمار فيهم).

- وفي سيرة عمر بن عبدالعزيز لابن عبدالحكم (ص١٤٧) قال: (دخل رجلان من الخوارج على عمر بن عبدالعزيز، فقالا: السلام عليك يا إنسان! فقال: وعليكما السلام يا إنسانان! قالا: طاعةُ الله أحق ما اتبعت. قال: من جهل ذلك ضلَّ. قالا: الأموال لا تكون دُولة بين الأغنياء. قال: قد حُرموها. قالا: مال الله يقسم على أهله. قال: الله بيَّن في كتابه تفصيل ذلك. قالا: تقام الصلاة لوقتها. قال: هو من حقها. قالا: إقامة الصفوف في الصلوات. قال: هو من تمام السُّنة. قالا: إنما بُعثنا إليك. قال: بلغا ولا تهابا. قالا: ضع الحق بين الناس. قال: الله أمر به قبلكما. قالا: لا حكم إلا لله. قال: كلمةُ حقٍّ إن لم تبتغوا بها باطلًا. قالا: ائتمن الأمناء. قال: هم أعواني. قالا: احذر الخيانة. قال: السارق محذور، قالا: فالخمر ولحم الخنزير. قال: أهل الشرك أحقُّ به. قالا: فمن دخل في الإسلام فقد أمن. قال: لولا الإسلام ما أمنا. قالا: أهل عهود رسول الله ﷺ. قال: لهم عهودهم. قالا: لا تكلفهم فوق طاقتهم. قال: (لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا). قالا: خرب الكنائس. قال: هي من صلاح رعيتي - أي: حسب الشروط العُمَرية مع أهل الذمة -. قالا: ذكِّرنا بالقرآن. قال: (وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ). قالا: تردنا على دواب البريد. قال: لا، هو من مال الله، لا نطيبه لكما. قالا: فليس معنا نفقة. قال: أنتما إذن ابنا سبيل؛ عليَّ نفقتكما). اهـ

=

٣٤٥- عن يحيى بن أبي كثير يرفعه؛ قال:

«ست من كُنَّ فيه فقد استكمل الإيمان: قتال أعداء الله بالسَّيف، والصوم في الصَّيف، وإسباغ الوضوء في اليوم الشَّاتي، والتبكير بالصلاة في يوم الغيم، وترك المراء وإن كان صاحبه مُحقًّا، والصبر على المصيبة»[1].

- وفي سيرة عمر بن عبدالعزيز لابن عبدالحكم نماذج أخرى لهذا المراء الظاهر المُرخَّص فيه.

- قال ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٦٧) بعد ذكره مناظرة عمر بن عبدالعزيز للخوارج: (هذا عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو ممن جاء عنه التغليظ في النهي عن الجدال، وهو القائل: (من جعل دينه غرضًا للخصومات؛ أكثر التنقل)، فلما اضطر وعرف الفلج في قوله، ورجى أن يهدي الله به؛ لزمه البيان، وجادل، وكان أحد الراسخين في العلم). اهـ

- وجاء في درء التعارض (٧/ ٢٤٩) عن الشافعي، قال: (ما ناظرت أحدًا وأحببت أن يخطئ، إلا صاحب بدعة؛ فإني أحبُّ أن ينكشف أمره للناس). اهـ

- وقال البربهاري في شرح السنة (١٢١): (إذا سألك الرجل عن مسألة في هذا الباب، وهو مسترشد؛ فكلمه وأرشده، وإذا جاءك يناظرك؛ فاحذره، فإن في المناظرة: المراء والجدال والمغالبة والخصومة والغضب، وقد نهيت عن جميع هذا، وهو يزيل عن طريق الحق، ولم يبلغنا عن أحد من فقهائنا وعلمائنا أنه جادل أو ناظر أو خاصم). اهـ

- وفي قصة مناظرة ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا للخوارج دليلٌ على هذا.

(١) رواه البيهقي في الشعب؛ وهو مرسل، وانظر ما بعده.

ويشهد له من حيث المعنى:

- ما رواه ابن أبي زمنين في أصول السنة (١/ ٢٣٣) عن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: (لا يبلغ عبدٌ حقيقة الإيمان حتى يدع المراء وهو محق، والكذب في المزاح).

- وروى عبدالرزاق في مصنفه، ومن طريقه ابن بطة في الإبانة الكبرى، عن ابن مسعود، قال: (ثلاث من كنَّ فيه يجد بهن حلاوة الإيمان: ترك المراء في الحق، والكذب في المزاحة، ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه). وسيأتي.

- وروى اللالكائي في السنة، عن طاوس، قال: (أصحاب المراء والمقاييس، لا يزال بهم المراء والمقاييس حتى يجحدوا الرؤية ويخالفوا السُّنة).

=

٣٤٦- وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من قَدَّم ثلاثة من ولده قبل أن يبلغوا الحنث؛ أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم، وستٌّ من كن فيه بلغ حقيقة الإيمان: ضرب أعداء الله بالسَّيف، وابتدار الصلاة في اليوم الدَّجن، وإسباغ الوضوء على المكاره، وصيام في الحر، وصبر على المصائب، وترك المراء والمرء صادق»**[1].

٣٤٧- وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال:

لا يذوق العبد طعم الإيمان؛ حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن يدع المراء وهو محق[2]، ويدع الكذب في المزاح.

- وفي كتاب الصمت لابن أبي الدنيا، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان؛ حتى يدع المراء وإن كان محقًّا، ويدع كثيرًا من الحديث مخافة الكذب).

(١) هما في الأصل حديثان منفصلان: رواهما ابن بشران في أماليه برقم (٣٠ و٣١). والشطر الأول منه أصله في الصحيحين، والشطر الثاني من قوله: (وست من كن فيه...)، رواه محمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة. والدَّجن: هو اليوم الغائم المطير الذي يخاف فيه على ذهاب وقت الصلاة.

(٢) ومما يدل على أن من ترك المراء- ولو كان محقًّا- فقد ذاق طعم الإيمان، وذهب عنه الشَّك:
- ما رواه الفريابي في القدر (٣٧٩) عن هشام بن حسان، قال: (جاء رجل إلى الحسن، فقال: يا أبا سعيد! تعال حتى أخاصمك في الدين، فقال الحسن: أما أنا فقد أبصرت ديني، فإن كنت أضللت دينك فالتمسه).
- وفي الإبانة الكبرى (١/ ١٧٥) عن إسحاق بن عيسى الطباع، قال: (سمعت مالك بن أنس يعيب الجدال في الدين، ويقول: كلما جاءنا رجل أجدل من رجل؛ أرادنا أن نرد ما جاء به جبريل إلى رسول الله ﷺ).

=

٣٤٨- وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«من ترك الكذب؛ بنى الله له في ربض الجنة، ومن ترك المراء وهو محق؛ بنى له في وسطها، ومن أحسن خلقه؛ بنى له في أعلاها»(١).

٣٤٩- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«أنا الزعيم لمن ترك المراء وإن كان محقًّا، وحسَّن خلقه ببيت في أعلى الجنة، وببيت في وسطها، وببيت في رباض الجنة»(٢).

٣٥٠- وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«من كثر همه سَقِم بدنه، ومن ساء خلقه عَذَّبَ نفسه، ومن لاحى الرجال سقطت مروءته، وذهبت كرامته»(٣).

❐ ❐ ❐

- وفي حلية الأولياء (٦/ ٣٢٤) قال الشافعي: (كان مالك بن أنس إذا جاءه بعض أهل الأهواء، قال: أما إني على بينة من ربي وديني، وأما أنت فشاكٌّ؛ فاذهب إلى شاكٍّ مثلك فخاصمه).

- وفي الشريعة للآجري، عن عبدالكريم الجزري، قال: (ما خاصم ورع قط في الدين).

(١) رواه ابن ماجه، والترمذي، وقال: حديث حسن.

(٢) رواه ابن حبان.

(٣) رواه أبو بكر الشافعي في الغيلانيات، والبيهقي في الشعب، وبه انقطاع، وأيضًا فيه حفص بن عمر الأيلي؛ متروك الحديث. وهو عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أثبت.

- وروى ابن أبي الدنيا، عن عبدالعزيز بن حصين؛ قال: (بلغني أن عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: من كثر كذبه ذهب جماله، ومن لاحى الرجال سقطت مروءته، ومن كثر همه سقم جسمه، ومن ساء خلقه عذب نفسه).

- ويفسره قول وهب بن منبه: (من لا يدع المراء يُشتم).

٥٠- باب: في ذكر أهل البدع

٣٥١- عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: **«إذا ماتَ صاحب البدعة؛ فُتح في الإسلام فتحٌ»**(١).

(١) رواه الخطيب في تاريخ بغداد، وابن الجوزي في العلل؛ ولا يصح.
- ويغني عنه الحديث الذي أخرجه الشيخان عن أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: (مُرَّ على النبي ﷺ بجنازة؛ فقال: مستريح ومستراح منه. قالوا: يا رسول الله! ما المستريح والمستراح منه؟ فقال: العبد المؤمن يستريح من تعب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله عز وجل، والعبد الفاجر يستريح منه البلاد والعباد والشجر والدواب). والفاجر: يشمل المشرك والمبتدع والفاسق.
- وكان أهل السُّنة يفرحون أشد الفرح بموت المبتدع:
- فعن بشر بن الحارث؛ قال: (جاء موت هذا الذي يقال له: المريسي، وأنا في السوق فلولا أن الموضع ليس موضع سجود؛ لسجدت شكرًا، الحمد لله الذي أماته؛ هكذا قولوا).
- وفي المعرفة والتاريخ للفسوي (٣/ ٩٦) عن أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفزاري، قال: (كنا عند سفيان الثوري إذ جاءه نعي أبي حنيفة؛ فقال: الحمد لله الذي أراح المسلمين منه، لقد كان ينقض عرى الإسلام عروة عروة، ما ولد في الإسلام مولود أشأم على الإسلام منه).
ونقلها أيضًا عبدالرحمن بن مهدي عن سفيان الثوري، كما في تاريخ بغداد.
- وفي السُّنة لعبدالله بن أحمد، قيل لحماد بن زيد: مات أبو حنيفة، فقال: (الحمد لله الذي كَبَس به بطن الأرض).
- وفي تهذيب الكمال، عن سلمة بن شبيب، قال: (كنت عند عبدالرزاق، فجاءنا موت عبدالمجيد بن عبدالعزيز بن أبي رواد، وذلك في سنة ست ومئتين؛ فقال عبدالرزاق: الحمد لله الذي أراح أمة محمد ﷺ من عبدالمجيد- لأنه كان يرى الإرجاء-).
- وقال الهروي في ذم الكلام: (وأما الجهم؛ فكان بمرو فكتب هشام بن عبدالملك إلى واليه على خراسان: نصر بن سيار يأمره بقتله؛ فكتب إلى سلْم بن أحوز وكان على مرو؛ فضرب عنقه بين نظارة أهل العلم وهم يحمدون ذلك). اهـ
=

- وليس الفرح بالموت أو القتل فحسب؛ بل حتى الفرح إذا مرضوا؛ ولذلك لما أصيب رأس الضلال- ابن أبي دؤاد- بالفالج- وهو الشلل النِّصفي- فرح أهل السُّنة بذلك، حتى قال ابن شراعة البصري؛ كما في تاريخ بغداد:

أَفَلَتْ سُعود نجومك ابنَ دؤاد ... وَبَدَت نحوسك في جميع إيادِ
فَرِحَتْ بمصرعك البريةُ كُلُّها ... من كان منها مُوقنًا بمعادِ
لم يبق منك سوى خيال لامع ... فوق الفراش ممهدًا بوسادِ
وخَبَتْ لدى الخلفاء نارك بعد ما ... قد كنت تقدحها بكل زنادِ
أطغاك يا ابن أبي دؤاد زينة ... فجريت في ميدان إخوة عادِ
لم تخش من رب السماء عقوبة ... فسننت كل ضلالة وفسادِ
كم من كريمة معشر أرملتَها ... ومحدِّثٍ أوثقت بالأقيادِ
كم من مساجدَ قد منعت قضاتها ... من أن يُعدَّل شاهد برشادِ
كم من مصابيح لها أطفأتَها ... كيما تزل عن الطريق الهادي
إن الأُسارى في السجون تفرجوا ... لما أتتك مواكب العُوادِ
وغدا لمصرعك الطبيبُ فلم يجد ... لعلاج ما بك حيلة المرتادِ
لا زال فَالِجُكَ الذي بك دائمًا ... فُجِعت قبل الموت بالأولادِ
وأبا الوليد رأيتَ في أكتافه ... سوط الخليفة من يدي جلادِ
ورأيت رأسك في الجسور منوطًا ... فوق الرؤوس مُعلَّمًا بسوادِ

- وقال عبدالعزيز بن يحيى المكي- صاحب كتاب الحيدة-: (دخلت على أحمد بن أبي دؤاد وهو مفلوج؛ فقلت: إني لم آتك عائدًا، ولكن جئت لأحمد الله على أنه سجنك في جلدك).

- وفي السُّنة للخلال؛ قيل لأبي عبدالله- أحمد بن حنبل-: (الرجل يفرح بما ينزل بأصحاب ابن أبي دؤاد- أي: من البلاء- عليه في ذلك إثم؟ قال: ومَنْ لا يفرح بهذا؟!).

=

٣٥٢- وقال يحيى بن أبي كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:
إذا رأيت صاحب بدعة في طريق؛ فخذ في طريق غيرها[1].

❐ ❐ ❐

- وقال ابن القيم في النونية عن قتل الجعد بن درهم: (شكر الضحيَّة كلُّ صاحب سُنةٍ... لله درك من أخي قربان).

(١) وقاله أيضًا سفيان الثوري؛ كما في المجالسة وجواهر العلم للدينوري. وقاله أيضًا الفضيل بن عياض؛ كما في حلية الأولياء، وقال: (لا يرتفع لصاحب بدعة إلى الله عز وجل عمل).
- بل هو إجماعٌ من السَّلف، قال أبو المظفر السمعاني في الانتصار: (وإنما كانوا- أي: السَّلف- إذا سمعوا بواحد من أهل البدعة؛ أظهروا التبري منه ونهوا الناس عن مجالسته ومحاورته والكلام معه، وربما نهوا عن النظر إليه، وقد قالوا: إذا رأيت مبتدعًا في طريق؛ فخذ في طريق آخر). اهـ
- وترك الطريق الذي يمشي فيه؛ إنما هو توبيخٌ له وتقذرٌ منه، وحتى لا تؤذي عينيك بالنظر إليه، أو تفتن به، فإن بعض أصحاب البدع لهم شارة وسمت وهيئة؛ كالمنافقين، وقد كان السَّلف ينهون اتباعهم عن النظر إلى الأبنية والقصور؛ خشية الفتنة بها، وزجرًا لأربابها:
- ففي الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١/ ١٠٣) عن الضحاك أبي ياسين، قال: (سمعت سفيان الثوري، يقول: لا تنظروا إلى قصورهم؛ فإنما بنوها من أجلكم). أي: من أجل النظر إليها. وقال: (لا تنظروا إلى دورهم ولا إليهم إذا مروا على المراكب).
- وفي الورع لابن أبي الدنيا (٧٥) عن الفضيل، قال: (لا تنظروا إلى مراكبهم؛ فإن النظر إليها يطفئ نور الإنكار عليهم).
- وفي حلية الأولياء (٦/ ٣٧٩) عن وكيع، قال: (سمعت سفيان- وسئل عن البناء الذي بنوه حول الكعبة- فقال: لا تنظروا إليه، فإنهم إنما بنوه لينظر إليه).
- وذكر عن عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- كما في طبقات الشافعية (٦/ ٢٦٦)- أنه قال: (لا تنظروا إلى أموال أهل الدنيا؛ فإن بريق أموالهم يذهب بحلاوة إيمانكم). اهـ
- فهذه ثمرة مجرد النظر إلى أموال أهل الدنيا!
فكيف بمن نظر في المبتدع، أو نظر في كتبه، أو سمع أشرطته، أو دخل موقعه، أو حضر مجلسه؟! فكيف بمن أحبَّه، أو تعاون معه، أو دافع عنه، أو تنمر له؟!

٥١- باب: ذمّ البدع التي لم يَرد بها كتاب الله تعالى ولا سنة رسوله ﷺ ولا قال بها أحد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ولا التابعين ولا العلماء من الأئمة المشهورين، وإنما زينها الشيطان لأوليائه ليتخذوها دينًا، ويتخذوها شرعًا، فيناظرون عليها المؤمنين، ويخاصمون الموحدين فيعملون بذلك، ويحسبون أنهم مهتدون[١]

٣٥٣- عن عطاء الخراساني رَحِمَهُ اللَّهُ؛ قال:

لما نزلت هذه الآية: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[النساء:١١٠]؛ قال: صرخ إبليس عندها صرخة اجتمع إليه منها جنوده من أقطار الأرض؛ قالوا: يا رأس الخطيئة! ما هذه الصرخة التي أفزعتنا؟ لم نسمع منك مثلها؛ قال: أمرٌ نزل بي ما نزل بي قط أعظم منه؛ قالوا: ما هو؟ قال: فتلى عليهم الآية.

قال: إنه يغوي ابن آدم، حتى إذا نال منه حاجته استغفر الله؛ فتاب وتيب عليه، فهل عندكم من حيلة؟ قالوا: ما عندنا من حيلة؛ قال: فاطلبوا فإني سأطلب؛ قال: فلبثوا ما شاء الله، ثم صرخ أخرى فاجتمعوا إليه؛ فقالوا: يا رأس الخطيئة! ما هذه الصرخة التي لم نسمع منك مثلها

---

(١) قوله: (ذم البدع التي لم يرد بها كتاب الله...)، إلى آخر التبويب، هذه صفة كاشفة إذ كل البدع كذلك؛ هذه صفتها، فهو كقوله تعالى: (وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ)، ليس له مفهوم مخالفةٍ.

إلا التي قبلها؟ قال: هل وجدتم شيئًا؛ قالوا: لا؛ قال: لكني قد وجدتها!! قالوا: وما الذي وجدت؟ قال: أُزين لهم البدع التي يتخذونها دينًا، ثم لا يستغفرون.

٣٥٤- وعن عبدالرحمن بن يزيد؛ قال:

سمعت عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: إياكم وما يُحْدِث الناس من البدع؛ فإن الدين لا يذهب في مرة واحدة، ولكن الناس يُحْدَث لهم بدع بعد بدع؛ حتى يخرج الإسلام من قلوبهم، أوشك أن يدع الناس ما ألزمهم الله من فرضه؛ من الصلاة والصيام والحلال والحرام، ويتكلمون في ربهم، فمن أدرك ذلك الزمان؛ فالهرب، قلت: يا أبا عبدالرحمن! فإلى أين الهرب؟ فقال: الهرب بقلبه ودينه، ولا يجالس أحدًا من أهل البدع عسى أن يسلم[1].

٣٥٥- وعن الأزدي[2] رَحِمَهُ اللَّهُ؛ قال:

---

(١) وفي السُّنة للالكائي، والحجة للتيمي، لما قال له عبدالرحمن بن يزيد: (يا أبا عبدالرحمن! إلى أين الهرب؟! قال ابن مسعود: إلى لا أين! يهرب بقلبه ودينه، لا يجالس أحدًا من أهل البدع).
- ومعنى: (إلى لا أين)، أي: إلى أي مكان يسلم له فيه دينه مطلقًا، قال تعالى: (يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعْبُدُونِ).
- وفي حلية الأولياء (١/ ٢٧٩) عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقيل له: (في يوم واحد تركت بنو إسرائيل دينهم؟ قال: لا، ولكنهم كانوا إذا أُمِروا بشيء تركوه، وإذا نُهوا عن شيء ركبوه، حتى انسلخوا من دينهم كما ينسلخ الرجل من قميصه).

(٢) هو: عثمان بن حاضر الأزدي، وهذا الأثر رواه الدارمي في سننه (١٤١).

دخلت على ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقلت: أوصني. فقال: نعم؛ عليك بتقوى الله والاستقامة، اتبع ولا تبتدع[1].

---

(١) وهذا ما وصى الله به عباده في كتابه، فقال تعالى في الوصية الأولى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾.

- وقال تعالى في الوصية الثانية: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾.

- وإقامة الدين تكون: بالاستقامة والاتباع وعدم الابتداع. ولهذا قال بعدها: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾.

- ثم جمع الله هذا كله في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

- وهي وصية النبي ﷺ لأمته، كما في حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: (وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة؛ ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله، كأنها موعظة مودع، فأوصنا. فقال: أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن كان عبدًا حبشيًّا، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا؛ فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة). رواه أبو داود، والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

- وهي وصية السَّلف وأهل العلم من بعده:

- ففي الإبانة الكبرى لابن بطة، عن سعيد بن جبير، قال: (جاء رجل إلى عبدالله بن عباس، فقال: يا أبا العباس! أوصني، فقال: أوصيك بتقوى الله، وإياك وذكر أصحاب النبي ﷺ؛ فإنك لا تدري ما سبق لهم من الفضل، وإياك وعمل النجوم إلا ما يهتدى به في برٍّ أو بحرٍ؛ فإنها تدعوا إلى كهانة، وإياك ومجالسة الذين يُكذِّبون بالقَدَر، ومن أحبَّ أن تُستجاب دعوته وأن يزكى عمله ويقبل منه؛ فليصدق حديثه وليؤد أمانته وليسلم صدره للمسلمين). اهـ

- وأوصى ابن مسعود، فقال: (إنكم اليوم على الفطرة، وإنَّكم ستحدثون ويحدث لكم، فإذا رأيتم محدَثةً، فعليكم بالهدي الأول).

- وأوصى عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ اللَّهُ، فقال: (فارضَ لنفسك ما رضي به القومُ لأنفسهم؛ فإنَّهم على علم وقفوا، وببصر نافذ كَفُّوا).

=

❐ ❐ ❐

- وأوصى مالك بن أنس، كما في ذم الكلام (٨٨٦) عن خالد بن خداش، قال: (ودَّعتُ مالك ابن أنس، فقلت: أوصني يا أبا عبدالله! فقال: تقوى الله، وطلب العلم من عند أهله).
- وفي ذم الكلام للهروي، عن أيوب السختياني، قال: (قلت لأبي قلابة: أوصني، قال: أوصيك بثلاث خصال، احفظهن بعدي: كتاب الله لا تفسره برأيك، وأصحاب محمد ﷺ لا تذكر أحدًا منهم إلا بخير، والقدر لا تقولن فيه شيئًا).
- وفيه عن أحمد بن يونس، قال: قال رجل لسفيان الثوري: أوصني، فقال: (إياك والأهواء، إياك والخصومة، إياك والسُّلطان). وتقدَّم.
- وفي السنة للالكائي، عن شعيب بن حرب، قال: (قلت لمالك بن مغول: أوصني، قال: أوصيك بِحُبِّ الشيخين أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. قلت أوصني، قال: أوصيك بِحُبِّ الشيخين أبي بكر وعمر. قلت: إن الله أعطى من ذلك خيرًا كثيرًا! قال: أي لُكع! والله إني لأرجو لك على حبهما ما أرجو لك على التوحيد).
- وفي ذم الكلام (١٠٧٩) قال أحمد بن يوسف السلمي: (أتيت محمد بن يوسف الفريابي، فقلت له: أوصني، فقال: عليك بتقوى الله، ولزوم السُّنة، واجتناب السُّلطان).
- وفي الإبانة الكبرى، عن الحسن بن عبدالعزيز الجروي، قال: (أخبرني رجل أثق به، قال: قلت لعبدالملك الماجشون: أوصني، قال: إياك والكلام، فإن لآخِرِه أوَّلَ سُوء).
- وفي طبقات الحنابلة (١/ ٣٤٢) قال الإمام أحمد: (أوصيكم ونفسي بتقوى الله العظيم، ولزوم السُّنة، فقد علمتم ما حلَّ بمن خالفها، وما جاء فيمن اتبعها).
- وفي زوائد الزهد لعبدالله بن الإمام أحمد (ص٣٠٤) عن أبي السَّليل، قال: (كنت أتبع صلة ابن أشيم، فأتعلَّم منه، قال: قلت له يومًا: علمني شيئًا، اعهد إليَّ شيئًا، أوصني بشيء، قال: أفعل؛ انتصح كتاب الله، وانصح المسلمين، وكثِّر في دعوة الله عز وجل، وإياك لا تُهلكنَّك دعوة العامة، ولا تكونن قتيل العصا، وإياك وقوم يزعمون أنهم على إيمانٍ دون المؤمنين، قال: قلت: من هم؟! قال: هم هذه الحرورية الخبيثة). اهـ
- وفي المنتخب من كتاب الزهد والرقائق للخطيب البغدادي (١١٠) عن أبي الربيع الأعرج، قال: (دخلت على داود الطائي بيته بعد المغرب، فقلت: أوصني، قال: صم عن الدنيا، واجعل إفطارك فيها الموت، وفر من الناس فرارك من السبع، وصاحب أهل التقوى إن صحبت؛ فإنهم أقل مؤونة وأحسن معونة، ولا تدع الجماعة، حسبك هذا إن عملت به).

٥٢- باب: الأمر بهجران أهل البدع

٣٥٦- قال بشر بن الحارث:

كن خيرًا لأهل البدع منهم لأنفسهم؛ تمنع الناس عنهم لا تكثر آثامهم[١].

٣٥٧- قال حنبل بن إسحاق:

كتب رجل إلى أبي عبدالله- أي: الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ- يسأله عن مناظرة أهل الكلام والجلوس معهم[٢]، فكتب إليه أبو عبدالله:

---

(١) وفي تهذيب الكمال (٦/ ١٨٢) قال أبو صالح الفراء: (حكيت ليوسف بن أسباط عن وكيع شيئًا من أمر الفتن، فقال: ذاك يشبه أستاذه- يعني الحسن بن حي- فقلت ليوسف: أما تخاف أن تكون هذه غيبة؟ فقال: لم يا أحمق؟ أنا خير لهؤلاء من آبائهم وأمهاتهم، أنا أنهى الناس أن يعملوا بما أحدثوا فتتبعهم أوزارهم، ومن أطراهم كان أضر عليهم).

(٢) قال ابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/ ٤٧٠) بعد ذكره لحديث: (من سمع منكم بخروج الدجال؛ فلينأ عنه ما استطاع؛ فإن الرجل يأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فما يزال به حتى يتبعه لما يرى من الشبهات). قال: (هذا قول الرسول ﷺ وهو الصادق المصدوق. فالله، الله معشر المسلمين! لا يحملن أحدًا منكم حسن ظنه بنفسه وما عهده من معرفته بصحة مذهبه، على المخاطرة بدينه في مجالسة بعض أهل هذه الأهواء، فيقول: أداخله لأناظره أو لأستخرج منه مذهبه، فإنهم أشد فتنة من الدَّجال وكلامهم ألصق من الجرب، وأحرق للقلوب من اللهب. ولقد رأيت جماعة من الناس كانوا يلعنونهم ويسبونهم، فجالسوهم على سبيل الإنكار والرد عليهم فما زالت بهم المباسطة، وخفيّ المكر ودقيق الكفر حتى صَبَوا إليهم). اهـ

- وقال الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفوائد المستنبطة من قصة آدم وإبليس: (ومنها: أن الشبهة إذا كانت واضحة البطلان لا عذر لصاحبها، فإن الخوض معه في إبطالها تضييع للزمان وإتعاب للحيوان، مع أن ذلك لا يردعه عن بدعته، وكان السلف لا يخوضون

=

بسم الله الرحمن الرحيم

أحسن الله عاقبتك، ودفع عنك كل مكروه ومحذور برحمته.

الذي كنا نسمعُ، وأدركنا عليه من أدركنا مِن سلفنا مِن أهل العلم؛ أنهم كانوا يكرهون الكلام والخوض فيه مع أهل الزيغ؛ إنما الأمر في التسليم والانتهاء إلى ما في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وسنة رسول الله ﷺ[1] لا يعدُ ذلك، ولم يزل الناس يكرهون كل محدث؛ من وضع كتاب، وجلوس مع مبتدع؛ ليورد عليه بعض ما يَلبس عليه في دينه؛ فالسلامة إن شاء الله في ترك مجالستهم، والخوض معهم في بدعتهم وضلالتهم؛ فليتق الله رجل، وليصر إلى ما يعود عليه نفعه غدًا من عمل صالح يقدمه لنفسه، ولا يكون ممن يحدث أمرًا فإذا هو خرج منه أراد الحجة له، فيحمل نفسه على المحال فيه، وطلب الحجة لما خرج منه بحق أو بباطل ليزين بذلك بدعته وما أحدث، وأشد ذلك أن يكون وضعه في كتاب فأُخذ عنه؛ فهو يريد تزيين ذلك بالحق والباطل وإن وضح الحق في غيره[2]. نسأل الله التوفيق لنا ولك ولجميع المسلمين، والسَّلام عليك.

مع أهل الباطل في رد باطلهم- كما عليه المتأخرون- بل يعاقبونهم إن قدروا، وإلا أعرضوا عنهم. وقال أحمد لمن أراد أن يرد عليهم: اتق الله، ولا تنصب نفسك لهذا، فإن جاءك مسترشدًا فأرشده). اهـ

(١) وفي الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٤٧١): (لا في الجلوس مع أهل البدع والزيغ لترد عليهم؛ فإنهم يلبسون عليك وهم لا يرجعون).

(٢) تأمل النِّية الخفية الخطيرة وأثرها عند مؤلفي الكتب:

=

❐ ❐ ❐

- قال ابن القيم في أعلام الموقعين (١/ ٢٨): (وكان الإمام أحمد شديد الكراهة لتصنيف الكتب، وكان يحب تجريد الحديث، ويكره أن يكتب كلامه، ويشتد عليه جدًا؛ فعلم الله حسن نيته، وقصده، فَكُتِبَ من كلامه وفتواه أكثر من ثلاثين سفرًا... وجمع الخلال نصوصه في الجامع الكبير، فبلغ نحو عشرين سفرًا أو أكثر، ورويت فتاويه، ومسائله، وحُدِّث بها قرنًا بعد قرن، فصارت إمامًا، وقدوة لأهل السُّنة على اختلاف طبقاتهم). اهـ

- ثم تأمل شدة تحذير الإمام أحمد من وضع الكتب في الدين- غير كتب الآثار:

- قال عبدالله في مسائله مع أبيه الإمام أحمد (١٥٨٢): (ما نهى عنه من وضع الكتب والفتيا وغيره. ثم قال: سمعت أبي وذكر وضع الكتب؛ فقال: أكرهها؛ هذا أبو حنيفة وضع كتابًا، فجاء أبو يوسف ووضع كتابًا، وجاء محمد بن الحسن فوضع كتابًا- فهذا لا انقضاء له، كلما جاء رجل وضع كتابًا- وهذا مالك وضع كتابًا، وجاء الشافعي أيضًا، وجاء هذا- يعني: أبا ثور- وهذه الكتب وَضْعُهَا بدعة، كلما جاء رجل وضع كتابًا ويُترك حديث رسول الله ﷺ وأصحابه- أو كما قال أبي هذا ونحوه- وعاب وضع الكتب، وكرهه كراهية شديدة، وكان أبي يكره جامع سفيان وينكره ويكرهه كراهية شديدة، وقال: من سمع هذا من سفيان؟! ولم أره يصحح لأحد سمعه من سفيان).

- وقال عبدالله بن أحمد: قال أبي: قال إسماعيل: قال ابن عون: (أرى هذه الكتب سيكون لها غِبُّ سُوء).

وصدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فأهل الإسلام يتجرعون مغبة كتب الرأي والكلام إلى يومك هذا.

- وفي مسائل الإمام أحمد لأبي داود (١/ ٦٧) قال: سمعت أحمد، وقال له رجل: جامع سفيان نعمل به؟ قال: (عليك بالآثار). وقال: (أنا أكره أن يُكتب عني رأي).

- وفي طبقات الحنابلة (١/ ١٨٩) عن عبدالرحمن بن يحيى بن خاقان، قال: سألت أحمد بن حنبل: أيهما أحب أليك: جامع سفيان أو موطأ مالك؟ قال: (لا ذا ولا ذا، عليك بالأثر). اهـ والمراد ما في الكتابيْن من الرأي، لا ما فيهما من الأحاديث والآثار.

٥٣- باب: النهي عن الصلاة خلفهم

٣٥٨- عن بشر بن منصور رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ قال:

سمعت سفيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ وسأله رجل على باب مسجد، إمامه صاحب بدعة؛ قال: لا تصل خلفه؛ قال: تكون الليلة المظلمة والمطيرة، وأنا شيخ كبير؛ قال: لا تصل خلفه.

٣٥٩- وقال أحمد بن سليمان الفقيه[1] في كتاب الصلاة:

قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأكره إمامة الفاسق، والمظهر للبدعة[2].

---

(١) هو: أبو بكر أحمد بن سليمان- أو سلمان- النَّجاد. ذكره أبو يعلى في طبقات الحنابلة (٢/ ٧) بقوله: العالم الناسِك الورِع، كان له في جامع المنصور حلقتان: قبل الصلاة للفتوى على مذهب إمامنا أحمد، وبعد الصلاة لإملاء الحديث، اتسعت رواياته وانتشرت أحاديثه ومصنفاته، سمع أبا داود السجستاني، وإبراهيم الحربي، وعبدالله بن إمامنا أحمد، وغيرهم. وروى عنه ابن مالك، وعمر بن شاهين، وابن بطة، وصاحبه أبو حفص العكبري، وأبو عبدالله ابن حامد، وأبو الفضل التميمي. توفي عام (٣٤٨هـ).

(٢) قال الشافعي في كتابه الأم (١/ ١٦٦): (وأكره أن ينصب من لا يُعرف أبوه إمامًا؛ لأن الإمامة موضع فضل، وتجزي من صلى خلفه صلاتهم، وتجزيه إن فعل، وكذلك أكره إمامة الفاسق والمظهر البدع).

- وعدم الصلاة خلف أصحاب الأهواء والبدع أمر متواتر عن السلف؛ قال التيمي في كتابه الحجة (٢/ ٥٤٨): (وأصحاب الحديث لا يرون الصلاة خلف أهل البدع؛ لئلا يراه العامة فيفسدون بذلك).

- وعن إبراهيم بن المغيرة- وكان شيخًا حجَّاجًا، أي: كثير الحج- قال: (سألتُ سفيان: أأصلي خلف من يقول: الإيمان قول بلا عمل؟ قال: لا، ولا كرامة).

=

- وقال سفيان بن عيينة: (لا تصلوا خلف الرافضي ولا خلف الجهمي ولا خلف القدري ولا خلف المرجئ).
- وقال صدقة بن يزيد: (مررت مع أيوب وهو آخذ بيدي إلى المسجد لنصلي فيه؛ فمررنا بمسجد قد أقيمت الصلاة فيه، فذهبت لأدخل فنتر يده من يدي نترة؛ فقال: أما علمت أن إمامهم قدري).
- وفي المدونة الكبرى (١/ ٨٤) قال مالك: (لا يُنْكِح أهل البدع، ولا يَنكح إليهم، ولا يُسلِّم عليهم، ولا يصلي خلفهم، ولا يشهد جنائزهم). اهـ
- وليس الصلاة فحسب، بل وإعادة الصلاة لمن صلى خلفهم؛ وقد سئل واثلة بن الأسقع عن الصلاة خلف القدري؛ فقال: (لا يصلى خلفه، أَمَا لو صليت خلفه لأعدت صلاتي).
- وقال حارث بن سريج البزاز: (قلت لمحمد بن علي: إن لنا إمامًا يقول في القدر؛ فقال: يا ابن الفارسي! انظر كل صلاة صليتها خلفه أعدها؛ إخوان اليهود والنصارى قاتلهم الله أنى يؤفكون).
- وقال معاذ بن معاذ: (صليت خلف رجل من بني سعد، ثم بلغني أنه قدري؛ فأعدت الصلاة بعد أربعين سنة أو ثلاثين سنة).
- وإذا كان السلطان أو نائبه هو المتلبس بهذه البدع المكفرة، فإنه يُصلى خلفه وتعاد الصلاة؛ كما في السُّنة لعبدالله قال: (سمعت أبي يقول: من قال ذلك القول- يعني: القرآن مخلوق- لا يصلى خلفه الجمعة ولا غيرها إلا أنَّا لا ندع إتيانها؛ فإن صلى رجل أعاد الصلاة).
- بل ولا يُنَاكحون، ولا يُكلَّمون، ولا يُعاد مرضاهم، ولا تُشهد جنائزهم، ولا يُسلم عليهم، ولا يُرد عليهم السلام. ولا يُغسلهم، ولا يصلي عليهم أولو الفضل ومن كان محل قدوة عند الناس؛ فعن عبدالصمد بن مردويه، قال: (سمعت رجلًا يقول للفضيل: من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها؛ فقال له الفضيل: من زوج كريمته من مبتدع فقد قطع رحمها).
- وقال سلَّام ابن أبي مطيع: (ما أعلم يحل لرجل أن يزوِّج صاحب بدعة).
- وروى الأثرم عن أحمد، وقيل له: رجل قدري أعوده؟ قال: (إذا كان داعية إلى الهوى فلا، قيل له: أصلي عليه؛ فلم يجب، فقال له إبراهيم بن الحارث العبادي- وأبو عبدالله يسمع-: إذا كان صاحب بدعة، فلا تسلم عليه ولا تُصلِّ خلفه ولا تُصلِّ عليه؛ قال أبو عبدالله: عافاك الله يا أبا إسحاق! وجزاك خيرًا). وزاد الخلال: (كالمعجب بقوله).
- وقال أبو بكر بن عياش: (لا أصلي على رافضي ولا حروري).

=

- ولم يصل سفيان الثوري على عبدالعزيز بن أبي رواد؛ لأنه كان يُرمى بالإرجاء.
- ونظر ابن سيرين إلى رجل من أصحابه في بعض محال البصرة، فقال له: (يا فلان! ما تصنع ههنا؟ فقال: عدتُ فلانًا من علة- يعني: رجلًا من أهل الأهواء- فقال له ابن سيرين: إن مرضتَ لم نعدك، وإن مِتَ لم نصل عليك، إلا أن تتوب. قال: تبت، تبت).
- وعن أيوب السختياني- وكان يغسل الأموات بالبصرة- أنه دُعي إلى غسل ميت، فخرج مع القوم، فلما كشف عن وجهه عرفه، فقال: (أقبلوا قِبَل صاحبكم؛ فلست أغسله، رأيته يماشي صاحب بدعة).
- وكان عمر بن محمد العكبري إذا مات بعكبرى رجل من الرافضة، فبلغه أن بزازًا باعَ له كفنًا، أو غاسلًا غسَّله، أو حاملًا حمله؛ هجره على ذلك.
- وفي السُّنة للخلال، عن إسماعيل بن إسحاق أن أبا عبدالله سُئل: (عن رجل له جار رافضي يسلم عليه؟ قال: لا، وإذا سلَّم عليه لا يرد عليه).
- بل ولا تؤكل ذبائح بعضهم كالروافض والقدرية والأشعرية؛ وكان محمد بن سيرين يكره ذبيحة القدرية. وقال أحمد بن يونس: (أنا لا آكل ذبيحة رجل رافضي، فإنه عندي مرتد)- وهذا قبل أن يُظهروا الشرك، أما الآن فلا تؤكل بلا خلاف-.
- وفي ذم الكلام للهروي عن عمر بن إبراهيم، قال: (لا تحل ذبائح الأشعرية؛ لأنهم ليسوا بمسلمين، ولا بأهل كتاب، ولا يثبتون في الأرض كتاب الله). لأنهم يقولون: القرآن الذي عندنا عبارة وحكاية عن كلام الله.
- وقال البخاري في كتاب خلق أفعال العباد: (ما أبالي صليت خلف الجهمي والرافضي، أم صليت خلف اليهود والنصارى، ولا يسلم عليهم، ولا يعادون، ولا يناكحون، ولا يشهدون، ولا تؤكل ذبائحهم).
- وقال طلحة بن مُصرف: (الرافضة لا تنكح نساؤهم، ولا تؤكل ذبائحهم؛ لأنهم أهل ردة).
- بل ومنهم من انقطعت موالاة الإسلام بينهم وبين المسلمين، ويُفرق بينه وبين امرأته؛ كالجهمية. قال خارجة بن مصعب: (الجهمية كفار، أبلغ نساءهم أنهن طوالق لا يحللن لهم).
وأيضًا لا يرثون ولا يورثون؛ فعن ابن الأسود قال: (سمعت ابن مهدي، يقول ليحيى بن سعيد: لو أن جهميًا بيني وبينه قرابة؛ ما استحللت من ميراثه شيئًا).
- بل وترد شهادتهم ولا يشهد عندهم؛ قال عبدالله بن أحمد: (سمعت أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: إذا كان القاضي جهميًا فلا تشهد عنده).

=

❐ ❐ ❐

- وفي جامع بيان العلم، عن ابن خويز منداد المصري المالكي في كتاب الشهادات- في تأويل قول مالك: (لا تجوز شهادة أهل البدع وأهل الأهواء)- قال: (أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا: هم أهل الكلام؛ فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع أشعريًا كان أو غير أشعري، ولا تقبل له شهادة في الإسلام أبدًا ويهجر ويؤدب على بدعته، فإن تمادى عليها استتيب منها). ومعنى الاستتابة، أي: التي يعقبها السَّيف.

- بل كان بعض السلف لا يبيع ولا يشتري منهم؛ ففي ذم الكلام أنه كانت لعبدالرحمن بن مهدي جارية، فطلبها منه رجل، فقيل له: يا أبا سعيد! هذا صاحب خصومات! فقال له عبدالرحمن: (بلغني أنك تخاصم في الدين! فقال: يا أبا سعيد! إنا نضع عليهم لنحاجَّهم بها. فقال له عبدالرحمن: أتدفع الباطل بالباطل؟! إنما تدفع كلامًا بكلام، قم عني، والله لا بعتك جاريتي أبدًا).

- بل ولا يؤكل معهم؛ فعن الفضيل بن عياض؛ قال: (آكل عند اليهودي والنصراني أحب إليَّ من أن آكل عند صاحب بدعة).

- وقال عبدالله بن عمر السرخسي: (أكلتُ عند صاحب بدعة أكلة، فبلغ ذلك ابن المبارك؛ فقال: لا كلمته ثلاثين يومًا).

- بل ولا يُجلس معهم؛ فعن الفضيل، قال: (لا تجلس مع صاحب هوى؛ فإني أخاف عليك مقت الله).

- بل ولا مصافحتهم؛ فعن إبراهيم بن أدهم؛ قال: (من صافح صاحب بدعة؛ فقد أعان على هدم الإسلام).

- بل ولا ينظر في وجوههم؛ فعن عبدالوهاب الوراق؛ قال: (قال رجل للأسود بن سالم: كيف أصبحت؟ قال: بشرٍّ، وقعتْ عيني اليوم على مبتدع).

- هذا وصور معاملة المبتدعة كثيرة منها: عدم الاستعانة بهم في الولايات، وعدم مشاورتهم، أو الدلالة عليهم، وتوقيرهم، ومحبتهم، ومصاحبتهم، ومصافحتهم، والكلام معهم، وهجرهم، وطردهم من المجالس والبلاد، وغير ذلك مما ثبت عن الَّسلف وتواتر عنهم؛ حتى قال الفضيل بن عياض: (أحب أن يكون بيني وبين صاحب بدعة حصن من حديد).

- وقال أبو الجوزاء: (لأن يجاورني القردة والخنازير في دارٍ أحب إليَّ من أن يجاورني رجل من أهل الأهواء).

٥٤- باب: المنع من اتباع جنائزهم وغير ذلك[١]

٣٦٠- عن أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال:

كان رسول الله ﷺ إذا دعي إلى جنازة؛ سأل عنها، فإن أُثْنِيَ عليها خير؛ صلى عليها، وإن أُثْنِيَ عليها غير ذلك؛ قال: **«شأنكم وإياها»**؛ ولم يصل عليها[٢].

---

(١) المنع من اتباع جنائز المبتدعة واحدة من عقوبات كثيرة يعاقب به المبتدع في الدنيا، بل هي من أشدها عقابًا؛ حتى قال الدارقطني: (سمعت أبا سهل بن زياد، سمعت عبدالله بن أحمد يقول: سمعت أبي، يقول: قولوا لأهل البدع: بيننا وبينكم يوم الجنائز حين تمر).

ولهذه الكلمة معنيان: الأول: ما ذكره ابن كثير في البداية والنهاية (١٠/ ٣٧٦) بقوله: (وقد صدَّق الله قول أحمد في هذا، فإنه كان إمام السُّنة في زمانه. وعيون مخالفيه: أحمد بن أبي دؤاد – وهو كبير قضاة الدنيا– لم يحتفل أحد بموته، ولم يُلتفت إليه، ولما مات ما شيعه إلا قليل من أعوان السلطان، وكذلك الحارث بن أسد المحاسبي مع زهده وورعه وتنقيره ومحاسبته لنفسه في خطراته وحركاته، لم يصل عليه إلا ثلاثة أو أربعة من الناس. وكذلك بشر بن غياث المريسي لم يصل عليه إلا طائفة يسيرة جدًا، فلله الأمر من قبل ومن بعد). اهـ

– والثاني: ستعلمون غدًا صدق هجراننا لكم ومصارمتنا إياكم حين تمر جنائزكم.

– وأما نهي بعض السَّلف عن الإعلام بموته؛ فهذا له وجه آخر غير ما نحن فيه.

– وفي الضعفاء للعقيلي (٨٦٦)؛ قال عبدالعزيز بن محمد: (كان صفوان بن سليم لا تمر جنازة إلا ذهب فصلى عليها، فمرَّت به جنازة، فاتكأ على يدي، فلما بلغ الباب سأل من هي؟ قالوا: عبدالله بن أبى لبيد؛ فرجع ولم يصل عليه، قال عبدالعزيز: كان والله مجتهدًا في العبادة، ولكنه كان يُتهم بالقدر). اهـ

– والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾.

(٢) رواه أحمد، وابن حبان في صحيحه، والحاكم، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

٣٦١- وعن سعيد بن المسيِّب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: **«رُبَّ جنازة ملعونة، ملعونٌ من شَهِدَها»**(١).

٣٦٢- وعن الحسين بن محمد بن عفير(٢)؛ قال:

قال ابن مسعود (المصيصي)(٣): لا تصل على المنافقين، ولا على الرافضة، ولا على الجهمية، ولا على القدرية، ولا على كل مبتدع.

٣٦٣- وقال ابن مسعود (المصيصي): ومات أبو معاوية(٤)؛ فقيل لوكيع: مات أبو معاوية؛ فقال: مَن يدفنه كثير، ولم يصل عليه.

---

(١) لا يصح مرفوعًا، وقد رواه محمد بن نصر الرملي في تفسير عطاء الخراساني عن عبدالرحمن بن حَرْمَلة، عن سعيد بن المسيِّب: (رُبَّ جَنازة ملعونة، ملعونٌ من شَهِدَها).

(٢) هو: أبو عبدالله حسين بن محمد بن محمد بن عفير بن محمد بن سهل الأنصاري.

(٣) هو: محمد بن مسعود بن يوسف النيسابوري، أبو جعفر العجمي، نزيل طرسوس، ويقال له: المصيصي، مات سنة (٢٤٧)، قدم بغداد وحدَّث بها. روى عن أبي عاصم الضحاك بن مخلد، وعبدالرحمن بن مهدي، وعبدالرزاق بن همام، ويحيى بن سعيد القطان. وروى عنه أبو داود، وابن أبي الدنيا، ومحمد بن وضاح؛ وقال فيه: (رفيع الشأن، فاضل، ليس بدون أحمد بن حنبل). وذكره ابن حبان في الثقات. انظر: تهذيب الكمال (٥٦٠٠).

(٤) هو: محمد بن خازم، أبو معاوية السعدي الكوفي الضرير. قال يعقوب بن شيبة: (ثقة، ربما دلَّس، كان يرى الإرجاء، فيقال: إن وكيعًا لم يحضر جنازته لذلك). وقال أبو داود: (كان رئيس المرجئة بالكوفة). وقال ابن حبان: (كان حافظًا متقنًا، ولكنه كان مرجئًا خبيثًا). وقال أبو زرعة: (كان يرى الإرجاء، قيل له: كان يدعو إليه. قال: نعم). وقال عليَّ بن خشرم: (ماشيت وكيعًا إلى الجمعة، فقال لي: يا عليَّ إلى من تختلف؟ فقلت: إلى فلان وإلى فلان وإلى أبي معاوية الضرير. قال: فقال وكيع: اختلف إليه، فإنك إن تركته ذهب علم الأعمش، على أنه مرجئ. فقلت: يا أبا سفيان! دعاني إلى الإرجاء فأبيت عليه، فقال لي وكيع: هلا قلت له كما قال له الأعمش: لا تفلح أنت ولا أصحابك المرجئة؟). وقال محمد بن عيسى بن الطباع: (قال لنا ابن المبارك: أبو معاوية مرجئ كبير). تاريخ بغداد (٣/ ١٤١).

=

قال ابن مسعود[1]: وكان أبو معاوية يُرمى بالإرجاء، والشَّرَاب[2].

٣٦٤- وبلغني: أن سفيان الثوري، ومالك بن أنس رَحِمَهُمَااللَّهُ كانا بمكة؛ فمات عبدالعزيز بن أبي رواد، وكان من خيار الناس، وكان يُنسب إلى الإرجاء؛ فلم يصليا عليه.

٣٦٥- وعن عبدالصمد بن يزيد؛ قال:

قال سفيان بن عيينة رَحِمَهُاللَّهُ لصديقٍ له: من أين جئت؟ قال: من جنازة فلان؛ قال: لا حدثتك بحديثٍ سَنة؛ استغفرِ الله ولا تعد، نظرتَ إلى رجل يشتم أصحاب محمد ﷺ واتبعتَ جنازته[3].

- وقوله: (من يدفنه كثير)، فيه دليل على أن العامة الذين لا يعلمون عن بدعة المبتدع، ولا يحسنون شيئًا من العلم لا يُنهون عن الصلاة عليه، إلا إن كان كافرًا كالجهمي والرافضي ونحوهما، فإن هؤلاء لا يجوز تقديمهم في المساجد للصلاة عليهم، ويُنبَّه العامة على ذلك.

- وقال محمد بن حمدان الطرائفي: (سألت الربيع بن سليمان عن القرآن؟ فقال: كلام الله غير مخلوق فمن قال غير هذا؛ فإن مرض فلا تعودوه، وإن مات فلا تشهدوا جنازته؛ كافر بالله العظيم).

(١) هو المتقدِّم ذكره في الأثر السابق.

(٢) وفي كتاب المعارف لابن قتيبة (١/ ٥١٠) في ترجمة أبي معاوية الضرير، قال: (وكان مرجئًا وخرج يومًا على أصحابه وهو يقول: وإذا المِعْدةُ جاشت ... فارمها بالمنجنيقِ ... بثلاثٍ من نبيذ ... ليس بالحلو الرقيقِ). اهـ

- وهذا على مذهب بعضهم في استحلال النَّبيذ المشتد، وما قاله لا يليق بسمت أهل العلم، حتى لو كان يشربه بتأويل فاسد.

(٣) وفي السُّنة للخلال (٣/ ٤٩٩) قال: (أخبرني عبدالملك بن عبدالحميد: أنه سمع أبا عبدالله قال في الرافضي: أنا لا أشهده، يشهده من شاء؛ قد ترك النبي ﷺ الصلاة على أقل من ذا؛ الدَّيْن - =

٣٦٦- قال: وسمعت سفيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ يقول:

من تبع جنازة مبتدع؛ لم يزل في سخط الله عَزَّوَجَلَّ حتى يرجع.

٣٦٧- وقال إبراهيم الوزان:

سألت إبراهيم بن أحمد الخواص عن العافية؟

فقال: العافية أربعة أشياء: دين بلا بدعة، وعمل بلا آفة، وقلب بلا شغل، ونفس بلا شهوة[1].

٣٦٨- وقال عبدالله بن أحمد رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ:

سألت أبي عن محنة العباس ابن مشكويه رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال أبي: صار إلينا العباس؛ فأخبرنا أنه لما أدخلوه على الخليفة هارون بن محمد الواثق في المحنة، سنة اثنتين وثلاثين ومئتين أقبل- أي: الواثق- على القوم يسألهم

أي: المدين- والغلول والقتيل- أي: قاتل نفسه- لم يصل عليهم، ولم يأمرهم). أي: بترك الصلاة عليهم.

- وقال رجل لأبي عبدالله: يقولون: أرأيت إن مات في قرية ليس فيها إلا نصارى من يشهده؟ قال أبو عبدالله- مجيبًا له-: (أنا لا أشهده، يشهده من شاء).

وهذا قبل أن تتحول الرافضية إلى وثنيةٍ شِركيَّةٍ بعد ذلك.

- وعن موسى بن هارون بن زياد، قال: (سمعت الفريابي ورجل يسأله عمن شتم أبا بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: كافر. قال: فيصلي عليه؟ قال: لا.

وسألته كيف يصنع به وهو يقول: لا إله إلا الله؟ قال: لا تمسوه بأيديكم، ارفعوه بالخشب حتى تواروه في حفرته).

(١) وفي لفظ آخر: (أنه سئل عن الصبر؛ فقال: الصبر: الثبات على أحكام الكتاب والسُّنة).

رجلًا رجلًا، فيجيبه على قدر علمه، ثم أقبل عليَّ؛ فقال: ماذا تقول، وبماذا تدين؟ فقلت: بالسُّنة والجماعة، فانتهرني وزبرني.

فقلت: يا خليفة الله![1] إني رجل من العامة، ولا أُنس لي بكلام الخاصة وقد أرعبتني؛ فقال: لا روع عليك، ما اسمك؟ فظننت أن الله تعالى قد هداه إلى السُّنة والجماعة؛ فقلت: العباس، فقال: ابن مشكويه؟ فقلت: أجل؛ فقال: ما تنتحل؟ فقلت: الإسلام، قال: وأي طرق أخذت، وعلى أيها اعتمدت؟ فقلت: أيضًا على السُّنة والجماعة؛ فأطرق إلى الأرض مليًا، ثم رفع رأسه إليَّ، فقال: ما تقول في القرآن؟ قلت: وما

---

(١) هذا اللقب: (فلان خليفة الله!)، مما لا ينبغي إطلاقه؛ لما فيه من إيهام ما لا يليق بالله تعالى من النقص والعجز، بل هو سبحانه يكون خليفة لغيره كما في دعاء السفر: (اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل).

- وكان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يكرهون هذا اللقب؛ كما في السُّنة للخلال، عن ابن أبي مُليكة، قال: (قال رجل لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا خليفة الله! قال: لست بخليفة الله، ولكن خليفة رسول الله ﷺ، أنا راض بذلك).

- وقال رجل لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا خليفة الله! قال: (خالف الله بك).

- وأما ما جاء في إباحته؛ كما رواه نعيم بن حماد في الفتن (٢٤٣) عن بقية بن الوليد، عن عبدالله بن نعيم المعافري، قال: (سمعت المشيخة يقولون: من أمر بمعروف ونهى عن منكر؛ فهو خليفة الله في الأرض، وخليفة كتابه، وخليفة رسول الله ﷺ). فلا يصح؛ لأنه من رواية بقية بن الوليد، ولو صحَّ فهو محمول على أن الإضافة هنا إضافة تشريف، ويكون المعنى أن الله اختاره واستخلفه بعد غيره ممن كان قبله، كما قال تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ). وقال تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا).

- وقد جاء هنا في الروايات الأخرى: (يا أمير المؤمنين).

وسيأتي تفسير لقب: (خليفة الله) عن الحسن البصري برقم: (٤١٧).

عسى أن أقول في القرآن: كلام الله غير مخلوق؛ فقال لي: لتقولن: مخلوق؛ قلت: لا أقول ذلك؛ قال: ولم؟ قلت: لأن الله قال في كتابه ذلك، فالتفت إلى جلسائه؛ فقال لهم: أما تسمعون ما يقول هذا؛ فشخص القوم بأبصارهم، ومدوا نحوي أعناقهم؛ قال: ما قال الله تعالى في كتابه؟! فتلوت هذه الآية: «وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا» [النساء:٨٢]، وتلوت بعقبها: «وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا» [النساء:١٦٤]، وتلوت: «وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ»[التوبة:٦].

ثم قلت: يا خليفة الله! من القائل هذا، أغير الله؟ فقال لي: لتقولن: مخلوق أو لأضربن عنقك؛ فقلت: إنك إن ضربت عنقي؛ فإنك في موضع يمكنك ذلك ولا مانع لك بعد أن تجري به المقادير من عند الله؛ فقال لي: ومُجْبِرٌ أنت أيضًا، تضيف الشر إلى الله، نسبتَهُ إلى الجور؟!

قلت: يعني ليس لأحد مع الله مشيئة ولا حركة؛ هذا موسى بن عمران عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يقول: «إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِي مَن تَشَآءُ» [الأعراف:١٥٥]، «وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ» [الأعراف:٤٣]، «لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ» [آل عمران:١٢٨]. وقال أهل النار: «غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا» [المؤمنون:١٠٦]. ليس لنا من الأمر شيء! فهذا موسى بن عمران عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأهل الجنة وأهل النار رضوا بقضاء الله وفوضوا أمرهم إلى الله، فكيف أكفر بذلك؟! واعلم يا خليفة الله! أنه لا يجب لمثلك أن يضرب عنق مثلي من غير حجة تُليت من كتاب الله، ولا أخبار رسول الله ﷺ.

فقال لي: صدقت! ويحك أوليس تقرأ: «إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ»(١) [القمر:٤٩]. فقلت: يا خليفة الله! الكلام في كتابه خاص وعام(٢)؛ قال الله تعالى: «وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ» [النمل:٢٣]، فهل أوتيت صرحًا ممردًا من قوارير؟ وملك سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ أعظم.

واعلم يا خليفة الله! أن الكلام من الله تعالى، ومن أمرِهِ بالقول؛ قال الله تعالى: «وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا» [الشورى:٥٢] ولو كان خلقًا لقال: مِن خَلْقِنا؛ فالقرآن كلام الله غير مخلوق؛ فقال: لتقولن: مخلوق، فقلت: لا أقول ذلك، قال: لا تقتلوا هذا الزنديق، واجعلوه في سجن المجانين.

قال: فأُخرجتُ إلى دار العامة، فإذا أنا بنمرود جالس على كرسي من حديد كأنه جبار عنيد وشيطان مريد- يعني ابن أبي دؤاد- وجر إليه جماعة ممن يقولون بقوله؛ فقال له جلساؤه: هذا الهمذاني؛ فقال: أنت الخُرَّمي(٣)- وظن أني لست ممن يفهمها عنه- فقلت: يا دجال! أنت وهؤلاء الوقوف بين يديك، فأطرق إلى الأرض وتهاون ولم يرد عليّ

---

(١) أراد: أن القرآن شيء؛ فيدخل في العموم.

(٢) وفي الإبانة الكبرى، قال: (يا أمير المؤمنين الكُلِّيَّةُ في كتاب الله خاص أم عام؟ قال: عام. قلت: لا، بل خاص).

(٣) وفي الإبانة الكبرى: (يا خُرَّمِيُّ). وتخرَّم الرجل: دان بدين الخُرَّمِيَّة؛ وهو اسم لأصحاب التناسخ والحلول والإباحة، وكانوا في زمن المعتصم فقتل شيخهم بابك وتشتتوا في البلاد، وقد بقيت منهم في جبال الشام بقية. (انظر: تاج العروس).

جوابًا؛ فأُدخلت إلى السجن المطبق ببغداد، فكتب إليّ رجل من أصحاب الحديث ووجهوا إليّ بِصِلة؛ فأخذت وقرأت الكتاب فإذا فيه مكتوب:

عليك بالعلم واهجر كـل مبتـدعٍ ... وكـل غـاوٍ إلى الأهـواء ميَّـالِ

ولا تمـيلنَّ يـا هـذا إلى بـدعٍ ... يُضللك أصحابُها بالقيل والقـالِ

إن القُـران كـلام الله تعرفـه ... ليس القُرانُ بمخلـوقٍ ولا بـالِ

لـو أنـه كـان مخلوقًـا لـصيَّره ... ريبُ المنون إلى مـوتٍ وإبطـالِ

وكيـف يَبطـل مـا لا شيء يبطلـه ... أم كيف يبلى كلام الخالق العالي

فلا تقل بالذي قالوا وإن جهلـوا ... وأوثقـوك بأقيـادٍ وأغـلالِ

قال: فتسلَّيتُ بذلك الشِّعر، وعلمت أن أصحابي على السُّنة والجماعة[1].

(١) وفي الإبانة الكبرى (٦/ ٢٨٦): (ثم ذكرني بعد أيام وأخرجني من السجن وأوقفني بين يديه، وقال: عساك مقيمًا على الكلام الذي كنت سمعته منك؟ فقلت: والله يا أمير المؤمنين! إني لأدعو ربي تبارك وتعالى في ليلي ونهاري ألا يميتني إلا على ما كنت سمعته مني. قال: أراك متمسكًا، قلت: ليس هو شيء قلتُه من تلقاء نفسي، ولكنه شيء لقيت عليه العلماء بمكة، والمدينة، والكوفة، والبصرة، والشام، والثغور، فرأيتهم على السُّنة والجماعة. فقال لي: وما السُّنة والجماعة؟ قلت: سألت عنها العلماء فكلٌّ يخبر ويقول: إن صفة المؤمن من أهل السُّنة والجماعة أن يقول العبد مخلصًا: لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، والإقرار بما جاءت به الأنبياء والرسل، ويشهد العبد على ما ظهر من لسانه وعقد عليه قلبه، والإيمان بالقدر خيره وشره من الله، ويعلم العبد أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، والإيمان: قول وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وأن الله عز وجل قد علم من خلقه ما هم فاعلون، وما هم إليه صائرون، فريق في الجنة وفريق في السعير، وصلاة =

٣٦٩- وعن الحسن، عن النبي ﷺ قال: **«عملٌ قليلٌ في سنة؛ خير من عمل كثير في بدعة، وكل بدعة ضلالة»**(١).

٣٧٠- وكذا قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الجمعة والعيدين خلف كل إمام بر وفاجر، وصلاة المكتوبة من غير أن تقدم وقتًا أو تؤخر وقتًا، وأن نشهد للعشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ من قريش بالجنة، والحب والبغض لله وفي الله، وإيقاع الطلاق إذا جرى كلمة واحدة، والمسح على الخفين للمسافر ثلاثة أيام وللمقيم يوم وليلة، والتقصير في السفر إذا سافر ستة عشر فرسخًا بالهاشمي- ثمانية وأربعين ميلًا- وتقديم الإفطار وتأخير السحور، وتركيب اليمين على الشمال في الصلاة، والجهر بآمين، وإخفاء بسم الله الرحمن الرحيم، وأن تقول بلسانك وتعلم يقينًا بقلبك أن خير هذه الأمة بعد نبيها: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم عليٌّ، والكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ، والإيمان بالبعث والنشور وعذاب القبر ومنكر ونكير والصراط والميزان، وأن الله عز وجل يخرج أهل الكبائر من هذه الأمة من النار، وأنه لا يخلد فيها إلا مشرك، وأن أهل الجنة يرون الله عز وجل بأبصارهم، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن الأرض جميعًا قبضته يوم القيامة، والسماوات مطويات بيمينه، سبحانه عما يشركون. قال: فلما سمع هذا مني أمر بي فقلع لي أربعة أضراس، وقال: أخرجوه عني لا يفسد عليَّ ما أنا فيه، فأخرجت؛ فلقيت أبا عبدالله أحمد بن حنبل، فسألني عما جرى بيني وبين الخليفة فأخبرته، فقال: لا نسي الله لك هذا المقام حين تقف بين يديه. ثم قال: ينبغي أن نكتب هذا على أبواب مساجدنا، ونعلمه أهلنا وأولادنا، ثم التفت إلى ابنه صالح، فقال: اكتب هذا الحديث واجعله في رق أبيض واحتفظ به، واعلم أنه من خير حديث كتبته، إذا لقيت الله يوم القيامة تلقاه على السُّنة والجماعة). اهـ

(١) رواه القضاعي في مسند الشهاب وابن بطة في الإبانة، عن الحسن مرسلًا.
ورواه أبو نعيم في الحلية، وابن بطة في الإبانة من كلام مطر الوراق.
ورواه ابن بطة في الإبانة عن الفضيل بن عياض.
ورواه الديلمي وابن بطة في الإبانة عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
ورواه البيهقي في الشعب من كلام الحسن.

٣٧١- وقال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

اتقوا الله يا معشر القراء! وخذوا طريق من كان قبلكم، فوالله لئن استقمتم لقد سَبقتم سبقًا بعيدًا، ولئن تركتموه يمينًا أوشمالًا، لقد ضللتم ضلالًا بعيدًا.

٣٧٢- وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«ليس شيء يقربكم إلى الجنة إلا وقد أمرتكم به، وليس شيء يقربكم إلى النار إلا وقد نهيتكم عنه، وإن روح القدس قد نفث في رُوعي أن نفسًا لا تموت حتى تستكمل رزقها؛ فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعاصي الله عَزَّوَجَلَّ؛ إن الله تعالى لا ينال ما عنده إلا بطاعته»[(١)].

٣٧٣- وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال:

خرج علينا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونحن نذكر الفقر ونتخوفه؛ فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«آلفقر تخافون؟ فوالذي نفسي بيده لَتُصَبَّنَّ عليكم الدنيا صَبًّا، حتى لا يُزِيغَ قلب أحدٍ منكم إزاغةً إلا هِيَهْ، وايم الله! لقد تركتكم على البيضاء؛ ليلها ونهارها سواء»**[(٢)].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة، وعبدالرزاق في مصنفيهما، والبيهقي في الشُّعب. و(الروع)، بضم الراء: أي: في خَلَدي ونفسي.

(٢) رواه ابن ماجه في سننه.

- وقوله: (إلا هيه) (هي) ضمير الدنيا، (والهاء) في آخره للسكت، وفي مسند أحمد: (إلا هي) بدون هاء. والمعنى: لا يزيغ قلب أحدكم إلا الدنيا، وجاء ذلك مفسرًا في الرواية الأخرى عن =

قال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: صدق والله رسول الله ﷺ لقد تركنا على البيضاء؛ ليلها ونهارها سواء[1].

٣٧٤- شعر لأبي جعفر الخواص:

ذهبت دولة أصحاب البدعْ ... ووهى حبلهمُ ثم انقطعْ

وتداعى بانصرافٍ جمعهم ... حزبُ إبليس الذي كان جمعْ

هل لهم يا قوم في بدعتهم ... من فقيهٍ أو إمامٍ يتبعْ

مثل سفيان أخي ثورِ الذي ... عَلَّم الناس دقيقات الورعْ

أو سليمان أخي التَيم الذي ... ترك النوم لهول المُطَّلعْ

أو فتى الإسلام أعني أحمدا ... ذاك لو قارعه القُرّا قرعْ

لم يخف سوطَهمُ إذ خوفوا ... لا ولا سيفَهمُ حين لمعْ

سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال: قال رسول الله ﷺ: (لأنا لفتنة السراء أخوف عليكم من فتنة الضراء؛ إنكم قد ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم، وإن الدنيا خضرة حلوة). رواه أبو يعلى، والبزار.

- وقوله ﷺ: (إن هذا الدينار والدرهم أهلكا من كان قبلكم، ولا أراهما إلا مهلكيكم). رواه الطبراني في الكبير.

(١) وقال أحمد بن خضرويه: (الدليل لائح، والطريق واضح، والداعي قد أسمع، فما التحير بعد هذا إلا من العمى).

ولغيره:

ما الناس إلا ثلاث: عـالم فَهِـمٌ ومـستفيد؛ لأهـل العلـم متبـعُ

وثالـث سـامع للعلـم يطلبـه من الرواة فيغـشاهم إذا اجتمعـوا

وباقيَ الناس أوبـاش فـما لهـم علم بذاك ولا يدرون مـا سـمعوا

وكلهم تاركٌ نهج الـسبيل معًـا وآخـرٌ عائـثٌ في الـدين مبتـدع

❐ ❐ ❐

٥٥- باب: من توقف عند السؤال ولم يفصح الجواب خوفًا من الزلل(١)

٣٧٥- عن مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنه بلغه عن رجل سأل ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: عن الوتر أواجب هو؟ فقال ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أوتر رسول الله ﷺ، وأوتر المسلمون.

٣٧٦- وعن أبي مرة مولى عقيل بن أبي طالب:

أنه سأل أبا هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كيف كان رسول الله ﷺ يوتر؟ فسكت أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ثم سأله؛ فقال: إن شئت أخبرتك كيف أصنع أنا؛ فقلت له: فأخبرني؛ فقال: إذا صليتُ العشاء صليت بعدها خمس

---

(١) في هذا الموضع من المخطوط الأصل، ذكر المؤلِّف عقيدته وعقائد بعض علماء أهل السُّنة وغيرهم، وقد رأينا أن تكون هذه العقائد في آخر الكتاب لأسباب منها:

١- ألا ينقطع حبل الأحاديث والآثار وتسلسلها بفاصلٍ طويل.

٢- أن هذه العقائد بمنزلة التطبيق لما في الكتاب، فيحسنُ أن تكون في آخره.

٣- أن هذا صنيع الحُميدي في مسنده وغيُره، حيث يذكرون الأحاديث والآثار ويجعلون عقيدتهم في الأخير.

٤- لا يوجد ارتباط شديد بين العقائد وما قبلها وما بعدها. بل الأمر بالعكس؛ تبدو الأبواب مترابطة بعد نقل العقائد إلى آخر الكتاب.

- ويبدو أن هذه سُنة للمؤلِّف في هذا الكتاب، كما هو مشَاهدٌ في أبواب القرآن؛ فقد استهلَّها المؤلف بباب: (جامع في ذكر القرآن)، ثم عقد ستة عشر بابًا في هذا الشأن، ثم عقد أبوابًا في السُّنة والإجماع، ثم رجع ثانية إلى مباحث القرآن.

ركعات ثم أنام، فإن قمتُ من الليل صليتُ مثنى مثنى، وإن أصبحتُ أصبحتُ على وتر.

٣٧٧- وسأل رجل ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ فقال:

إني نذرت أن أصوم ثلاثاء أو أربعاء ما عشت، فوافق هذا اليوم يوم النحر؟ فقال: أمر الله عَزَّوَجَلَّ بوفاء النذر، ونهينا أن نصوم يوم النحر، فأعاد عليه؛ فقال مثله، لا يزيد عليه.

٣٧٨- قال الشيخ نصر رَحِمَهُ اللَّهُ:

فإذا ثبت بما تقدم من هذه الجملة أن النبي ﷺ والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والأئمة من أهل العلم والمقتدى بهم، والمعمول بقولهم؛ لم يُقْدموا على جواب ما لا علم لهم به، ولا وصل إليهم فيه توقيف يرجعون إليه، فمن لم يبلغ منزلتهم ولا بعشرهم في علمهم، ولا يَسْلم له فهم قولهم، ولا استخراج معاني كتبهم، وما وضعوه من دقائق كلامهم، وغوامض إشاراتهم أولى بالاتباع، وترك الإقدام على مخالفتهم؛ بابتداع ما لم يذكروه، والكلام فيما أنكروه، ووضع المسائل المنهي عنها مما لم يرد به كتاب ولا سنة، ولا قال به أحد من علماء الأمة، بل تزيين من الشيطان لضلالتهم، وحرص[1] منه على غوايتهم؛ فيجب على كل مسلم مجانبة من

(١) في الأصل: (وجهلٌ)، ولعلَّ الأقرب ما أثبتناه.

هذه سبيله، وترك الاستماع إليه وقبول قوله؛ فإنه يـزين باطلـه بجهلـه[١] ويُحسِّن بدعته بزعمه.

٣٧٩- وتقدَّم حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

«إنه ليس من عمل يقربكم للجنة، إلا وقد أمرتكم به..». الحديث[٢].

❒ ❒ ❒

(١) ويحتمل: (بجهده).

(٢) رواه ابن أبي شيبة، وعبدالرزاق في مصنفيهما، والبيهقي في الشُّعب.

٥٦- باب: ما يدل على أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قد فرغ من أمور الشريعة، وكفانا التكلف فيها؛ فلا ينبغي لأحد أن ينطق فيها بغير ما ورد من الله عَزَّوَجَلَّ ومن رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

٣٨٠- عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«إن الله تعالى فرض فرائض؛ فلا تضيعوها، وحد حدودًا؛ فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء؛ لم يدعها نسيانًا، فلا تكلفوها رحمة لكم من ربكم عَزَّوَجَلَّ؛ فاقبلوها، ألا وإن الأمور بيد الله عَزَّوَجَلَّ، من عند الله مصدرها وإليه مرجعها، فليس للعباد تفويض ولا مشيئة»[1].

---

(١) رواه الدارقطني في سننه، والطبراني في الأوسط، وقال: (لا يُروى هذا الحديث عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلا بهذا الإسناد، تفرد به: أسد بن موسى). اهـ

- وأول الحديث إلى قوله: (ألا وإن الأمور)؛ محفوظ من حديث أبي ثعلبة الخشني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رواه الدارقطني في سننه، وله شواهد.

- وقد استشكل بعض الناس قوله في الحديث: (فليس للعباد تفويض ولا مشيئة).

- والجواب أن يقال: إن جميع روايات الحديث جاءت بدون هذه الزيادة، إلا بهذا السَّند الذي أشار إليه الطبراني، وفيه نهشل بن سعيد القرشي؛ وهو متروك الحديث. وقد تكون مدرجة في الحديث من كلام طاوس اليماني؛ فعن الضحاك بن مزاحم الخراساني، قال: (اجتمعت أنا وطاوس اليماني، وعمرو بن دينار المكي، ومكحول الشامي، والحسن البصري، في مسجد الخيف، فتذاكرنا القدر، حتى ارتفعت أصواتنا وكثر لغطنا، فقام طاوس، فقال: أنصتوا، أخبركم ما سمعت أبا الدرداء...)، فذكره.

=

٣٨١- وتقدَّم حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا وأبي ثعلبة رَضِيَٱللَّهُعَنهُ مثله.

٣٨٢- وعن سعيد بن المسيب؛ قال:

قام عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنهُ في الناس؛ فقال: يا أيها الناس! اسمعوا مقالتي وعوا ما أقول لكم، وأقبلوا عليَّ بأبصاركم؛ فإن أحدًا لن يشتغل بصره إلا قلَّ وعيه، وليبلغ شاهدكم غائبكم؛ ألا إن الله عَزَّوَجَلَّ فرض فرائض فاتبعوها، وحدَّ حدودًا فلا تتعدوها، وحرم محارم فلا تنتهكوها، وترك أشياء لم يتركها نسيانًا فلا تتكلفوها، رحمة من الله لكم فاقبلوها؛ الحلال بيِّن، والحرام بيِّن، ومشتبهاتٌ بين ذلك، فمن ترك ما اشتبه عليه من الإثم؛ فهو لما استبان منه أترك، ومن ركب ما اشتبه عليه من الإثم فهو لما استبان منه أركب، ألا وإن لكل ملك حمى وحمى الله محارمه، فالمُرتِع حول الحمى يوشك أن يواقعه، ألا إن أصحاب الرأي أعداء السنن[1]؛ أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، وتفلتت منهم فلم يعوها،

= فالظاهر- والله أعلم- أن منهم من كان ينكر القدر، ويبالغ في إثبات مشيئة العبد حتى يجعلها مستقلة- وقد ذكروا في ترجمة مكحول أنه كان يرى القدر- فمن كان هذا حاله، فالمناسب له ذكر هذا الكلام، وليس المقصود نفي مشيئة العبد مطلقًا؛ فإن أهل السُّنة يعتقدون أن للعبد مشيئة، ولكنها تابعة لمشيئة الله. فهُم وسط بين القدرية والجبرية.

(١) روى الخطيب البغدادي في تاريخه (١٥/ ٥٤٥) عن مالك بن أنس؛ قال: (كانت فتنة أبي حنيفة أضرَّ على هذه الأمة من فتنة إبليس في الوجهين جميعًا: في الإرجاء، وما وضع من نقض السنن).
- وعن سليمان بن حسان الحلبي، قال: (سمعت الأوزاعي ما لا أحصيه، يقول: عمد أبو حنيفة إلى عُرى الإسلام، فنقضها عروة عروة).
=

واستحيوا إذا سألهم الناس أن يقولوا: لا نـدري، فعانـدوا[1] الـسنن بـرأيهم؛ فضلوا وأضلوا.

والذي نفس عمر بيده ما قبض الله نبيه ﷺ ولا رفع الـوحي عـنهم حتى أغناهم عن الرأي، فلو كـان الـدين يؤخـذ بـالرأي؛ لكـان أسـفل الخف أحق بالمسح من ظهره، فإياك وإياهم، ثم إياك وإياهم.

٣٨٣- قال الشيخ نصر رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا قاله عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وخطب به عـلى رؤوس المهـاجرين والأنـصار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ فلم ينكره أحد مـنهم؛ فـدل عـلى وجـوب الرجـوع إلى الـسنن والآثار الصحاح، وترك ما خالفها من الرأي الفاسد والضلال البيِّن.

- وقال حفص بن غياث: (كنت أجلس إلى أبي حنيفـة، فأسـمعه يُـسأل عـن مـسألة في اليـوم الواحد؛ فيفتي فيها بخمسة أقاويل، فلما رأيت ذلك تركته، وأقبلت على الحديث).

- وصدق عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إذ قال: (واستحيوا إذ سألهم الناس أن يقولوا: لا نـدري، فعارضـوا السنن برأيهم؛ فضلوا وأضلوا).

- ولهذا ألفوا كتاب الحِيَل الذي قال فيه ابن المبارك- كما في تاريخ بغداد-: (من نظر في كتـاب الحيل لأبي حنيفة؛ أحلَّ ما حرَّم الله، وحرَّم ما أحلَّ الله). ومرة قال: (من كان عنده كتاب حيل أبي حنيفة يستعمله أو يفتي به؛ فهو كافرٌ، بطل حجُـه، وبانـت منـه امرأتـه)، فقـال مـولى ابـن المبارك: يا أبا عبدالرحمن! ما أرى وضع كتاب الحيل إلا شـيطان، فقـال ابـن المبـارك: (الـذي وضع كتاب الحيل أشرُّ من الشيطان). اهـ

- وذلك لأن مبناه على الحيـل والـرأي والاستحـسان، ومخادعـة الله جـلَّ وعـلا، والاسـتهانة بحدوده.

(١) وفي لفظ: فعارضوا.

وفي ذلك ذكرى لمن أراد الله به الخير ورزقه النظر لدينه والاحتياط لنفسه، وسلوك طريق الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين والأئمة المجتهدين؛ فهم الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالاجتماع على الصواب، وفي خلافهم والخروج عن طريقهم؛ الفساد والضلال. فنسأل الله التوفيق، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

٣٨٤- عن ابن عون؛ قال:

شهدتُ[1] وقيل له: إن قتادة كلم رجلًا في الولدان[2]؛ قال: وثَم ربيعة؛ قال: فتكلم ربيعة، فأكثر فلم أحفظ من كلامه شيئًا[3]، فرفع القاسم رأسه؛ فقال: إذ الله عَزَّوَجَلَّ انتهى عند شيء؛ فانتهوا عنده[4].

---

(١) سقطت هنا كلمة: (محمد بن القاسم)، كما هي في المصادر وحاشية المخطوط.

(٢) المراد: ولدان المشركين، وحكمهم في الآخرة.

(٣) وذلك لأن ربيعة كان ربما أفتى في بعض المسائل برأيه أحيانًا؛ لذلك اشتد نكير السلف عليه، بل وسمّوه: ربيعة الرأي، أو ربيعة الرائي؛ فعن أيوب كما في المعرفة والتاريخ (٣/ ١٣٥) قال: (كنت عند يحيى بن سعيد بالمدينة، فسأله رجل عن شيء فلم يجبه، فقال: سل هذا- يعني: ربيعة- قال: فنهيته وقلت له: ترشده إلى هذا يفتيه برأيه).
وفي تاريخ الإسلام للذهبي؛ قال الشافعي: (حدثنا سفيان، قال: كنا إذا رأينا رجلًا من طلبة الحديث يغشى أحد ثلاثة؛ ضحكنا منه؛ لأنهم كانوا لا يتقنون الحديث، ولا يحفظونه: ربيعة الرائي، ومحمد بن أبي بكر بن حزم، وجعفر بن محمد). اهـ
- فكان إنكارهم سدًا منهم لذريعة الرأي في الدين، ثم انبثق البحر بعد ذلك، والله المستعان!

(٤) وقد أتى المروزي بالقصة كاملة، كما نقلها عنه ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٤٠٣) فساق بسنده عن ابن عون، قال: (كنت عند القاسم بن محمد إذ جاءه رجل؛ فقال ما كان بين قتادة وبين حفص بن عمر في أولاد المشركين، قال: وتكلم ربيعة الرأي في ذلك؛ فقال القاسم: إذا الله انتهى عند شيء؛ فانتهوا وقفوا عنده، قال: فكأنما كانت نارًا فطفئت).

=

❐ ❐ ❐

- ولهذا فنحن ننتهي عن حكم ولدان المشركين في الآخرة، ونقول: الله أعلم بما كانوا عـاملين.
-أما في الدنيا فهم تبع لأهلهم في أحكامهم؛ فهم مشركون في الحكم الـدنيوي الظـاهر، ولـذا يُسْترقُّون ويُبيَّتون مع أهلهم.
- وفي السُّنة للالكائي (٤/ ٦٣١) عن أبي رجاء، قال: (سمعت ابن عباس وهـو يخطـب عـلى المنبر بالبصرة، يقول: لا يزال أمر هذه الأمة مقاربًا أو قوامًا، ما لم ينظروا في الولدان والقدر).
- وأما ولدان المسلمين والمؤمنين، فكما قال الإمام أحمد- فيما حكاه عنه القاضي أبو يعلى-: (لا يختلف فيهم أنهم من أهل الجنة).
- والسُّنة كما هي في الإقدام، كذلك هي في الإحجام.
- فصدق- والله- القاسم بن محمد رَحِمَهُ اللَّهُ؛ إذا انتهـى الله عنـد شيء فـانتهوا عنـده، فـما وراء ذلك تكلف.
- ومما يحسن الاستشهاد به هنا في هذا المقام: كلام عمر بن عبـدالعزيز رَحِمَهُ اللَّهُ الـذي قالـه في كتابه الشهير في القَدَر: (عليك بلزوم السُّنة، فإنها لك بإذن الله عصمة، ثـم اعلـم أنـه لم يبتـدع الناس بدعة إلا قد مضى قبلها ما هو دليل عليها أو عبرة فيها؛ فإن السُّنة إنما سنَّها من قد علـم ما في خلافها من الخطأ والزلل والحمق والتعمق، فارض لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم؛ فإنهم على علم وقفوا وببصر نافذ كَفُّوا، وهم على كشف الأمور كـانوا أقـوى). رواه أبـو داود في سننه.

٥٧- باب: قول النبي ﷺ: «العلم ثلاثة وما سوى ذلك فضل» ووجوب رد ما أشكل إلى بيان الله عَزَّوَجَلَّ

٣٨٥- عن عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«العلم ثلاثة، وما سوى ذلك فضل: آية محكمة، وسنة قائمة، وفريضة عادلة»[1].

٣٨٦- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«أيها الناس! لا تعطوا الحكمة غير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم، ولا تعاقبوا ظالمًا فيبطل فضلكم، ولا تُرَاءُوا الناس فيحبط عملكم، ولا تمنعوا الموجود فيَقِلُّ خيركم، أيها الناس! إن الأشياء ثلاثة: أمر استبان رشده فاتبعوه، وأمر استبان غيُّه فاجتنبوه، وأمر اختلف عليكم فردوه إلى الله عَزَّوَجَلَّ، أيها الناس! ألا أنبئكم بأمرين،

---

(١) رواه أبو داود، وابن ماجه، والبيهقي.
ومعنى: (آية محكمة). أي غير منسوخة. (وسنة قائمة). أي اشتهر العمل بها بين السلف، مأخوذ من قولهم: سوق قائم، إذا كان بيعه وشراؤه ظاهر.
- وفي ذم الكلام للهروي، قال عبدالله بن عروة: (وأما الفريضة العادلة، فما اتفق عليه المسلمون).
- وقيل: هي أحكام الفرائض، والمواريث المعدلة على السهام والأنصباء، المذكورة في الكتاب والسُّنة؛ كما قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (الفرائض: ثلث العلم).

خفيف مؤنتها، عظيم أجرها، لم يُلق اللهَ بمثلها: طول الصمت، وحُسن الخلق»[(١)].

٣٨٧- وعن محمد بن كعب القرظي؛ قال:

دخلت على عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ «بِخُنَاصِرَة»، وقد كان عهدي به وهو أمير المدينة حسن اللون حسن الجسم، فدخلت عليه وقد تغيرت حاله، فجعلت أنظر إليه؛ فقال لي: يا ابن كعب! ما لي أراك تنظر إليَّ نَظَرًا، لم تكن تنظره إليَّ قبل؟ قلت: تعجبًا؛ قال: وما يعجبك؟ قال: قلت: لِما نحل من جسمك، وحال من لونك، ونُفِيَ من شعرك؛ قال: فكيف لو رأيتني بعد ثلاثٍ في قبري؟ وقد سالت حدقتاي على وجنتيَّ، وامتلأ فمي وصدري ومِنْخَرَاي دودًا وصديدًا، كنت لي أشدَّ نُكْرة، أعد عليَّ حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا الذي كنت حدثتنيه؛ فقلت: حدثني ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: **«إن لكل شيء شرفًا، وإن أشرف المجالس ما استقبل فيها القبلة، وإنما تجالسون بالأمانة، واقتلوا الحية والعقرب، وإن كنتم في صلاتكم، ولا تصلوا إلى النِّيام، ولا إلى المتحدثين، ولا تستروا الجُدُر بالثياب، ومن نظر في كتاب أخيه بغير إذنه؛ فإنما ينظر في النار، ومن سره أن يكون أكرم الناس؛ فليتق الله عَزَّ وَجَلَّ، ومن**

---

(١) رواه محمد بن ودعان في الأربعين الودعانية الموضوعة. ولا يصح رفعه، ومعناه صحيح متواتر. وهو كلام طيبٌ نافع، فقد يكون لأبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أو من دونه في السند، وانظر الأثر الذي بعده فهو يشبهه.

سره أن يكون أقوى الناس؛ فليتوكل على الله عَزَّوَجَلَّ**، ومن سره أن يكون أغنى الناس؛ فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يديه».**

ثم قال: **«ألا أنبئكم بشراركم؟»** قلنا: بلى يا رسول الله! قال: **«من يبغض الناس، ويبغضونه»** ثم قال: **«ألا أنبئكم بمن هو شر منه؟»** قلنا: بلى يا رسول الله! قال: **«من لا يُرجى خيره، ولا يؤمن شره»** ثم قال: **«ألا أنبئكم بمن هو شر منه؟»** قلنا: بلى يا رسول الله! قال: **«من نزل وحده، ومنع رِفْدَهُ، وجَلَد عبده»** ثم قال: **«ألا أنبئكم بمن هو شر منه؟»** قلنا: بلى يا رسول الله! قال: **«من لا يُقِيلُ عثرة، ولا يَقْبَلُ معذرة، ولا يغفر ذنبًا، وإن عيسى ابن مريم** عَلَيْهِ السَّلَامُ **قام في بني إسرائيل؛ فقال: يا بني إسرائيل! لا تتكلموا بالحكمة عند أهل الجهالة فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم، ولا تكافئوا ظالمًا بظلمه فيبطل فضلكم عند ربكم، إن الأمور ثلاثة: أمر تَبيَّن رشده فاتبعوه، وأمر تَبيَّن زيغه فاجتنبوه، وأمر يختلف فيه فردوه إلى الله»**[1].

---

(١) رواه أحمد في الزهد، وعبدُ بن حُميد في مسنده، والحاكم، وفيه: (ولا يصلين أحد منكم وراء نائم، ولا مُحْدِثٍ)، ورواه العقيلي في الضعفاء بطوله؛ وقال: (وليس لهذا الحديث طريقٌ يَثْبُت).
– وكل ما ورد فيه من الأحكام أو المواعظ؛ فصحيح وله شواهد في بابه. ولهذا قال الحاكم: (إنه صحيح، ولم أستجز إخلاء هذا الموضع منه، فقد جمع آدابًا كثيرة).
وخُناصِرَةُ، بضم الخاء: بلد بالشَّام.
– وقوله: (من نزل وحده) جاءت في رواية أخرى بلفظ: (من أكل وحده). ومعنى: (رفده) الرِّفْد، بالكسر: العطاء والصلة.

=

٣٨٨- وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال:

دخل النبي ﷺ المسجد فرأى جَمْع الناس على رجل؛ فقال: **«ما هذا؟»**، قالوا: يا رسول الله! رجلٌ عَلَّامَةٌ؛ قال: **«وما العَلَّامَة؟»** قالوا: أعلم الناس بأنساب العرب، وأعلمهم بالعربية، وأعلمهم بالشِّعر، وأعلم الناس بما اختلف فيه العرب؛ قال: فقال رسول الله ﷺ: **«العلم ثلاثة، ما خلاهن فهو فضل علم: آية محكمة، أو سنة قائمة، أو فريضة عادلة»**[1].

٣٨٩- **قال الشيخ نصر** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا يدلُّ على أن من اشتغل بغير ذلك؛ فإنما هو مشتغل بغير علم، وأن ما كان بخلاف العلم؛ فلا يجوز الاشتغال به، بل يمنع منه ويزجر عنه حسب ما اقتضته الشريعة في غير موضع[2].

❐ ❐ ❐

- والوعيد فيمن نظر في كتاب أخيه بغير إذنه: يدخل فيه من نظر في هاتفه، أو أوراقه التي في خزانته، أو سيارته ونحو ذلك مما يكون بغير إذنه، فمن فعل ذلك فكأنما ينظر في النار.

(١) رواه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم من رواية أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ وفيه قال النبي ﷺ: (هذا علم لا ينفع وجهل لا يضر). ثم قال ابن عبدالبر: (في إسناد هذا الحديث رجلان لا يحتج بهما، وهما: سليمان، وبقية، فإن صحَّ كان معناه: أنه علم لا ينفع مع الجهل بالآية المحكمة والسُّنة القائمة والفريضة العادلة، أو لا ينفع في وجه ما، كذلك لا يضر جهله في ذلك المعنى وشبهه، وقد ينفع ويضر في بعض المعاني؛ لأن العربية والنسب عنصرا علم الأدب). اهـ

(٢) الذي في الحديث: أن ما سوى ذلك؛ فهو فضل علم ليس بأصل، فيُكتفى بما جاء في الحديث، وأما علم العربية والنَّسب ونحوه مما يُحتاج إليه في الأصل، فهذا لا يشتغل به فوق حاجته، ولا ينشغل به عن الآية المحكمة والسنة القائمة والفريضة العادلة.

٥٨- باب: النهي عن الكلام فيما لا يعني، وما في ذلك من الإثم

٣٩٠- عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال:

استشهد غلام منَّا يوم أُحد؛ فمسحت أمه التراب عن وجهه، وقالت: هنيئًا لك يا بُنيَّ الجنة! فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«وما يدريك!! لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه، ويمنع ما لا يضره»**[1].

٣٩١- قال عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

دع ما لست منه في شيء، ولا تنطق فيما لا يعنيك، وأحرز[2] لسانك كما تخزن دراهمك.

٣٩٢- وقال أرطأة بن المنذر:

آية المتكلف ثلاث: يتكلم فيما لا يعلم، وينازع من فوقه، ويتعاطى ما لا يناله.

٣٩٣- وقال معروف الكرخي:

علامة مقت الله للعبد؛ أن يراه مشتغلًا بما لا يعنيه من أمر نفسه.

---

(١) رواه الترمذي؛ وقال: هذا حديث غريب، ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت وآداب اللسان.
- قال ابن عبدالبر في التمهيد (١٠/ ٢٢٨): (هذا الحديث ليس بالقوي؛ لأن الأعمش لا يصح له سماع من أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان مدلسًا عن الضعفاء). اهـ

(٢) هكذا في الأصل. وفي بعض الروايات: (واخزن).

٣٩٤- وعن علي بن الحسين عن أبيه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من حسن إسلام المرء؛ تركه ما لا يعنيه»**[(١)].

(١) رواه مالك، وأحمد، والترمذي؛ وقال: هذا عندنا أصحُّ من حديث أبي سلمة، عن أبي هريرة.
- قال ابن عبدالبر في التمهيد (٩/ ١٩٩): (كلامه ﷺ هذا من الكلام الجامع للمعاني الكثيرة الجليلة في الألفاظ القليلة، وهو مما لم يقله أحد قبله- والله أعلم- إلا أنه قد رُوي عنه ﷺ أنه قال في صحف إبراهيم: مَن عَدَّ كلامه مِن عمله؛ قلَّ كلامُه إلا فيما يعنيه... وعن أبي ذر، قال: قلت: يا رسول الله! ما كانت صحف إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ قال: كانت أمثالًا كلها)؛ فذكر الحديث. قال: وكان فيها: (وعلى العاقل أن يكون بصيرًا بزمانه، مقبلًا على شأنه، حافظًا للسانه، ومن حسب كلامه من عمله؛ قلَّ كلامه إلا فيما يعنيه).
وقال: (وقف رجل على لقمان الحكيم وهو في حلقة عظيمة؛ فقال: ألست عبد بني الحسحاس؛ فقال: بلى. قال: فأنى بلغتَ ما أرى؛ قال: قدر الله، وصدق الحديث، وتركي ما لا يعنيني).
وذكر مالك في موطئه: (أنه بلغه أنه قيل للقمان: ما بلغ بك ما نرى- يريدون الفضل- فقال لقمان: صدق الحديث، وأداء الأمانة، وترك ما لا يعنيني).
وروى أبو عبيدة، عن الحسن، قال: (من علامة إعراض الله عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه).
وقال محمد بن عجلان: (إنما الكلام أربعة: أن تذكر الله، أو تقرأ القرآن، أو تسأل عن علم فتخبر به، أو تتكلم فيما يعنيك من أمر دنياك).
قال أبو عمر: (رُوِّينا عن أبي داود السجستاني رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: (أصول السنن في كل فن أربعة أحاديث:
- أحدها: حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: (إنما الأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى).
- والثاني: حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: (الحلال بيّن والحرام بيّن وبين ذلك أمور مشتبهات، فمن اتقى الشبهات؛ استبرأ لدينه وعرضه)، الحديث.
- والثالث: حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه).
- والرابع: حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: (ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس). اهـ
=

٣٩٥- ومثله من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1].

❒ ❒ ❒

- وقد جمعها أبو الحسن طاهر بن مفوز المعافري- تلميذ أبي عمر بن عبدالبر وخصيصه- بقوله:

عمـــدة الـــدين عنـــدنا كلـــماتٌ　　　مـــسنداتٌ مـــن قـــول خـــير البريـــةْ

اتـــرك المـــشبهات وازهـــد ودع　　　مـــا لـــيس يعنيـــك، واعملـــنَّ بنيـــةْ

(١) رواه الترمذي، وابن ماجه.

٥٩- باب: ردّ ما خالف الشريعة واطراحه وترك الاشتغال به

٣٩٦- عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«من أَحْدَث في أمرنا هذا ما ليس منه؛ فهو رد»**(١).

٣٩٧- وفي رواية: **«من فعل أمرًا ليس عليه أمرنا؛ فهو رد»**(٢).

٣٩٨- وفي رواية: **«من عمل عملًا ليس عليه أمرنا؛ فهو رد»**(٣).

٣٩٩- وفي لفظ: **«كل أمر لم يكن عليه أمرنا؛ فهو رد»**(٤).

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أبو داود الطيالسي في مسنده، ولفظه: (من فعل في أمرِنا ما لا يجوز؛ فهو ردٌّ).

(٣) رواه أحمد، والبخاري معلقًا؛ وبوب عليه: (باب: إذا اجتهد العامل أو الحاكم، فأخطأ خلاف الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غير علم؛ فحكمه مردود)، ورواه مسلم أيضًا.
- قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (ص١٧٦): (هذا الحديث أصل عظيم من أصول الإسلام، وهو كالميزان للأعمال في ظاهرها، كما أن حديث: (الأعمال بالنيات) ميزان للأعمال في باطنها، فكما أن كل عمل لا يراد به وجه الله تعالى، فليس لعامله فيه ثواب، فكذلك كل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو مردود على عامله، وكل من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فليس من الدين في شيء). اهـ
وكان الإمام أحمد يعد هذا الحديث ثلث العلم.
- وقال الشيخ فيصل آل مبارك في تطريزه (ص١٣٧): (هذا الحديث من أصول الدين وقواعده، فيحتج به في إبطال جميع العقود المنهيّ عنها، وفي ردِّ المحدثات، وجميع المنهيّات). اهـ
- ومما ينبغي التنبيه عليه أن هذا الحديث لا يدخل فيه ما تفرع عن الأصول العامة التي لا تخرج عن السُّنة، ككتابة القرآن الكريم في المصاحف.

(٤) رواه الدارقطني في سننه.

٤٠٠- وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال:

لما توفي رسول الله ﷺ فزعنا إلى سلاحه؛ فوجدنا في سيفه صحيفة:

«لعن الله من أحدث حدثًا أو آوى محدثًا»(١).

٤٠١- وعن علي بن الحسين:

أنه وجد في قائم سيف رسول الله ﷺ صحيفة مطوية؛ قال: فنشرتها فنظرت فيها؛ فإذا فيها:

«من أشد الناس عذابًا يوم القيامة؛ الضارب غير ضاربه، والقاتل غير قاتله، والمتولي غير أهل نعمته، ومن أحدث حدثًا في الإسلام؛ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا»(٢).

---

(١) رواه أحمد، وأبو داود.

- واللفظ المحفوظ؛ ما رواه في مسنده، عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (ما عهد إليَّ رسول الله ﷺ شيئًا خاصة دون الناس، إلا شيء سمعته منه فهو في صحيفة في قراب سيفي، قال: فلم يزالوا به حتى أخرج الصحيفة، قال: فإذا فيها: من أحدث حدثًا، أو آوى محدثًا، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل). وأصله في الصحيحين.

(٢) رواه الخلال في السُّنة، وابن بطة في الإبانة؛ ولفظه: (وجد مع قائم سيف رسول الله ﷺ صحيفة مقرونة: بسم الله الرحمن الرحيم، أشد الناس على الله عذابًا، القاتل غير قاتله، والضارب غير ضاربه، ومن جحد غير أهل نعمته فقد كفر بما أنزل الله، ومن آوى محدثًا فعليه لعنة الله وغضبه، ولا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل). اهـ

- ومعنى: (المتولي غير أهل نعمته)، من انتسب لغير أبيه أو العبد الذي تولى غير مواليه. فالانتساب للأب، والولاء لمن أعتق؛ لأنهما صاحبا النعمة على الابن والعتيق.

٤٠٢- ومثله عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

«من أحدث حدثًا أو آوى محدثًا في الإسلام؛ فعليه غضب الله ولعنته إلى يوم القيامة، لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا، ومن قتل بِذَحْل[1] الجاهلية؛ فعليه مثل ذلك، ومن قتل غير قاتله؛ فعليه مثل ذلك، ومن تبرأ من مواليه وتولى غير أهل نعمته؛ فعليه مثل ذلك».

٤٠٣- وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«إذا ذُكر الله عَزَّ وَجَلَّ؛ فانتهوا»[2].

٤٠٤- قال الشيخ نصر رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧].

❐ ❐ ❐

---

(١) رواه أحمد في مسنده إلى قوله: (...صرفًا ولا عدلًا)، والباقي تقدَّم.
والذَّحْل: الثأر.

(٢) رواه ابن عدي في الكامل، والطبراني في مسند الشاميين.
- والمعنى: إذا ذُكر الله وكلامه عند حكمٍ ما، فانتهوا إلى ذلك ولا تجاوزه، وقد يكون ضبطُها: إذا ذَكر اللهُ شيئًا، فانتهوا.

٦٠- باب جامع: في ذكر القرآن وما أُمرنا من التمسك به على ما يقتضيه ما تقدَّم من الأبواب

٤٠٥- عن أبي وائل، عن عبدالله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ:

﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾[آل عمران:١٠٣]. قال: القرآن.

٤٠٦- وعن عبدالله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا:

أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ وهم يتنازعون في القرآن؛ فهذا ينزع آية وهذا ينزع آية، فكأنما فقئ في وجهه حَبُّ الرُّمَّان؛ فقال رسول الله ﷺ: **«ألهذا خلقتم؟! وبهذا أمرتم؟! وبهذا وكلتم؟! أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض. انظروا ما أُمرتم به فاتبعوه، وما نُهيتم عنه فاجتنبوه»**[1].

٤٠٧- وفي لفظ آخر:

«أبهذا أمرتم؟ وبهذا بعثتم؟ أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض، إنما ضلت الأمم قبلكم في مثل هذا، إنكم لستم مما ههنا في شيء؛ انظروا الذي أُمرتم فاعملوا به، والذي نُهيتم عنه فانتهوا»[2].

---

(١) رواه أحمد، وابن ماجه.

(٢) رواه أحمد، والتيمي في الحجة.

٤٠٨- وقال أبو عمرو سعيد بن القاسم البرذعي[1]:

إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ اصطفى محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بين خلقه؛ فبعثه بالحق بشيرًا ونذيرًا، وافترض طاعته واتباع ما جاء به على خلقه؛ فقال: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ» [الأعراف:١٥٨].

ثم مدح الذين آمنوا به واتبعوا ما جاء به، وشهد لهم بالفلاح بفعلهم ذلك؛ فقال: «فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ» [الأعراف:١٥٧].

ثم زجرهم عن اتخاذ الأولياء دون كتابه، واتباع السبل دون الصراط المستقيم؛ فقال: «وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ - ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ» [الأعراف:٢،٣]، وقال: «وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ» [الأنعام:١٥٣].

---

(١) جاء في تاريخ بغداد (٩/ ١١٠): (سعيد بن القاسم بن العلاء بن خالد أبو عمرو البرذعي سكن طراز، وقدم بغداد حاجًا في سنة خمسين وثلاثمئة وحدَّث بها عن عبدالله بن الحسين الشاماتي، ومحمد بن جعفر الكرابيسي، ومحمد بن حبان بن الأزهر البصري، وأحمد بن محمد بن ياسين الهروي، روى عنه محمد بن إسماعيل الوراق، وأبو الحسن الدارقطني ومحمد بن إسماعيل القطيعي وابن الثلاج. قال عنه أبو نعيم: كان أحد الحفاظ كتب عن محمد بن يحيى بن منده وطبقته، وحدَّث ببغداد). اهـ

وقال ابن العماد في شذرات الذهب: (هو من الحفاظ المعتبرين).

ثم ضَمِن الهداية لمن أطاع رسوله ﷺ واتبع ما جاء به وجانب السُّبُل؛ فقال: «وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا» [النور:٥٤]، وأعْلَمَنا- جلَّ جلاله- أنه قد أنزل في كتابه تبيان كل ما للعباد إليه حاجة؛ فقال: «مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ» [الأنعام:٣٨]، وقال تعالى: «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ» [النحل:٨٩].

وولَّى رسولَ الله ﷺ تبيين ما أنزل إليه في كتابه خاصًا وعامًا؛ فقال: «وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» [النحل:٤٤].

ثم أعلمنا أنه لم يجعل الحَكَم بينه وبين خلقه إلا رسوله ﷺ ونفى الإيمان عمن لم يُحكِّمه فيما شجر بينهم؛ فقال: «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» [النساء:٦٥].

فبيَّن المصطفى ﷺ ما ولَّاه الله تعالى بيانه للناس، وبلَّغ أمته ما أُمر به حتى قبضه الله بعد أن أكمل للمسلمين دينهم وأتم عليهم نعمته به؛ فقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» [المائدة:٣] نزلت هذه الآية، والنبي ﷺ واقف بعرفة- فيما بلغني-، فما أَنزل بعدها حلالًا ولا حرامًا حتى توفي ﷺ، فبيان رسول الله ﷺ كله بإذن ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ووحيه وتنزيله لا من تلقاء نفسه، شهد له بذلك؛ فقال جلَّ ذكره: «مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ - وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ - إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ» [النجم:٢-٤].

ثم إنه أَمر أمته أن يبلِّغ الشاهد منهم الغائب ما أمـر الله رسـوله ﷺ ببيان ما أنزل؛ فقال: **«فليبلِّغ الشاهد منكم الغائب»**(١).

٤٠٩- عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: **«نَضَّر الله رجلًا سمع كلمة فبلغها عنّا كما سمع؛ فإنه رُبَّ مُبَلَّغٍ أوعى من سامع»**(٢).

٤١٠- وعن جندب بن عبدالله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال:

قال رسول الله ﷺ: **«اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفت فيه؛ فقوموا عنه»**(٣).

٤١١- وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال:

«كان الكتاب الأول نزل من باب واحد، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف: زاجر وآمر، وحلال وحرام، ومحكم ومتشابه، وأمثال؛ فأحلّوا حلاله وحرِّموا حرامه، وافعلوا ما أمرتم وانتهوا عما نهيتم، واعتبروا بأمثاله، واعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه، وقولوا: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران:٧]»(٤).

---

(١) الحديث: متفق عليه.

(٢) رواه أحمد، والترمذي. وجاء بلفظ: (رجلًا، وامرأً، وعبدًا).

(٣) متفق عليه.

(٤) تقدَّم برقم: (٧٥).

٤١٢- وعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال:

كنت جالسًا عند النبي ﷺ في رحبة المسجد، وهو يسألني عن دَيْني وعن حالي، إذ قال لي: «**يا معاذ! إني أريد أن أبعثك في وجه...**»- وذكر حديث بعثه إلى اليمن، إلى أن قال في وصيته-:

«**يا معاذ! إن أحبكم إليَّ وأكرمكم عليَّ وآثركم لديَّ من لقيني يوم القيامة على ما فارقني، ولم يُغير ما فارقته عليه ولم يبدل، وإن أبعدكم مني يوم القيامة من غَيَّر سنتي، وبَدَّل وصيتي، وضَيَّع عهدي، وتَعدَّى أمري**». الحديث[1].

---

(١) جاءت روايات كثيرة بهذا المعنى عن كثير من الصحابة منهم علي بن أبي طالب، وأبو عبيدة، وأبو ذر، وأنس، وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ولفظها: (إن أحبكم إليَّ، وأقربكم مني مَن لقيني على الحال التي فارقني عليها). وفي لفظ، قال: (أول من يلحق بي يوم القيامة، من لقيني على الحال الذي فارقني عليه).

- وهذه الروايات رواها الطبراني في الكبير، والبيهقي في الشعب، وابن الأعرابي في الزهد؛ وأسانيدها حسنة في المتابعات والشواهد. ولم أجده من رواية معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

- وقد جاءت قصص عن أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وأبي عبيدة، وسلمان وغيرهم من الصحابة تشهد لذلك، فكانوا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يخافوا أن يخالفوا بعد وفاته ﷺ فيخالف بهم:

- قال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لست تاركًا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به؛ فإني أخشى إن تركتُ شيئًا من أمره أن أزيغ). رواه البخاري.

- قال ابن بطة: (هذا يا إخواني! الصديق الأكبر يتخوف على نفسه الزيغ إن هو خالف شيئًا من أمر نبيه ﷺ! فماذا عسى أن يكون من زمانٍ أضحى أهله يستهزئون بنبيهم وبأوامره، ويتباهون بمخالفته، ويسخرون بسنته؟ نسأل الله عصمة من الزلل ونجاة من سوء العمل).

- وقال عمر الفاروق: (إني رأيت صاحبيَّ، وصحبتهما، فأخاف أن أُخالفهما؛ فيُخَالف بي عنهما، فلا أنزل معهما حيث نزلا). رواه ابن أبي الدنيا في الجوع.

=

٤١٣- وعن عبدالله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ قال:

لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحُسْن، المغيرات خلق الله؛ فبلغ ذلك امرأة من بني أسد، يقال لها: أم يعقوب فجاءت؛ فقالت: إنه بلغني عنك أنك لعنت كيت وكيت؛ فقال: وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ؟! فقالت: لقد قرأتُ ما بين اللوحين فما وجدتُ فيه ما تقول؛ قال: لئن كنتِ قرأتيه لقد وجدتيه، أَمَا قرأتِ: «وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ» [الحشر:٧]. قالت: بلى؛ قال: فإنه قد نهى عنه؛ قالت: فإني أُرى أهلك

- وروى أحمد في مسنده، عن ابن عباس، قال: (لما قُبض رسول الله ﷺ، واستُخلِف أبو بكر، خاصم العباس عليًّا في أشياء تركها رسول الله ﷺ، فقال أبو بكر: شيء تركه رسول الله ﷺ، فلم يُحرِّكه، فلا أُحرِّكه. فلما استُخلِف عمر، اختصما إليه، فقال: شيء لم يُحرِّكه أبو بكر، فلست أُحرِّكه).

- وروى البخاري في صحيحه (٧٢٧٥) عن أبي وائل، قال: (جلستُ إلى شيبة في هذا المسجد، فقال: جلس إليَّ عمر بن الخطاب في مجلسك هذا، فقال: لقد هممتُ أن لا أدع فيها صفراء ولا بيضاء إلا قسمتها بين المسلمين، قلت: ما أنت بفاعل، قال: لم؟! قلت: لم يفعله صاحباك، قال: هما المرءان يُقتدى بهما).

- وروى أبو داود في سننه (٢٠٢٣) عن بكر بن عبدالله، قال: (قال رجل لابن عباس: ما بال أهل هذا البيت يسقون النبيذ وبنو عمهم يسقون اللبن والعسل والسَّويق، أبخلٌ بهم أم حاجة؟! فقال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: ما بنا من بخل ولا بنا من حاجة، ولكن دخل رسول الله ﷺ على راحلته وخلفه أسامة بن زيد، فدعا رسول الله ﷺ بشراب، فأتى بنبيذ، فشرب منه ودفع فضله إلى أسامة بن زيد فشرب منه، ثم قال رسول الله ﷺ: أحسنتم وأجملتم؛ كذلك فافعلوا. فنحن هكذا لا نريد أن نُغَيِّر ما قال رسول الله ﷺ). اهـ

- هذا في الشَّراب! فكيف بغيره من أمور الدِّين العِظام؟!

يفعلونه؛ قال: فاذهبي فانظري، فذهبت فنظرت، فلم تر من حاجتها شيئًا؛ فقال: لو كانت كذلك ما جامعتنا[١].

٤١٤- عن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

«إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته...». الحديث تقدَّم[٢].

٤١٥- وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يرفعه؛ قال:

«ما أَحَلَّ الله في كتابه فهو حلال، وما حَرَّمَ فهو حرام، وما سكت عنه فهو عافية، فاقبلوا من الله عَزَّ وَجَلَّ عافيته، فإن الله تعالى لم يكن نسيًا، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم:٦٤]»[٣].

٤١٦- وعن علي بن بَذِيمة[٤]:

أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خرج فمرَّ في المسجد معه ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ فقال: لقد أصبح الناس بحمد الله يتسارعون في القرآن؛ فقال: والله ما أحب ذلك؛ قال: فرفع عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يده فضرب صدره؛ قال: فانصرف إلى ميمونة زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهي خالة ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ -

---

(١) متفق عليه. - ومعنى: (ما جامعتنا). أي: لم نجتمع معها في البيت، ولم نساكنها فيه.

(٢) تقدَّم برقم: (٦٢).

(٣) رواه البزار، والطبراني في مسند الشاميين.

(٤) هو: علي بن بذيمة الحراني، أبو عبدالله السوائي، مولى جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كوفي الأصل؛ قال عنه إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني في أحوال الرجال: (زائغ عن الحق، معلن به).
وقال عبدالله بن أحمد بن حنبل، عن أبيه: (صالح الحديث، ولكن كان رأسًا في التشيع).
وقال ابن منظور: (كان شيعيًا، وكان ينال من عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ). وقد روى له أصحاب السنن.

فأخبرها ما صنع به عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ فقال: قد خَشيتُ أن يكـون غـضب! فإذا رسول عمر قد أتى؛ فقال لـه: كيـف قلـت؟ قـال: اعفنـي يـا أمـير المؤمنين! قال: لتقولن؛ قال: قلت: لا أحب ذلـك؛ لأنهـم متـى يقـرؤوا القرآن؛ تماروا فيه، ومتى يتماروا فيه؛ يختلفـوا، ومتـى يختلفـوا؛ يـضرب بعضهم بعضًا بالسَّيف؛ فقال: لله أنت- أو كما قال- إن كنَّا لنكاتمه الناس.

٤١٧- وعن الحسن رَحِمَهُٱللَّهُ؛ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ:

«من أمر بـالمعروف ونهـى عـن المنكـر؛ فهـو خليفـة الله في الأرض، وخليفة كتابه، وخليفة رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ»[(١)].

٤١٨- ومثله من حديث ثوبان مولى رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ[(٢)].

---

(١) رواه ابن عدي في الكامل، عن عبادة بن الصامت.
ورواه نعيم بن حماد في الفتن (٢٤٣) عن عبدالله بن نُعيم المعافري، قـال: (سـمعت المـشيخة، يقولون: من أمر بالمعروف...)؛ وذكره دون رفع.
- وأما رواية الحسن؛ فقد قال الزيلعي في تخريج الكشاف (١/ ٢١٣): (وفيـه حـديث مرسـل رواه علي بن معبد في كتاب الطاعة والمعصية، قال: حدثنا بقية بن الوليد الحمصي، عن حـسان ابن سليمان، عن أبي نضرة، عن الحسن، قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ... فذكره، وبهذا الـسند رواه الثعلبي في تفسيره). اهـ
- وهو حديثٌ مرسلٌ ضعيفٌ؛ لضعف بقية بن الوليد.
- والخليفة هنا: المراد به أنه يقوم مقام الرسل في تبليغ رسالات الله وإنكار المنكر؛ قـال تعـالى: (يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ).
(٢) رواه الديلمي.

٤١٩- وعن طاوس رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أنه سأل ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عن الركعتين بعد العصر فنهاه عنهما؛ قال طاوس: فقلت: لا أدعهما؛ فقال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب:٣٦] الآية»[١].

٤٢٠- وعن إسماعيل بن عياش العنسي؛ قال:

كتب عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى يزيد بن حُصين:

سلام عليك، أما بعد:

فإني كتبت إليك بكتاب حكمةٍ وموعظة؛ فانظر فيه وتدبره، فإنا نسأل الله أن يجعلنا وإياك من أهل طاعته الذين يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون؛ اعلم أن صلاة الجمعة عند اعتدال الشمس، وصلاة الظهر بعدها بقليل[٢]، وصلاة العصر والشمس بيضاء نقية، وصلاة المغرب حين يفطر الصائم، وصلاة العتمة حين يغيب الشفق إلى ثلث الليل الأول، وصلاة الصبح حين ينشق الفجر إلى أن تصبح ما لم تطلع الشمس، يا أخي! وأعط زكاة مالك طيبة بها نفسك، وأدِّ عشر ما يُعشر من مالك[٣]، وأحسن عبادة الله في شهر رمضان وغيره، واحذر ثم احذر،

---

(١) وفي معرفة السنن والآثار للبيهقي (١/ ٧٤) قال الشافعي: (فرأى ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا الحجة قائمة على طاوس؛ بخبره عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ودله بتلاوة كتاب الله على أن فرضًا عليه أن لا يكون له الخيرة إذا قضى الله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمرًا). اهـ

(٢) لأن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يُبكِّر بالجمعة جدًا بعد الزوال أكثر من تبكيره بالظهر.

(٣) العشور: ما كان يؤخذ من الخراج والزكاة الشرعية.

=

واغتنم ما استطعت من خير، واعلم أن الصيام من الجوارح كلها؛ فأتمم الصيام وأكمله، واسمع وأطع لمن ولاه الله الأمر، وصدِّق بما سلف من حق، ولا تكذب بشيء من ذلك، وتمسك بالقرآن وتعلمه وعلمه أهلك، وأحل حلاله وحرّم حرامه، وتعاهد حق الله عليك فيه، واعتبر فيما بقي من الدنيا بما مضى منها؛ فإن بعضها يشبه بعضًا، وآخرها لاحق بأولها، كلها فانٍ زائل مفارق، واحتفظ بكل يمين صَبْر[1]، وعظِّم اسم الله عَزَّوَجَلَّ أن تذكره إلا في حقٍّ.

- وفي كتاب الأوائل لابن أبي معشر (١٢٥) عن عامر، قال: (أول من وضع العشور في الإسلام عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ).

(١) قال البغوي في شرح السُّنة (١٠/ ١٠٠): (هي اليمين اللازمة لصاحبها من جهة الحكم، فيُصبر من أجلها، أي: يحبس، وأصل الصبر: الحبس، ومنه قولهم: قُتل فلان صبرًا، أي: حبسًا، وقد نهى رسول الله ﷺ أن يقتل شيء من الدواب صبرًا، وهو أن يحبس حيًا، فيرمى إليه حتى يموت، فكل من حبس لقتل أو يمين، فهو قتل صبر ويمين صبر). اهـ

- وقيل: يمين الصبر: هي التي يكون الحالف فيها متعمدًا قاصدًا ذهاب مالٍ أو نفسٍ.

- وفيها معنى الجرأة؛ من قوله تعالى: ﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾.

- ومنه ما رواه البخاري عن عبدالله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: (من حلف على يمين صَبْرٍ- وفي رواية: يمين كاذبة- ليقتطع بها مال امرئ مسلم؛ لقي اللهَ وهو عليه غضبان).

- وهذه هي التي جاء ذكرها في الأحاديث: باليمين الفاجرة، واليمين الغموس.

- أما التي عناها عمر بن عبدالعزيز؛ فمراده: إذا توجهت عليك اليمين عند القاضي؛ فافتدِ يمينك بما تستطيع واحتفظ بها، ولو ذهب بعضُ حقك تعظيمًا لليمين، وقد فعل ذلك بعض الصحابة، فعثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قد أمر ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا باليمين في خصومة؛ فامتنع منها تعظيمًا لله وتَرَك حقَّه.

٤٢١- وعن إبراهيم التيمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أن أبا بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ سُئل عن: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس:٣١]؛ فقال: أي سماء تظلني! وأي أرض تقلني! إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم[١].

---

(١) وفي تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (١/ ٢٦) زيادة: (أم أين أذهب؟ أم كيف أصنع؟).

- وروى ابن شبة في تاريخ المدينة (١/ ٣٣٧) عن مجاهد قال: (لما نزل عذر عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قام إليها أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقبَّل رأسها، فقالت: بحمد الله لا بحمدك، فهلا عذرتني يا أبه؟ قال: وكيف أعذرك يا بُنيَّة بما لا أعلم؟ وأي أرضٍ تقلني، وأي سماء تظلني يوم أقول بما لا أعلم؟). اهـ

- وما كان لأبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن يشك أو يتردد في عُذر عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، ولكنه الورع الشديد في أن يقول في شيء بما لا يعلم.

- وهذه منقبة عظيمة لأبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ تدل على كمال ورعه، وعظيم احتياطه لدينه، ولهذا لا يُعرف لأبي بكر مسألة واحدة أخطأ فيها، بخلاف غيره من الصحابة، ومن جاء بعدهم، فإنهم يجتهدون فيصيبون تارة ويخطئون تارة:

- قال ابن تيمية في منهاج السنة (٥/ ٤٩٧): (وفي الجملة، لا يُعرف لأبي بكر مسألة من الشريعة غلط فيها، وقد عُرف لغيره مسائل كثيرة... إلى أن قال: وأما في خلافة أبي بكر فلم يُعلم أنه استقر بينهم نزاع في مسألة واحدة من مسائل الدين، وذلك لكمال علم الصديق وعدله، ومعرفته بالأدلة التي تزيل النِّزاع، فلم يكن يقع بينهم نزاع إلا أظهر الصديق من الحجة التي تفصل النزاع ما يزول معها النزاع، وكان عامة الحجج الفاصلة للنزاع يأتي بها الصديق ابتداء، وقليل من ذلك يقوله عمر أو غيره، فيقره أبو بكر الصديق). اهـ

- وكان قدوته في ذلك رسول الله ﷺ الذي هو أعلم الخلق بربه، وأخشاهم له، يقف عند ما لم ينزل عليه فيه وحي، حتى يأتيه الوحي من ربه، وقد ترجم البخاري في كتاب الاعتصام من صحيحه: (باب: ما كان النبي ﷺ يُسأل مما لم ينزل عليه الوحي، فيقول: لا أدري، أو لم يُجب حتى ينزل عليه الوحي، ولم يقل برأي ولا قياس؛ لقوله تعالى: (إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ)، وقال ابن مسعود: سئل النبي ﷺ عن الروح، فسكت، حتى نزلت الآية).

=

❐ ❐ ❐

- وروى ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله (ص٣٥٦) عن مالك بن أنس، قال: (كان رسول الله ﷺ إمام المسلمين وسيد العالمين يُسأل عن الشيء، فلا يجيب، حتى يأتيه الوحي).
- وروى ابن عبدالبر في جامع بيان العلم (ص٣٥٣) عن أبي البختري، عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: (أي أرض تقلني أو سماء تظلني، إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم).
- وروى أحمد في مسنده، عن شقيق، قال: قال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إن أشبه الناس هديًا ودلًّا وسمتًا بمحمد ﷺ عبدالله بن مسعود، من حين يخرج إلى أن يرجع، لا أدري ما يصنع في بيته). اهـ
فشهد بما يعلمه من الظاهر، ولم يتكلم بما لا يعلمه، فكتاب الله أولى ألا يتكلم فيه بما لا يعلم.

٦١- باب جامع: في فضل السُّنة والأمر باتباعها وثواب ذلك والنية فيه

٤٢٢- تقدَّم: حديث: «**الأعمال بالنيات؛ ولكل امرئ ما نوى**»[١].

٤٢٣- وتقدَّم: حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وعظنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». الحديث[٢].

٤٢٤- وقال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

خدمت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا ابن ثمان سنين، فكان أول ما علمني؛ أن قال: «**يا أنس! الغُسل من الجنابة فبالغ فيه؛ فإن تحت كل شعرة جنابة**» قال: قلت: يا رسول الله! وكيف أبالغ فيه؟ فقال: «**روِّ أصول الشعر، وأنق بشرتك؛ تخرج من مغتسلك وقد غفر لك كل ذنب. يا بني! لا تفتك ركعتا الفجر؛ فإنها صلاة الأوابين، وأكثر الصلاة في الليل والنهار، فإنك ما دمت في صلاة فإن الملائكة تصلي عليك. يا بني! إذا قمت في الصلاة فانصب نفسك لله عَزَّ وَجَلَّ، فإذا ركعت فاجعل راحتيك على ركبتيك، وفرج بين أصابعك، وارفع عضدك عن جنبيك، فإذا رفعت رأسك من الركوع؛ فقم حتى يرجع كل عضو إلى مكانه، فإذا سجدت**

---

(١) هذا الحديث لم يأتِ ذكره في هذا الكتاب إلا في هذا الموضع، ولم يتقدم. وهو متفق عليه.

(٢) تقدَّم برقم: (١١٨).

فألزق وجهك بالأرض، ولا تنقر نقر الغراب، ولا تبسط ذراعيك بسط الثعلب، فإذا رفعت رأسك من السجود؛ فلا تقعِ كما يقعي الكلب، ضع إِلْيَتَك بين قدميك، وألزق ظاهر قدميك بالأرض، فإن الله تعالى لا ينظر إلى صلاة عبد لا يتم ركوعها وسجودها، وإن استطعت أن تكون على وضوء في يومك وليلتك، فإنه إن يأتك الموت وأنت على ذلك؛ لم تفتك الشهادة. يا بني! إذا دخلت بيتك؛ فسلِّم يكثر خير بيتك، وإذا خرجت في حاجتك؛ فلا يَقَعَنَّ بصرك على أحد من أهل قِبْلَتِكَ، إلا سلمت عليه؛ تدخل حلاوة الإيمان قلبك، وإن أصبت ذنبًا في مخرجك رجعت وقد غُفر لك. يا بني! لا تَبِيتَنَّ ولا تصبحن يومًا وفي قلبك غش لأحد من أهل الإسلام؛ فإن هذا من سنتي، ومن أخذ بسنتي فقد أحبني، ومن أحبني فهو معي في الجنة. يا بني! إذا عملت بهذا وحفظت وصيتي، فلن يكون عندك شيء أحب إليك من الموت فإن فيه راحتك»[1].

٤٢٥- وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«من كان على السُّنة والجماعة؛ كتب الله له كل يوم ثواب نبي من الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وبنى له كل يوم مدينة، وكتب الله له- يعني: كل يوم-

---

(١) رواه بطوله أبو يعلى في مسنده، والسمرقندي في تنبيه الغافلين، وأسانيده لا تخلو من ضعيف، أو شديد الضعف، أو متهم بالوضع، ولكن كل جملة فيه جاء ما يشهد لها في بابها؛ فتدبره واعمل بما فيه تفلح إن شاء الله.

عشر حسنات، ورفع له عشر درجات، ومن صلى في جماعة؛ أعطاه الله بكل ركعة ثواب شهيد».

قالوا: يا رسول الله! متى يعرف الرجل أنه على السُّنة والجماعة؟

قال: «**إذا عرف من نفسه عشر خصال: لا يترك الجماعة، ولا يسب أصحابي، ولا يخرج على هذه الأمة بالسَّيف، ولا يشك في الإيمان، ولا يكذب بالقدر، ولا يماري في دين الله عَزَّوَجَلَّ، ولا يكفر أحدًا من أهل التوحيد بالذنب، ولا يدع الصلاة على من مات من أهل القبلة، ولا يترك المسح على الخفين في السفر ولا الحضر، ولا يترك الجمعة خلف كل برٍّ وفاجر، فمن ترك من هذه الخصال واحدة؛ فقد ترك السُّنة**»[1].

---

(١) لم أجده بهذا السياق مرفوعًا عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وأوله منكر جدًا، وآخره ذكره اللالكائي في السُّنة عن سهل بن عبدالله التستري، قال: (وقيل له: متى يعلم الرجل أنه على السُّنة والجماعة؟ قال: إذا عرف من نفسه عشر خصال:...)؛ وذكره.

- ولا شك أن كل جملة وردت فيه هي من أصول أهل السُّنة والجماعة. أما كونها جاءت هكذا في حديث مرفوع عن النبي ﷺ فلا، نعم قد جاء بعضها في روايات كما في سنن الدارقطني وغيره عن عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وغيره؛ فعن عليٍّ، قال: قال رسول الله ﷺ: (من أصل الدين: الصلاة خلف كل بر وفاجر، والجهاد مع كل أمير ولك أجرك، والصلاة على كل من مات من أهل القبلة). ثم قال الدارقطني بعدها: (وليس فيها شيء يثبت). اهـ

- وفي السنة للالكائي (١/ ١٥٥) عن سفيان بن عيينة، قال: (السُّنة عشر، فمن كنَّ فيه، فقد استكمل السُّنة، ومن ترك منها شيئًا، فقد ترك السُّنة: إثبات القدر، وتقديم أبي بكر وعمر والحوض والشفاعة، والميزان، والصراط، والإيمان قول وعمل، والقرآن كلام الله، وعذاب القبر، والبعث يوم القيامة، ولا تقطعوا بالشهادة على مسلم). اهـ

- وقوله: (فمن ترك من هذه الخصال واحدة؛ فقد ترك السُّنة)؛ محل إجماع بين العلماء، فلا يقال للرجل: فلان سني؛ حتى يستكمل جميع خصال السُّنة، فمن ترك منها شيئًا؛ فقد ترك السنة.

=

٤٢٦- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«من حفظ على أمتي أربعين حديثًا مما ينفعها الله به في دينها؛ بعثه الله يوم القيامة فقيها عالمًا»**[(١)].

- ففي ذم الكلام للهروي (٤٨٥) عن موسى بن هارون، قال: (سمعت سليمان بن حرب، يقول: من زال عن السُّنة بشعرة؛ فلا تعتدن به). اهـ

- وفي طبقات الحنابلة (١/ ٣٥) في ذكر عقيدة الإمام أحمد برواية الإصطرخي، ساق جملة من البدع، ثم قال: (فمن قال بشيء من هذه الأقاويل، أو رآها، أو صوبها، أو رضيها، أو أحبَّها؛ فقد خالف السُّنة، وخرج من الجماعة، وترك الأثر، وقال بالخلاف، ودخل في البدعة، وزال عن الطريق). اهـ

- وقال البربهاري في شرح السنة (١٢٢): (ولا يحل لرجل أن يقول: فلان صاحب سنة، حتى يعلم أنه قد اجتمعت فيه خصال السُّنة، فلا يقال له: صاحب سنة، حتى تجتمع فيه السُّنة كلها).

(١) رواه البيهقي في الشُّعب.

- وهذا الحديث ينتابه جهتان: علمية وعملية.

- فأما الجهة العلمية: فإن هذا الحديث رُوي عن عدد من الصحابة منهم: علي بن أبي طالب، وأبو هريرة، ومعاذ، وأبو الدرداء، وأبو سعيد الخدري، وابن مسعود، وابن عمر، وأنس بن مالك، وعبدالله بن عمرو، وجابر بن سمرة، وأبو أمامة، وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ وجميع طرقه ضعيفة، كما قال البيهقي في الشُّعب: (هذا متن مشهور فيما بين الناس، وليس له إسناد صحيح). ومرة قال: (أسانيده كلها ضعيفة). وقال الدارقطني: (لا يثبت من طرقه شيء).

- وأما الجهة العملية: فقد عمل بهذا الحديث العديد من المصنفين في الأحاديث، بل وصنفوا في هذا الباب ما لا يُحصى من المصنفات وسموها بـ (الأربعينات)، فأولهم عبدالله بن المبارك، ثم محمد بن أسلم الطوسي، ثم أحمد بن حرب الزاهد، والحسن بن سفيان الفسوي، وأبو بكر الآجري وغيرهم كثير.

- قال الدارقطني: (ومنهم- أي: العلماء- من تسامح بهذا الحديث بعد العلم بعلله؛ للحثِّ على الخير).

=

٤٢٧- ومثله من حديث معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١].

٤٢٨- وعن أبي العالية، عن أُبيِّ بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال:

عليكم بالسبيل والسُّنة، فإنه ليس من عبد على سبيل وسنة، ذكر الله عَزَّوَجَلَّ ففاضت عيناه من خشية الله فتمسه النار أبدًا، وليس من عبد على سبيل وسنة، ذكر الله عَزَّوَجَلَّ فاقشعر جلده من مخافته، إلا كان مَثَلُه مثل شجرة يابس ورقها، إذ أصابتها الريح فتحاتَّ عنها ورقها، إلا تحات عنه

- وقال ابن الجوزي: (وقد بنى على هذا الحديث الذي بينّا علله جماعة من العلماء؛ فصنف كل منهم أربعين حديثًا، منهم من ذكر فيها الأصول، ومنهم من قصر على الفروع، ومنهم من أورد فيها الرقائق، ومنهم من جمع بين الكل). اهـ

- وهذه هي طريقة المتقدمين في التعامل مع الأحاديث الضعيفة غير الموضوعة أو المكذوبة، فقد يكون في السند شيء، ومع ذلك يتكلمون في فقهه وما فيه من العلم، بل ويعملون به ما لم يرد خلافه، بل ويقدمونه على الرأي؛ ففي شرح علل الترمذي لابن رجب (١/ ١٩٢) قال الأثرم: (كان أبو عبدالله ربما كان الحديث عن النبي ﷺ وفي إسناده شيء، فيأخذ به إذا لم يجئ خلافه أثبت منه، وربما أخذ بالحديث المرسل إذا لم يجئ خلافه).

- وقال أحمد في رواية مهنا في حديث معمر، عن سالم، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (إن غيلان أسلم وعنده عشر نسوة). قال أحمد: (ليس بصحيح، والعمل عليه). يعني: أن الحديث لم يصح، مع أن العمل عليه، بأن يُطلق ما عدا أربع نسوة). اهـ

- وفي مسائل عبدالله للإمام أحمد (١/ ٤٣٨) قال: (سألت أبي عن الرجل يريد أن يسأل عن الشيء من أمر دينه مما يبتلى به من الأيمان في الطلاق وغيره، وفي مصره مِن أصحاب الرأي، ومِن أصحاب الحديث لا يحفظون ولا يعرفون الحديث الضعيف ولا الإسناد القوي، فلمن يسأل: لأصحاب الرأي أو لهؤلاء- أعني أصحاب الحديث- على ما قد كان من قلة معرفتهم؟ قال: يسأل أصحاب الحديث، لا يسأل أصحاب الرأي؛ ضعيف الحديث خير من رأي أبي حنيفة). اهـ. ولهذا أشباه ونظائر.

(١) رواه ابن عبدالبر في الجامع.

خطاياه، كما تحات عن هذه الشجرة ورقها، وإن اقتصادًا في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة، انظروا أعمالكم إن كانت اجتهادًا أو اقتصادًا أن تكون على منهاج الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وسنتهم.

٤٢٩- وعن عبيدالله بن أبي رافع، يحدث عن أبيه:

أن رسول الله ﷺ قال: **«لا أُلْفِيَنَّ أحدكم متكئًا على أريكته، يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه؛ فيقول: لا أدري، ما وجدنا في كتاب الله؛ اتبعناه»**(١).

٤٣٠- وتقدَّم كلام عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما قيل له: لا تحدثنا إلا بما في كتاب الله.

٤٣١- وعن الحسن، أن النبي ﷺ قال:

«هل عسى أحدُكم أن يُكَذِّبَنِي، وهو مُتَّكِئٌ على حَشَايَاهُ، يُحَدَّثُ عني بحديث؛ فيقول: ما قال هذا رسول الله ﷺ، ومن لنا بذلك؟»(٢).

٤٣٢- وعن المقدام بن معديكرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته؛ يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال؛ فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام؛ فحرموه، ألا**

(١) رواه أبو داود، والترمذي؛ وقال: حديث حسن صحيح.
وهو مشهور أيضًا من حديث المقدام بن معديكرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وسيأتي.

(٢) رواه معمر بن راشد في جامعه، وابن زمنين في السُّنة. ومعنى: حشاياه: فِراشه.

لا يحل لكم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السِّباع، ولا لقطة من مال معاهد، إلا أن يستغني عنها صاحبها»(١).

٤٣٣- ورواه من طريق، وفي آخره:

«وإن ما حرَّم رسولُ الله ﷺ مثل ما حرَّم الله»(٢).

٤٣٤- وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه:

أن النبي ﷺ نزل خيبر ومعه من معه من أصحابه، ومكر صاحب خيبر مكرًا ماردًا، فأقبل إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد! ألكم أن تذبحوا

---

(١) رواه أبو داود.

- وقوله: (شبعان)؛ فيه دليل على أن أكثر الأهواء- وأولها الشِّرك- من آثار الترف.

قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ - وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾. وهو الشِّرك.

- وقوله: (متكئ) دليل على جهلهم، وعدم رحلتهم في طلب للعلم. وقد قال مالك: (لا تحملوا العلم عن أهل البدع، ولا تحمله عمن لم يعرف بالطلب).

- وإذا تزوج التَّرفُ بالجهل أنجب مثل هذه النبتات الخبيثة؛ التي لا تفهم أن القرآن والسُّنة صنوان لا يفترقان.

- ويُخشى على من ردَّ السُّنة بحجة أن ليس لها نظير في كتاب الله، بل هو على خطر عظيم، وشرٍّ جسيم، إذ يُفرِّق بين الله ورسله ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا - أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾.

(٢) رواه أحمد في مسنده.

قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾.

وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

حمرنا، وتأكلوا بقرنا، وتضربوا نساءنا، وتدخلوا بيوتنا؟ فغضب النبي ﷺ فقال: **«يا ابن عوف! قم فاركب فنادِ في أصحابك: ألا إن الجنة لا تحل إلا لمؤمن، وأن اجتمعوا إلى الصلاة»**، فاجتمعوا؛ فصلى بهم النبي ﷺ ثم قام؛ فقال: **«يحسب امرئ قد شبع وبطر، وهو متكئ على أريكته لا يظنن أن الله** عَزَّوَجَلَّ **حرم إلا ما في القرآن، فإني والله قد حرمت ونهيت ووعظت بأشياء؛ إنها لمثل القرآن أو أكثر، لا يحل لكم من السباع كل ذي ناب ولا الحمر الأهلية، ولا أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب إلا بإذن، ولا تأكلوا أموالهم إلا ما طابوا به نفسًا، ولا ضرب نسائهم؛ إذا أعطوا ما عليهم»**[(١)].

٤٣٥- وتقدَّم حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في لعن الواشمة[(٢)].

٤٣٦- وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ قالت:

من حدَّثك أن محمدًا ﷺ كتم شيئًا من الوحي؛ فلا تصدقه، فإن الله تعالى؛ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة:٦٧][(٣)].

---

(١) رواه أبو داود، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني، والخطيب في الكفاية.

(٢) تقدَّم برقم: (٤١٣).

(٣) وهذه الآية مع آيات العتاب الكثيرة في القرآن؛ من أظهر الأدلة على صدقه ﷺ، بل هي من أعظم دلائل نبوته، إذ لو كان مُدعِيًّا النبوة؛ لكتم ما عليه، وأظهر للناس ما له.

٤٣٧- وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أوتي نبيكم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مفتاح كل شيء إلا خمسًا: « إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِ » [لقمان:٣٤] الآية.

٤٣٨- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطب؛ فقال:

«أيها الناس! كأن الحق فيها على غيرنا وجب، وكأن الموت فيها على غيرنا كُتب، وكأن من ينقل من الأموات سَفْرٌ عما قليل إلينا راجعون، نُبَوِّئُهُمْ أجداثهم، ونأكل تراثهم، كأنا مخلدون بعدهم، قد نسينا كل واعظة، وَأَمِنّا كل جائحة؛ طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، طوبى لمن أنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله، طوبى لمن وسعته السُّنة، ولم يَعْدُهَا إلى بدعة»[1].

(١) رواه الطبراني في مكارم الأخلاق، وتمام الرازي في فوائده. وعلته: عصمة بن محمد؛ وهو أحد الكذَّابين. ورواه ابن عدي في الكامل، والقضاعي في مسند الشهاب، وابن حبان في المجروحين، كلهم من طريق أبان بن أبي عياش، عن أنس بن مالك مرفوعًا، وأبان بن أبي عياش متروك الحديث، وكان يجالس الحسن البصري، فكان يسمع كلامه ويحفظه، فإذا حدَّث، ربما جعل كلام الحسن الذي سمعه من قوله عن أنس، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو لا يعلم. قال يزيد بن هارون: سمعت شعبة، يقول: (لأن أزني أحب إليَّ من أن أحدث عن أبان بن أبي عياش).
فالحديث لا يصح مرفوعًا من جميع طرقه، ولهذا قال ابن الجوزي في العلل: (هذا ليس من كلام الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). وقال في الموضوعات الكبرى: (هذا حديثٌ لا يصح عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).
- والمعنى صحيح متواتر؛ كما في كتاب نزهة الناظر في ذكر من حدَّث عن أبي القاسم البغوي من الحفاظ والأكابر للرشيد العطار (١/ ٩٣) عن وهب بن منبه، قال: (طوبى لمن نظر في عيبه عن عيوب غيره، طوبى لمن تواضع من غير مسكنةٍ، ورحم أهل الذُّل والمسكنة، وتصدق من مالٍ جُمع من غير معصية، وجالس أهل العلم والحلم، ووسعته السُّنة ولم يعدها إلى بدعة).

٤٣٩- وقال محمد بن وزير[1] رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

رأيت رسول الله ﷺ في المنام فدنوت منه؛ فقلت: السلام عليك يا رسول الله! فقال لي: **«وعليك السَّلام يا محمد بن وزير! أحاجة؟»**، فقلت: نعم، يا رسول الله! أنا رجل شيخ خفيف البضاعة كثير العيال، أريد أن تعلمني دعوات أدعو بها في سفري وفي حضري، وأستعين بها على أموري؛ فقال: **«أَفْعَلُ، هو ذا أعلمك ثلاث دعوات؛ فادع بها في وقت كل شدة وفي دبر كل صلاة؛ فقال: قل: يا قديم الإحسان! يا من إحسانه فوق كل إحسان! يؤتك الدنيا، ثم التفت وقال: اجتهد أن تموت على الإسلام والسُّنة، وعلى حبِّ هؤلاء؛ هذا أبو بكر، وهذا عمر، وهذا عثمان، وهذا عليّ؛ فإنه لا تمسك النار أبدًا»**[2].

٤٤٠- وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني»[3].

---

(١) قال المزي في تهذيب الكمال (٣٤/ ٤٢٢): (فصل فيمن اشتهر بالنسبة إلى أبيه أو جده أو أمه أو عمه، أو نحو ذلك. ثم قال: (ابن وزير) جماعة منهم: محمد بن وزير الدمشقي، ومحمد بن وزير الواسطي، ومحمد بن وزير المصري). ثم ذكر ترجمة لكل منهم؛ فلتطلب هنالك. وقال أبو بكر البرقاني: قلت لأبي الحسن الدارقطني: محمد بن الوزير الدمشقي، ومحمد بن الوزير الواسطي أيهما أحب إليك؟ قال: جميعًا ثقتان). اهـ

(٢) لم أجد هذه الرؤيا إلا هنا.

(٣) متفق عليه.

٦٢- باب: الرحلة في طلب السُّنة وجمعها وما يحصل من الثواب والأجر بحملها

قال الله: ﴿فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ﴾، فإذا فعلت الصحابة ذلك فغيرهم إليه أحوج، وهو عليهم أفرض؛ لما فيه من حفظ الشريعة وإقامة الدين؛ لأنهم الذين أمرنا أن نقتدي بهم، فلم يشتغلوا بغير ذلك من البدع والآراء الفاسدة، وإنما فعلوا ما أمرهم به رسول الله ﷺ.

٤٤١- قال عبدالرزاق في قوله تعالى: ﴿فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ﴾، الآية. قال: هم أصحاب الحديث[1].

---

(١) وفي شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي (١١٤) عن يزيد بن هارون، قال: (قلت لحماد بن زيد: يا أبا إسماعيل! هل ذكر الله عز وجل أصحاب الحديث في القرآن؟ فقال: بلى، ألم تسمع إلى قوله: (﴿فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ﴾)، فهذا في كل من رَحَل في طلب العلم والفقه، ويرجع به إلى من وراءه، يعلمهم إياه).

- وفي الرحلة في طلب الحديث (ص٨٦) عن أبي مطيع معاوية بن يحيى، قال: (أوحى الله تعالى إلى داود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ- وفي رواية: موسى- أن اتخذ نعلين من حديد، وعصى من حديد، واطلب العلم حتى تنكسر العصا وتنخرق النعلان).

- وفيه، عن عبدالله بن أحمد بن حنبل، قال: (سألت أبي عمن طلب العلم ترى له أن يلزم رجلًا عنده علم، فيكتب عنه، أو ترى أن يرحل إلى المواضع التي فيها العلم، فيسمع منهم؟ قال: يرحل؛ يكتب عن الكوفيين والبصريين وأهل المدينة ومكة؛ يشام الناس ويسمع منهم).

=

٤٤٢- وقال عكرمة مولى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى: «ٱلسَّـٰٓئِحُونَ» [التوبة:١١٢]. قال: هم طلبة الحديث[1].

٤٤٣- وقال جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

بلغني عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ حديثًا سمعه من رسول الله ﷺ لم أسمعه منه، خشيت أن أموت أو يموت قبل أن أسمعه؛ فابتعت بعيرًا فشددت عليه رحلي، ثم سرت إليه شهرًا حتى قدمت الشام؛ فإذا هو عبدالله بن أُنيس الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقمت ببابه فاستأذنت؛ فقلت: جابر بن عبدالله، فخرج إليَّ فعانقني وعانقته؛ قال: قلت: حديث بلغني أنك سمعته من رسول الله ﷺ في المظالم، لم أسمعه

- وفيه، عن زكريا بن عدي، قال: (رأيت ابن المبارك في النوم، فقلت: ما فعل الله بك؟! قال: غفر لي؛ برحلتي في الحديث).

- وفيه، عن الشعبي، قال: (لو أن رجلًا سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن، فحفظ كلمة تنفعه فيما يستقبله من عمره؛ رأيتُ أن سفره لا يضيع). اهـ

- وأعظم من ذلك: مَنْ رَحَل ليحفظ حُكمًا في التوحيد، أو سُنةً أو أثرًا؛ ينفعه فيما يستقبله من عمره؛ فإن سفره لا يضيع.

(١) وذهب جمهور المفسرين إلى أن معنى: (السائحون)، الصائمون؛ قاله ابن مسعود، وابن عباس، وأبو هريرة، وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعطاء، وأبو عبدالرحمن السُّلمي، والضحاك بن مزاحم، وإبراهيم النخعي، وسفيان بن عيينة وغيرهم. وقال أبو عمرو العبدي: (السائحون: الصائمون الذين يُديمون الصوم).

- وجاء ما يدلُّ على أن السياحة: الجهاد، وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: هم المهاجرون، وقيل: (السائحون)؛ هم الذين يتحرون ما اقتضاه قوله تعالى: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ).

- والآية تحتمل كل هذا.

منه، خشيت أن أموت أو تموت قبل أن أسمعه؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«يحشر الله** عَزَّوَجَلَّ **العباد- وأومأ بيده قِبَلَ الشام- حفاة عراة غُرْلًا بُهْمًا، ليس معهم شيء؛ فيناديهم بصوت يسمعه مَنْ بَعُدَ، كما يسمعه مَنْ قَرُبَ: أنا الملك، أنا الديان، لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة، وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وأحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة، حتى اللطمة؛ قلت: كيف وإنما نأتي حفاة عراة غُرْلًا بُهْمًا؟ قال: بالحسنات والسيئات»**[1].

٤٤٤- عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال:

لما قبض رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار: هلم فلنسأل أصحاب رسول الله ﷺ فإنهم اليوم كثير؛ فقال: واعجبًا لك يا ابن عباس! أترى اليوم الناس يفتقرون إليك؟! وفي الناس ممن يصلح من أصحاب رسول الله ﷺ من فيهم؛ قال: فتركت ذلك؛ فأقبلت أسأل أصحاب رسول الله ﷺ عن الحديث، فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل؛ فآتي بابه وهو قائلٌ فأتوسد ردائي على بابه، تسفي الريح عليَّ من التراب، فيخرج فيراني؛ فيقول: يا ابن عم رسول الله ﷺ! ما جاء بك؟ ألا أرسلت إليّ فآتيك؛ فأقول: لا، أنا آتيك فأسأله عن الحديث؛ فعاش

---

(١) رواه أحمد، والبخاري في خلق أفعال العباد، والأدب المفرد.
- ومعنى: (غُرلًا)، غير مختونين، ومعنى: (بُهمًا)، ليس معهم شيء من عرض الدنيا، وأصل البهيم: المصمت الذي لا يخالط لونه لونٌ آخر.

ذلك الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع الناس حولي يسألوني؛ فيقول: هـذا الفتى كان أعقل مني![1]

٤٤٥ - قال إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إن الله عَزَّوَجَلَّ يدفع البلاء عن هذه الأمة؛ برحلة أصحاب الحديث[2].

❒ ❒ ❒

---

(١) يشبه هذا ما رواه عبدالرزاق في مصنفه، عن صالح بن كيسان، قال: (اجتمعت أنا وابن شهاب ونحن نطلب العلم، فاجتمعنا على أن نكتب السنن، فكتبنا كل شيء سمعناه عن النبي ﷺ، ثم كتبنا أيضًا ما جاء عن أصحابه. فقلت: لا، ليس بسنة، وقال هو: بلى، هو سنة! فكتب ولم أكتب، فأنجح وضيعتُ).

(٢) وروى عبدالله بن أحمد في العلل ومعرفة الرجال (٤٢٠١) عن إبراهيم، قال: (ما من قرية إلا وفيها من يُدفع عن أهلها به، وإني لأرجو أن يكون أبو وائل منهم). اهـ

٦٣- باب: فضل التمسك بالسُّنة والأثر

٤٤٦- قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ:
طلب الحديث؛ أفضل من صلاة التطوع[1].

---

(١) قال أبو محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم: (خرجت إلى أيلة، إلى محمد بن عزيز الأيلي، فكتب لي أبي وأبو زرعة إليه - يعني في الوصاة- فجعل محمد بن عزيز يقرأ لي يوم الجمعة، وما صلى ذلك اليوم إلا الجمعة ركعتين، والعصر أربعًا. وكان يقرأ لي الحديث، على أن قراءة الحديث أفضل من صلاة التطوع). وقال القعنبي: (لو أعلم أن الصلاة أفضل منه ما حدثت).
- وفضيلة طلب الحديث أكثر من أن تحصى منها:
- أنه أفضل من التسبيح؛ قال وكيع: (لولا أن الحديث أفضل عندي من التسبيح ما حدثت).
- ومنها: أن أصحاب الحديث أولى الناس بالرسول ﷺ لدوام صلاتهم عليه ﷺ، وقد جاء في الحديث: (إن أولى الناس بي يوم القيامة؛ أكثرهم صلاة عليَّ).
- قال الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث (٥٧): (قال لنا أبو نعيم: وهذه منقبة شريفة يختص بها رواة الآثار ونقلتها؛ لأنه لا يُعرف لعصابة من العلماء من الصلاة على رسول الله ﷺ أكثر مما يُعرف لهذه العصابة نَسخًا وذكرًا).
- ومنها: أنه بمنزلة مدارسة القرآن؛ فعن سليمان التيمي، قال:(كنا عند أبي مجلز وهو يحدثنا، فقال رجل: لو قرأتم سورة؟ فقال أبو مجلز: ما الذي نحن فيه بأنقص عندي من قراءة سورة).
- ومنها: أنه بمثابة صلاة التطوع بل أعظم؛ فعن محمد بن عمرو بن عطاء، قال: (كان موسى ابن يسار معنا يُحدِّث، فقال له ابن عمرو: إذا أنت فرغت من حديثك فسلِّم، فإنك في صلاة). أي: اختم حديثك بالسَّلام دون التفات.
- ومنها: أن بعضهم كان يستشفي بسماع الحديث؛ لأن النفس إذا ارتاحت إلى شيء كان أسرع في ذهاب عِلتها. قال محمد بن مخلد: (كان الرمادي إذا اشتكى شيئًا، قال: هاتوا أصحاب الحديث؛ فإذا حضروا عنده، قال: اقرءوا عليَّ الحديث).

=

٤٤٧- وسأل عمر بن سهيل المعافى بن عمران؛ فقال له: يا أبا عمران! أي شيء أحب إليك، أصلي أو أكتب الحديث؟ فقال: كتابة حديث واحد؛ أحب إليَّ من صلاة ليلة.

٤٤٨- وقال محمد بن أحمد بن أبي الثلج: حدثني جدي؛ قال: سألت أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ قلت: يا أبا عبدالله! أيهما أحب إليك، الرجل يكتب الحديث، أو يصوم ويصلي؟ قال: يكتب الحديث؛ قلت: فمن أين فُضِّلت كتابة الحديث على الصوم والصلاة؟ قال: لئلا يقول قائل: رأيت قومًا على شيء؛ فتبعتهم[1].

- ومنها: أنه أفضل العبادات على الإطلاق؛ فعن وكيع، قال: سمعت سفيان، يقول: (ما أعلم على وجه الأرض من الأعمال أفضل من طلب الحديث، لمن أراد به وجه الله).
- ومنها- بل هو أعظمها-: أنه يمنع صاحبه من الهوى؛ ففي شرف الحديث (١١٨) عن أبي هشام الرفاعي، قال: (سمعت وكيع بن الجراح، يقول: (لو أن الرجل، لم يصب في الحديث شيئًا، إلا أنه يمنعه من الهوى؛ كان قد أصاب فيه).
- وفيه، عن إسحاق بن إبراهيم، أنه قال للإمام أحمد: (إن قومًا يكتبون الحديث، ولا يُرى أثره عليهم، وليس لهم وقار؟ فقال أبو عبدالله: يؤولون في الحديث إلى خير).
- وفيه، عن عبدالرحمن بن قريش العنبري البصري، قال: (كل من ذهب إلى مقالة ، ففزع منها إلى غير الحديث؛ فإلى الضلالة يصير).
- وفيه، عن أبي عبدالله محمد بن العباس المصري، قال: سمعت هارون الرشيد، يقول: (طلبت أربعة فوجدتها في أربعة: طلبت الكفر؛ فوجدته في الجهمية، وطلبت الكلام والشغب؛ فوجدته في المعتزلة، وطلبت الكذب؛ فوجدته عند الرافضة، وطلبت الحق؛ فوجدته مع أصحاب الحديث).
- وقال ابن المبارك: (أثبت الناس على الصراط؛ أصحاب الحديث).

أي: صراط الدنيا، وصراط الآخرة.

(١) أي: من لم يكتب الحديث ربما قلَّد الناس، فعمل على غير سنة؛ فذهبت صلاتُه وصيامُه هباءً.

٤٤٩- وقال (عبدالله) بن داود (الخُرَيبيّ):

ينبغي للرجل أن يُكْرِه ولده على طلب الحديث(١).

وقال: ليس الدين بالكلام؛ إنما الدين الآثار.

٤٥٠- وقال عبدالله بن داود الخُرَيبيّ:

ينبغي للرجل أن يحث ولده على طلب الحديث والعلم؛ فإنه إن أراد به الدنيا نالها، وإن أراد به الآخرة نالها(٢).

---

(٢) ومِنْ السَّلف مَنْ كان يتألف ولده على سماع الحديث؛ ففي شرف أصحاب الحديث (ص٦٧) عن إبراهيم بن أدهم، قال: (قال لي أبي: يا بني! اطلب الحديث، فكلما سمعت حديثًا وحفظته، فلك درهم؛ فطلبت الحديث على هذا).

- وقد كان السَّلف يذمون الشيوخ الذين لم يسمعوا الحديث؛ ففي شرف أصحاب الحديث (ص٦٨) عن سفيان الثوري، كان إذا رأى الشيخ لم يكتب الحديث، قال: (لا جزاك الله عن الإسلام خيرًا).

- وفيه، عن الأعمش، قال: (إذا رأيت الشيخ لم يقرأ القرآن، ولم يكتب الحديث، فاصفع وجهه، فإنه من شيوخ القمر). قال أبو صالح: (قلت لأبي جعفر: ما شيوخ القمر؟ قال: شيوخ دهريون، يجتمعون في ليالي القمر، يتذاكرون أيام الناس، ولا يحسن أحدهم أن يتوضأ للصلاة).

وقال الأعمش: (من لم يطلب الحديث؛ أشتهي أن أصفعه بنعلي).

(٢) وفي مسائل ابن هانئ (١٩١٣) قال الإمام أحمد: (العلم لا يعدله شيء).

- وفي شرف أصحاب الحديث (ص٦٢) عن سهل بن عبدالله الزاهد، قال: (من أراد الدنيا والآخرة؛ فليكتب الحديث، فإن فيه منفعة الدنيا والآخرة).

- وفيه، عن سفيان الثوري، قال: (سماع الحديث؛ عِزٌ لمن أراد به الدنيا، ورشادٌ لمن أراد به الآخرة).

٤٥١- وعن مطرٍ، في قوله تعالى: ﴿أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ﴾ [الأحقاف:٤].
قال: إسناد الحديث[١].

٤٥٢- وقال محمد بن حاتم[٢]:

إن الله عَزَّوَجَلَّ كرَّم هذه الأمة وشرَّفها وفضَّلها بالإسناد، ليس لأحد من الأمم قديمهم وحديثهم إسناد، وإنما هي صحف في أيديهم، وقد خَلَطوا بكتبهم أخبارهم، وليس عندهم تمييزٌ بين ما نزل من التوراة والإنجيل مما جاءهم به أنبياؤهم، وتمييزٌ بين ما ألحقوه من الأخبار بكتبهم التي أخذوها من غير الثقات، وهذه الأمة إنما تنصُّ الحديث من الثقة المعروف في زمانه المشهور بالصدق والأمانة، عن مثله حتى تتناهى أخبارهم، ثم يبحثون أشد البحث، حتى يعرفوا الأحفظ فالأحفظ، والأضبط فالأضبط، والأطول مجالسة لمن فوقه ممن كان أقل مجالسة، ثم يكتبون الحديث من عشرين وجها أو أكثر، حتى يُهذبوه من الغلط والزلل، ويضبطوا حروفه ويعدوه عدًّا؛ فهذا من أعظم نعم الله على هذه الأمة، نستوزع الله شكر هذه النعمة، ونسأله التثبيت والتوفيق لما يقرب

---

(١) وفي شرف أصحاب الحديث (ص٣٩) عن مالك، في قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَ﴾، قال: (هو قول الرجل: حدثني أبي عن جدي).

(٢) هو: محمد بن حاتم بن المظفر، ليس له ترجمة وافية في كتب التراجم، والذي ذكروه: أنه روى عن سليمان بن داود المنقري، ويحيى بن معين، وروى عنه عبدالله بن محمد بن يعقوب الكلاباذي، وعمرو بن عبدالله البصري.

منه، ويُزْلِف لديه ويمسِّكنا بطاعته؛ إنه ولي حميد، فليس أحد من أهل الحديث يحابي في الحديث أباه ولا أخاه ولا ولده[1].

٤٥٣- وقال عبدالله بن المبارك:

الإسناد عندي من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء.

٤٥٤- وقال سفيان الثوري:

إن الإسناد سلاح المؤمن فإذا لم يكن معه سلاح؛ فبأي شيء يقاتل؟[2]

٤٥٥- وقال الجنيد:

الطريق مسدود على خلق الله إلا على المتبعين أخبار رسول الله ﷺ المقتدين بآثاره؛ وقال الله: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١].

---

(١) وفي شرف أصحاب الحديث للخطيب (ص٤١) زيادة: (وهذا علي بن عبدالله المديني وهو إمام الحديث في عصره، لا يُروى عنه حرف في تقوية أبيه، بل يُروى عنه ضد ذلك، فالحمد لله على ما وفقنا). اهـ

- فأما عدم المحاباة للأب؛ فكان علي ابن المديني؛ يقول: (إنه الدِّين؛ أبي ضعيف).

- وأما الأخ؛ فهذا جرير بن عبدالحميد؛ يُسئل عن أخيه؛ فيقول: (قد سمع من هشام بن عروة، لكنه يكذب في حديث الناس؛ فلا يكتب عنه).

- وأما الابن؛ فقد قال علي بن الحسين بن الجنيد: (سمعت أبا داود السجستاني؛ يقول: ابني عبدالله: كذاب).

- وفي مناقب الشافعي لابن أبي حاتم (ص٨٢) عن أحمد بن أبي شريح، قال: (سمعت الشافعي، يقول: يقولون: نُحابي! ولو حابينا لحابينا الزهري، وإرسال الزهري ليس بشيء؛ وذلك أنا نجده يروي عن سليمان بن أرقم).

(٢) وفي شرف أصحاب الحديث، عن يزيد بن زريع، قال: (لكل دين فرسان، وفرسان هذا الدين؛ أصحاب الأسانيد).

٤٥٦- وقال محمد بن سيرين: لا يزال الناس بخير ما أخذوا بالأثر.

٤٥٧- وعنه؛ قال: كانوا يرون: أنه ما دام على الأثر؛ فهو على الطريق.

٤٥٨- وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

إنا نقتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع، ولن نضل ما تمسكنا بالأثر.

٤٥٩- وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

تعلموا السُّنة والفرائض واللحن[١]؛ كما تعلمون القرآن.

٤٦٠- وتقدَّم أنه وجد في قائمة سيف رسول الله ﷺ صحيفة مطوية:

«من أشد الناس عذابًا يوم القيامة: الضارب غير ضاربه». الحديث[٢].

❐ ❐ ❐

---

(١) المقصود باللحن هنا: اللغة والإعراب والنحو.

- قال أبو عمر الزاهد في كتاب العشرات في غريب اللغة: (اللحن: اللغة، ونزل القرآن بلحن قريش: أي بلغتها. وسئل يزيد بن هارون ما أراد باللحن؟ قال: النحو). اهـ

- وقد كان السَّلف حريصين على هذا العلم؛ فقد رُوي عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الحثِّ على تعلم اللغة العربية والاهتمام بها أنه مَرَّ بقوم يرمون رشْقًا- أي: يرمون وجهًا واحدًا بجميع سهامهم- فقال: (بئس ما رميتم، فقالوا: يا أمير المؤمنين، إنا قوم متعلمين! فقال: والله لذنبكم في لحنكم أشد عليَّ من لحنكم في رميكم).

- ورُوي أن كاتبًا لأبي موسى الأشعري كتب إلى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (مِنْ أبو موسى! فكتب إليه عمر: إذا أتاك كتابي هذا، فاضرب كاتبك سوطًا، واعزله عن عمله).

- وعن نافع عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنه كان يضرب بنيه علي اللحن.

- وقال الخليل بن أحمد: (لحن أيوب السختياني في حرف؛ فقال: أستغفر الله).

انظر كتاب: إعراب القرآن وذم اللحن لأبي بكر ابن الأنباري.

(٢) تقدَّم برقم: (٤٠١).

٦٤- باب: الحاجة إلى السُّنة لتفسير القرآن وبيانه

٤٦١- عن أيوب السختياني رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ قال:

إذا حَدثتَ الرجل بسنة؛ فقال: دعنا من هـذا، حـدثنا عـن القـرآن؛ فاعلم أنه ضال.

٤٦٢- قال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وذلك أن السُّنة جاءت قاضية على الكتاب، ولم يجـئ القـرآن قاضـيًا على السُّنة[١].

٤٦٣- وعن حسان بن عطية؛ قال:

كان جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ينزل عـلى النبـي ﷺ بـالقرآن والـسُّنة[٢]؛ والـسُّنة تفسر القرآن.

---

(١) وفي ذم الكلام (٢١٩) عن يحيى بن أبي كثير؛ قال: (السُّنة قاضية على الكتاب، وليس الكتـاب بقاض على السُّنة).

- وقال الفضل بن زياد: (سمعت أحمد بن حنبل، وسئل عن الحديث الـذي رُوي: (أن الـسُّنة قاضية على القرآن). فقال: ما أجسُرُ على هذا- أي: (قاضية)- ولكن السُّنة تفسر القرآن وتبينه).

- وشاهد ذلك، قوله تعالى: (وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ).

- وقولـه تعـالى: (وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ).

(٢) وفي ذم الكلام (٢٢٤و٢٢٥) زاد عيسى، وروح: (ويعلمه إياها؛ كما يعلمه القرآن).

- وقال المعتمر بن سليمان: (سمعت أبي، يقول: أحاديث النبي ﷺ عندنا؛ كالتنزيل).

قال أبو موسى: (يعني في الاستعمال؛ يستعمل سنة رسول الله ﷺ كما يستعمل كلام الله).

=

٤٦٤- وقال عبدالرحمن بن مهدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:
الرجل إلى الحديث أحوج منه إلى الأكل والشرب[1].
٤٦٥- وقال: الحديث تفسير القرآن.

❒ ❒ ❒

- وفي السُّنة للمروزي (١/ ٣٤) عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: (السُّنن السُّنن؛ فإن السُّنن قِوام الدين).
- وتقدَّم حديث المقدام بن معديكرب: (ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه).

(١) وفي شرف أصحاب الحديث (ص٨١) عن وكيع، قال: (سمعت سفيان الثوري، يقول: (لا أعلم شيئًا أفضل منه- يعني: الحديث- لمن أراد الله به. وقال: إن الناس يحتاجون إليه في طعامهم وشرابهم).
- وقال الإمام أحمد: (إن الناس يحتاجون إليه في طعامهم وشرابهم).

٦٥- باب: صحة ذلك وبيانه

٤٦٦- قال إبراهيم بن الأشعث البخاري[١]:

سمعت الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول؛ وقد اجتمع أصحاب الحديث على بابه، فاطلع عليهم من كوة وهو يبكي ولحيته ترتجف؛ فقال: عليكم بالقرآن، عليكم بالعبادة، ويحكم! ليس هذا زمان حديث؛ إنما هذا زمان تضرع وبكاء واستكانة، ودعاء كدعاء الغريق؛ إنما هذا زمان: احفظ لسانك وأخفِ مكانك، (ويصلحك علم قليل)، وخذ بما تعرف ودع ما تنكر[٢].

---

(١) هو: إبراهيم بن الأشعث البخاري، لقبه: (لام)؛ يروي عن ابن عيينة، وكان يخدم الفضيل بن عياض ويروي عنه الرقائق، روى عنه عبد بن حميد، يُغرب ويتفرد ويخطئ ويخالف.
الثقات لابن حبان (١٢٢٧٦).

(٢) ليس هذا من الفضيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ تزهيدًا في الحديث، بل هو تحذيرٌ من التكاثر دون عمل.
- ومن هذا الباب ما رواه الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث (ص١١٤) عن أبي خليفة، قال: سمعت أبا الوليد، يقول: سمعت شعبة بن الحجَّاج، يقول: (إن هذا الحديث يصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة، فهل أنتم منتهون؟ قال أبو خليفة: يريد شعبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن أهله يضيعون العمل بما يسمعون منه، ويتشاغلون بالمكاثرة به أو نحو ذلك. والحديث لا يصد عن ذكر الله، بل يهدي إلى أمر الله، وذكر كلامًا.
وعن إسحاق بن إبراهيم بن هاني، قال: سمعت أبا عبدالله- يعني: أحمد بن حنبل- وسئل عن قول شعبة: (إن هذا الحديث يصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة، فهل أنتم منتهون؟)، فقال:
=

٤٦٧- وعن يوسف بن أبي طَيْبة- وكان من العابدين- قال:

كتب إليَّ ابن أبي رفاعة: يا أخي! استوص بكتاب الله وبرأيك[١]، فقَلَّ أحد قرأ كتاب الله، فاحتاج إلى وصية أحد وإلى موعظته، والسَّلام.

٤٦٨- وعن بكير الطائي؛ قال:

لما أصيب عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فشت أحاديث، ففزع لها من شاء الله من الناس؛ فقالوا: من أعلم الناس بحديث عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟ فقالوا: الحارث الأعور؛ فوجدوا الحارث قد مات؛ فقالوا: من أعلم الناس بحديث الحارث؛ فقالوا: ابن اخته؛ فأتوه فقالوا: هل سمعت الحارث يذكر في هذا شيئًا؟ وأخبروه بما سمعوه، فقال: نعم، سمعت الحارث يقول: فشت أحاديث في زمان عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فزعت لها، فأتيت عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فقال: ما جاء بك يا أعور؟! فقلت: فشت أحاديث فجئت بها، أنا من

لعلَّ شعبة كان يصوم، فإذا طلب الحديث وسعى فيه؛ يضعف فلا يصوم، أو يريد شيئًا من أعمال البر، فلا يقدر أن يفعله للطلب؛ فهذا معناه.

قلت- أي: الخطيب البغدادي-: وليس يجوز لأحد أن يقول: كان شعبة يُثبط عن طلب الحديث! وكيف يكون كذلك، وقد بلغ من قدره أن سُمي أمير المؤمنين في الحديث، كل ذلك لأجل طلبه له، واشتغاله به، ولم يزل طول عمره يطلبه حتى مات، على غاية الحرص في جمعه لا يشتغل بشيء سواه، ويكتب عمن دونه في السن والإسناد، وكان من أشد أصحاب الحديث عناية بما سمع وأحسنهم إتقانًا لما حفظ). اهـ

(١) إن كانت كلمة: (وبرأيك) غير مصحفة؛ فمراده: استوص بعقلك؛ لتعرف النافع من الضار. فالمراد: استوص بكتاب الله، وبفهمك له. وقد يكون بمعنى: اجعل رأيك تابعًا للسُّنة؛ كما قال مجاهد: (أفضل العبادة: حسن الرأي). قال ابن بطة في الإبانة الكبرى: (يعني: السُّنة).

بعضها على يقين ومن بعضها في شك، فقال: أما ما كنت منه على يقين فدعه، وما كنت منه في شك فهاته؛ فأخبرته بما يقولون من الإفراط؛ فقال عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ أتى النبي ﷺ فأخبره أن أمته ستفترق من بعده؛ فقال له: فما المخرج لهم من ذلك؟ فقال: كتاب الله جل ثناؤه- وساق الحديث المتقدم- الصراط المستقيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد الذي سمعته الجن ... الحديث، وتقدَّم[1].

٤٦٩- وعن نُعيْم بن نَمحة[2]؛ قال:

كان في خطبة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

اعلموا أنكم تغدون وتروحون في أجل قد غُيب عنكم علمه، فإن استطعتم أن يُنتقص الأجل وأنتم في عمل لله عَزَّ وَجَلَّ فافعلوا، ولن تنالوا ذلك إلا بالله، وإن أقوامًا جعلوا آجالهم لغيرهم، فنهاكم الله عَزَّ وَجَلَّ أن تكونوا أمثالهم؛ فقال: «نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ»، أين من تعرفون من إخوانكم؟! قد قدموا على ما قدَّموا في أيام سلفهم؛ فحلوا فيه بالشِّقوة والسعادة، أين الجبارون الأولون؟! أين الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط؟! قد صاروا تحت الصخور والآكام، هذا كتاب الله لا تفنى عجائبه؛ فاستضيئوا منه ليوم الظلمة، وانتصحوا كتاب الله وتبيانه؛ فإن

(١) تقدَّم برقم: (٥٢).

(٢) في الأصل: نعيم بن محمد. والصحيح ما أثبتناه، كما في المعجم الكبير للطبراني، وحلية الأولياء.

الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أثنى على زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأهل بيته؛ فقال: «إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ» [الأنبياء:٩٠] لا خير في كلام لا يُراد به وجه الله، ولا خير في مال لا يُنفق في سبيل الله، ولا خير فيمن يغلب جَهْلُه حِلْمَه، ولا خير فيمن تأخذه في الله لومة لائم[١].

❒ ❒ ❒

---

(١) رواه أبو داود في الزهد.

ورواه ابن أبي شيبة في المصنف، وهناد بن السَّري في الزهد، والحاكم في المستدرك، والبيهقي في شعب الإيمان كلهم من طريق عبدالله بن عُكيم، قال: (خطبنا أبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل، ثم قال: أوصيكم بتقوى الله، وأن تثنوا عليه بما هو له أهل، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة، فإن الله أثنى على زكريا وأهل بيته، فقال: (إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ)، ثم اعلموا عباد الله أن الله قد ارتهن بحقه أنفسكم وأخذ على ذلك مواثيقكم، واشترى منكم القليل الفاني بالكثير الباقي، وهذا كتاب الله فيكم لا يطفأ نوره، ولا تنقضي عجائبه؛ فاستضيئوا بنوره، وانتصحوا كتابه، واستضيئوا منه ليوم الظلمة، فإنه إنما خلقكم لعبادته، ووكل بكم كرامًا كاتبين يعلمون ما تفعلون، ثم اعلموا عباد الله أنكم تغدون وتروحون في أجل قد غُيب عنكم علمه، فإن استطعتم أن تنقضي الآجال، وأنتم في عمل الله فافعلوا، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله، فسابقوا في مهل آجالكم قبل أن تنقضي آجالكم فيردكم إلى سوء أعمالكم، فإن قومًا جعلوا آجالهم لغيرهم ونسوا أنفسهم، فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم، فالوحا الوحا، ثم النجا النجا، فإن وراءكم طالبًا حثيثًا أمرُهُ سريعٌ). اهـ

٦٦- باب: وصية النبي ﷺ أمته بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ

٤٧٠- عن طلحة بن مصرف؛ قال:

سألت عبدالله بن أبي أوفى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هل كان النبي ﷺ أوصى؟ قال: لا؛ فقلت: كيف كتب على الناس الوصية أو أمر بها؟ قال: أوصى بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ.

٤٧١- وفي لفظ آخر: لم يترك رسول الله ﷺ شيئًا يوصي فيه؛ قال: قلت: كيف أَمر الناس بالوصية ولم يوصِ؟ قال: أوصى بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنته؛ أن تتبع.

٤٧٢- وعن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال:

من سره أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه(١)؛ فليقرأ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾، إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[الأنعام:١٥١-١٥٣].

---

(١) وقد أوصى النبي ﷺ بكتاب الله تعالى في عِدَّةِ مواقف جليلة؛ منها ما كان في خطبة عرفات، ومنها ما كان في خطبته في غدير خم بين مكة والمدينة، ومنها ما كان عند موته ﷺ، وهذا يدل على أهمية كتاب الله عز وجل. فالقرآن حقًّا وصيَّة رسول الله ﷺ:

١- روى مسلم في صحيحه، عن جابرٍ في صفة حجة النبي ﷺ، أنه قال في خطبته في عرفات: (وقد تركت فيكم ما لن تضلُّوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله).

=

❐ ❐ ❐

٢- وروى الحاكم في مستدركه وصححه، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ خطب الناس في حجة الوداع، فقال: (إن الشيطان قد يئس أن يُعبد بأرضكم، ولكن رضي أن يُطاع فيما سوى ذلك مما تحاقرون من أعمالكم؛ فاحذروا، وإني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به، فلن تضلُّوا أبدًا: كتاب الله، وسنة نبيه ﷺ).

٣- وروى مسلم في صحيحه، عن زيد بن أرقم أن النبي ﷺ قال لهم في غدير خم: (وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما: كتاب الله؛ فيه الهدى والنور- وفي رواية: هو حبل الله؛ من اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على الضلالة- فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به)، قال: فحثَّ على كتاب الله، ورغَّب فيه).

٤- وروى ابن حبان في صحيحه، عن أبي ذر ، قال: قلت: يا رسول الله! أوصني، قال ﷺ: (أوصيك بتقوى الله؛ فإنه رأس الأمر كلِّه)، قلت: يا رسول الله! زدني، قال: (عليك بتلاوة القرآن، وذكر الله؛ فإنه نورٌ لك في الأرض وذخرٌ لك في السماء).

٦٧- باب: فيمن خالف ذلك، وتأول القرآن على هواه، ونبذه وراء ظهره بمخالفته، وترك التمسك به والعمل بما يقتضيه

٤٧٣- عن محمد بن كعب القرظي؛ قال:

حدثني من لا أتهم عن النبي ﷺ أنه قال: **«إن أخوف ما أتخوف عليكم بعدي ثلاث: ما يفتح عليكم من زهرة هذه الدنيا وزينتها، ورجال يتأولون القرآن على غير تأويله، وزلة عالم[1]»**.

---

(١) ينبغي التنبه إلى أن زلة العالم تختلف عن البدعة، فليستا سواء، وإن كان الواجب التنبيه على زلته والتحذير منها، وقد شبَّه الحكماء زلة العالم بانكسار السفينة، لأنها إذا غرقت غرق معها خلق كثير؛ وأشدُّ الناس فتنة العالم إذا زلَّ؛ لأن العالِم إذا زلَّ، زلَّ بزلته عالَم كثير.

- لكن العالم الذي زلَّ لا يُعامل معاملة المبتدع، لاسيما مع رجاء رجوع العالم عن زلته، وأيضًا لا تبلغ الزلة بنا إلى التحقير والتبديع والازدراء وترك أمره كله.

- وقد قال النبي ﷺ في شأن حاطب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- لما قيل: إنه منافق-: (لا تقل ذلك؛ فإنه شهد بدرًا). وذلك لأن الزَّلة من جنس المعصية، وقد قال سفيان الثوري: (البدعة أحبُّ إلى إبليس من المعصية).

- وقال معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (احذر زيغة الحكيم، ولا يثنينك ذلك عنه، فإن على الحق نورًا، ولعلَّه أن يراجع).

- وفي رواية عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: (وأخشى عليكم زلة عالم، فأما زلة العالم، فإن اهتدى فلا تقلدوه دينكم، وإن زلَّ، فلا تقطعوا منه إياسكم، فإن العالم يزل ثم يتوب).

- وقال قوّام السُّنة: (أخطأ ابن خزيمة في حديث الصورة ولا يطعن عليه بذلك؛ بل لا يؤخذ عنه هذا فحسب).

- وقال أحمد- كما في السُّنة للخلال-: (إخراج الناس من السُّنة شديد)، أي: لمن ثبت أنه منها.

=

ثم قال: «ألا أنبئكم بالمخرج من ذلك؟ إذا فتحت عليكم الدنيا؛ فاشكروا الله عَزَّوَجَلَّ، وخذوا بما تعرفون من التأويل وما شككتم فيه فردوه إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وانتظروا بالعالم فَيْئَتَهُ ولا تَلقَّفوا عنه عثرته»[1].

- ومن أراد أن يعرف الفَرق بين الزَّلة والبدعة؛ فلينظر إلى تعامل النبي ﷺ مع الأنصار ومع خالد بن الوليد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وتعامله مع ذي الخويصرة رأس الخوارج في قسمة غنائم حنين، قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الفوائد المستنبطة من قصة آدم وإبليس: (فإنه سبحانه لما أبدى له إبليس شبهته فعل به ما فعل، ولما عتب على الملائكة في قيلهم، أبدى لهم شيئًا من حكمته وتابوا- والثالثة ما فعل مع آدم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ-. وقد وقعت هذه الثلاث لرسول الله ﷺ في غزوته التي فتح الله فيها مكة، فإنه لما أعطى المؤلفة قلوبهم ووجدت عليه الأنصار عاتبهم واعتذروا؛ قَبِل عذرهم، وبيَّن لهم شيئًا من الحكمة. ولما قال له ذلك الرجل العابد: اعدل! قال له كلامًا غليظًا. واستأذنه بعض الصحابة في قتله ولم ينكر عليه، لكن ترك قتله لعذرٍ ذكره. ولما فعل خالد بن الوليد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ببني جذيمة ما فعل، ردَّ عليهم ما أخذ منهم ووداهم، ولا نعلم أنه عاتب خالدًا، ولا منعه ذلك من تأميره على الناس). اهـ

- وكذلك تعامله ﷺ مع رأس الخوارج، وتعامله مع الرجل الذي كان يُؤتى به وقد شرب الخمر، فهذا العابد الظاهر العبادة هو ومن اتبعه لما خالفوا سنة رسول الله ﷺ واستحلوا دماء من لم يوافقهم على بدعتهم؛ أمر النبي ﷺ بقتالهم، وذاك الشارب للخمر لما كان محبًا للرسول ﷺ ولسنته؛ نهى عن لعنه، وقال: (لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله).

- والعالم الذي يُحفظ قدره: هو صاحب الحديث والأثر؛ الذي لم يجترئ على الإحداث في الدين برأيه.

أما أهل الرأي فليسوا علماء؛ قال الأوزاعي: (إذا أراد الله أن يحرم عبده بركة العلم؛ ألقى على لسانه الأغاليط). والأغاليط لا تُعرف إلا عند أهل الرأي.

(١) رواه أبو داود في المراسيل، والبيهقي في السنن.

وأخرجه الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (٢/ ١٣) عن ابن عمر مرفوعًا، ثم قال الخطيب البغدادي: (قال أبو غسان مالك بن إسماعيل النهدي: قال لي بنو أبي شيبة: لو رَحَل رجلٌ في هذا الحديث إلى خراسان كان قليلًا). اهـ

=

٤٧٤- وعن أبي قلابة رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن رسول الله ﷺ قال:
«أول ما يرفع من الأرض: العلم». قالوا: يا رسول الله! يرفع القرآن؟ قال: **«لا، ولكن يموت من يعلمه، أو قال: من يعلم تأويله، ويبقى قوم يتأولونه على أهوائهم»**(١).

٤٧٥- وعن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ قال:
إنكم في زمان تحافظون على حدود القرآن، وتضيعون بعض حروفه، العمل فيه قائد للهوى، تطيلون الصلاة وتقصرون الخطبة، كثير معطوهم قليلٌ سُؤَّالهم، وإنه أوشك أن يأتي عليهم زمان؛ يحافظون على حروفه ويضيعون حدوده، الهوى فيه قائد للعمل، يطيلون الخطبة ويقصرون الصلاة، كثيرٌ سُؤَّالهم قليل معطوهم؛ قلت: متى ذلك(٢)؟ قال: إذا أماتوا الصلاة، وأضاعوا الأمانة، وشيدوا البناء، وأكلوا الربا، وأخذوا الرُّشا، وباعوا الدين بالدنيا؛ فقلت: ماذا تأمرني؟ قال: اخزن لسانك، وكف يدك، وكن حلسًا من أحلاس بيتك؛ فقلت: فإن لم أُترك؛ قال: فابذل مالك، وأحرز دينك؛ قلت: فإن لم أُترك؛ قال: فابذل دمك وأحرز دينك؛ فقلت: قتلتني ورب الكعبة؛ قال: هو والله ذاك، أو النار(٣).

- وفي الباب عن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ موقوفًا؛ رواه الدارمي، وصحَّ عن أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ رواه أحمد في الزهد، وصح كذلك عن سلمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وهي وصية معاذ عند موته.

(١) رواه الأصبهاني في الحجة، والهروي في ذم الكلام؛ وهو مرسل.

(٢) في الأصل: (وماذا أصنع؟)، وهو خطأ.

(٣) روى أكثره مالك بن أنس في الموطأ.

٤٧٦- وعنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ قال:

عليكم بالعلم قبل أن يقبض؛ وقبضه ذهاب أهله، وعليكم بالعلم، وإياكم والتنطع والتعمق، وعليكم بالعتيق فإنه سيجيء أقوام يتلون كتاب الله، ينبذونه وراء ظهورهم.

٤٧٧- ورواه من وجه آخر؛ وزاد:

إنكم ستجدون أقوامًا يزعمون أنهم يدعونكم إلى كتاب الله، وقد نبذوه وراء ظهورهم؛ فإياكم والتبدُّع.

والباقي بمثل ما تقدَّم.

❒ ❒ ❒

٦٨- باب: عقوبة من فعل ذلك وخالف ما أمر به

٤٧٨- عن جبير بن نفير؛ قال:

لما فُتحت (قبرص) وبِيع أهلها واقتُسموا، بكى بعضهم لبعض؛ قال: فرأيت أبا الدرداء قد تنحى؛ فجلس يبكي، فدنوتُ منه؛ فقلت: يا أبا الدرداء! ما يبكيك في يوم أعزَّ الله فيه الإسلام وأهله، وأذلَّ فيه الشرك وأهله؟! قال: يا ابن نفير! ما أهون الخلق على الله إذا هم تركوا أمره، بينا هي أمة ظاهرة لهم الملك تركوا أمر الله؛ فصاروا إلى ما ترى.

٤٧٩- عن أبي عيَّاش الشامي[1]؛ قال:

قال الله تعالى لأرميا بن حلقيا[2]: من قبل أن أخلقك اخترتك، ومن قبل أن أصورك في الرحم قدستك، ومن قبل أن أخرجك من بطن أمك طهرتك، ومن قبل أن تبلغ أشدك نبأتك، ولأمر عظيم اجتبيتك؛ قال أرميا: رب! إني ضعيف إلا ما قويتني، عاجز إن لم تبلغني، مخطئ إن لم تسددني، مخذول إن لم تنصرني، ذليل إن لم تعزني؛ فقال الله عَزَّوَجَلَّ: يا أرميا! ألم تعلم أن الأمر أمري، وأن الأمور تصدر عن مشيئتي، وأن الأمر

---

(١) وجاء في تاريخ دمشق: (عن أبي عبَّاس الشامي).

(٢) في البداية والنهاية (٢/ ٣٣): (إرميا بن حلقيا: من سبط لاوي بن يعقوب من أنبياء بني إسرائيل، ويقال: إنه الخضر؛ رواه الضحاك عن ابن عباس، وهو غريب وليس بصحيح). اهـ

والخلق كله لي، وأن القلوب والألسنة كلها لي وبيدي؛ أقلبها كيف شئت، فبعظمتي؛ إنه لا يعلم ما عندي غيري، ولا يتم إلا لي[١]، أنا الله الذي قامت السموات والارض وما فيهن بكلمتي، وأنا الله الذي ذلت بطاعتي خوفًا واعترافًا لأمري، ولن يصل إليك شيء معي، وإني باعثك إلى خلق من خلقي؛ لتبلغهم رسالتي، وتستحق بذلك مثل أجر من أطاعك منهم لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، فإن قصرت عنها استحققت بذلك مثل وزر من تَركتَ في عمايةٍ منهم، لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئًا، انطلق إلى قومك؛ فقم فيهم، ثم قل: إن الله تعالى ذَكَرَكم بصلاح آبائكم؛ فلذلك استبقاكم.

يا معشر أبناء الأنبياء ونسلهم! كيف وجد آباؤكم غِبَّ[٢] طاعتي، وكيف وجدتم غِبَّ معصيتي، هل علموا أن أحدًا أطاعني فشقي بطاعتي، أو أن أحدًا عصاني فسعد بمعصيتي، وإن الدواب إذا ذَكَرَت أوطانها الصالحة نزعت إليها، وإن هؤلاء القوم تركوا الأمر الذي أكرمتُ به آباءهم وابتغوا الكرامة من غير وجهها.

أما أحبارهم ورهبانهم؛ فاتخذوا عبادي خَوَلًا يتعبدونهم من دوني، ويحكمون فيهم بغير كتابي؛ فأجهلوهم أمري، وأنسوهم ذكري، وغروهم مني.

---

(١) وفي تاريخ دمشق: (ولا تتم القدرة إلا لي).

(٢) غِبُّ الأمرِ ومَغَبَّتُه: عاقبته وآخره. وغَبَّتِ الأمور: إذا صارت إلى أواخرها. (لسان العرب).

وأما ملوكهم وأمراؤهم؛ فبطروا نعمتي وأمنوا مكري، وبدلوا كتابي، ونسوا عهدي، وضيعوا أمري، حتى دان لهم العباد بالطاعة التى لا تنبغي لجبار غيري، وهم يحرفون بذلك كتابي، ويفترون من أجلي على رسلي؛ جرأة منهم عليَّ، وغِرَّة بي، وفرية عليَّ وعلى رسلي.

إلى أن قال: وأما قراؤهم وفقهاؤهم؛ فينقادون للملوك ويتابعونهم على البدع التي يبتدعونها في ديني، ويطيعونهم في معصيتي، ويوفون لهم بالعهود الناقضة لعهدي، فهم جهلة فيما يعلمون، أميون فيما يتلون، لا ينتفعون بشيء مما علموا من كتابي[1].

٤٨٠ - قال الشيخ الفقيه أبو الفتح نصر رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وذكر حديث بُختنصَّر إلى آخره، وما أصابهم (أي: اليهود) من العقوبة والذلة والقهر والغلبة، وكونهم أمة مستهانين إلى يوم القيامة، وذلك لما بدَّلوا ما بدَّلوا من كتاب الله وأوامره، ولِما ابتدعوه مما وافق أهواءهم وتابع آراءهم، فضَلّوا إلى آخر الأبد وشقوا وزال عنهم ما كانوا فيه ولم يسعدوا، ولولا أن الله عَزَّوَجَلَّ وعد نبينا محمدًا ﷺ أن لا يعذب أمته بما عذب به من تقدمهم؛ لكان أهل البدع على مثال ذلك منهم،

---

(١) انظره بطوله في تاريخ الطبري (١/ ٣٢٠). وتاريخ دمشق (٨/ ٣١).
- وفيه عبرةٌ لنا؛ لأن هذه الأمة تتبع سنن الأمم السابقة حذو القذة بالقذة، ولأن من فسد من أهل الدين والعلم مِنَّا؛ صار أشبه الناس بهم.

وملحقين بمثل ما نزل بهم، غير أن الله تعالى أكرم محمدًا ﷺ ووعده بالصفح عن مثل ذلك منهم، وجعل الساعة موعدهم، والساعة أدهى وأَمَرّ.

٤٨١- وعن الوَضِيْن بن عطاء؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«أبغض خلق الله إلى الله عَزَّوَجَلَّ السقارون وهم الكاذبون، والفتانون وهم المستكبرون، والذين يكنزون البغضاء لإخوانهم في صدورهم، وإذا لقوهم يحلفون لهم، والذين إذا دُعوا إلى الله ورسوله ﷺ كانوا بِطآء، ولو دعوا إلى الشيطان وأمره كانوا تُبَّاعًا، والذين لا يُشرِفُ لهم من طمع الدنيا إلا استحلوه بأيمانهم، وإن لم يكن لهم بذلك حق، والمشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة»[1].

❒ ❒ ❒

---

(١) رواه أبو الشيخ في التوبيخ، والخرائطي في مساوئ الأخلاق عن الوضين بن عطاء مختصرًا؛ ولفظه: (ثمانية أبغض خليقة الله إليه يوم القيامة: السقارون وهم الكذابون، والخيالون وهم المستكبرون، والذين يكنزون- وفي لفظ: يكثرون- البغضاء لإخوانهم في صدورهم، فإذا لقوهم تخلقوا لهم- وفي لفظ: تملقوا لهم- والذين إذا دعوا إلى الله ورسوله كانوا بطآء، وإذا دعوا إلى الشيطان وأمره كانوا سِراعًا، والذين لا يشرف لهم طمع من الدنيا إلا اسْتَحَلُّوهُ بأيمانهم وإن لم يكن لهم ذلك بحق، والمشاؤون بالنميمة، والمفرقون بين الأحبة، والباغون البراء الدَّحَضَة- أي: يبتغون الزلل للأبرياء-؛ أولئك يقذرهم الرحمن عَزَّوَجَلَّ)؛ والحديث مرسل، وفيه علل أخرى. والمعنى صحيح. والوضين بن عطاء من أتباع التابعين.

وقال العراقي: (لم أقف له على أصل). وفُسر (السقارون): بأنهم نشءٌ يكون في آخر الزمان تحيتهم إذا التقوا التلاعن. وإلى ذلك التفسير يميل أهل اللغة.

٦٩- باب: ذكر من وافق القرآن ولم يخالفه

٤٨٢- عن عبدالله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«القرآن شافع مشفَّع، وماحِلٌ مُصدَّق، من جعله أمامه؛ قاده إلى الجنة، ومن جعله وراءه؛ ساقه إلى النار»(١).

٤٨٣- ومثله من حديث جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ(٢).

٤٨٤- عن واصل، عن إبراهيم؛ قال:

قالت امرأة لعيسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: طوبى لبطنٍ حملك، وثديٍ أرضعك؛ قال: بل طوبى لمن قرأ القرآن، ثم اتبع ما فيه.

٤٨٥- وعن معاذ بن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ قال: قال النبي ﷺ:

«من قرأ القرآن فأكمله وعمل بما فيه، ألبس والده تاجًا ضوؤه أحسن من ضوء الشمس»(٣).

❐ ❐ ❐

---

(١) رواه الطبراني في الكبير، والبيهقي في الشعب، والصحيح أنه موقوف، وانظر الأثر رقم: (٧٧).

(٢) رواه ابن حبان، والبيهقي في الشعب.

(٣) رواه أحمد في مسنده؛ وفيه ابن لهيعة، وزَبَّانُ بن فائد؛ كلاهما ضعيف الحديث.

٧٠- باب: في فضل متابعة القرآن وإثم مخالفته وغير ذلك

٤٨٦- عن عمرو بن شعيب عن أبيه، عن جده؛ قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يُمَثَّلُ القرآن يوم القيامة رجلًا؛ فيؤتى بالرجل كان يضيع فرائضه، ويتعدى حدوده، ويركب معاصيه، ويخالف طاعته؛ فيتمثل له خصمًا، فيقول: أي رب! حَمَّلته إياي فشَرُّ حامل ضيع فرائضي، وتعدى حدودي، وركب معصيتي، وخالف طاعتي، فما زال يقذف عليه بالحُجَجِ، حتى يقال له: فشأنك به، فيأخذ بيده، فما يزال به حتى يكبه على منخره في النار؛ قال: ثم يؤتى بالرجل قد حفظ فرائضه، وأتقن حدوده، وترك معصيته؛ فيتمثل له خصمًا دونه، فيقول: أي رب! حَمَّلته إياي فخير حامل حفظ فرائضي، وعمل بحدودي، وركب طاعتي؛ فما زال يقذف بالحجج، حتى يقال له: خذ بيده، فلا يفارقه حتى يكسوه حلَّة الإستبرق، ويضع عليه تاج المُلك**»[1].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، والبزار في مسنده، وفيه محمد بن إسحاق؛ وهو ثقة لكنه مدلس. وبقية رجاله ثقات.

- والعبرة هنا في متابعة القرآن والعمل به والانتهاء عند حدوده، وليست العبرة في مجرد الحفظ مع تضييع الفرائض وتعدي الحدود وركوب المعاصي ومخالفة الطاعة.

- قال ابن عباس: (تكفَّل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة، ثم قرأ هذه الآية: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾).

٤٨٧- قال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

يا معشر القراء! اتقوا الله، وخذوا طريق من كان قبلكم؛ والله لئن استقمتم لقد سَبقتم سبقًا بعيدًا، ولئن تركتموه يمينًا أو شمالًا لقد ضللتم ضلالًا بعيدًا. وتقدَّم.

٤٨٨- وعن زيد بن خالد الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال:

تلقفت هذه الخطبة من فيِّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمعته يقول:

«أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأوثق العُرى كلمة التقوى، وخير الملل ملة إبراهيم، وخير السنن سنة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وأشرف الحديث ذكر الله، وأحسن القصص هذا القرآن، وخير الأمور عزائمها، وشر الأمور محدثاتها، وأحسن الهدي هدي الأنبياء** عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، **وأشرف الموت قتلُ الشهداء، وأعمى الضلالة ضلالةٌ بعد الهدى، وخير العلم ما نفع، وخير الهدى ما اتُّبِعَ، وشر العمى عمى القلب، واليد العليا خير من اليد السفلى، وما قَلَّ وكفى خير مما أكثر وألهى، وشر المعذرة عند حضرة الموت، وشر الندامة ندامة يوم القيامة، ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلا دُبرًا، ومنهم من لا يذكر الله تعالى- يعني: إلا هُجْرًا- وأعظم الخطايا اللسان الكذوب، وخير الغنى غنى النفس، وخير الزاد التقوى، ورأس الحكمة مخافة الله، وخير ما ألقي في القلوب اليقين. والارتياب من الكفر، والنياحة من عمل الجاهلية، وَالْغُلُول مِنْ جَمْرِ جهنم، والسكر من النار، والشِّعر من أمر إبليس، والخمر جماع الإثم، والنساء حبائل الشيطان، والشباب شُعْبَةٌ من الجنون، وشر الكسب كسب الربا، وشر المأكل أكل**

مال اليتامى، والسعيد من وعظ بغيره، والشقي من شقى في بطنه أمه، وإنما يصير أحدكم إلى موضع أربعة أذرع، والأمر إلى آخره، وملاك الأمر خواتمه، وشر الرّوَايَا رَوَايَا الكذب، وكل ما هو آتٍ قريب، وسباب المؤمن فسوق، وقتاله كفر، وأكل لحمه من معصية الله، وحرمة ماله كحرمة دمه، ومن يَتَأَلَّ على الله يُكَذِّبْهُ، ومن يغفر يغفر الله له، ومن يعف يعف الله عنه، ومن يتبع السُّمْعَةَ يُسَمِّع اللهُ به، ومن يكظم الغيظ يأجره الله، ومن يصبر عن الرذيلة يعوضه الله، ومن يصم يضاعفه الله، ومن يعص الله يعذبه، اللهم اغفر لأمتي - ثلاث مرات - وأستغفر الله لي ولكم»[1].

٤٨٩- وقال عطاء بن مسلم لمحمد بن واسع:

أي عمل في الدنيا أفضل؟ قال: محبة الأصحاب، ومحادثة الإخوان إذا اصطحبوا على البرِّ والتقوى، فحينئذ يذهب الخلاف من بينهم فوصلوا به وتواصلوا، ولا خير في محبة الأصحاب، ومحادثة الإخوان إذا كانوا عبيد بطونهم؛ لأنهم إذا كانوا كذلك ثَبَّطَ بعضهم بعضًا عن الآخرة، فكلما ذكروا الله تعالى بخير؛ ذكرهم منه بلعنة.

---

(١) رواه الرافعي في التدوين، والقضاعي في مسند الشهاب، ولا يصح مرفوعًا؛ في إسناده: عبدالله ابن مصعب، قال الذهبي: (رفع خطبة منكرة، وفيه جهالة).
والصحيح أنه موقوف - كما في الروايات الأخرى - على ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان يُذكِّر بهذه الخطبة عشية كل خميس؛ كما في الحلية وغيرها.
وهي خطبة عظيمة، وبعض ما جاء فيها قد ثبت عن النبي ﷺ.

قال عطاء: يا أبا عبدالله! بينا أنا قائم أصلي، وأنا يومئذ غـلام إذا أنـا برجل على فرس؛ فقـال: يـا غـلام! عليـك بـالبر والتقـوى؛ فـإن الـبرَّ والتقوى يهديان إلى الإيمان، وإيـاك والكـذب والفجـور؛ فـإن الكـذب والفجور يهديان إلى النار، ثم قال: يا ابن أخي! اصحب أولياء الله تعالى؛ فقلت: بأي شيء أعـرف أوليـاء الله تعـالى؟ فقـال: إن أوليـاء الله عَزَّوَجَلَّ؛ العقلاء الحـذرون المـسارعون في رضـوان الله، المراقبـون لله عَزَّوَجَلَّ، فـإذا رأيت أهل هذه الصفة؛ فاقترب مـنهم فهـم أوليـاء الله؛ فقلـت: كيـف أعرف أهل النفاق والكذب والفجور؟ فقـال: أولئـك قـوم إذا رأيـتَهم يأباهم قلبك، ولا يقبلهم عقلك، وإذا سمعتَ كلامهم سـمعت كلامًـا حلوًا لذيذًا لا منفعة له، وإياك أن تصحب أهل الخـلاف؛ فقلـت: ومـا أهل الخلاف؟ قال: المفارقون للسنة والكتـاب؛ أولئـك عبيـد أهـوائهم تـراهم مـصطحبين، وقلـوبهم يلعـن بعـضها بعـضًا؛ فاحـذر هـؤلاء واجتنبهم، وعليك بالصلاة، والعفة عن محارم الله عَزَّوَجَلَّ، وتقـرب إلى الله بالنوافل؛ فإنك إذا كنت كذلك كنتَ شاكرًا عالمًا؛ قال: ثم التفتُّ، فلـم أر أحدًا.

٤٩٠- وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ:

الأشياء ثلاثة: دال ودليل ومدلول؛ فأما الدال: فهو الله تعالى، وأمـا الدليل: فهو القرآن، وأما المدلول: فابن آدم، فمن أولى بحسن الخلق من قارئ القرآن، ومن أولى بالنَّصَفَة من نفسه من قارئ القـرآن، ومـن أولى ببرِّ الوالدين من قارئ القرآن، ومن أولى بأداء الفرائض كلها مـن قـارئ

القرآن؟ لأن الدليل معه، فإن قُبل منه لم يخطئه بـاب الجنـة ويوشـك ألا يفعــل؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ يقــول: «قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ » [النـور:٣٠] وقال هذا: أريد أنظر إلى هذا أزدري به، وأنظر إلى هذا أستعظمه، وأنظر إلى محارم المسلمين فأتلذذ بالنظر، فإذا فعل؛ فقد عصى الدليل، وهو كلام الله عَزَّوَجَلَّ وهو غير مخلوق.

٤٩١- وقال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لم يزل لله تعالى نُصَّاحًا من خلقه في أرضه، يَعرضون أعمال العباد على القرآن، فبالقرآن يعرفون هُدى من اهتدى، وضلالة مـن ضـل؛ أولئـك خلفاء الله عَزَّوَجَلَّ في أرضه.

❐ ❐ ❐

٧١- باب: وجوب التمسك بالكتاب والسُّنة والعمل بهما[(١)]

٤٩٢- قال عمر بن الخطاب لابنه عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

إذا قام الخليفة من بعدي فأتهِ؛ فقل: إن عمر يقرئك السَّلام، ويوصيك بتقوى الله، والأخذ بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة نبيه ﷺ.

٤٩٣- وعن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال:

كنت عند رسول الله ﷺ جالسًا، إذ أتاه أبو بكر مثل الليث، فناجاه رسول الله ﷺ بما لا أدري؛ فأعظمتُ ذلك، وتخوفتُ أن يكون رسول

---

(١) روى الدارمي في سننه (٢١٨) عن الحسن البصري، أنه ذكر الغني المترف؛ وأنه كالسلطان يأخذ المال ويدعي أنه لا عقاب فيه، وذكر المبتدع الضال، الذي خرج على المسلمين، وتأول ما أنزل الله في الكفار على المسلمين، ثم قال: (سنتكم، والله الذي لا إله إلا هو بينها: بين الغالي والجافي، والمترف والجاهل؛ فاصبروا عليها، فإن أهل السُّنة كانوا أقل الناس فيما مضى، وهم أقل الناس فيما بقي؛ الذين لم يأخذوا مع أهل الإتراف في إترافهم، ولا مع أهل البدع في بدعهم، وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم. فكذلك فكونوا إن شاء الله). وقال: (والله لو أن رجلًا أدرك هذه المنكرات، يقول هذا: هلم إليَّ! ويقول هذا: هلم إليَّ! فيقول: لا أريد إلا سنة محمد ﷺ، يطلبها ويسأل عنها، إن هذا له أجر عظيم. فكذلك فكونوا إن شاء الله).

- وفي كتاب الزهد للإمام أحمد، قال مورق العجلي: (المتمسك بطاعة الله إذا جنبَ- وفي لفظ: جَبُن، وفي لفظ: جبَّب- الناس عنها، كالكار بعد الفار).

- قال ابن الأثير في النهاية: (أي: إذا ترك النّاسُ الطاعات ورَغِبوا عنها. يقال: جبَّب الرجُل: إذا مشى مُسْرعًا فارًّا من الشيء). والمعنى: أن المتمسك بالكتاب والسُّنة له ثواب كثواب الكار في الغزو، بعد أن فرَّ الناس عنه.

الله ﷺ قد اتهمني على سِرِّه، ثم عزَّيت نفسي بفضل أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ثم أرسل إلى عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فأتاه، فناجاه بما لا أدري؛ فازددت حزنًا، ثم أرسل إلى عثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فأتاه، فناجاه دوني؛ فانقلبت مكروبًا، وقلتُ: ما ناجاهم رسول الله ﷺ إلا تهمة لي؛ فبِتُّ على ذلك حزينًا مهمومًا، ثم غدوتُ على رسول الله ﷺ حين أصبحت، يعرف بوجهي المجانبة؛ فقال: **«ما شأنك يا ابن مسعود؟!»**.

فقلت: بتُ مهمومًا يا رسول الله! من مناجاتك ثلاثة من أصحابك دوني؛ فتخوفتُ أن تكون اتهمتني على سرِّك؛ فقال رسول الله ﷺ:

«إني أرسلت إلى أبي بكر؛ فقلت له: كيف أنت إن وليت أمر أمتي من بعدي؟ قال: إذًا أعمل بكتاب الله وسنتك يا رسول الله! وأجتهد؛ فصدق أبو بكر، ثم أرسلت إلى عمر؛ فقلت له: كيف أنت إن وليت أمر أمتي من بعدي؟ فقال: إذًا أعمل بكتاب الله وسنتك يا رسول الله! وأجتهد وأشتد؛ فصدق عمر، ثم أرسلت إلى عثمان؛ فقلت له: كيف أنت إن وليت أمر أمتي من بعدي؟ فقال: إذًا أعمل بكتاب الله وسنتك يا رسول الله! وأجتهد، ووالله إني لضعيف؛ وصدق عثمان»[1].

(١) لم أجده فيما وقفت عليه.

٤٩٤- وقال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

قلت: يا رسول الله! بيِّن لي الشبهات من الضلالة حين الفتن؛ فقال رسول الله ﷺ: **«نعم يا حذيفة! إن الفتنة إذا أقبلت شبّهت، وإذا أدبرت أسفرت، لها موج كموج البحور، وركام كركام السحاب، وإعصار كإعصار الريح؛ فاعتصم عند الفتنة بالكتاب والسُّنة، والزم رحلك، وابكِ على خطيئتك، وكف لسانك ويدك حتى تلقاني على الحوض؛ فإن لم تفعل لم ترد حوضي.**

يا حذيفة! إنها ستكون بعدي ملوك وجبابرة، يتكادمون على الدنيا تكادم الحُمُر حتى يَنْقُضُون الكتاب، ويعذبون أمتي، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل، ويعطلون فيها الجهاد، ويسعون في الأرض فسادًا، ويقتلون على ذلك البريء، ويستهزئون بالمؤمن، ويظلمون اليتيم والأرملة حقهما، ويمنعون ما أوجب الله لهذه الأمة من الفيء.

يا حذيفة! فإن أدركتهم؛ فتمسك بالكتاب وسنة نبيك، وكن حِلسًا من أحلاس بيتك، وإياك أن تشايعهم[1]؛ فتكون لهم تبعًا أو قاضيًا أو أميرًا أو جابيًا أو عريفًا أو أمينًا أو شُرَطيًا أو رسولًا أو تاجرًا أو خليطًا في شيء من أمورهم، أو تصحبهم في سفر، أو ترشدهم إلى الطريق، أو تعيرهم شيئًا من متاع بيتك، أو تساكنهم ببلد، أو تقرأ عليهم القرآن، أو

(١) هكذا في الأصل. وفي لفظ: (تعينهم).

تحدثهم بحديث؛ فإنك يا حذيفة! إذا وضعت الحكمة في غير موضعها؛ لعنك الله بكل حرف عشر لعنات، ولعنهم معك ألف لعنة، وإياك وعون الظالمين، لا تُلِقْ لهم دواة، ولا تبري لهم قلمًا، وإياك وأمرٌ بالباطل لتدحض به حقًّا، أو تحق به الباطل؛ فترد معهم مواردهم.

يا حذيفة! عند ذلك تنقض عرى الإسلام، وتظهر المثلات.

يا حذيفة! ما تلقى أمتي من بعدي من الحرمان والقتل والتشريد والمثلات، حتى تصير أمتي أحزابًا وأشياعًا، حتى تباغض قلوبهم وتلاعن ألسنتهم؛ فيشهد بعضهم على بعض بالبراءة، ويستحل بعضهم دماء بعض؛ فالنجاة! النجاة!

يا حذيفة! لمن أدرك ذلك الزمان فليكن حلسًا من أحلاس بيته، وليلزم عبادته، وهمه[1] نفسه أن ينجيها؛ فإن الله تعالى ألبس بني إسرائيل بعد أنبيائهم ذلًا؛ بنقضهم الميثاق وتركهم العمل، فصاروا أحزابًا مضروبين بالذلة حيث كانوا؛ فقلت له: بأبي وأمي؛ أفيصيب ذلك أمتك؟! فقال: يا حذيفة! إذا ظهرت الرشوة في الحكم، وبيع الحكم بالمال، وكانت إمرة الصبيان، ودولة السفهاء، وقضاة الإماء، ومشورة الفسقة، وصار القضاء بالهوى، والقتل بالظن، والفرح تلذذًا.

---

(١) في الأصل: (ولتكن عبادته وهواه نفسه أن ينجيها).

يا حذيفة! المؤمن في ذلك الزمان ينبغي له أن يتخذ سَرَبًا ويخفي العمل؛ فقلت له: بأبي وأمي، ما عُدَّة المؤمن في ذلك الزمان؟ قال: صلاة الخمس والصيام والحج والعمرة والجهاد، وغضٌ وصممٌ عن الهوى، وكف الألسن والأيدي والأرجل، ولا تَسر في أمر، ولا يهوى قلبك شيئًا من أمورهم؛ فترد يوم القيامة مواردهم.

يا حذيفة! إن نفسًا تنجيها من الفتنة؛ خير من عبادة ألف سنة.

يا حذيفة! الهجرة مَن هجر ما حرم الله، وما نهى الله عنه.

يا حذيفة! اعرِض على قلبك الخير والشر؛ فإنك ستعرفه بقلبك، إنما هلكت بنو إسرائيل حين ضيعوا الحق، واتبعوا أهواءهم بالباطل؛ فضلوا وأضلوا كثيرًا، إن الحق يهدي إلى الهدى، والهدى يهدي إلى أمر الله، وأمر الله يهدي إلى الجنة، والهوى يهدي إلى الباطل، والباطل يهدي إلى ترك الحق، وترك الحق يهدي إلى البدع، والبدع تهدي إلى ترك السنن، وترك السنن يهدي إلى ترك أمر الله، وترك أمر الله يهدي إلى النار، والاعتصام بحبل الله؛ دركٌ لخير الدنيا والآخرة.

يا حذيفة! إنه يكون في نتج الزمان[1] سنون خوادع؛ يخدع فيهن المرء عن دينه، حتى تنطق الرويبضة في أمر العامة، وتُشرك القبيلة العظيمة، وتترك الكتاب والسُّنة.

---

(١) النِّتَاج: هو في الأصل للبهائم وما تولد منها؛ يقال: (نِتاج السائمة).
والمقصود بيان ما يحدث في آخر الزمان، وما يكون فيه من الفتن، يشبهه قول القائل:

يا حذيفة! اتخذ القرآن في الفتن شعارًا، والدعاء دثارًا وسلاحًا لترد به أمواج البلاء.

يا حذيفة! اتخذ الصلاة بالليل والنهار عُدَّةً للفتن، واتخذ الصيام جُنَّةً، والصدقة ذخرًا؛ فإن النائم في الفتنة أفضل من المتنبه، والأصم أفضل من السميع، والأخرس أفضل من المتكلم، والأعمى أفضل من البصير، والقاعد أفضل من القائم، والقائم أفضل من الماشي، والماشي أفضل من الساعي، والساعي فيها إلى النار»[1].

❐ ❐ ❐

والليالي من الزمان حُبالى   مثقلات يلدن كل عجيبة

(١) لم أجد من رواه بهذا السِّياق كاملًا، وكل فقرة منه قد جاءت في أحاديث أُخَر: منها المرفوع، ومنها الموقوف.

٧٢- باب: عقوبة من خالف الكتاب والسُّنة[١]

٤٩٥- عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«طبقات أمتي خمس طبقات: فطبقتي طبقة أصحابي أهل الوحي والتنزيل، والذين يلونهم من طبقات الثانية أهل العلم والإيمان، والذين يلونهم من طبقات الثالثة أهل البر والتقوى، والذين يلونهم من طبقات الرابعة أهل التزهد والتعبد، والذين يلونهم من طبقات الخامسة أهل التواصل والتراحم، ثم انقلبت الطبقات واختلفت، وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس، فَحَلَّ مكان الوحي والتنزيل؛ الضلالة والتبديل، وحَلَّ مكان العلم والإيمان؛ التجاهل والطغيان، وحَلَّ مكان البر والتقوى؛ المعاصي والأهواء، وحَلَّ مكان التزهد والتعبد؛ التكايد والتحاسد، وحَلَّ مكان التواصل والتراحم؛ التقاطع والتدابر، ثم صارت الدنيا هرجًا ومرجًا، وكان الباطل عندهم حقًّا، وكانت الضلالة عندهم هدى، وكان الجهل عندهم علمًا، وكانت المعصية عندهم طاعة، وكان الرأي عندهم دينًا؛ فتركوا كتاب الله وسنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ يعملون على آراء مضلة، وأهواء مهلكة، يأكلون الربا أكلًا لمًّا، ويشربون الخمور

(١) تقدَّم التنبيه على التكرار الشديد في بعض أبواب الكتاب، ولو أنها جُمعت في سياقٍ واحد، لكان أحسن، فلا يغفلن أحدٌ عن هذا من شأنه.

ظاهرًا، والزنا واللواط عندهم مباحًا، اكتفت النساء بالنساء والرجال الرجال، فعند ذلك يغضب الله؛ فيدمرهم ولا يبالي في أي وادٍ يهلكون»[1].

٤٩٦- وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«القرآن شافع مشفَّع، ومَاحِل مُصَدَّق، من شفع له القرآن نجا، ومن يحاربه القرآن يوم القيامة؛ كَبَّهُ الله في النار على وجهه»[2]. وتقدَّم بعضه.

❒ ❒ ❒

---

(١) رواه ابن ماجه مختصرًا، ورواه الديلمي في الفردوس، وإسناده ضعيف؛ قال أبو حاتم: (هذا الحديث باطل)، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات، وقال: (لا أصل له). اهـ
والمعنى مقارب؛ جاءت بعض فقراته في أحاديث صحاح.

(٢) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن، والمروزي في مختصر قيام الليل.

٧٣- باب: فضل من تمسك بهما

٤٩٧- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«خَلَّفْتُ فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يَفْتَرِقَا حتى يَرِدَا عَلَيَّ الحوض»[١].

٤٩٨- وقال إبراهيم بن أدهم: (عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ قالت)[٢] قال رسول الله ﷺ:

«سيكون فيكم السَّكْرَتَان: حبُّ الدنيا وحبُّ العيش، فالمتمسك يومئذ بالقرآن والسُّنة، كالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار»[٣].

---

(١) رواه مالك في الموطأ بلاغًا- دون الزيادة الأخيرة- ووصله الدارقطني في سننه، والحاكم في مستدركه، واللالكائي في السُّنة، والبيهقي في سننه.
- قال ابن عبدالبر في التمهيد (٢٤/ ٣٣٠): (هذا حديثٌ محفوظٌ معروفٌ مشهورٌ عن النبي ﷺ عند أهل العلم شهرة يكاد يستغنى بها عن الإسناد)، ثم ذكر له شواهد.
- وقال الخطيب البغدادي بعدما ذكر هذا الحديث في كتابه: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/ ١١١): (بحسب المرء أن يشتغل في هذا الزمان بسماع السُّنن وطلب الحديث). اهـ
- ومن تأمل هذا الحديث يجد أن النبي ﷺ قد جعل النجاة من الضلالة في التمسك بهذين الشيئين فقط لا ثالث لهما، ومن اعتمد على رأيه أو فكره أو هواه؛ فقد زاد لهما ثالثًا ورابعًا وخامسًا... وهذا هو عين الضلالة.

(٢) ما بين القوسين ليست في الأصل؛ وزدناها من حلية الأولياء لأبي نعيم، وعادة المختصِر أن يذكر الصحابي.

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية؛ وله شواهد.

٤٩٩- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال:

«ما من قوم يجتمعون في بيت من بيوت الله، يتعلمون كتاب الله وسنة نبيهم ﷺ إلا حفت بهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله فيمن عنده، وما من رجل سلك طريقًا يلتمس به العلم، إلا سلك به طريقًا إلى الجنة، ومن يبطئ به عمله لا يسرع به نسبه»(١).

٥٠٠- وقال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى(٢):

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [البقرة:١٢٩].

الكتاب: القرآن.

والحكمة: السُّنَّة.

❐ ❐ ❐

---

(١) رواه أحمد، ومسلم؛ بألفاظ مختلفة، وقوله: (وسنة نبيهم ﷺ) لم أجدها فيما وقفت عليه من كتب التخريج.

(٢) قمنا بتكملة الأثر- بذكر الآية- من المصادر كما عند اللالكائي في السُّنة. وقد صحَّ هذا التفسير عن قتادة، وابن جريج أيضًا.

٧٤- باب: كون العلم في الكتاب السُّنة دون غيرهما من المحدثات، والأمر باتباعهما

٥٠١- عن عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال:

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«العلم ثلاثة فما سوى ذلك فضل: آية محكمة، أو سُنَّة قائمة، أو فريضة عادلة»**، وتقدَّم[1].

٥٠٢- وعن أبي المَليح الهُذَلي؛ قال:

كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

أما بعد؛ فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة، فافهم إذا أُدلي عليك؛ فإنه لا ينفع تَكلُّمٌ بحق لا نفاذ له، وآسِ بين الناس في وجهك ومجلسك وعدلك، حتى لا ييأس الضعيف من عدلك، ولا يطمع الشريف في حيفك، البيِّنة على من ادعى، واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين الناس إلا صلحًا أحل حرامًا أوحرم حلالًا، ولا يمنعك قضاء قضيته (بالأمس) راجعت فيه نفسك، وهديت فيه لرشدك أن تراجع الحق[2]؛ فإن الحقَّ قديم، ومراجعة الحق خير من التمادي في

(١) رواه أبو داود، وابن ماجه، والبيهقي.

(٢) وهذا هو الفارق بين أهل الحديث وأهل الرأي. فأهل السُّنة والحديث متى ما ظهرت لهم السُّنة أخذوها وعملوا بها، سواء في القضاء أو في الفتوى أو غيرهما، ولا يركبهم العناد في =

مخالفتها. أما أهل الرأي فإنهم يجددون لأنفسهم الدين في كل يوم؛ لأن دينهم قائم على: (أرأيت! أرأيت!):

- قال أبو سفيان المستملي: (سألت أحمد عن مسألة؛ فأجابني فيها؛ فلما كان بعد مدة سألته عن تلك المسألة بعينها؛ فأجابني بجواب خلاف الجواب الأول؛ فقلت له: أنت مثل أبي حنيفة الذي كان يقول في المسألة الأقاويل! فتغير وجهه، وقال: يا موسى! ليس لنا مَثَل أبي حنيفة- أي: لأنه مثل السَّوء- أبو حنيفة كان يقول بالرأي، وأنا أنظر في الحديث، فإذا رأيت ما هو أحسن، أو أقوى أخذت به، وتركت القول الأول). المسودة لآل تيمية (ص٤٧٠).

- أما أبو حنيفة فكان يقول في المسألة الواحدة في المجلس الواحد بخمسة أقاويل؛ قال حفص ابن غياث: (كنت أجلس إلى أبي حنيفة، فأسمعه يُسأل عن مسألة في اليوم الواحد؛ فيفتي فيها بخمسة أقاويل، فلما رأيت ذلك تركته، وأقبلت على الحديث).

- وقال بشر بن السري: (سمعت أبا عوانة، يقول: كنت جالسًا عند أبي حنيفة، فأتاه رسولٌ من قِبَل السُّلطان، فقال: يقول الأمير: رجل سرق وَدِيًّا فما ترى؟ فقال غير متتعتع: إن كانت قيمته عشرة دراهم؛ فاقطعوه. فذهب الرجل، فقلت لأبي حنيفة: ألا تتقي الله! حدثني يحيى ابن سعيد، عن محمد بن يحيى بن حبان، عن رافع بن خديج أن رسول الله ﷺ قال: (لا قطع في ثَمَرٍ ولا كَثْرٍ)، أدرِك الرجل؛ فإنه يقطع، فقال غير متتعتع: ذاك حكم قد مضى، فانتهى، وقد قطع الرجل). وفي لفظ، قال: (دعه! فقد جرت به البِغال الشُّهْب، قال أبو عاصم- أحد الرواة- أخاف أن تكون إنما جرت بلحمه ودمه). اهـ

- وصدق عبدالرحمن بن مهدي؛ فيما رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٩/ ١١) عن عبدالرحمن ابن عمر، قال: (سمعت عبد الرحمن بن مهدي، وذكر أبا حنيفة؛ فقال: (لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ)).

- وبعد هذا، فإذا أردت أن تعرف الفرق بين أهل السُّنة وأهل الرأي والهوى، فتأمل ما سبق ثم انظر إلى هذا الأثر:

روى أبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ٣٢٤) عن عمرو بن يزيد- شيخ من أهل مصر- صديقٌ لمالك بن أنس، قال: قلت لمالك: يا أبا عبدالله! يأتيك ناس من بلدان شتى قد أنضوا مطاياهم وأنفقوا نفقاتهم، يسألونك عما جعل الله عندك من العلم، تقول: لا أدري! فقال: يا عبدالله! يأتيني الشَّامي من شامه والعراقي من عراقه والمصري من مصره، فيسألونني عن الشيء لعلي أن يبدو لي فيه غير ما أجيب به، فأين أجدهم؟).

الباطل، الفهم الفهم فيما يختلج في صدرك مما لم يبلغك في الكتاب والسُّنة، اعرف الأمثال والأشباه، ثم قِس الأمور عند ذلك، فاعمد إلى أحبها إلى الله تعالى وأشبهها بالحق فيما ترى، اجعل للمدعي أمدًا ينتهي إليه، فإن أحضر بينته أخذ بحقه، وإلا وجهتَ القضاء عليه؛ فإن ذلك أجلى للعمى، وأبلغ في العذر، المسلمون عدول بعضهم على بعض، إلا مجلود في حدٍّ، أو مجرَّب في شهادة زور، أو ظَنِين[1] في ولاء أو قرابة، إن الله تعالى تولى منكم السرائر، ودرأ عنكم بالبينات، وإياك والقلق والضجر، والتأذي بالناس، والتنكر للخصوم في مواطن الحق الذي يوجب الله تعالى بها الأجر، ويحسن بها الذخر؛ فإنه من يصلح نيته فيما بينه وبين الله ولو على نفسه؛ يكفه الله تعالى ما بينه وبين الناس، ومن تزين للناس بما يعلم الله منه غير ذلك؛ يَشِنْهُ الله عَزَّوَجَلَّ، فما ظنك بثواب ذلك عند الله تعالى في عاجل رزقه، وخزائن رحمته. والسَّلام.

---

(١) الظَنِين- بالطاء والظاء- هو: المتهم في دينه؛ قاله صاحب النهاية (٣ / ١٦٣).
وفي لسان العرب: (الظنين: المتهم الذي تُظن به التهمة. وقوله تعالى: (وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ) أي: بمُتَّهم). وقيل: العدو الخصم.
- وفي غريب الحديث لأبي عبيد (١/ ٢٩٠) قال: (الظنين في الولاء والقرابة: الذي يتهم بالدعاوة إلى غير أبيه، أو المتولي غير مواليه).
وقال ابن شهاب الزهري: (مضت السُّنة فى الإسلام، أن لا تجوز شهادة خصم ولا ظنين).

٥٠٣- وعن أبي فِراس- رجل من أسلم- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أن رسول الله ﷺ قال: **«سلوني عما شئتم»**، فقال رجل: مَنْ أبي يا رسول الله؟! قال: **«أبوك الذي تُدْعَى إليه»** قال: وسأله آخر: أفي الجنة أنا أم في النار؟ فقال: **«في النار»**. فقام عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: رضينا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا؛ فقال رسول الله ﷺ: **«إياكم والبدع، والذي نفس محمد بيده، لا يبتدع رجل في الإسلام شيئًا ليس في كتاب الله المنزل، إلا ما خَلَّفَ خير له من ابتداعه[1]، إن أملك الأعمال خواتيمها، وإنكم مرجوعون إلى الله في قبوركم[2]، ومن يشاق يشق الله عليه؛ فدعوني ما وَدَعْتُكُمْ، فإنما هلكت الأمم باختلافهم على أنبيائهم»**. قال: فبادر رجل يسمع القول؛ فقال: يا رسول الله! ما الإسلام؟ قال: **«الإيمان بالله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة»** قال: فما الإيمان؟ قال: **«الإخلاص»**، قال: فما اليقين؟ قال: **«التصديق بالقيامة»**، قال: فمتى الساعة؟ قال: **«ما المسئول عنها بأعلم من السائل، ولكن لها أعلام إذا رأيت رِعاء الشاء يتطاولون في البنيان، وإذا الحفاة العراة كانوا ملوكًا»**، قال: من هم يا رسول الله؟! قال: **«العرب»**. (قال): **«وإذا ولدت الأَمَةُ أربابها»**. ثم قال: **«أين السائل؟»**، قال: فكُلٌّ يقول: ما هو في

---

(١) وفي الإبانة لابن بطة (١٦٢) قال: (والذي نفسي بيده لا يبتدع رجل شيئًا ليس في سنتي، ولا في سنة أصحابي إلا كان ما خلّف خيرًا مما ابتدع، ولا تزال به بدعته، حتى يجحد كل ما جئت به).

(٢) في رواية: (إنكم مرجوعون إلى ما في قلوبكم).

هذه البقعة[١]. قال: **«أما إنه جبريل يسأل عن الدين إذ لم تسألوا، أَمَـا والله ما أنكرته في مقامي قط قبل اليوم[٢]؛ فدعوني ما وَدَعْتُكُمْ»**[٣].

٥٠٤- وعن أم الحُصَيْن رَضِيَٱللَّهُعَنهَا؛ قالت:

حججت مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع؛ فكان فيما يقول:

«أيها الناس إن أُمِّرَ عليكم عَبْدٌ مُجَدَّعٌ يقودكم بكتاب الله فاسمعوا لـه وأطيعوا»[٤].

---

(١) في رواية: (كل يقول: كان في هذه الرقعة). وفي لفظ: (كان في هذه الرفقة).

(٢) في رواية: (أما والله ما أنكرته في مقام قط قبل اليوم).

(٣) رواه ابن بشران في أماليه بتمامه، ورواه الطبراني في الكبير، وابن بطة في الإبانة، والهـروي في ذم الكلام مختصرًا؛ وإسناده متصل، رجاله ثقات. وله شاهد من حديث عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ المـشهور: (بينما نحن جلوس...)، رواه أحمد ومسلم وغيرهما.

(٤) رواه أحمد، ومسلم، والترمذي. والمُجَدَّع: المقطُوعُ الأنف، أو الأُذُن.

- وقوله: (يقودكم بكتاب الله)؛ صفة كاشفة غير مقيدة خرجت مخـرج الغالـب، والمُحْكـم في ذلك هو الحديث المتفق عليه عن عبادة بن الصامت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: (بايعنا رسول الله ﷺ عـلى السمع والطاعة، في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهلـه، قال: إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم فيه من الله برهان). ومـع الكفـر البـواح يُـضاف شرطـان آخران هما: القدرة على تغييره، والأمن من مفسدة سفك الدماء- ومـع ذلـك فالـصبر أولى-. وفي رواية عند مسلم: (قلنا: يا رسول الله! أفلا ننابذهم بالسيف عند ذلك؟ قال: لا، ما أقاموا فيكم الصلاة. لا، ما أقاموا فيكم الصلاة. ألا من ولي عليه والٍ فرآه يأتي شيئًا من معـصية الله؛ فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يدًا من طاعة).

- وقد يكون المراد- والله أعلم-: أن طاعة الوالي فيما لا يخالف حكم الله تعالى وكتابـه؛ كـما في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عمـر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا عـن رسـول الله ﷺ قال: (السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أُمر بمعـصية، فـلا سمع ولا طاعة).

=

٥٠٥- وعن ميمون بن مهران، في قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء:٥٩].

فالردُّ إلى الله: إلى كتابه، والردُّ إلى الرسول ﷺ إذا قُبِض: إلى سُنته.

٥٠٦- وعن أبي قلابة رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أن عبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ قال لجنادة بن أمية: تعال! أفلا أخبرك بالذي لك، وبالذي عليك: عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك،

- وفي السُّنة لابن أبي عاصم (١٠٦٩) عن عدي بن حاتم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: (قلنا: يا رسول الله! لا نسألك عن طاعة من اتقى، ولكن من فعل وفعل، فذكر الشر، فقال ﷺ: اتقوا الله، واسمعوا وأطيعوا).

- وقال أبو أمامة- في خلافة عبدالملك بن مروان-: (أما والله إني لكاره لأعمالهم، ولكن عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم، والسمع والطاعة خير من الفجور والمعصية). السُّنة للمروزي (١/ ٢٢).

- وفي المنتخب من علل الخلال في حديث ثوبان: (استقيموا لقريش ما استقاموا لكم، فإن لم يستقيموا لكم؛ فاحملوا سيوفكم على عواتقكم، فأبيدوا خضراءهم، فإن لم تفعلوا فكونوا زرَّاعين أشقياء، وكلوا من كدِّ أيديكم)؛ قال مهنَّا: سألت أحمد عن هذا الحديث؟ فقال: ليس بصحيح، سالم بن أبي الجعد لم يلق ثوبان).

قال مهنَّا: وسألت أحمد عن علي بن عابسٍ يحدث عنه الحِمَّاني، عن أبي فزارة، عن أبي صالح مولى أم هانئ، عن أم هانئ، قالت: قال رسول الله ﷺ: (استقيموا لقريش)، مثل حديث ثوبان، فقال: ليس بصحيح، هو منكر. ثم قال: أخبرنا عبدالله – ابن الإمام أحمد- حدثني أبي: ثنا محمد بن جعفر: ثنا شعبة، عن أبي التياح، قال: سمعت أبا زرعة يحدث عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: (يُهلك أُمتي هذا الحي من قريش). قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: (لو أن الناس اعتزلوهم). قال أبي في مرضه الذي مات فيه: (اضرب على هذا الحديث؛ فإنه خلافُ الأحاديث عن النبي ﷺ؛ يعني قوله: (اسمعوا وأطيعوا واصبروا).

قال المرُّوذي: (وقد كنت سمعته؛ يقول: هو حديث رديء، يحتج به المعتزلة في ترك الجمعة).

ومنشطك ومكرهك، وفي الأَثَرة عليك، وأن لا يَزِغْ لسانك بالقول، ولا تنازع الأمر أهله إلا أن تؤمر بمعصية. فإن أمرت بخلاف ما في كتاب الله؛ فاتبع كتاب الله تعالى(١).

(١) السمع والطاعة لمن ولاه الله الأمر عبادةٌ بين المؤمن وربه، لا يرجو ثوابها إلا منه سبحانه وتعالى، وهي عبادة شأنها شأن باقي العبادات، فتكون بالقلب واللسان والجوارح، ولا تتغير عند المؤمن في لُعَاعةٍ من الدنيا الفانية، إن أعطاه ولي الأمر أو منعه، بل حتى وإن وجد أثرة عليه في الأموال والمناصب، وفي المنشط والمكره، وفيما فهم وما لم يفهم، والمؤمن يدين الله بلزوم الجماعة وحسن السمع والطاعة، ولا يكون ممن قال الله فيهم: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَـٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾.

- والمؤمن لا يبتغي بعمله ثوابًا إلا من ربه عزَّ وجلَّ، ويتألم لو عُجِّلَت له طيباته في حياته الدنيا واستمتع بها، ويخشى أن تكون من نصيبه في الآخرة.

- والواجب على المؤمن أن يكون من أبناء الآخرة، وأن يعلم أن المانع المعطي هو الله، وأن يفرح بإسلامه وإيمانه فرحًا يجعل الدنيا كلها لا تساوي عنده شيئًا، كما هي عندالله، فلو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرًا شربة ماء.

- وتأمل هذا المشهد العظيم؛ لتعلم الفَرْقَ بين أبناء الدنيا وأبناء الآخرة:

روى الإمام أحمد في مسنده، عن أبي سعيد الخدري، قال: لما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا في قريش وقبائل العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيء؛ وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم، حتى كثرت فيهم القالة، حتى قال قائلهم: لقي رسول الله ﷺ قومه، فدخل عليه سعد بن عبادة، فقال: يا رسول الله! إن هذا الحي قد وجدوا عليك في أنفسهم؛ لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبتَ، قسمتَ في قومك، وأعطيت عطايا عظامًا في قبائل العرب، ولم يك في هذا الحي من الأنصار شيء، قال: فأين أنت من ذلك يا سعد؟ قال: يا رسول الله! ما أنا إلا امرؤ من قومي، وما أنا؟- أي: أنّي أجد ما يجدون- قال: فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة، قال: فخرج سعد، فجمع الأنصار في تلك الحظيرة، قال: فجاء رجال من المهاجرين، فتركهم، فدخلوا وجاء آخرون، فردَّهم، فلما اجتمعوا، أتاه سعد، فقال: قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار، قال: فأتاهم رسول الله ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو له أهل، ثم قال: يا معشر الأنصار! ما قالةٌ بلغتني عنكم؟ وَجْدة وجدتموها في أنفسكم، ألم آتكم
=

❐ ❐ ❐

ضلالًا، فهداكم الله؟ وعالةً، فأغناكم الله؟ وأعداءً، فألَّف الله بين قلوبكم؟ قالوا: بل الله ورسوله أمنّ وأفضل! قال: ألا تجيبونني يا معشر الأنصار؟ قالوا: وبماذا نجيبك يا رسول الله، ولله ولرسوله المنّ والفضل. قال: أما والله لو شئتم لقلتم فلصَدَقْتُم ولصُدِّقْتُم: أتيتنا مُكذَّبًا فصدقناك، ومخذولًا فنصرناك، وطريدًا فآويناك، وعائلًا فآسيناك، أوجدتم في أنفسكم يا معشر الأنصار في لُعَاعَة من الدنيا، تألَّفتُ بها قومًا ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم؟ أفلا ترضون يا معشر الأنصار! أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعون برسول الله في رحالكم؟ فوالذي نفس محمد بيده، لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار، ولو سلك الناس شِعبًا، وسلكت الأنصار شِعبًا، لسلكت شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار! وأبناء الأنصار! وأبناء أبناء الأنصار! قال: فبكى القوم، حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله ﷺ قَسْمًا وحظًّا، ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرقوا). اهـ

عندما ذكَّرهم النبي ﷺ بهذا الإيمان وبهذه النعمة الكبرى وبهذه الهداية العظيمة؛ أصبحت الدنيا لا تسوى عندهم شيئًا.

- اكتشف السَّجَّانون بعد مدة طويلة أن قيْد الإمام أحمد كان أوسع من ساقيه كثيرًا، وأنه لو شاء لأخرجهما، لكنه لم يفعل ذلك ديانةً.

٧٥- باب: وجوب النصيحة لكتاب الله والعمل به

٥٠٧- عن تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الدين النصيحة لله ولكتابه ولنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولأئمة المسلمين وعامتهم**»(١).

وساقه بمعناه من ثلاثة طرق من حديث تميم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وتقدَّم.



---

(١) رواه أحمد، ومسلم، وأبو داود، والترمذي.

- وقال السمرقندي في تنبيه الغافلين (ص١٦٩): (أما النصيحة لله: فأن تؤمن بالله، وتدعو الناس إلى ذلك، وتتمنى أن يكون جميع الناس مؤمنين، وأما النصيحة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فأن تصدقه بما جاء به من عند الله، وتعمل بسنته، وتدل الناس على ذلك، وأما النصيحة لكتابه: فهو أن تقرأه، وتعمل بما فيه، وتتمنى أن يقرأه جميع الناس، ويعملوا بما فيه، وأما النصيحة لأئمة المسلمين: فأن تطيعهم فيما أمروه، وتنتهي عما نهوه، وتأمرهم بالمعروف، وتنهاهم عن المنكر، ولا تخرج عليهم بالسيف، وأما النصيحة للمسلمين: فهو أن تحب لهم ما تحب لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك، وتتمنى أن يكونوا، فيما بينهم على الألفة والمودة). اهـ

- وفي مصنف عبدالرزاق (٣/ ٣٦٣) عن الحسن في قوله: (كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ). قال: (وما تدبرُ آياته إلا اتباعه بعمله، والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: والله لقد قرأتُ القرآن كله، وما أُسقط منه حرفًا واحدًا، وقد أسقطه كله؛ ما ترى له في القرآن من خُلُق ولا عمل وحتى إن أحدهم ليقول: والله إني لأقرأ السورة في نَفَس واحد!! والله ما هؤلاء بالقُرَّاء و لا العلماء ولا الحكماء ولا الورعة، ومتى كان القراء يقولون مثل هذا! لا كثَّر الله في المسلمين من هؤلاء). اهـ

٧٦- باب: متابعة من يعمل بالقرآن

٥٠٨- عن أم حُصَيْنٍ الْأَحْمَسِيَّة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ قالت:

أتيت رسول الله ﷺ بعرفة وعليه بُرْدٌ أخضر قد التفع به، فكأني أنظر إلى عَضُدِهِ تَرْتَجُّ، وهو يقول: **«يا أيها الناس! إن استخلف عليكم عبد حبشي مُجَدَّعٌ؛ فاسمعوا له وأطيعوا ما أقام فيكم كتاب الله»**(١).

٥٠٩- وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال:

«المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كَالْأُتْرُجَّةِ طعمها طيب وريحها طيب، والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعمل به كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كريحانة ريحها طيب وطعمها مُرٌّ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كالحنظلة طعمها مُرٌّ وريحها مُرٌّ»(٢).

❒ ❒ ❒

---

(١) تقدَّم برقم: (٥٠٤).

(٢) متفق عليه.

٧٧- باب: وجوب اتباع ما أمر به القرآن، والانتهاء عما نهى عنه دون مخالفة ذلك

٥١٠- تقدَّم حديث:

بينما نفر على باب رسول الله ﷺ إذ قال بعضهم: ألم يقل الله تعالى كذا وكذا؟ وقال بعضهم: ألم يقل الله كذا وكذا؟ فسمع رسول الله ﷺ فخرج فكأنما فقئ في وجهه حبُّ الرُّمَّان؛ فقال: **«أبهذا أمرتم؟ أو لهذا بعثتم؟ أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض؛ إنما ضلت الأمم قبلكم في مثل هذا، إنكم لستم مما ههنا في شيء؛ انظروا الذي أمرتم به فاعملوا به، وانظروا الذي نهيتم عنه فانتهوا»**، أو كلمة تشبهها[1].

٥١١- قال الشيخ نصر رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وفي هذا كفاية ومقنع من أمر الرسول ﷺ باتباع ما أمر به الشرع، وترك ما عداه من البدع والضلالات، وتحريم الكلام فيما سوى ذلك؛ لخروجه عن أوامر الشرع ونواهيه.

❒ ❒ ❒

(١) انظر: (٤٠٦) و(٤٠٧).

٧٨- باب: النهي عن الخوض في القرآن والجدال فيه، وما يُخشى من ذلك

٥١٢- عن أبي العالية رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ قال:
آيتان في القرآن ما أشدهما على الذين يجادلون في القرآن:
«مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ» [غافر:٤].
«وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ» [البقرة:١٧٦].
٥١٣- وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال:
«جدال في القرآن؛ كفر»(١).

❒ ❒ ❒

---

(١) رواه أحمد، وأبو يعلى؛ وسيأتي تفسيره من كلام ابن بطة، وابن حبان.

٧٩- باب: كون ذلك بدعة

٥١٤- قال يزيد بن هارون رَحِمَهُ ٱللَّهُ حين سئل عن الإيـمان والقـرآن: أمخلوق أم غير مخلوق؟ قال: لا تخوضوا في ذا؛ فإن الخوض في هذا بدعة(١).

٥١٥- وقال سليم بن منصور بن عمار:

كتب بشر المريسي إليَّ(٢): أخبرني عن القرآن أخالق أو مخلوق؟

قال: فكتبت إليه: بسم الله الرحمن الرحيم، عافانا الله وإياك من كـل فتنة، وجعلنا وإياك من أهل السُّنة وممن لا يرغب بدينـه عـن الجماعـة(٣)؛

---

(١) قال ابن بطة في الإبانة الكبرى (٦/ ٢٩٩): (بـاب: القـول فـيمن زعـم أن الإيـمان مخلـوق... القول في هذا ما كان عليه أهل العلم، والتسليم لما قالوه، فمن قال: إن الإيمان مخلوق فهو كافر بالله العظيم؛ لأن أصل الإيمان وذروة سنامه شهادة أن لا إله إلا الله، ومن قال: إنه غير مخلـوق فهو مبتدع؛ لأن القدرية تقول: إن أفعال العباد وحركاتهم غير مخلوقة، فالأصل المعمول عليـه من هذا: التسليم لما قالته العلماء، وترك الكلام فيما لم يتكلم فيه الأئمة؛ فهم القدوة، وهم كانوا أولى بالكلام منا. نسأل الله عصمة من معصيته، وعياذًا من مخالفته). اهـ

(٢) وفي التمهيد لابن عبدالبر (١٩/ ٢٣٣)، وتاريخ بغـداد للخطيـب البغـدادي (٧/ ٥٣٨) قـال سليم بن منصور بن عمار: (كتب بشر المريسي إلى أبي أخبرني عـن القـرآن، أخـالق أم مخلـوق؟ فكتب إليه أبي: بسم الله الرحمن الرحيم...). وذكره.

- وأما منصور بن عمار؛ فقد جاء في ترجمته أنه كان جهميًّا، قال أبـو جعفـر العُقَـيلي: (لا يقـيم الحديث، وكان فيه تجهم). وقال سفيان بن عيينة: (ما أراه إلا شيطانًا). فلعلَّه تـأثر بـه بـأخرة، وهذه من مغبة مصاحبة أهل البدع ومراسلتهم والرد على رسائلهم. وهذا مما حذَّر منه السَّلف.

(٣) لعلَّ التلطف والدعاء في هذه الرسالة الموجهة لبشر المريسي؛ كان في أول أمره، ثم لما تبين أمره؛ لعنته العلماء قاطبة، وأغلظوا له القول؛ قال العجلي في الثقـات (١٥٩): (حـدثنا أبـو مـسلم، =

فإنه إن يفعل فأولى بها من نعمة وإلا فهي الهلكة، وليس لأحد على الله بعد المرسلين حجة، نحن نرى أن الكلام في القرآن بدعة تشارك فيها السائل والمجيب، فتعاطى السائل ما ليس له، وتكلف المجيب ما ليس عليه، ولا أعلم خالقًا إلا الله، والقرآن كلام الله[1].

حدثني أبي قال: رأيت بشر المريسي- عليه لعنة الله- مرة واحدة، شيخ قصير دميم المنظر وسخ الثياب وافر الشَّعر أشبه شيء باليهود، وكان أبوه يهوديًّا صباغًا بالكوفة في سوق المراضع، ثم قال: لا يرحمه الله! فلقد كان فاسقًا). اهـ

(١) وقد جاء نص الكتاب كاملًا كما في الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٦٢١)، والتمهيد لابن عبدالبر (١٩/ ٢٣٣)، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٧/ ٥٣٨) حيث قال: (عافانا الله وإياك من كل الفتنة، وجعلنا وإياك من أهل السُّنة والجماعة، فإنه إن يفعل فأعظم بها من نعمة، وإلا فهي الهلكة، وليس لأحد على الله تعالى بعد المرسلين حجة، نحن نرى أن الكلام في القرآن بدعة: تشارك فيها السائل والمجيب؛ تعاطى السائل ما ليس له، وتكلَّف المجيب ما ليس عليه. وما أعرف خالقًا إلا الله، وما دون الله مخلوق. والقرآن كلام الله، فانته بنفسك وبالمختلفين فيه معك إلى أسمائه التي سماه الله تعالى بها تكن من المهتدين، ولا تسم القرآن باسم من عندك؛ فتكون من الضالين، جعلنا الله وإياك من الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون).

وعن الحسن بن الصبَّاح، قال: (حُدثت أن بشرًا لقي منصور بن عمار، فقال له: أخبرني عن كلام الله تعالى أهو الله؟ أم غير الله؟ أم دون الله؟ فقال: إن كلام الله تعالى لا ينبغي أن يقال: هو الله، ولا يقال: هو غير الله، ولا هو دون الله؛ ولكنه كلامه). اهـ

- وبمثل هذا يُقال في الاسم والمسمى؛ فلا يُطلق القول بأن الاسم هو المسمى، ولا غير المسمى؛ بل يقال: إن الاسم للمسمى وهو دليلٌ عليه، فإن الله عز وجل له الأسماء الحسنى، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾. وروى أحمد في مسنده عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: (إن لله تسعة وتسعين اسمًا، مئة غير واحد؛ من أحصاها دخل الجنة).

- قال ابن تيمية في الفتاوى (٦/ ١٨٦): (فَصْل في الاسم والمسمى: هل هو هو، أو غيره؟ أو لا يقال: هو هو، ولا يقال: هو غيره؟ أو هو له؟ أو يُفصَّل في ذلك؟ فإن الناس قد تنازعوا في
=

٥١٦- **قال الشيخ نصر** رَحِمَهُ اللَّهُ:

فإذا كانت الشيوخ والأئمة المتقدمون ينهون عن السؤال فيما يعلمون جوابه ويتحققون صوابه، فكيف بمن يتجرأ على الله- جَلَّت قدرته- بالتكلف في دينه ما لم ينزل به سلطانًا، ولا أرسل به بيانًا، ويسأل عن أشياء لم يتقدمه فيها إمام مذكور، ولا لها في الشريعة أصل مشهور، قد كان السكوت عنها أولى، واقتفاء آثار السَّلف الصالح في ذلك أصوب وأحرى، ولكن الله يفعل ما يريد؛ ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيّ عن بينة، وإن الله لسميع عليم.

٥١٧- عن إياس بن عامر؛ قال:

قال عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا أخا عَكٍّ![1] إنه سيقرأ القرآن ثلاثة: لله، وللدنيا، وللجدال؛ فإن استطعت يا أخا عَكٍّ! أن تكون ممن يقرأه لله؛ فافعل[2].

❐ ❐ ❐

ذلك، والنزاع اشتهر في ذلك بعد الأئمة، بعد أحمد وغيره، والذي كان معروفًا عند أئمة السنة أحمد وغيره: الإنكار على الجهمية الذين يقولون: أسماء الله مخلوقة، فيقولون: الاسم غير المسمى، وأسماء الله غيره وما كان غيره فهو مخلوق. وهؤلاء هم الذين ذمهم السلف وغلظوا فيهم القول؛ لأن أسماء الله من كلامه، وكلام الله غير مخلوق؛ بل هو المتكلم به، وهو المسمي لنفسه بما فيه من الأسماء .... إلى أن قال: فالقول في أسمائه هو نوع من القول في كلامه). اهـ

(١) عَكّ: بفتح أوله وتشديد ثانيه؛ قبيلة باليمن يضاف إليها مخلاف.
انظر: معجم البلدان (٤/ ١٤٢).

(٢) وفي سنن الدارمي؛ قال: (ومن طَلَب بِهِ أَدْرك).

٨٠- باب: كون الجدال والاختلاف فيه ضلالة وهلاك في الدين

٥١٨- عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده[١]؛ قال:

جلست من رسول الله ﷺ مجلسًا، ما جلست قبله ولا بعده أَغْبَطَ منه عندي، قال: خرج رسول الله ﷺ ومن وراء حجرته، قوم يتجادلون في القرآن، فخرج مُحْمَرةٌ وجنتاه كأنما تقطران دمًا؛ فقال: **«يا قوم! لا تجادلوا في القرآن؛ فإنما ضل من كان قبلكم بجدالهم، إن القرآن لم ينزل يُكَذِّب بعضه بعضًا، ولكن ليصدق بعضه بعضًا، فما كان من محكمه فاعملوا به، وما كان من متشابهه فآمنوا به»**[٢].

٥١٩- ورواه من وجه آخر: وقال:

«إنما هلك من كان قبلكم؛ باختلافهم في الكتاب»[٣].

---

(١) هو: عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) رواه أحمد، والطبراني في الأوسط، ورواه ابن ماجه مختصرًا، وأصله في مسلم. ورواه غيرهم مع اختلاف بين الروايات؛ فبعضهم يذكر أن الجدال كان في القدر، وبعضهم يذكر أنه كان في القرآن. وسبب اغتباط عبدالله أنه اعتزل ذلك المجلس، فقد جاء عنه في آخر الحديث، قال: (ثم التفت ﷺ فرآني أنا وأخي جالسين؛ فغبطنا أنفسنا ألا يكون رآنا معهم).

- وقال البخاري في خلق أفعال العباد (١/ ٩٩): (وكل من اشتبه عليه شيء، فأولى أن يكله إلى عالمه؛ كما قال عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ: (وما أشكل عليكم؛ فكلوه إلى عالمه)، ولا يدخل في المتشابهات إلا ما بُيِّن له). اهـ

(٣) رواه أحمد، ومسلم.

٥٢٠- وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال:

سمعت رجلًا يقرأ آية، سمعت من رسول الله ﷺ خلافها، فجئت إلى النبي ﷺ - أظنه قال-: فأخبرته فعرفت في وجهه الكراهية؛ فقال: **«كلاكما محسن، فلا تختلفوا- أَكْبَرُ عِلْمِي أنه قال:- فإنَّ من كان قبلكم اختلفوا؛ فهلكوا»**[1].

❒ ❒ ❒

(١) رواه أحمد، والبخاري.
والشَّك من شعبة بن الحجَّاج، وكان دائمًا يستخدم هذه الكلمة فيما يشك فيه.

٨١- باب: الأمر بالائتلاف على القرآن والنهي عن الاختلاف فيه، وما يخاف من ذلك

٥٢١- عن جندب بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: **«اقرؤا القرآن ما ائْتَلَفَتْ عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا عنه»**[١].

❐ ❐ ❐

---

(١) متفق عليه.

وقيل في معنى الحديث: (اقرؤا القرآن) أي: داوموا على قراءته، (ما ائتلفت عليه قلوبكم). أي: ما دامت قلوبكم تألف القراءة وتجتمع عليها، (فإذا اختلفتم). أي: بأن صارت قلوبكم في انشغال بشيء سوى القراءة وحصل لكم ملالة وتفرقت القلوب، وصارت القراءة باللسان مع غيبة القلب، وصار القلب مخالفًا للسان (فقوموا عنه) أي: اتركوا قراءته حتى ترجع قلوبكم.

- وقيل معناه- وهو الأظهر-: أقرؤا والزموا الائتلاف بينكم، على ما دلَّت عليه الألفاظ والمعاني، فإذا وقع الاختلاف أو عرض عارض شبهة يقتضي المنازعة الداعية إلى الافتراق؛ فاتركوا القراءة وتمسكوا بالمحكم الموجب للألفة، وأعرضوا عن المتشابه المؤدي إلى الفرقة، وقد كان اختلاف الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يقع في القراءات واللغات؛ فأمروا بالقيام عند الاختلاف، لئلا يجحد أحدهم ما يقرؤه الآخر؛ فيكون جاحدًا لما أنزل الله عز وجل.

ويفسر ذلك ما سيذكره المصنف في الأبواب التالية.

٨٢- باب: قول النبي ﷺ: «المراء في القرآن كفر»(١)

٥٢٢- عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

أنه قرأ سورة من القرآن فخالفه فيها أبيّ بن كعب؛ فقال زيد: هكذا أقرأنيها رسول الله ﷺ! وقال أبيّ: هكذا أقرأنيها رسول الله ﷺ! فلما افترقا، دخل زيد على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! قرأتُ سورة فخالفني فيها أُبيّ؛ فقلت: هكذا أقرأنيها رسول الله ﷺ، وقال: هكذا أقرأنيها رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ:

«صدق؛ لعلكما تماريتما».

---

(١) قال ابن بطة في الإبانة الكبرى (١/ ٢٣٥): (فالمراء في القرآن المكروه الذي نهى عنه رسول الله ﷺ ويتخوف على صاحبه الكفر والمروق عن الدين ينصرف على وجهين: أحدهما؛ قد كان وزال، وكفي المؤمنين مؤنته، وذلك بفضل الله ورحمته، ثم بجمع عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الناس كلهم على إمام واحد باللغات المشهورة المعروفة، وذلك أن رسول الله ﷺ قد كان سأل الله في القرآن، فقال له: أقرئ أمتك على سبعة أحرف، وكلها سيان، يعني على سبع لغات من لغات العرب، كلها صحيحة وفصيحة، إن اختلف لفظها اتفقت معانيها). إلى أن قال: (وقد بقي المراء الذي يحذره المؤمنون، ويتوقاه العاقلون، وهو المراء الذي بين أصحاب الأهواء وأهل المذاهب والبدع، وهم الذين يخوضون في آيات الله، ويتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة، وابتغاء تأويله الذي لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم، يتأولونه بأهوائهم، ويفسرونه بأهوائهم، ويحملونه على ما تحمله عقولهم فيَضلون بذلك، ويُضلون من اتبعهم عليهم). ثم قال: (المراء في القرآن والخصومة فيه والتعاطي لتأويله بالآراء والأهواء لإقامة دولة البدع، وابتغاء الفتنة بغير علم؛ كفر وضلال، نسأل الله العصمة من سيئ المقال). اهـ

قال: لا يا رسول الله. قال: «**لا تماروا في القرآن؛ فإن مراءً فيه كفر**»[١].

٥٢٣- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال:

«**نزل القرآن على سبعة أحرف، المراء في القرآن كفر- ثلاث مرات- ما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم فيه فردوه إلى عالمه**»[٢].

٥٢٤- وعن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أنه سمع رجلًا يقرأ آية من القرآن؛ فقال: من أقرأكها؟ قال: رسول الله ﷺ؛ فقال: قد أقرأنيها رسول الله ﷺ على غير هذا؛ قال: فذهبا إلى رسول الله ﷺ، فقال أحدهما: يا رسول الله! آية كذا وكذا ثم قرأها؛ فقال رسول الله ﷺ: «**هكذا أنزلت**»، فقال الآخر- وقرأ على رسول الله ﷺ: أليس هكذا أنزلت يا رسول الله؟! قال: «**بلى هكذا أنزلت**»، وقال رسول الله ﷺ: «**إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف؛ فأي ذلك قرأتم فقد أصبتم، فلا تماروا فيه، فإن المراء فيه كفر به**»[٣].

❒ ❒ ❒

---

(١) رواه الطبراني في الكبير، وقال ابن حبان في صحيحه (٤/ ٣٢٦): (إذا مارى المرء في القرآن أداه ذلك- إن لم يعصمه الله- إلى أن يرتاب في الآي المتشابه منه، وإذا ارتاب في بعضه أداه ذلك إلى الجحد، فأطلق اسم الكفر الذي هو الجحد على بداية سببه الذي هو المراء). اهـ

فالعرب تطلق اسم المتوقع من الشيء في النهاية على البداية، كما أنها تطلق في لغتها اسم الكافر على من أتى ببعض أجزاء المعاصي التي يؤول متعقبها إلى الكفر.

(٢) رواه أحمد، والنسائي.

(٣) رواه أحمد، وأبو عبيد في فضائل القرآن.

٨٣- باب: النهي عن طلب مشكل القرآن والتشديد فيه، وما يخاف من تأديته إلى المراء والاختلاف فيه، وحيطة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في ذلك وخوفهم منه

٥٢٥- عن السائب بن يزيد:

أن رجلًا قال لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنني مررت برجل يسأل عن تفسير مشكل القرآن[١]؛ فقال عمر: اللهم أمكني منه؛ فدخل الرجل على عمر يومًا، وهو لابس ثيابًا وعمامة، وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقرأ القرآن، فلما فرغ قام إليه الرجل؛ فقال: يا أمير المؤمنين! ما الذاريات ذروا؟! فقام عمر، فحسر عن ذراعيه؛ فجعل يجلده، ثم قال: ألبسوه ثيابًا واحملوه على قَتَب[٢] وأبلغوه حَيَّهُ، ثم ليقم خطيبًا؛ فليقل: إن صَبيغًا طلب العلم فأخطأه، فلم يزل وضيعًا في قومه بعد أن كان سيدًا فيهم.

٥٢٦- وفي رواية: أن صَبيغ بن عِسْل قدم المدينة، فجعل يسأل عن متشابه القرآن وعن أشياء؛ فبلغ ذلك عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فبعث إليه فأحضره وقد أَعَدَّ له عراجين من عراجين النخل؛ فلما قال له عمر: من أنت؟

---

(١) قال ابن يونس في تاريخ مصر (١/ ٣١٤): (يقال: إن عبدالرحمن بن ملجم المرادىّ هو الذي أرسل صبيغًا التميمى إلى عمر، فسأله عما سأله من معجم القرآن). اهـ

(٢) القَتَب: هو رَحْلٌ صغيرٌ على قَدْر سنام البعير تحت الراكب.

فقال: أنا عبدُ الله صَبيغ؛ فقال عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أنا عبدُ الله عُمر، ثم قام إليه فضرب رأسه بعرجون فشجَّه، ثم تابع ضربه حتى سال دمه على وجهه؛ فقال: حسبك يا أمير المؤمنين! فقد ذهب- والله- ما كنت أجد في رأسي(١).

٥٢٧- قال قطن: أُخبرت عن رجل من بني عجل عن أبيه:

لقد رأيت صَبيغًا، وإنه مثل البعير الأجرب لا يجلس إلى قوم إلا تفرقوا وتركوه وحده، فإذا جلس إلى قوم لا يعرفونه، نادتهم الحلقة الأخرى: عَزْمة أمير المؤمنين!! فيقومون فيتفرقون.

٥٢٨- قال الفرغاني: وهذا النكير والأدب والهجران إجماع من الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ؛ لأن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فعل ذلك بمحضر من الصحابة،

---

(١) وفي الشريعة للآجري (٥/ ٢٥٥٤): (باب: عقوبة الإمام والأمير لأهل الأهواء). قال الآجري: (ينبغي لإمام المسلمين ولأمرائه في كل بلد إذا صحَّ عنده مذهب رجل من أهل الأهواء، ممن قد أظهره أن يعاقبه العقوبة الشديدة، فمن استحق منهم أن يقتله قَتله، ومن استحق أن يضربه ويحبسه وينكل به فَعل به ذلك، ومن استحق أن ينفيه نَفاه، وحذر منه الناس. فإن قال قائل: وما الحجة فيما قلت؟ قيل: ما لا يدفعه العلماء ممن نفعه الله بالعلم، وذلك أن عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ جلد صَبِيغًا التميمي، وكتب إلى عماله: أن يقيموه حتى ينادي على نفسه، وحرمه عطاه، وأمر بهجرته، فلم يزل وضيعًا في الناس.

وهذا علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَتَل بالكوفة في صحراءِ (أحد عشر) جماعة ادعوا أنه إلههم، خدَّ لهم في الأرض أخدودًا وحرقهم بالنار، وقال: (لما سمعت القول قولًا منكرا ... أججت نارًا ودعوت قنبرا).

وهذا عمر بن عبدالعزيز كتب إلى عدي بن أرطأة في شأن القدرية: تستتيبهم، فإن تابوا وإلا فاضرب أعناقهم. وقد ضرب هشام بن عبدالملك عنق غيلان، وصلبه بعد أن قطع يده، ولم يزل الأمراء بعدهم في كل زمان يسيرون في أهل الأهواء إذا صح عندهم ذلك؛ عاقبوه على حسب ما يرون، لا ينكره العلماء). اهـ

وبلغ ذلك من لم يحضر منهم؛ فلم ينكر عليه أحد، ولم يعارضه في ذلك معارض فصار إجماعًا.

٥٢٩- وفي رواية: أنه سأل عن: «وَٱلذَّٰرِيَٰتِ» «وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ» «وَٱلنَّٰزِعَٰتِ» فقال له عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ألق ما على رأسك فإذا له ظفيرتان؛ فقال: لو وجدتك محلوقًا؛ لضربت الذي فيه عيناك[1]، ثم كتب إلى أهل البصرة: لا تجالسوه.

قال أبو عثمان النهدي: كان لو أتانا ونحن مئة؛ لتفرقنا عنه.

٥٣٠- وفي رواية: أنه لما سأل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن: «وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا»؛ فقال عمر: من أنت؟ فقال: امرؤ من أهل البصرة من بني تميم، ثم أحد بني

---

(١) خاف عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يكون من الخوارج؛ لأن سيماهم التحليق. وهذا الأثر أصل في هجر المبتدع وعدم مجالسته.

- قال الآجري في الشريعة (١/ ٤٨٣): (فإن قال قائل: فمن يسأل عن تفسير: (والذاريات ذروا، فالحاملات وقرا)؛ استحق الضرب والتنكيل به والهجرة؟! قيل له: لم يكن ضرب عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ له بسبب سؤاله عن هذه المسألة، ولكن لما تَأَدَّى إلى عمر ما كان يسأل عنه من متشابه القرآن من قبل أن يراه؛ علم أنه مفتون، قد شغل نفسه بما لا يعود عليه نفعه، وعلم أن اشتغاله بطلب علم الواجبات من علم الحلال والحرام أولى به، وتَطَلُّب علم سنن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أولى به، فلما علم أنه مقبل على ما لا ينفعه، سأل عمرُ اللهَ تعالى أن يمكنه منه، حتى ينكل به وحتى يحذر غيره؛ لأنه راع يجب عليه تفقد رعيته في هذا وفي غيره، فأمكنه الله تعالى منه، وقد قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سيكون أقوام يجادلونكم بمتشابه القرآن فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله تعالى). اهـ

- وقد جاء أن صبيغًا كان يدور في الطرقات ومعه كتب، ويقول: (من يتفقه يفقهه الله). قال مالك: (جاءه بلاؤه من هذه الكتب). وفي لفظ آخر: (أنه كان يطوف على الأجناد في الثغور يشككهم في القرآن).

سعد؛ قال: من قوم جفاة، أما إنك لـتَحملنّ إلى عاملك ما يسوءك، ولَهَزه[1] حتى خرَّت قلنسوته فإذا هو وافر الشعر، ثم قال: أما إني لو وجدتك محلوقًا ما سألتُ عنك، ثم كتب إلى أبي موسى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

أما بعد؛ فإن صَبيغ بن عِسل التميمي تكلف ما كُفي وضيع ما ولي، فإذا جاءك كتابي فلا تبايعوه، وإن مرض فلا تعودوه، وإن مات فلا تشهدوه، ثم التفت إلى القوم؛ فقال: إن الله خلقكم وهو أعلم بضعفكم؛ فبعث إليكم رسولًا من أنفسكم، وأنزل عليكم كتابًا، وحَدَّ لكم فيه حدودًا أمركم أن لا تتعدوها، وفرض فرائض أمركم أن تتبعوها، وحرم حُرُمًا نهاكم أن تنتهكوها، وترك أشياء لم يدعها نسيانًا، فلا تتكلفوها، وإنما تركها رحمة لكم.

قال: فكان صبيغ بن عسل يقول: قدمت- يعني البصرة- فأقمت بها خمسة وعشرين يومًا، وما من غائب أحب إليَّ أن ألقاه من الموت.

ثم إن الله ألهمه التوبة وقذفها في قلبه؛ قال: فأتيت أبا موسى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهو على المنبر فسلّمت عليه، فأعرض عني؛ فقلت: أيها المعرض! إنه قد قَبِل التوبة من هو خير منك ومن عمر، وإني أتوب إلى الله مما أسخط أمير

---

(١) لهزه: إذا طعنه في صدره. واللَّهْزُ: الدفع والضرب بِجُمْعِ اليد في الصدر وفي الحنك، مثل اللَّكْز. والوَهْزُ بالرجلين، والبَهْزُ بالمِرفق. لسان العرب (٥/ ٣٩٧).
ويحتمل أن يكون: (ولهده) بالدال، واللهد: الضرب في الثديين وأصول الكتفين. والبعير اللهيد الذي أصاب جنبه ضغطة من حمل ثقيل، فأورثه داءً أفسد عليه رئته.
لسان العرب (٥/ ٤٠٨٥).

المؤمنين وعامة المسلمين، فكتب بذلك إلى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فقال: صدق؛ فاقبلوا من أخيكم[١].

٥٣١- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال:

كنا عند عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذ جاءه رجل يسأله عن القرآن؛ أمخلوق هو أم غير مخلوق؟ فقام عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فأخذ بمجامع ثوبه حتى قاده إلى علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فقال: يا أبا الحسن! أما تسمع ما يقول هذا؟ فقال: يا أمير المؤمنين! وما يقول؟ قال: جاءني يسألني عن القرآن؛ أمخلوق هو أم غير مخلوق؟ فقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هذه كلمة، وسيكون لها ثمر[٢]، ولو وليتُ من الأمر ما وليتَ؛ ضربت عنقه.

---

(١) المشهور أنه رفع الحظر عنه بعد سَنة، قال المروذي: (وهذه سُنَّة فيمن تاب من بدعة أن يمهل سَنةً حتى تصح توبته وتظهر). وقال ابن تيمية في منهاج السُّنة (٦/ ٣٥٤): (وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نفى صبيغ بن عِسل التميمي لما أظهر اتباع المتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وضربه وأمر المسلمين بهجره سنة بعد أن أظهر التوبة، فلما تاب أمر المسلمين بكلامه. وبهذا أخذ أحمد وغيره في الداعي إلى البدعة إذا تاب يؤجل سنة، كما أجل عمر صبيغًا). اهـ

- ولذلك حين خرج الخوارج وطلبوه ليخرج معهم؛ ردَّهم ولم يخرج معهم، كما في مصنف عبدالرزاق عن معمر بن راشد، قال: (خرجت الحرورية، فقيل لصبيغ: إنه قد خرج قوم يقولون كذا وكذا! قال: هيهات، قد نفعني الله بموعظة الرجل الصالح- يعني: عمر). قال: (وكان عمر ضربه حتى سالت الدماء على رجليه، أو قال: على عقبيه). اهـ

- فأوله ضربٌ، وآخره نجاة من الفتن! فحبذا هذا الضرب الذي عاقبته النجاة.

(٢) هكذا في الأصل. وجاء في كنز العمال بلفظ: (وسيكون لها عزة). ولعلها تصحفت من (عُـرَّة) أي: جرب وعدوى حتى تنتشر وحتى يتجاوزوها إلى ما هو أعظم منها، ولذا أمر بحسم الداء من أوله. والأثر فيه نكارة واضحة.

=

٥٣٢- قال الشيخ نصر رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا التشديد من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، والمنع من الكلام في هذه المسائل وأشباهها- وإن كانت جواباتها عندهم معلومة وأحكامها مفهومة- إرادة لحسم الباب وقطع السؤال؛ لئلا يؤدي إلى ما لا يؤمر به في الشريعة، ويتسع الأمر فيما يخالف ما أمر الله به ورسوله ﷺ، وقد قال: **«مراء في القرآن كفر»**[1]، فكان ذلك أقطع لما يخاف مما وراءه، وقد وقعنا اليوم فيما خافوه، وصرنا في وسط ما حَذِروه؛ فإن كثيرًا ممن يتصيد الناس ويتعمق بالرياسة في الدين يتكلم فيما أنكروه، ويسأل عما خافوه وشددوا فيه وحَذِروه، ارتكابًا لما يهوى وتركًا لما هو أولى، ومخالفة للشريعة، ودخولًا فيما هو إلى الباطل وترك الحق ذريعة، ولقد فاتهم ما يعنيهم باشتغالهم بما لا يعنيهم، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

❒ ❒ ❒

- وأول ما اشتهر القول بخلق القرآن كان في آخر عصر التابعين، لما أظهره الجهم بن صفوان، وقد تلقى هذا القول عن الجعد بن درهم، وأخذه الجعد، عن أبان بن سمعان، وأخذه أبان، عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم، وأخذه طالوت، عن خاله لبيد بن الأعصم اليهودي، الذي سحر النبي ﷺ، ثم تقلَّد بشر بن غياث المريسي هذا المذهب الخبيث عن الجهم، ثم تقلّده أحمد بن أبي دؤاد قاضي المحنة الملعون عن بشر المريسي.

(١) تقدَّم تخريجه برقم: (٥٢٢).

٨٤- باب: إثم من تكلم في القرآن بغير ما ورد في الشريعة مما لم يُنزل الله في كتابه، ولا رُوي عن رسوله ﷺ ولا قال به أحد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ولا التابعين ولا من الأئمة المتقدمين، وما يؤدي إليه ذلك من الضلالة والهلكة، ويُخاف فيه من الفتنة والعقوبة

٥٣٣- عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال:

إن هذا القرآن كلام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فلا تقولوا فيه بغير علم، فإنه من تكلَّم فيه؛ فإنما يتكلم في الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

٥٣٤- وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال:

«من قال في القرآن بغير علم؛ فليتبوأ مقعده من النار»[(١)].

٥٣٥- وفي لفظ آخر: **«من كذب عليّ متعمدًا؛ فليتبوأ مقعده من النار، ومن قال في القرآن بغير علم؛ فليتبوأ مقعده من النار»**[(٢)].

٥٣٦- وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال:

من عَلَّمه الله علمًا؛ فليعلمه الناس، وإياه أن يقول ما لا علم له به؛ فيمرق من الدين، ويكتب عند الله من المتكلفين.

٥٣٧- وعن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال:

---

(١) رواه أحمد، والترمذي؛ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) رواه أحمد، والترمذي؛ وقال: هذا حديث حسن.

قال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«يا عمر! ألا أدلك على محض الإيمان؟»** قال: بلى، بأبي أنت وأمي يا رسول الله! قال: **«لا تنطق في النجوم، ولا تمار في القدر، ولا تفسر القرآن برأيك، ولا تسبنَّ أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ»**[١].

٥٣٨- وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال:

من قال في القرآن برأيه؛ فإن أصاب لم يؤجر، وإن أخطأ لم يسلم.

٥٣٩- وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

من قال في القرآن برأيه فأخطأ؛ زل أبعد مما بين السماء والأرض.

٥٤٠- وقال عامر[٢]:

من قال في القرآن برأيه فأخطأ؛ لم تنته فِرْيته دون السماء[٣].

❐ ❐ ❐

---

(١) هذا محفوظ من كلام الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين؛ وفي رفعه للنبي ﷺ نظر.

(٢) هو: عامر بن شراحيل الشعبي؛ قال العجلي في معرفة الثقات: (سمع الشعبي من ثمانية وأربعين من أصحاب النبي ﷺ). وقال: (مرسل الشعبي صحيح، لا يكاد يرسل إلا صحيحًا).

(٣) قال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٣/ ٥٥٥): قال حماد بن زيد: (قدمت المدينة وزيد بن أسلم حي، فسألت عُبَيدالله بن عمر، فقلت: إن الناس يتكلمون فيه، فقال: ما أعلم به بأسًا، إلا أنه يفسر القرآن برأيه). اهـ

- فإذا كان زيد بن أسلم التابعي الجليل من العلماء العباد الزهاد، وهو مولى لبني عدي من قريش أفصح العرب، قد أنكروا عليه التفسير بالرأي، فكيف بمن هو أعجمي اللسان والفهم ويفسر القرآن برأيه مثل تفسير الظلال لسيد قطب الجهمي، وتفسير الشعراوي القبوري، ولذا كانت عاقبة تقحمهم على القول في القرآن بآرائهم أن امتلأت تفاسيرهم بالشِّرك الأكبر، ووحدة الوجود، وإنكار علو الله، والقول بخلق القرآن... وغيرها كثير.

٨٥- باب: إثم من تكلم في القرآن بغير علم

٥٤١- قال الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والله إنه لَعِلْمٌ حسن، إذا سئل الرجل عما لا يعلم؛ أن يقول: لا أدري.

٥٤٢- وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«من سئل عن علم فكتمه؛ جاء يوم القيامة مُلَجمًا بِلِجَامٍ من نار»[(١)].

❐ ❐ ❐

---

(١) رواه أبو يعلى في مسنده، والطبراني في الكبير؛ وقال: (هي الشهادة تكون عند الرجل يُدعى لها أو لا يدعى، وهو يعلمها ولا يرشد صاحبها إليها فهو هذا العلم). أي: المراد في الحديث.
وقال أبو داود: (في الشهادات).
- والأصل في الشهادات: العموم فيما تَوَجَّبَ إظهاره؛ قال تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ).

٨٦- باب: فرض السكوت على من لا علم له، ورد ما جهله إلى عالمه

٥٤٣- قال عليٌّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

يا أيها الناس! ما لكم ترغبون عما عليه أولكم، وسنة نبيكم ﷺ؛ إنما هلك من كان قبلكم أن ضربوا كتاب الله عَزَّوَجَلَّ بعضه ببعض، أيها الناس! احفظوا عني خمسًا، لو ركبتم الإبل لا تصيبوهن قبل أن تصيبوا مثلها: لا يرجو عبدٌ إلا ربه، ولا يستحي من يعلم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: الله أعلم، واعلموا أن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، وأنه لا إيمان لمن لا صبر له[1].

---

(١) والخامسة، كما في كتاب الإيمان للعدني (١٩): (ولا يخافن إلا ذنبه).
- وفي الحلية لأبي نعيم (١/ ٧٥) عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (خمس إذا سافر فيهن رجل إلى اليمن كن له عوضًا من سفره: لا يخشى عبدٌ إلا ربه، ولا يخاف إلا ذنبه، ولا يستحي من لا يعلم أن يتعلم، ولا يستحي من يعلم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: الله أعلم، والصبر من الدين بمنزلة الرأس من الجسد). وقال عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وابردها على كبدي!!- ثلاث مرات- قالوا: يا أمير المؤمنين! وما ذاك؟ قال: أن يسأل الرجل عما لا يعلم؛ فيقول: الله أعلم). الدارمي (١/ ٦٣).
- ولعلَّ السبب الذي يحمل الإنسان على أن يتكلم في دين الله بلا علم؛ هو إرادة الدنيا وما تعلّق في قلبه من حبها، ففي الآداب الشرعية لابن مفلح (٢/ ٦٣) قال: (نقل المروذي أن رجلًا تكلَّم بكلام أنكره عليه أبو عبدالله- أي: الإمام أحمد- فقال: هذا من حبه الدنيا، يُسئل عن الشيء الذي لا يحسن؛ فيحمل نفسه على الجواب). اهـ
- ومن كان هذا حاله فسيخسر الدنيا والآخرة؛ قال محمد بن أبي حرب: (سمعت أبا عبدالله، وسُئل عن الرجل يفتي بغير علم؛ قال: يروي عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: يمرق من دينه).

٥٤٤- وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

يا أيها الناس! من علم علمًا؛ فليقل به، ومن لم يعلم؛ فليقل لما لا يعلم: الله أعلم، وقد قال الله عَزَّ وَجَلَّ لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ» [ص:٨٦].

٥٤٥- وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قرأ على المنبر «وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا»، قال: هذه الفاكهة قد عرفناها؛ فما الأب؟! ثم رجع إلى نفسه؛ فقال: لعمرك، إن هذا لهو التكلف يا عمر! وتقدَّم[1].

٥٤٦- وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ألا أدلكم على علم كثير؟ قالوا: بلى؛ قال: إذا سُئل الرجل عما لا يعلم؛ أن يقول: الله ورسوله أعلم.

٥٤٧- وتقدَّم قول الشعبي رَحِمَهُ اللَّهُ[2].

❒ ❒ ❒

(١) وتقدَّم مثله عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الأثر ذي الرقم: (٤٢١).

(٢) تقدَّم برقم: (٥٤١).

٨٧- باب: ما يُخاف من إفساد من لا علم له بدخوله فيما لا يعلم ودعوة الناس إليه، ومجانبة كتاب الله عَزَّوَجَلَّ لتركه العمل به

٥٤٨- عن كُمَيْل بن زِيَاد النَّخعي[1]؛ قال:

خرجت مع علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى الجَبَّان، فلما أصحر تنفس ثم جلس، ثم قال: يا كميل بن زياد! احفظ عني ما أقول لك: القلوب أوعية خيرها أوعاها، الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا إلى ركن وثيق. العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم يزكو على العمل والمال تُنقصه النفقة، ومحبة العالم دين يُدان به، وصنيعة العلم يكسب بها صاحبها الطاعة في حياته وجميل الأحدوثة بعد موته، وصنيعة المال تزول بزواله، والعلم حاكم والمال محكوم عليه. مات خُزان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي

---

(١) هو: كميل بن زياد النخعي توفي عام (٨٢)، روى عن عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وعبدالله بن مسعود، وأبي مسعود الأنصاري، وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وروى عنه سليمان الأعمش، وعبدالرحمن بن عابس، وأبو إسحاق السبيعي.
- وأما هذا الأثر؛ فقد قال ابن عبدالبر في جامع بيان العلم (٢/ ٢٢٦): (هو حديث مشهور عند أهل العلم يُستغنى فيه عن الإسناد؛ لشهرته عندهم). اهـ
- ولأن هذا الكلام عليه نور، لا يقوله إلا عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأمثاله.

الدهر؛ أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة. هاه! إن ههنا- وأشار إلى صدره بيده- علمًا لو أصبتُ له حَمَلة؛ بلى!! أصبتُ: لَقِنًا غير مأمون عليه يستعمل آلة الدين للدنيا، ويستظهر بحجج الله على كتابه، وبنعمه على عباده، أو منقادًا لأهل الحق ولا بصيرة له في حياته، ينقدح الشَّك في قلبه من أول عارض من شبهة، لا ذا ولا ذاك!! أو منهومًا باللذات سلس القياد للشهوات، أو مغمورًا بجمع الأموال والادخار ليسا من دعاة الدين، أقرب شبهًا بهما الأنعام السائمة، كذلك يموت العلم بموت حامليه. ثم قال: اللهم بلى!! لن تخلو الأرض من قائم لله بحجة؛ (إما ظاهر مشهور، وإما خائف مغمور) لئلا تبطل حجج الله وبيناته، أولئك هم الأقلون عددًا، الأعظمون عند الله قدرًا[1]؛ بهم يدفع الله عن حججه حتى يؤدوها إلى نظرائهم، ويزرعوها في قلوب أشباههم، هَجم بهم العلم على حقيقة الأمر، (فباشروا روح اليقين)، واستلانوا ما استوعر منه المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، صحبوا الدنيا بأبدانٍ أرواحها معلقة بالمحل الأعلى؛ أولئك خلفاء الله في

---

(١) وصدق عليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ! فَحَمَلةُ العلم جميعًا لا يخرجون عن هذه الأصناف الخمسة.
أخبثهم الأول الذي يستعمل آلة الدين للدنيا، ويستظهر بحجج الله على كتابه، وبنعمه على عباده؛ وهكذا كل الأحزاب والفِرق المنتسبة للإسلام التي تجعل العلم والدين مطية للدنيا.
وأحسنهم الأخير؛ وهم الطائفة المنصورة، أهل السُّنة والجماعة.

عباده، والدعاة إلى دينه، هاه! شوقًا إلى رؤيتهم؛ وأستغفر الله لي ولك، إذا شئت فقُم.

٥٤٩- وقال حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر؛ مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله! إنا كنا في جاهلية وشر[1]، فجاءنا الله بهذا الخير؛ فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «**نعم**». فقلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «**نعم؛ وفيه دخن!**». قلت: فما دخنه؟! قال: «**قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر**». قلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «**نعم؛ دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها**». قلت: يا رسول الله! صفهم لنا. قال: «**هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا**». قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «**تلزم**

---

(١) في هذا دليلٌ على مسألتين عظيمتين من مسائل التوحيد والشِّرك:
- الأولى: قبح الشِّرك، ويكفيه وصف حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ له بقوله: (إنا كنا في جاهلية وشر). ويوضحه أكثر وصفه الآخر للإسلام بقوله: (فجاءنا الله بهذا الخير). ومن استقبح الشرك وعرف بشاعته؛ لم يلتمس للمشركين الأعذار الواهية أو يجادل عنهم.
- الثانية: أن العقل يستقل بمعرفة حُسن الأشياء وقبحها، ولكن الثواب والعقاب متعلق بورود الشرع، خلافًا للأشاعرة الذين يعتقدون أن حُسن الأشياء وقبحها لا يثبت إلا بالشرع، وأن الأحكام الشرعية غير معللة بعلل تثبت حسنها عند الأمر بها، أو قبحها عند النهي عنها، حتى قالوا: إنه يجوز أن يأمر الله بالشرك بالله وينهى عن عبادته وحده، ويجوز أن يأمر بالظلم والفواحش وينهى عن البر والتقوى- قاتلهم الله-.
- روى مسلم في صحيحه عن أبي أمامة، قال: قال عمرو بن عبسة السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان).

جماعة المسلمين وإمامهم». قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: **«فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»**[١].

٥٥٠- قال بِشْر بن السَّرِي[٢]:

إن الشيطان يأتي ابن آدم من قبل المعاصي، فإذا امتنع منه؛ أتاه من وجوه النصيحة، فلا يزال به حتى يلقيه في بدعة وهوى، يأمره بالتحرج؛ ليحل حرامًا أو يحرم حلالًا، أويرى طيبًا خبيثًا- مما أحلَّ الله من الطعام والشراب وغير ذلك- حتى يلقيه في هوى؛ فيضل عن السبيل ويكفِّر الناس ويتفكر في الله عَزَّوَجَلَّ ويدع أثر العلماء، فإذا أصاب الشيطان منه حاجته، وعلم أن الله تعالى لا يقبل منه صرفًا ولا عدلًا ولا فريضة؛ خلى بينه وبين الزهد والعبادة والبكاء والتضرع، وربما كايده الشيطان من

---

(١) متفق عليه.

(٢) هو: بشر بن السَّرِي البصري أبو عمرو الأفوه سكن مكة، وسُميَّ الأفوه: لأنه كان يتكلم بالمواعظ، روى عن حماد بن سلمة، والثوري، وابن المبارك، وعبدالرزاق، والليث وغيرهم. وروى عنه أحمد بن أبي الحواري، وأحمد بن حنبل وغيرهما، وقال أبو طالب، عن أحمد: (كان بشر بن السري رجلًا من أهل البصرة ثم صار بمكة، سمع من سفيان نحو ألف حديث، وسمعنا منه، ثم إنه ذكر قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ - إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾. فقال: ما أدري ما هذا، أيش هذا؟! فوثب به الحميدي وأهل مكة، وأسمعوه كلامًا شديدًا، فاعتذر بعدُ فلم يُقبل منه، وزهد الناس فيه بعدُ، فلما قدمتُ مكة المرة الثانية، كان يجيء إلينا، فلا نكتب عنه، وجعل يتلطف، فلا نكتب عنه). وقال الدارقطني: (وجدوا عليه في أمر المذهب؛ فحلف واعتذر إلى الحميدي في ذلك، وهو في الحديث صدوق). انظر: تهذيب الكمال (٦٨٩).

- وكلامه هنا حَسَنٌ عميق.

المردة؛ فيقول له إبليس: دعه لا تَصُدَّه عما هو فيه، فإنه بأمري يعمل وبمفاتيحي يَفتح ويُغلق، حتى لو قام الليل وصام النهار وزهد في الدنيا، هان عليه ولم يجد العياء، ورفع عنه البصر[1]؛ حتى يرضى بالذل والأذى.

٥٥١- قال عمرو بن عبدالغفار:

فإذا أصاب الشيطان منه حاجته؛ جعله مصيدة يصطاد بها الخلق، إذا نظر الناس إليه وإلى عبادته وزهده وورعه وصبره؛ قالوا: هذا المصيب حقًّا! هذا العالم حقًّا! هذا الصالح حقًّا! فيتبعونه. ومن علامته: أن يقع في العلماء ويقع في الناس، ويُعجب برأيه ويفتخر بعلمه، ويزهد في العلماء، ويمقت أهل الخير ويرميهم بالرياء والكبر، وربما ازداد قوة ونشاطًا فيما هو فيه؛ فازداد شماتة بالناس إذ لم ير خيرهم خيرًا، وساء ظنه بهم. ومن علامته: أن يمدح عمل نفسه ويذم عمل غيره، ويرى من خالفه مقصرًا مضيعًا. فإن أردت أن تعرف هُداك من ضلالتك؛ فانظر هل ترى العلماء وجماعة الناس على الهدى؟ فإن رأيتهم على الهدى؛ فاعلم أنك على الهدى، وإن رأيتهم على الضلالة؛ فاعلم أنك على الضلالة؛ لأن هذه الأمة لا تجتمع على الضلالة[2].

---

(١) لعله أراد: (الصبر). وإن كانت: (البصر)؛ فالمراد- والله أعلم- بصيرة القلب.

(٢) حيثما ذُكر العلماء في القرآن والسُّنة والآثار؛ فالمراد بهم: علماء الحديث والأثر، قال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾.

=

٥٥٢- وعن عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلماء بعلمهم، حتى إذا لم يُبْقِ عالمًا؛ اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا فسُئِلوا، فيفتون بغير علم؛ فيضلون ويضلون»(١).

٥٥٣- ورواه من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

«إن الله تعالى لا ينزع العلم من الناس بعد أن يؤتيهم إياه، ولكن يذهب بالعلماء، فكلما ذهب بعالم ذهب بما معه من العلم، حتى يبقى من لا يعلم؛ فيضلون ويضلون». وتقدَّم(٢).

٥٥٤- وعن مسروق؛ قال: قال عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

ليس عام إلا الذي بعده شر منه؛ لا أقول: عام أمطر من عام ولا عام أخصب من عام، ولكن الله عَزَّ وَجَلَّ يصرفه حيث يشاء، ثم قرأ: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟﴾(٣) [الفرقان:٥٠]. ولكنْ ذهابُ خياركم وعلمائكم، فيظل قوم يقيسون الأمور بآرائهم؛ فيهدم الإسلام ويُثلم. وتقدَّم.

- وقال تعالى: (وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ).

- وقال الإمام أحمد: (أهل الحديث أفضل من تكلم في العلم).

وهذا الأثر له وجه صحيح، وله وجه غير مراد، فيُقرن معه حديث الغرباء؛ ليتضح المراد منه.

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البزار في مسنده، والآجري في أخلاق العلماء. وأصله في الصحيحين.

(٣) وقال الله عن العلم النافع: (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ - أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ).

٥٥٥- وعن أبي عثمان النهدي؛ قال:

جئت عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذات يوم فبكى؛ فقلت: يا أمير المؤمنين! ما يبكيك؟ قال: بلغني أن نبيط أهل العراق أسلموا، وإني سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: **«إذا أسلم نَبِيط أهل العراق؛ كفؤا الدين على وجهه، كما يُكفأ الإناء»**(١).

(١) رواه ابن عدي في الكامل؛ ولا يصح رفعه، وهو بالموقوف أشبه، وروى ابن وضاح مثله عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من قوله. والنبيط: قوم من العجم كانوا ينزلون بين العِراقَين، سُموا نبطًا لاستنباطهم ما يخرج من الأرضين، ثم استعمل في أخلاط الناس وعوامهم، ومنه يقال: (كلمة نبطية)، أي عامية. وشعر نبطي، أي: عامي.

- وما أكفأ الدين مثل الرأي والتكلف، وهاتان الصفتان تكثران في أهل العراق؛ لذا خاف عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من إسلامهم، وانظر تر! ما أفسد الدين مثل الرأي والتكلف.

- وقال بشر بن السَّرِيّ؛ كما نقله عنه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم (١/ ٧٨٣): (نظرت في العلم فإذا هو الحديث والرأي، فوجدت في الحديث ذكر النبيين، والمرسلين، وذكر الموت، وذكر ربوبية الرب، وجلاله وعظمته، وذكر الجنة والنار، والحلال والحرام، والحث على صلة الأرحام، وجماع الخير، ونظرت في الرأي، فإذا فيه المكر، والخديعة والتشاح، واستقصاء الحق، والمماكسة في الدين، واستعمال الحيل، والبعث على قطع الأرحام، والتجرؤ على الحرام). اهـ

ورُوي مثله عن يونس بن أسلم.

- والمعنى الآخر: أن من كان ليس ذا حسب ومروءة إذا طلب العلم ربما أراد به الرفعة في الدنيا؛ ليرفع خسيسته، فصار مطية لأهواء الناس والسلطان. وقد كان سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ لا يحدث النبط ولا سفل الناس، وكان إذا رآهم؛ ساءه! فقيل له في ذلك؟ فقال: (إن العلم إنما أُخذ عن العرب، فإذا صار إلى النبط وسفل الناس؛ قلبوا العلم). رواه أبو نعيم في الحلية.

- والعرب أمة أميَّة وعلمها عميق جزل متجدد، وقد اشتهرت في جاهليتها بعلوم القيافة والريافة والعيافة وعبارة الرؤيا وقص الأثر وأشياء من ذلك؛ تدلُّ على حدة الذكاء وجودة القرائح دون تكلف.

=

٥٥٦- وعن واثلة بن الأسقع؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«لم يزل أمر بني إسرائيل مستقيمًا، حتى خرج بهم أولاد السبايا، فقاسوا ما لم يكن بها كان؛ فضلوا وأضلوا»(١).

٥٥٧- ورواه من كلام عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ اللَّهُ؛ قال:

لم يزل أمر بني إسرائيل مستقيمًا، حتى حدث فيهم المُوَلَّدُونَ أبناء سبايا الأمم، فقالوا فيهم بالرأي؛ فضلوا وأضلوا.

❒ ❒ ❒

أما العجم والنبط فهم أهل صنعة، فإذا دخلوا في العلم؛ حوَّلوه إلى صنعة ووضعوه في قوالب، وقلبوا أسفله أعلاه وأكفؤه على وجهه، وهكذا كان من بعد الصحابة إلى عصرنا، وانظر الأثر ذي الرقم: (٥٧٩).

(١) رواه ابن بطة في الإبانة؛ ولا يصح رفعه، وثبت عن عروة بن الزبير، كما تقدَّم.

٨٨- باب: التحذير من علماء السوء ممن ترك كتاب الله وسنة رسوله ﷺ واعتمد على رأيه، وجلب الناس بمنطقه، وتزين لهم بعلمه وزهده، وتصنع بقراءته وتعبده، وما يصدون بذلك عن الحق ويقطعون عن الخير ويمنعون من طلب العلم

٥٥٨- عن أبي عثمان النهدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ قال:

خطبنا عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ فقال: حَذَّرنا رسول الله ﷺ كلَ منافق عليم[1].

٥٥٩- وفي لفظ آخر: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إن أخوف ما أخاف على أمتي؛ كل منافق عليم اللسان»[2].

---

(١) جاء تفسير هذا في الرواية الثانية التي رواها الفريابي في صفة المنافقين (ص٣٧) عن أبي عثمان النهدي، قال: (سمعت عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهو على منبر رسول الله ﷺ أكثر من عدد أصابعي هذه وهو يقول: إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة المنافق العليم، قيل: وكيف يكون المنافق العليم؟ قال: عالم اللسان، جاهل القلب والعمل). وعند المروزي في تعظيم قدر الصلاة، قال: (يتكلم بالحكمة ويعمل بالجور- أو قال: المنكر).

- وروى عبدالله في زوائد الزهد لأبيه الإمام أحمد (١٣٠٠) عن الأحنف بن قيس، قال: (كنت عند عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ جالسًا، فقال: إن هلكة هذه الأمة على يدى كل منافق عليم، وقد رمقتك؛ فلم أر منك إلا خيرًا، فارجع إلى قومك؛ فإنهم لا يستغنون عن رأيك).

(٢) رواه أحمد في مسنده، والفريابي في صفة النفاق، والموقوف أشبه بالصواب؛ كما في علل الدارقطني (٢٤٦). وقال البزار: (هذا الكلام لا نحفظه إلا عن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ).

٥٦٠- وقال وهيب بن الورد:

ضُرِب لعالم السوء مَثَلٌ؛ فقيل: إنما مَثَل العالم السوء كمثل الحَجَر يقع في الساقية، فلا هو يشرب الماء ولا هو يخلي عن الماء فيحيى بـه الـشجر، ولو أن علماءنا- الله يصلحنا وإياهم- نصحوا لله في عبـاده؛ فقـالوا: يـا عباد الله! اسمعوا ما نخبركم عن نبيكم ﷺ وصالح سلفكم؛ فـاعملوا به واتركوا أعمالنا هذه السفلة، فإننا قوم مفتونون؛ لكانوا قد نـصحوا لله تعالى في عباده، ولكنهم- الله يصلحنا وإياهم- يأبون إلا أن يجروا عبـاد الله تعالى إلى أعمالهم.

٥٦١- وعن سهل بن سعد الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال:

خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نَقْتَرِئ؛ يُقْرِئُ بعضنا بعضًا؛ فقال: **«الحمد لله، كتابُ الله عَزَّوَجَلَّ أخذ به الأحمر والأسود، اقرؤا! اقرؤا! اقـرؤا! قبل أن يجيء أقوام يقيمونه كما يُقام القِدْح، لا يجاوز تراقيهم، يتعجلـون أجره ولا يتأجلونه»**[(١)].

٥٦٢- وعن العلاء[(٢)] رَحِمَهُ اللَّهُ؛ قال:

اتقوا الفاجر من العلماء، والأحمق مـن المتعبـدين؛ فـإنهما فتنـة لكـل مفتون[(٣)].

---

(١) رواه أحمد في مسنده، وأبو داود في سننه، وأبو عبيد في فضائل القرآن.

(٢) هو: العلاء بن المسيَّب بن رافع؛ يروي عن أهل الكوفة.

(٣) روى العلاء بن المسيب هذا الأثر عن إبراهيم النخعي، كما في الثقات لابن حبان (٥/ ١٠٢).

=

٥٦٣- وقال محمد بن المنكدر رَحِمَهُ اللَّهُ:

أحذركم الفجار من العلماء، والجهال من المتعبدين؛ فإنه قد يقال للمرء: عالم، وهو فاجر. وقد يقال للمرء: عابد، وهو جاهل؛ وإنما مثل ذلك كالسائر على غير طريق؛ لم يزده الاجتهاد والسرعة من الله إلا بعدًا.

٥٦٤- وعن زياد بن حُدير:

قال سمعت عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: ثلاث أخافهن عليكم وبهن يُهدم الإسلام: زلة عالم- (وفي لفظ: رجل عهد الناس عنده علمًا فزلّ؛ فاتبعوه على زلته)- ورجل (منافق) قرأ القرآن، فلا يسقط منه ألفًا ولا واوًا، أضل الناس عن الهُدَى أن كان أجدلهم، وأئمة مضلون.

٥٦٥- وعن الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا أخاف عليكم المؤمن؛ إن المؤمن يحجزه إيمانه، ولا أخاف عليكم الكافر؛ إن الكافر يخاف المؤمن، ولكن أخاف المنافق الذَّرِب اللِّسان»[1].

وقد ذُكر هذا الأثر أيضًا عن سفيان الثوري، كما في رسالته لعبَّاد بن عبَّاد، انظر: أخبار الشيوخ للمروذي (ص١٨٥). والجامع في العلل ومعرفة الرجال لعبدالله بن أحمد (٢/ ١٢٧)، والتاريخ الأوسط للبخاري (١٦٦٧).

(١) مراسيل الحسن فيها وفيها. والمعنى صحيح، فقد رواه الفريابي في صفة المنافق، عن حبيب بن أبي فضالة؛ قال: (كان بعض المهاجرين، يقول: والله ما أخاف المسلم ولا أخاف الكافر؛ أما المسلم فيحجزه إسلامه وأما الكافر؛ فقد أذلَّه الله ولكن كيف لي بالمنافق؟!).

- والذَّرِبُ اللِّسان: هو الحادُّ اللِّسان. والمعنى كما قال الله تعالى: ﴿وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡ﴾. لفصاحتهم، وذلاقة ألسنتهم، وحلاوة كلامهم.

=

٥٦٦- وعن الأحنف بن قيس رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ قال: سمعت عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يقول: كنا نتحدث: إنما يُهْلِكُ هـذه الأمة كل منافق عليم اللسان(١).

٥٦٧- وعن العلاء بن موسى؛ قال: حدثني أبي؛ قال:

قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: (كان عبدالله بن أُبي جسيمًا فصيحًا ذلق اللسان، فإذا قال؛ سمع النبي ﷺ قوله). اهـ

- أما الحسن، فقد روى عنه الفريابي أنه قال: (إنما الناس بين ثلاثة نفر: مؤمن ومنافق وكافر؛ فأما المؤمن فعامل بطاعة الله، وأما الكافر فقد أذله الله تعالى كما رأيتم، وأما المنافق فههنا في الحُجَر والبيوت والطرق؛ نعوذ بالله! والله ما عرفوا ربهم، بل عرفوا إنكارهم لربهم بأعمالهم الخبيثة، ظهر الجفا وقَلَّ العلم وتركت السُّنة! إنا لله وإنا إليه راجعون، حيارى سُكارى ليسوا بيهود ولا مجوس ولا نصارى).

- وقال: (إن المؤمن لم يأخذ دينه عن الناس، ولكن أتاه من قِبَل الله فأخذه، وإن المنافق أعطى الناس لسانه ومنع اللهَ قلبه وعمله، فمُحْدثان أحدثا في الإسلام: رجل ذو رأي سوء زعم أن الجنة لمن رأى مثل رأيه فسل سيفه وسفك دماء المسلمين واستحل حرمتهم، ومترف يعبد الدنيا، لها يغضب وعليها يقاتل ولها يطلب).

- وقال: (يا سبحان الله! ما لقيت هذه الأمة من منافق قهرها واستأثر عليها، ومارق مرق من الدين فخرج عليها؛ صنفان خبيثان قد غَمَّا كل مسلم، يا ابن آدم دينك دينك!! فإنما هو لحمك ودمك! فإن تسلم به فيالها من راحة، ويا لها من نعمة. وإن تكن الأخرى، فنعوذ بالله فإنما هي نار لا تطفأ وحجر لا يبرد ونفس لا تموت). صفة المنافق (١/ ٦٢).

(١) ولما قدم الأحنف بن قيس- راوي هذا الأثر- على عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وكان فصيحًا؛ حبسه عنده سنة كاملة خوفًا مما في هذا الأثر، فلما تحقق صدقه؛ أذن له:

- ففي صفة النفاق وذم المنافقين للفريابي (٢٧) عن الأحنف بن قيس، قال: (قدمت على عمر ابن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فاحتبسني عنده حولًا؛ فقال: يا أحنف! إني قد بلوتك وخبرتك، فرأيت علانيتك حسنة، وأنا أرجو أن تكون سريرتك على مثل علانيتك، وإنا كنا نتحدث: إنما يهلك هذه الأمة كل منافق عليم).

خرج رجل من مسالمة مصر إلى المدينة في خلافة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فلما أمسى عليه الليل وهو في مسجد النبي ﷺ قام؛ فقال: رحم الله من يضيفني الليلة عنده؛ فأخذ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بيده فانصرف به فأدخله منزله، فأوقد عليه سراجًا وقدم إليه أقراصًا من شعير وملحًا جريشًا، ثم قال له: من أين أنت؟ قال: من أهل مصر؛ قال: من أي القبائل؟ قال: من مسالميها؛ قال: فأطفأ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ السراج ورفع الطعام، ثم أخذ بيده فأخرجه، ثم قال: نهى رسول الله ﷺ عن مجالستكم، وإنه سيكون منكم قوم في آخر الزمان يترأسون حلق العلم، فإذا تكلم الشريف وثبتم في حَلْقه، ثم قلتم: لا، ثم لا[1].

❒ ❒ ❒

(١) يتضح من هذا الأثر أن المسالمة من أراذل الناس، وستكون لهم الغلبة في آخر الزمان. وأول من يندرجون تحت هذا الأثر: هم أصحاب المذاهب والفرق والأحزاب الضالة؛ الذين صاروا الآن يترأسون حلق العلم وقد فتحوا للناس أبوابًا شتى من البدع، ويتكلمون باسم السُّنة والإصلاح؛ فإذا تكلم الشريف وأنكر عليهم؛ وثبوا في حلقه، وقالوا: لا، ثم لا!!
والمسالمة: هي البلاد التي فتحت بالصلح.

٨٩- باب: ما يخاف ممن تشبه بالعلماء وليس منهم وأراد أن يُحسب من جملتهم ويُعدَّ فيهم؛ ليجر غيره إلى ضلالته ويوقعه في بدعته وجهالته

٥٦٨- عن عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«يوشك أن تظهر فيكم شياطين كان أوثقهم سليمان بن داود عَلَيْهِمَا السَّلَامُ **في البحر، يصلون معكم في مساجدكم، ويقرؤن معكم القرآن، ويجادلونكم في الدين؛ وإنهم لشياطين في صور الإنس»**[1].

---

(١) رواه مرفوعًا ابن عدي في الكامل، والخطيب في الفقيه والمتفقه، ورواه موقوفًا مسلم في مقدمة صحيحه، والدارمي في سننه.

- وقد جاء هذا المعنى عن كثير من السَّلف:

- ففي ذم الكلام عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: (إذا كانت خمس وثلاثين ومئة سنة؛ خرج شياطين من البحر- كان سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ حبسها- في أشعار الناس وأبشارهم، يُحَدِّثون الناس ليفتنوهم؛ فاحذروهم).

- وفي سنة (١٣٥) للهجرة، لم يبق من القرون الفاضلة التي زكاها رسول الله ﷺ أحدٌ حيًّا.

- وقال عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إن الشياطين لتتمثل في صورة رجل، ثم تأتي القوم فتحدثهم بالحديث من الكذب، فيتفرقون، فيأتي الرجل القوم، فيقول: سمعت رجلًا أعرف وجهه ولا أدري ما اسمه يُحِّدث كذا وكذا، وما ابتدأه إلا الشيطان).

- وقال طاوس: (إن مردة الشياطين مغللون في جزائر البحور، فإذا كان ثلاث وثلاثون ومئة سنة؛ أُطلقوا في صور الإنس وأشعارهم وأبشارهم، فجادلوا الناس بالقرآن، وتهيؤا بهيئة العلماء؛ فلا تأخذوا العلم إلا ممن تعرفون).

=

- وقال يحيى بن معين: (قدم أبو هُدْبة بغداد، فجعل يحدِّث، فقال له شاب: أخرج رِجْلك. فسُئل، فقال: أخشى أن يكون له حافر؛ فيكون شيطانًا).
- وقال الليث بن سعد: (قدم علينا شيخ من الإسكندرية يروي عن نافع وهو حيّ، فأتيناه؛ فكتبنا عنه قُنداقين عن نافع - أي: صحيفتين - فلما خرج؛ أرسلنا بهما إلى نافع؛ فما عرف منها شيئًا، فقال أصحابنا: ينبغي أن يكون هذا من الشياطين الذين حُبسوا).
- وروى ابن وضاح، عن سفيان؛ قال: (قد بلغنا ذلك عن عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ أنه قال: سيأتي على الناس زمان يجلس في مساجدهم شياطين، كان سليمان بن داود عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قد أوثقهم في البحر، يخرجون يعلمون الناس أمر دينهم.
قال سفيان: بقيت أمور عظام! يُعلّمون الناس، فيدخلون في خلال ذلك الأهواء المحدثة، فيحلون لهم الحرام، ويشككونهم في الفضل والصبر والسُّنة، ويبطلون فضل الزهد في الدنيا، ويأمرونهم بالإقبال على طلب الدنيا، وهي رأس كل خطيئة).
- وروى ابن وضاح في كتاب البدع، عن حارثة بن مُضرِّب: (أن الناس نودي فيهم بعد نومة: أنه من صلى في المسجد الأعظم - بالكوفة - دخل الجنة! فانطلق الرجال والنِّساء حتى امتلأ المسجد قيامًا يصلون - قال أبو إسحاق: إن أمي وجدَّتي فيهم - فأُتي ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقيل له: أدرك الناس، فقال: ما لهم؟! قيل: نودي فيهم بعد نومة: أنه من صلى في المسجد الأعظم دخل الجنة! فخرج ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يشير بثوبه، ويقول: ويلكم! اخرجوا لا تُعَذَّبوا؛ إنما هي نفخة من الشيطان، إنه لم ينزل كتاب بعد نبيكم، ولا نبي بعد نبيكم ﷺ.
فخرجوا وجلسنا إلى عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فقال: إن الشيطان إذا أراد أن يُوقِع الكذب انطلق؛ فتمثَّل رجلًا ثم يَلقى آخر، فيقول له: أما بلغك الخبر بالغد؟ فيقول الرجل: وما ذاك؟ فيقول: كان من الأمر كذا وكذا، فانطلِق فحدِّثْ أصحابك. قال: فينطلق الآخر، فيقول: لقد لقيتُ رجلًا إني لأتوهم أعرف وجهه، زعم أنه كان من الأمر: كذا وكذا؛ وما هو إلا الشيطان). اهـ
- وفي السنة للخلال (٨٩٣) عن الأغضف عمرو بن الوليد، قال: قلت لمعاذ بن منصور: (مَن حدثك أن أُبي بن كعب ردَّ ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن حديثه في القدر؟! فقال: حدثني رجل لا أعرفه! فقلت: فأنا أعرفه! فقال: من هو؟! قلت: الشيطان). اهـ

٥٦٩- وعن أبي عمران الجوني، عن أبي الجَلْد[١]؛ قال:

يُرسل على الناس على رأس كل أربعين سنة شيطان يقال له: القمقم؛ فيبتدع لهم.

٥٧٠- وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«من اقتراب الساعة؛ إذا رأيتم قراء فسقة لبسوا مُسُوكَ الضأن[٢] وقلوبهم أنتن من الجيفة وأَمَرُّ من الصَبِر؛ يغشاهم الله ببلاء يتهاوكون فيه تهاوك اليهود الظلمة»[٣].

٥٧١- قال الشيخ نصر رَحِمَهُ اللَّهُ:

فإذا خفتم أن يلبس عليكم قولهم، وأن يخفى عليكم غرورهم؛ لتحليهم بالعلم وبُعدهم منه، وتزينهم بالحلم وخلوّهم عنه، فاْعرِضوا ما يوردونه عليكم ويُلقونه إليكم، فإن كان في كتاب الله، أو في سنة رسوله ﷺ، أو في إجماع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أو قول إمام منهم أو ممن بعدهم من التابعين وأئمة العلم المشهورين، يصح ذلك بالأسانيد الصحاح المشهورة؛ فاقبلوه، وإن كان خاليًا عن ذلك؛ فاتركوه

(١) هو: جيلان بن أبي فروة الأسدي البصري، أبو الجلد. كان يُلقب بصاحب كتب التوراة. ذكره ابن حبان في الثقات، وقال: (كان يقرأ الكتب- أي: كتب أهل الكتاب-).
ووثقه الإمام أحمد. ولعلَّ هذا الأثر مما أخذه عن أهل الكتاب.

(٢) أي: جلودها.

(٣) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء.

واطرحوه، فإن ما خرج عن هذه الأصول؛ فهـو بدعـة محدثـة وضـلالة مجددة، وقد أُمرنا بمجانبة ما هذا سبيله، ورده على صاحبه وتعطيله[1].

٥٧٢- وتقدَّم حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ قالت: قال رسول الله ﷺ: **«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه؛ فهو رد»**؛ بطرقه[2].

٥٧٣- وعن يحيى بن جعدة:

أن النبي ﷺ أُتي بكتاب في كَتِفٍ؛ فقال: **«كفى بقوم حمقًا أو ضـلالة أن يرغبوا عما جاء بـه نبـيهم إلى نبـيٍّ غـيرِهم، أو كتـاب غـير كتـابهم»**. فنزلـت: « أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ » [العنكبوت:٥١]، إلى آخر الآية[3].

٥٧٤- وقال الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ما حدثوك عن أصحاب محمد ﷺ فاقبله، وما حدثوك عـن رأيهـم؛ فألقه في الحُشِّ[4].

---

(١) ولابد أن يأتي بالآية والحديث على وجهه، وألا يحرف الكلم عن مواضعه التي وضعه الله فيها.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه الدارمي في مقدمة السنن، وأبو داود في المراسيل.

(٤) وفي لفظٍ: (فبُلْ عليه). ومراد شعبة بقوله: (وما حدثوك عن رأيهم؛ فألقه في الحُش) يعنـي: أبـا حنيفة وأصحابه، ويؤيد ذلك ما رواه عبدالله بن أحمد في الـسُّنة (٣٣٥) عـن أبي الفـضل، عـن أسود بن سالم، قال: (إذا جاء الأثر؛ ألقينـا رأي أبي حنيفـة وأصـحابه في الحـش). ثـم قـال لي أسود: (عليك بالأثر فالزمه، أدركت أهل العلم يكرهون رأي أبي حنيفة ويعيبونه). اهـ
- وقيلت أيضًا في حقِّ الواقفة، كما روى الخطيب في تاريخه (٨/ ٣٥١) عن أبي سليمان داود بن الحسين البيهقي، قال: (بلغني أن الحُلواني الحسن بن علي، قال: إني لا أكفر من وقف في
=

٥٧٥ - وتقدَّم حديث حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «كان الناس يسألون...». الحديث.

٥٧٦ - وتقدَّمت أحاديث افتراق بني إسرائيل على اثنتين وسبعين فرقة.

٥٧٧ - **قال الشيخ نصر** رَحِمَهُٱللَّهُ:

وهذا يدل كل مسلم عاقل على أن من خالف ما كان عليه الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ فهو ضلالة مردودة وبدعة ممنوعة، وأن هذه المسائل المشكلات والآراء المضلات لم تكن في ذلك الوقت، ولا تكلم فيه النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ولا أصحابه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ إذ لو كانوا تكلموا فيها؛ لنُقل إلينا عنهم كما نقل غيره، فلما لم ينقل دلَّ على أنه لا أصل لشيء من ذلك، إنما هو من إلقاء الشيطان في قلوب أوليائه؛ ليشوش على المسلمين أمرهم، فلا يجوز الكلام فيها، فمن فعل فإنما هو متبع هوى، ضال مضل، خارج عن شرعهم وبائن عن سنتهم ومحجوج بهم؛ لأنهم حجة الله على عباده ونصحاؤه في أهل دينه، فما تكلموا فيه ساغ لغيرهم الكلام، وما سكتوا عنه فواجب تركه، والكلام فيه محرم.

القرآن؛ فتركوا علمه). قال أبو سليمان: (سألت سلمة بن شبيب، عن علم الحلواني، قال: يُرمى في الحُشِّ). اهـ

- وقال أبو سليمان الداراني: (ربما تقع في قلبي النكتة من نكت القوم أيامًا؛ فلا أقبلها إلا بشاهدين عدلين- الكتاب والسُّنة-).

- والمراد بالنكتة هنا: المعنى اللطيف الخفي من أعمال القلوب.

- والقوم هنا: هم الصوفية الأولى المتكلمة في الخطرات والحركات والمدققة في أعمال القلوب.

٩٠- باب: من خالف كتاب الله؛ طلبًا للرئاسة ولأنْ تغشاه الناس وتقصده؛ فيخالِف ليُعرف، ويبتدع- غير ما في كتاب الله- ليوصف، وما يخاف ممن هذه سبيله على أمة محمد ﷺ

٥٧٨- عن أبي قلابة؛ قال: قال معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

تكون فتن يكثر فيه المال، ويفتح فيها القرآن؛ حتى يقرأه المؤمن والكافر، والمرأة والرجل، والصغير والكبير، فيقرأه رجل؛ فيقول: قرأته علانية فلا أُراني أُتبع، فيقعد في بيته ويبني مسجدًا في داره، ثم يبتدع ما ليس في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ فإياكم وما ابتدع؛ فإنها ضلالة.

٥٧٩- وقال حفص بن غياث:

كان هذا العلم في الأشراف وكانوا يستغنون بشرفهم، فلما كان في السَفَلة؛ ابتدعوا البدع ليُتبعوا وليبذلوه لمن ليس له بأهل، ففسد الأمر بهذا، وإن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذكر آخر الزمان والبدع؛ فقال: يقول أحدهم: قد قرأت القرآن ولا أراهم يتبعوني؛ لأبتدعن لهم بدعة حتى يتبعوني[1].

---

(١) هذا الأثر العظيم والذي قبله يستدعي من المؤمن وقفة تأمل وموقف نظر، كيف لا؟! والقائل له إمام العلماء معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وموضوعه أخطر الموضوعات على الإطلاق بعد
=

الشِّرك بالله ألا وهو الابتداع في الدين؛ وهذا يقودنا إلى البحث عن أسباب الوقوع في البدع المضلة، وعند استقراء آيات القرآن العزيز، ونصوص الشريعة وآثار السَّلف نجد أن للبدع أسبابًا منها:

١- إيثار الدنيا على الآخرة وتقديم محبتها على ما أعده الله لعباده المؤمنين، وهذا الذي أوقع المشركين في الشرك وأوقع المبتدعة في البدعة، قال الله تعالى: (كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ - وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ)، وقال تعالى: (إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا)، وقال في سورة الفاضحة: (اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)، وفي الأثر: (حبُّ الدنيا رأس كل خطيئة). وقال النبي ﷺ: (أيها الناس! استحيوا من الله حق الحياء، فقال رجل: يا رسول الله! إنا نستحي من الله تعالى؟! فقال: من كان منكم مستحييًا، فلا يبيتن ليلة إلا وأجله بين عينيه، وليحفظ البطن وما حوى، و الرأس وما وعى، وليذكر الموت والبِلى، وليترك زينة الدنيا).

- والمبتدع لم يحفظ البطن وما حوى و الرأس وما وعى؛ ولهذا عاقبه الله بنقيض قصده، فقال تعالى: (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ).

٢- الغلو في الدين؛ قال تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ). والبدعة قولٌ على الله بغير حق. وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: (إياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من قبلكم بالغلو في الدين). رواه أحمد.

٣- مفارقة الجماعة؛ قال تعالى: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ). ثم قال بعدها: (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ). وتأمل تفسير ابن عباسٍ لها.

٤- الجهل؛ قال تعالى عن المشركين والمبتدعة: (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ)، وقال تعالى: (وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ).

٥- اتباع الهوى؛ قال الله تعالى: (فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ).

٦- اتباع المتشابه وترك المحكم؛ قال تعالى: (هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ).

٧- سوء القصد والنية؛ قال تعالى: (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ). وروى عبدالرزاق في مصنفه (٥٤٠٧) عن معمر، =

٥٨٠- وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن أشد ما أتخوف على أمتي ثلاث: زلة عالم، وجدال منافق بالقرآن، ودنيا تقطع أعناقكم؛ فاتهموها على أنفسكم»(١).

قال: (بلغني أن عليًا مرَّ بقاصٍّ، فقال: أتعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا، قال: هلكت وأهلكت، قال: ومرَّ بآخر، قال: ما كنيتك؟ قال: أبو يحيى، قال: بل أنت أبو اعرفوني).

٨- الإعراض عن معرفة الحق وتعلمه والعمل به؛ قال تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ). وقال تعالى: (بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ).

٩- إعجاب المرء بنفسه ورأيه واستغنائه عن ربه، قال الله تعالى: (كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ - أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ). والبدعة طغيان واستغناء. وقال تعالى: (أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ)، وفي حديث أبي ثعلبة الخشني، قال النبي ﷺ: (ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيتم شحًا مطاعًا وهوى متبعًا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه؛ فعليك بنفسك ودع عنك أمر العوام) رواه أبو داود والترمذي.

١٠- البعد عن أهل العلم والزهد في الأخذ عنهم، مع مصاحبة أهل الرأي والبدع، قال الله تعالى: (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ). وقال تعالى: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)، وفي الحديث: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه منكم، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالًا، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا). متفق عليه.

(١) رواه البيهقي في السنن والشُّعب عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ولا يصح مرفوعًا؛ فيه: يزيد بن أبي زياد، وهو ضعيف الحديث. وأصحُّ ما في الباب: الموقوف على معاذ بن جبل، فيما رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ١١٢) عن معاذ بن جبل، أنه قال: (يا معشر العرب! كيف تصنعون بثلاث: دنيا تقطع أعناقكم، وزلة عالم، وجدال منافق بالقرآن؟ قال: فسكتوا، فقال: أما العالم فإن اهتدى فلا تقلدوه دينكم، وإن فتن فلا تقطعوا منه آمالكم، فإن المؤمن يفتن ثم يتوب، وأما القرآن فمنار كمنار الطريق لا يخفى على أحد، فما عرفتم منه فلا تسألوا عنه أحدًا، وما شككتم فيه فكلوه إلى عالمه، أو كلوا علمه إلى الله، وأما الدنيا فمن جعل الله الغنى في قلبه فقد أفلح، ومن لا فليس بنافعته دنياه). اهـ

وقد سُئل الدارقطني عن هذا الحديث، كما في علله (٩٩٢)، فقال: (الموقوف هو الصحيح).

٥٨١- وعن أبي إدريس الخولاني؛ قال:

أدركت من أصحاب رسول الله ﷺ بالشام أبا الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ووعيت عنه، وشداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ووعيت عنه، وعبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ووعيت عنه، وسبقني معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأدركت أصحابه؛ فحدثني يزيد بن عَميرة وكان من أصحاب معاذ: أن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان لا يجلس مجلسًا لذكرٍ ولا لغيره إلا قال كلمتين لا يتركهما: الله حَكَم مقسط- تبارك اسمه- هلك المرتابون، وذكر يومًا أنها ستكون فتنة يكثر فيها المال ويفشو فيها القرآن، حتى يقرأه المؤمن والمنافق، والصغير والكبير، والرجل والمرأة، ويوشك أن يقول الرجل: ما للناس لا يتبعوني وقد قرأت القرآن، والله ما هم بمتبعيّ حتى أبتدع لهم غيره، فإياكم وما ابتدع؛ فإنها ضلالة. وأحذركم زيغة الحكيم؛ فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على فيّ الحكيم، وإن الأحمق قد يقول كلمة الحق. قلت: وما يُدرينا يا أبا عبدالرحمن! أن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة، وأن الأحمق قد يقول كلمة الحق؟! قال: بلى! احذر من كلام الحكيم المُشبِّهات، اللاتي تقول: ما هذه؟!! ولا يردك ذلك عنه، فإنه عسى أن يراجع، وتَلَقَّ الحق ممن سمعته؛ فإن على الحق نورًا. وإن العلم والإيمان مكانهما إلى يوم القيامة من ابتغاهما وجدهما[1].

---

(١) سبب هذا الأثر كما في ذم الكلام (٧٥١) أن يزيد بن عَميرة، قال: (لما حضرت معاذًا الوفاة؛ جعلت أبكي، فقال: ما يبكيك؟! فقلت: والله ما أبكي على رحم بيني وبينك، ولا دنيا أنالها =

❐ ❐ ❐

منك، ولكن أبكي على الحُكْم والعِلم يذهبان. فقال: الحكم والعلم مكانهما؛ فاطلبهما من حيث طلبهما إبراهيم واطلبوا العلم بعدي عند أربعة نفر: ابن مسعود، وأبي الدرداء، وسلمان، وابن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ فإن أعيوك به؛ فسائر الناس به أعيا، واحذر زلة العالم. قلت: وما زلة العالم؟ قال: كلمة الضلالة يلقيها الشيطان على لسان أحدهم، وخذ العلم وإن كان من منافق- أي بعد علمك أنه منافق- واعلم أن على الحق نورًا، وإياكم ومُغْمِضات الأمور). اهـ

- قال ابن القيم في أعلام الموقعين (٢/ ١٩٢): (والمصنفون في السُّنة جمعوا بين فساد التقليد وإبطاله وبيان زلة العالم؛ ليبينوا بذلك فساد التقليد، وأن العالم قد يزل ولابد؛ إذ ليس بمعصوم، فلا يجوز قبول كل ما يقوله، وينزل قوله منزلة قول المعصوم، فهذا الذي ذمَّه كل عالم على وجه الأرض وحرَّموه وذموا أهله، وهو أصل بلاء المقلدين وفتنتهم؛ فإنهم يقلدون العالم فيما زلَّ فيه وفيما لم يزل فيه وليس لهم تمييز بين ذلك، فيأخذون الدين بالخطأ ولابد؛ فيحلون ما حرَّم الله ويحرمون ما أحلَّ الله ويشرعون ما لم يشرع ولابد لهم من ذلك؛ إذ كانت العصمة منتفية عمن قلدوه، فالخطأ واقع منه ولابد. ثم قال: ومن المعلوم أن المخوف في زلة العالم تقليده فيها، إذ لولا التقليد لم يخف من زلة العالم على غيره، فإذا عرف أنها زلة لم يجز له أن يتبعه فيها باتفاق المسلمين؛ فإنه اتباع للخطأ على عمد، ومن لم يعرف أنها زلة فهو أعذر منه، وكلاهما مفرِّطٌ فيما أُمر به). اهـ

- وذكر عبدالرحمن المعلمي في كتابه: رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله- المعروف بكتاب العبادة- (ص٢٧٣) ملمحًا آخر في كيفية التعامل مع زلات العلماء، فقال: (وأهل العلم إذا بلغهم خطأ العالم أو الصالح وخافوا أن يغتر الناس بجلالته؛ ربما وضعوا من فضله، وغبروا في وجه شهرته، مع محبتهم له ومعرفتهم لمنزلته، ولكن يظهرون تحقيره لئلا يفتتن به الناس. ومن ذلك ما ترى في مقدمة صحيح مسلم من الحطِّ الشديد على البخاري في صدد الردِّ عليه في اشتراط ثبوت لقاء الراوي لمن فوقه، حتى لقد يُخيل إلى القارئ ما يُخيل إليه، مع أن منزلة البخاري في صدر مسلم رفيعة، ومحبته له وإجلاله أمرٌ معلومٌ في التاريخ وأسماء الرجال). اهـ

- وهذا كلامٌ جيدٌ جدًا.

٩١- باب: من فعل ذلك طلبًا للدنيا والجاه عند السلاطين وأهل الدنيا وعوام الناس، ومن يَستضِرّ بفتواه، ويتلف باتباعه وتقليده من الناس الذين لا يعلمون

٥٨٢- عن محمود بن الربيع، أن شداد بن أوسٍ بَكَى، ومحمود بن الربيع جالس معه؛ وقال:

يا نُعْيَان العرب![1] فقلت: ما يبكيك رحمك الله؟! فقال: إن أكثر ما أخاف على هذه الأمة: الرياء والشهوة الخفية[2]؛ إنكم والله ما تؤتون إلا

---

(١) مصدر: نعيته نعيًا ونعيانًا. يريد أن العرب قد هلكت وذهبت. وفي لفظ: (يا بقايا العرب!).

(٢) جاء تفسير الشهوة الخفية في الحديث الذي رواه أحمد والحاكم، عن شداد بن أوس، قال: (..أما الشهوة الخفية فقد عرفناها؛ هي شهوات الدنيا من نسائها وشهواتها...). الحديث.
- وفي رواية: (والشهوة الخفية: أن يصبح أحدهم صائمًا، فتعرض له شهوة من شهواته؛ فيترك صومه).
- فالشهوة الخفية جاءت بعدة تفسيرات: قال الفارسي في مجمع الغرائب: (قيل: هي شهوة النساء). وقال أبو عبيد في غريب الحديث: (هو عندي ليس بمخصوص؛ ولكنه في كل المعاصي يضمرها المرء ويصر عليه، وإنما هو الإصرار وإن لم يعمله).
- وقيل: (هو أن يرى جارية حسناء فيغض طرفه، ثم ينظر إليها بقلبه كما ينظر بعينه).
- وقيل: (هو أن ينظر إلى ذات محرم حسناء).
- وذكر الأزهري وجهًا آخر لطيفًا وهو: (أنه نصب الشهوة على أنه مفعول معه؛ كأنه قال: (أخوف ما أخاف على أمتي: الرياء مع الشهوة الخفية). ومعنى ذلك أنه يُرِى الناس أنه تارك للمعاصي والشهوة، ويخفي الشهوة لها في قلبه، فإذا خلا بنفسه عملها في خفية). اهـ

=

من قِبَلِ الرؤوس الذين إن أمروا بخير أطيعوا، وإن أمروا بالشر أطيعوا[1]؛ إنما المنافق كالبيدج[2] اختنق في رِبقه لا يضر إلا نفسه.

٥٨٣- وقال الفضيل بن عياض:

تزينتَ لهم بالصوف[3] ولم ترهم يرفعون بك رأسًا!! تزينتَ لهم بالقرآن فلم ترهم يرفعون بك رأسًا!! تزينتَ لهم بشيء بعد شيء؛ كل ذلك إنما هو حُبُّ الدنيا.

٥٨٤- وقال الفيض بن إسحاق[4]:

قال لي الفُضيل: لو قيل لك: يا مرائي! غضبتَ وشق عليك، وعسى ما قيل حق؛ حين تزينت للدنيا وتصنعت لها وقصرت ثيابك وحسنت

- وقال ابن الجوزي في غريب الحديث: (الرياء: ما كان ظاهرًا، والشهوة الخفية: اطلاع الناس على العمل). اهـ

أي: يحب أن يطلع الناس على عمله بعد أن يفرغ منه.

- وقيل لأبي داود السجستاني: ما الشهوة الخفية؟ قال: حب الرئاسة.

(١) وقال سفيان بن عيينة: (اضطجع ربيعة مقنعًا رأسه وبكى؛ فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: رياء ظاهر، وشهوة خفية، والناس عند علمائهم كالصبيان في حجور أمهاتهم؛ ما نهوهم عنه انتهوا، وما أمروهم به ائتمروا).

(٢) هكذا في الأصل: (كالبيدج)، ولم أعثر على مرادف لها؛ بَيْد أنه جاء في الزهد لابن المبارك (١/ ١٦) من طريق الزهري، قال: (قال شداد بن أوس: ... إنما المنافق كالحَمَل اختنق، فمات في ربقه؛ لن يعدو شره نفسه). والرِّبْق: حبلٌ ذو عُرى تربط فيها البهم، وتقدَّم في الأثر: (٢٠٧).

(٣) وفي لفظ: (بالصوم).

(٤) الفيض بن إسحاق، ويكنى أبا يزيد من أهل الرقة، وكان صاحب حديث وخير وغزو، وكان يخدم الفضيل. مات بالرقة سنة ست عشرة ومئتين في خلافة عبدالله بن هارون. الطبقات لابن سعد (٧/ ٤٨٦).

سمتك وكففت أذاك، حتى يقال: أبو يزيد عابد ما أحسن سمته! وأحسن جواره وأكف أذاه! فيكرمونك ويُقرضونك ويُهدون إليك. مثلك مثل الدرهم السوء لا يعرفه كل أحد، فإذا قشروا قشروا عن نحاس، ويحك! ما تدري في أي الأصناف تدعى غدًا، في المرائين أم في غير ذلك، ثم قال: اتق الله، لا تكن مرائيًا وأنت لا تشعر(١).

٥٨٥- وفي كتاب غريب الحديث لأبي محمد عبدالله بن مسلم(٢):

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

ذمَّتي رهينة وأنا به زعيم -لمن صرَّحت له العبر- : أن لا يهيج على التقوى زرع قوم، ولا يظمأ على التقوى سِنْخ أصلٍ(٣)، ألا وإن أبغض الخلق إلى الله رجل قَمَش علمًا، غارًا بأغباش الفتنة، عَميسًا بما في غَيْب الهُدْنة(٤)، سمّاه أشباهُهُ من الناس عالمًا، ولم يفنِ في العلم يومًا سالمًا(٥)، بَكَّر

(١) وفي حلية الأولياء (٨/ ٩٤) قال: (وإنما عرفوك بالله، لولا ذلك لهنت عليهم كما هان عليهم الفاسق لم يكرموه ولم يقرضوه ولم يوسعوا له المجلس).

(٢) هو: عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد؛ صاحب كتاب تأويل مختلف الحديث وغيره.

(٣) قال ابن قتيبة في معناه: (أنه من عمِل لله عملًا لم يفسُد ذلك العمل ولم يَبْطُل كما يفسُد النَّبْت؛ بهيج أعلاه وعطش أسفله، ولكنه لا يزال ناضرًا). وفي تاريخ دمشق (٤٢/ ٥٠٥) زيادة: (وإن أجهل الناس من لم يعرف قدره، وكفى بالمرء جهلًا أن لا يعرف قدره).

(٤) قال ابن قتيبة في معناه: (الغَبَش والهُدْنة هي السكون؛ يقال: هَدَن إذا سَكن، والمُهادَنة: الإصلاح. وسُمَي بذلك لأن السكون يكون به وأراد أنه لا يعرِف ما في الفتنة من الشر، ولا ما في السكون من الخير).

(٥) وفي لفظ: (ولم يَغْنَ في العلم يومًا سالمًا). والمعنى: أن الجهَّال يسمّونه عالِمًا ولم يَلْبث في العلم يومًا تامًا.

فاستكثر مما ما قلَّ منه فهو خير مما كثُر، حتى إذا ما ارتوى من آجن واكْتنز من غير طائل؛ قعد بين الناس قاضيًا؛ لتخليص ما اشتبه على غيره، إن نزلت به إحدى المُبْهَمات[(١)] هيَّأ لها حَشْوًا رثًّا؛ رأياً من رأيه، فهو من قِطَع الشبهات في مثل غزل العنكبوت، لأنه لا يعلم إذا أخطأ أأخطأ أم أصاب، خَبَّاطُ عَشَوات[(٢)] ركاب جهالات، لا يعتذر مما لا يعلم فيَسْلم، ولا يعَض في العِلْم بضرْس قاطِع فيَغْنَم[(٣)]، يذْرو الرواية ذروْ الريح الهَشيم[(٤)]، تبكي منه الدِّماء، وتَصْرُخ منه المواريث، ويُسْتَحلُّ بقضائه الفَرْج الحَرام، لا مَلِيءٌ والله بإصْدار ما وردَ عليه، ولا أهلٌ لما قُرِّظَ به[(٥)].

٥٨٦- وقال يوسف بن أسباط: سمعت سفيان الثوري، يقول: أول ما يرفع من هذه الأمة: الأمانة والخشوع[(٦)].

---

(١) قال ابن قتيبة في معناه: (مسألة معضلة مُشْكلة).

(٢) قال ابن قتيبة في معناه: (هو الذي يمشي في الليل بلا مصباح فيتحيَّر ويضِل وربما تردَّى في بئر أو سقط على سَبْع).

(٣) قال ابن قتيبة في معناه: (أنه لم يُتْقن ولم يُحْكِم، فيكون بمنزلة من يعضّ بناجذ).

(٤) قال ابن قتيبة في معناه: (يسرُد الرواية كما تنْسِف الريح هشيم النَبْت. وهو ما يبس منه وتفتَّت).

(٥) قال ابن قتيبة في معناه: (ليس هو كامل لرد ما سئُل عنه وما أصاب فيه، ولا هو أهل لما قُرِّظ به). وقال ابن منظور في لسان العرب (٥/ ٣٥٩٤): (التقريظ: مدحُ الحيّ ووصفُه، ومنه حديث علي: ولا هو أهل لما قُرِّظَ به. أَي: مُدِح. وقَرَّظَ الرجلَ تقريظًا: مدحَه وأَثنى عليه).

(٦) أما الأمانة؛ فقد جاء في مصنف ابن أبي شيبة (٣٨٧٤٠) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (أول ما تفقدون من دينكم الأمانة، وآخر ما تفقدون منه الصلاة).

=

واعلم يا ابن أسباط! إنه سيأتي عليكم زمان- إن عُمرت- لا ترى فيه خاشعًا لله، وسيأتي أقوام يتخشعون رياء وسمعة؛ وهم الذئاب الضواري؛ غايتهم الدنيا والدرهم من الحلال والحرام واكتساب الأوزار.

فحدثتُ بهذا الحديث عبدالله بن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ فبكى، ثم قال: يُروى عن النبي ﷺ أنه قال: **«من أحب الدنيا وشرفها والجمع لها والتكاثر والتفاخر فيها؛ ذهب حبُّ الآخرة وخوف الله تعالى والمعاد من قلبه»**[1].

وذلك لأنهم طلبوا العلم للدنيا والحظوة عند السُّلطان. والأشراف وأصحاب الأموال؛ لا يحبون رؤية زاهد ولا عابد ولا عالم ولا خائف ولا مشتاق، واعلم يا ابن أسباط! أولئك أصحاب الجاه في الدنيا، وهؤلاء الذين وصف الله في محكم كتابه؛ فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ

وأما الخشوع؛ فقد جاء في سنن الترمذي عن عبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (أول علم يرفع من الناس: الخشوع، يوشك أن تدخل مسجد جماعة، فلا ترى فيه رجلًا خاشعًا).

(١) رواه البزار في مسنده عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (من أحبَّ الدنيا أضرَّ بالآخرة، ومن أحبَّ الآخرة أضرَّ بالدنيا، ألا فأضروا بالفاني للباقي).
ورواه أبو نعيم في الحلية (٧/ ٧٩) عن سفيان الثوري، قال: (من أحبَّ الدنيا وسُرَّ بها؛ نزع خوف الآخرة من قلبه).
- وقد جاءت آثار عن السَّلف في هذا المعنى منها:
- قال الحسن: (من أحب الدنيا وسرَّته خرج حب الآخرة من قلبه).
- وقال عون بن عبدالله: (الدنيا والآخرة في القلب ككفتي الميزان، بقدر ما ترجح إحداهما تخف الأخرى).
- وقال وهب: (إنما الدنيا والآخرة كرجل له امرأتان، إن أرضى إحداهما أسخط الأخرى).

﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧١].

وصاحب الدنيا يزداد عظمًا في نفسه وتكبرًا وتجبرًا واستطالة وتفاخرًا، وهؤلاء يزدادون خشوعًا إلى خشوعهم وخضوعًا إلى خضوعهم وزهدًا إلى زهدهم ورغبة إلى رغبتهم وطاعة إلى طاعتهم، أبدانهم دنياوية وقلوبهم سماوية؛ أولئك الأقلون.

٥٨٧- وقال سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

تعوذوا بالله من فتنة العابد الجاهل، ومن فتنة العالم الفاجر؛ فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون[1].

---

(١) وفي حلية الأولياء (٦/ ٣٧٦) عن حفص بن عمرو- وهو ابن أخي سفيان الثوري- قال: كتب سفيان إلى عباد بن عباد: أما بعد، فانك في زمان كان أصحاب النبي ﷺ يتعوذون أن يدركوه، ولهم من العلم ما ليس لنا ولهم من القِدَم ما ليس لنا، فكيف بنا حين أدركناه على قلة علم (وقلة بصر) وقلة صبر وقلة أعوان على الخير وفساد من الناس وكدر من الدنيا؛ فعليك بالأمر الأول والتمسك به، وعليك بالخمول فإن هذا زمن خمول، وعليك بالعزلة وقلة مخالطة الناس، (فإن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان يقول: إياكم والطمع فإن الطمع فقر، وإن اليأس غنى، وفي العزلة راحة من خلطاء السوء. وكان سعيد بن المسيّب يقول: (العزلة عبادة)؛ فقد كان الناس إذا التقوا ينتفع بعضهم ببعض، فأما اليوم فقد ذهب ذاك والنجاة في تركهم فيما نرى، وإياك والأمراء أن تدنو منهم وتخالطهم في شيء من الأشياء، وإياك أن تُخدع فيقال لك: تشفع فتدرأ عن مظلوم أو ترد مظلمة؛ فإن ذلك خديعة إبليس وإنما اتخذها فجار القراء سُلَّمًا، وكان يقال: اتقوا فتنة العابد الجاهل والعالم الفاجر فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون، وما كُفيت من المسألة والفتيا فاغتنم ذلك ولا تنافسهم فيه، وإياك أن تكون كمن يحب أن يُعمل بقوله أو يُنشر قوله أو يُسمع من قوله فإذا تُرك ذلك منه عُرف، وإياك وحب الرياسة فإن الرجل تكون الرياسة أحب إليه من الذهب والفضة، وهو باب غامض لا يبصره إلا البصير من العلماء
=

❐ ❐ ❐

السماسرة؛ فتفقد نفسك واعمل بنية، واعلم أنه قد دنا من الناس أمر يشتهى الرجل أن يموت. والسلام). اهـ

- وهذا الأثر النفيس جدًا موجود أيضًا في كتاب أخبار الشيوخ وأخلاقهم للمروذي.

- وأنشد أبو عبيد محمد بن عثمان الشافعي:

تمنيت شيخًا للصراط ملازمًا ... وحُرًا فقيهًا بالشريعة مَصدرا

فلم أر في العُبَّاد إلا مدلسًا ... ولم أر في الزُّهَّاد إلا مُزوِّرا

ولا عالمًا إلا حريصًا مداهنًا ... حسودًا حقودًا للحطام مكثِّرا

وإن كان فيهم واحد بخلافهم ... فنادرةٌ في وقتنا وهو لا يُرى

فما العلم قول باللسان ومنطق ... ولا الجهل فقر والجلوس على الثرى

- وكأن الرجل يتحدث عن زماننا هذا، والله المستعان!

- وأنشد غيره:

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ... ومن يشتري دنياه بالدين أعجب

وأعجب من هذين من باع دينه ... بدنيا سواه فهو من ذين أعجب

- قال ابن القيم في الفوائد (١/ ٦١): (علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم، ويدعونهم إلى النار بأفعالهم، فكلما قالت أقوالهم للناس: هلموا؛ قالت أفعالهم: لا تسمعوا منهم، فلو كان ما دعوا إليه حقًّا كانوا أول المستجيبين له، فهم في الصورة أدلاء، وفي الحقيقة قطاع طرق). اهـ

٩٢- باب: ما يخاف من حيرة العلماء والتلبيس على الحكماء عند وجود ذلك وما يلحقهم من الفتنة به.

٥٨٨- عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عن النبي ﷺ قال: قال الله جَلَّ ثناؤه: **«عبادي تلبسون لباس المُسُوح، وقلوبكم أَمَرُّ من الصَبِر، وألسنتكم أحلى من العسل؛ تَغُرُّون الناس بدينكم، أبي تغترون! أم عليّ تجترئون! فبي أُقسم لألبسنكم فتنة تذر الحليم فيكم حيرانًا»**[١].

٥٨٩- وقال زيد بن أبي الزرقاء:

إن من المعاصي ما ليس عقوبتها القتل ولا الخسف، ولكن عقوبتها الحيرة[٢].

---

(١) رواه ابن عساكر عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وروي عن غير عائشة، كما عند الترمذي من حديث أبي هريرة، وعبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ وقال الترمذي بعدها: هذا حديث حسن غريب.
- وقال الشيخ حمود التويجري رَحِمَهُ اللَّهُ في الرواية الأخرى للحديث: (تلبسون للناس جلود الضأن من اللين): كناية عن تملقهم للناس، وتحسين الخُلُق في وجوههم، وإظهار البشاشة لهم واللين معهم، وكل ذلك منافقة باللسان، وتكلف وتصنع في الظاهر، وأما في الباطن؛ فهم بخلاف ذلك، ولهذا وصف ألسنتهم بغاية الحلاوة، فقال في حديث أبي هريرة: (ألسنتهم أحلى من السكر). وقال في حديث ابن عمر: (ألسنتهم أحلى من العسل)، وشبه قلوبهم بقلوب الذئاب؛ لما انطوت عليه من مزيد الخبث والغدر والفجور، ووصفها بغاية المرارة، فقال في حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (وقلوبهم أمر من الصبر)، وقد وصفها أيضًا بغاية النتن مع شدة المرارة، فقال في حديث حذيفة الطويل: (قلوبهم أنتن من الجيفة وأمر من الصبر). وقال في حديث مكحول عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وقلوبهم أنتن من الجيف). وفي وصفهم بهذه الصفات الذميمة إرشاد إلى التباعد منهم، وعدم الاغترار بتملقهم وتصنعهم للناس). اهـ

(٢) يؤيده قوله تعالى: (وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ).
=

- وقوله: ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴾.
- وكما جاء في الأثر: (يبعث بين يدي الساعة أمراء كذبة، ووزراء فجرة، وأمناء خونة، وعرفاء ظلمة، وقراء فسقة؛ أهواءهم مختلفة، سيماهم سيما الرهبان، ليس لهم دَعَة، قلوبهم أنتن من الجيف، تلبسهم فتنة غبراء مظلمة، يتهاوكون فيها تهاوك اليهود الظلمة).
- وأكثر من يعاقب بهذه العقوبة هم أصحاب الكلام والأهواء والبدع، ففي أحاديث في ذم الكلام وأهله (١/ ١٠٠) قال هلال بن العلاء الرقي: (لما خرجت إلى البصرة في طلب الحديث كتب إلي أبي: يا بني! اكتب الحديث، وإياك والنظر في الكلام، فإن هُشيمًا حدثني أن معاوية بن قرة أوصى إياسًا ابنه، فقال: يا بني! إياك والنظر في الكلام، فإن الناظر في الكلام كالناظر في عين الشمس، كلما ازداد بصيرة ازداد فيه تحيُّرًا).
وقد صرح غير واحد منهم بهذه الحيرة في آخر عمره، قال الرازي:

نهاية إقدام العقول عقال ... وغاية سعي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وحاصل دُنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

وقال غيره:

وغاية ما حصلته من مباحثي ... ومن نظري من بعدِ طول التدبرِ

هو الوقف ما بين الطريقين حيرة ... فما علمُ من لم يلقَ غيرَ التحيرِ

على أنني قد خضت منه غماره ... وما قنعت نفسي بغير التبحرِ

وقال الشهرستاني:

لعمري لقد طفت المعاهد كلها ... وسَيَّرتُ طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعًا كف حائر ... على ذقن أو قارعًا سن نادم

- وقال محمد بن طاهر: (حضر المحدث أبو جعفر الهمذاني مجلس وعظ أبي المعالي، فقال: كان الله ولا عرش، وهو الآن على ما كان عليه. فقال أبو جعفر: أخبرنا يا أستاذ عن هذه الضرورة التي نجدها، ما قال عارف قط: يا الله!! إلا وجد من قلبه ضرورة تطلب العلو لا يلتفت يمنة
=

٥٩٠- وعن الربيع بن أنس؛ قال:

أوحى الله تعالى إلى نبي من الأنبياء: أما بعد؛ فإن قومك يلبسون جلود الضأن، ويتشبهون بالرهبان، كلامهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصَبِر، أبي يغترون؟! أم إياي يخادعون؟! وعزتي لأتركن العالم فيهم حيرانًا.

٥٩١- وقال وهب بن منبه:

يقول الله عَزَّوَجَلَّ فيما يعاتب به أحبار بني إسرائيل: تتفقهون لغير الدين، وتتعلمون لغير العمل، وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة، وتلبسون جلود الضأن، وتُخفون أنفس الذئاب، وتنفون القذى من شرابكم، وتبتلعون أمثال الجبال من الحرام، تطيلون الصلاة وتبيضون الثياب،

ولا يسرة، فكيف ندفع هذه الضرورة عن أنفسنا، أو قال: فهل عندك دواء لدفع هذه الضرورة التي نجدها؟ قال: يا حبيبي ما ثَم إلا الحيرة. ولطم على رأسه، ونزل، وبقي وقت طويل ثم قال فيما بعد: حيرني الهمذاني!!). اهـ

- وما ابتدع أحد في الدين بدعة إلا بسبب الحيرة وقلة الحياء؛ كما ذكر السجزي عن أبي الحسن الأشعري. وفي ذم الكلام للهروي، قال زاهر بن أحمد: (أشهد لما مات أبو الحسن الأشعري متحيرًا بسبب مسألة تكافؤ الأدلة).

- وهذه الحيرة هي التي كان يجدها صبيغ بن عِسل حينما كان يسأل عن متشابه القرآن، لولا أن منَّ الله عليه بدرّة العبد الصالح- عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ- التي أذهبت ما كان يجده من الحيرة؛ فقال: (حسبك يا أمير المؤمنين! فقد ذهب- والله- ما كنت أجد في رأسي).

- وهي الحيرة التي كان يجدها الجهم بن صفوان الملعون التي جعلته يترك الصلاة أربعين يومًا؛ يزعم أنه يرتاد دينًا، وذلك أنه شكَّ في الإسلام.

وتنتقصون مال اليتيم والأرملة؛ فبعزتي حلفت لأضربنكم بفتنة يضل فيها رأي ذي الرأي وحكمة الحكيم[١].

❐ ❐ ❐

(١) وروى ابن أبي الدنيا في العقوبات (٣٤١) عن أبي العالية، قال: (ليأتي على الناس زمان تخرب صدورهم من القرآن، وتبلى كما تبلى ثيابهم وتهافت، لا يجدون له حلاوة ولا لذاذة. إن قصروا عما أمروا به، قالوا: إن الله غفور رحيم! وإن عملوا بما نهوا عنه، قالوا: سيغفر لنا؛ إنا لا نشرك بالله شيئًا! أمرهم كله طمع، ليس معهم خوف، لبسوا جلود الضأن على قلوب الذئاب، أفضلهم في أنفسهم المداهن).

– وفي شعب الإيمان للبيهقي (٦٤٣٨) وتاريخ دمشق لابن عساكر (٥٢٢٧٧)، عن بشر بن الحارث، قال: (سمعت الفضيل بن عياض، يقول: لأن آكل الدنيا بالطبل والمزمار، أحب إليَّ من أن آكلها بديني). اهـ

– وقال مالك للقعنبي: (مهما تلاعبت بشيء، فلا تلعبنَّ بدينك).

– وروى ابن أبي شيبة في مصنفه، عن مسلم، عن مسروق، قال: (لما قدم من السلسلة أتاه أهل الكوفة، وأتاه ناس من التجار، فجعلوا يثنون عليه، ويقولون: جزاك الله خيرًا؛ ما كان أعفك عن أموالنا، فقرأ هذه الآية: ﴿ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾).

٩٣- باب: ما يخاف من عقوبة الحيرة عند مخالفة كتاب الله وسنة نبيه ﷺ

٥٩٢- عن أبي جحيفة؛ قال:

قال عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أول ما تغلبون عليه من الجهاد: الجهاد بأيديكم، ثم الجهاد بألسنتكم، ثم الجهاد بقلوبكم، فإذا لم يعرف القلب المعروف وينكر المنكر؛ نُكِس فجعل أعلاه أسلفه.

٥٩٣- وعن طارق بن شهاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال:

جاء عتريس بن عرقوب إلى ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فقال: يا أبا عبدالرحمن! هلك من لم يأمر بالمعروف وينهَ عن المنكر؛ فقال: بل هلك منّا من لم يعرف بقلبه المعروف وينكر بقلبه المنكر[1].

❒ ❒ ❒

---

(١) فمن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بيده أو لسانه أو قلبه مع القدرة؛ فقد هلك، وإن كان عاجزًا عُذر، لكن الهلاك الأعظم؛ انتكاس قلبه، فلا ينكر منكرًا ولا يعرف معروفًا.

- وروى ابن أبي شيبة في المصنف، عن أبي الطفيل، قال: (قيل لحذيفة: ما ميت الأحياء، قال: من لم يعرف المعروف بقلبه وينكر المنكر بقلبه).

٩٤- باب: ما يخاف على عوام الناس من اشتباه الحق بالباطل عند فساد العلماء(١)

٥٩٤- عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال:

ليأتين على الناس زمان يشتبه عليهم فيه الحق والباطل؛ فلا ينفع فيه الدعاء إلا كدعاء الغريق(٢).

---

(١) وأكثر ما يفسد العلماء: إرادة الدنيا ومنافسة أهلها:

- قال المروزي في كتاب الورع: (قلت لأبي عبدالله: قد قيل لابن المبارك: كيف يُعرف العالم الصادق؟ فقال: الذي يزهد في الدنيا، ويقبل على أمر آخرته. فقال أبو عبدالله: نعم، هكذا يريد أن يكون).

- وقال المروزي: (سمعت أبا عبدالله، يقول: قد تفكرت في هذه الآية: (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ). ثم قال: تفكرت في رَزْقهم، وأشار نحو العسكر، وقال: رِزق يوم بيوم خيرٌ).

- وفي حلية الأولياء (٦/ ٣٦١) قال سفيان الثوري: (العالم: طبيب الدين، والدراهم: داء الدين، فإذا جذب الطبيب الداء إلى نفسه، فمتى يداوي غيره؟!).

- وقال: (الأعمال السيئة داء، والعلماء دواء، فإذا فسد العلماء، فمن يشفي الداء؟!).

- وقال أحمد بن أبي الحواري: (سمعت محمد بن يوسف الفريابي، يقول: سمعت الثوري، يقول: ما من عمل أفضل من طلب الحديث إذا صحَّت النية فيه. قال أحمد: قلت للفريابي: وأي شيء النية؟ قال: تريد به وجه الله، والدار الآخرة).

- وقال الإمام أحمد في كتاب الورع: (إني لأعجب من هؤلاء المحدثين وحرصهم على الدنيا).

(٢) يا حبذا الأثار عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ! فكان يصف الداء والداء ولا يدع الناس في حيرة؛ روى ابن سعد في الطبقات، عن زاذان، قال: (سئل عليٌّ عن حذيفة، فقال: عَلِمَ المنافقين وسأل عن المعضلات، فإن تسألوه عنها تجدوه بها عالمًا).

=

وقال: (إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة، فيما بيني وبين الساعة).
كيف لا؟ وهو القائل: (كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشرِّ مخافة أن يدركني).
– ففي هذا الأثر العظيم وصف حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الداء، ثم ذكر أحد نوعي العلاج ألا وهو الاعتصام بالله والدعاء، وليس أي دعاء، بل دعاء الغريق الذي أوشك على الهلاك والموت.
– وفي الأثر الآخر وصف النوع الثاني من العلاج ألا وهو العلم؛ فقد روى ابن أبي شيبة في مصنفه، عن حذيفة، قال: (إنها فتن قد أظلَّت كجباه البقر، يهلك فيها أكثر الناس إلا من كان يعرفها قبل ذلك).
– وبالدعاء والعلم ينجو الإنسان – بإذن الله تعالى – من الفتن، ولا يشتبه عليه الحق من الباطل:
– قال تعالى: (قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ).
– وروى مسلم في صحيحه، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: (كان النبي ﷺ إذا قام من الليل؛ افتتح صلاته: اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختُلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم).
– وروى مسلم في صحيحه، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (كان رسول الله ﷺ يخطب الناس، يحمد الله ويثني عليه بما هو أهله، ثم يقول: من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له).
– وروى أحمد في الزهد، عن مطرف بن عبدالله الشخير، أنه قال: (تذكرت ما جماع الخير؟ فإذا الخير كثير: الصوم والصلاة، وإذا هو في يد الله عز وجل، وإذا أنت لا تقدر على ما في يد الله عز وجل إلا أن تسأله فيعطيك، فإذا جماع الخير: الدعاء).
– وفي مصنف ابن أبي شيبة، قال مطرف: (نظرت في بدء هذا الأمر ممن كان؟ فإذا هو من الله، ونظرت على مَنْ تَمامُه؟ فإذا تمامه على الله، ونظرت ما ملاكه؟ فإذا ملاكه الدعاء).
– وقال أبو مصعب الزهري: حدثنا مالك أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال: (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه ﷺ).
– وفي سير السَّلف الصالحين لإسماعيل بن محمد الأصبهاني (٣/ ٨٤٧) قال يزيد بن حازم: (سمعت عمر بن عبدالعزيز يخطب بالمدينة، وتلا هذه الآية: (وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ). فقال: نعم، والله أحلَّ فيه الحلال، وحرَّم فيه الحرام، وقصَّ فيه نبأ من كان قبلكم وحديث ما بعدكم، وبيَّن ما تأتون وتذرون، لم يدعكم في لَبْس من دينكم، ولا شبهة من
=

٥٩٥- وعن سعيد بن سمعان:

أنه سمع أبا هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يقول للحارث بن مخلد: مت إن استطعت أن تموت؛ قال الحارث: ما شاء الله؛ قال أبو هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: ألا تحب أن تموت حين تموت وأنت تعلم على ما تموت عليه، قبل أن تموت حين تموت، وأنت لا تدري على ماذا تموت عليه(١).

❐ ❐ ❐

أمركم، كرامةً أكرمكم بها، ونعمةً أنعم بها عليكم، فهو أوعظ الواعظين وأبلغ المؤدِّبين ليس بمعدل). اهـ

(١) وهذا هو زمن الفتن الذي يشتبه فيه الحق من الباطل، فيما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس يوم لا يدري القاتل فيم قَتَل، ولا المقتول فيم قُتِل، فقيل: كيف يكون ذلك؟! قال: الهرج؛ القاتل والمقتول في النار).
- قال الشيخ حمود التويجري في كتابه: الإيضاح والتبيين لما وقع فيه الأكثرون من مشابهة المشركين (ص٥٠): (قلت: وهذا الحديث يطابق حال أهل الثورات في زماننا). اهـ
- وروى ابن أبي شيبة في مصنفه، عن زيد بن وهب، قال: قال حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: (إن للفتنة وقفات وبعثات، فإن استطعت أن تموت في وقفاتها فافعل). وقال زيد بن وهب: قيل لحذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: (ما وقفات الفتنة، وما بعثاتها؟ قال: بعثاتها: سلُّ السَّيف، ووقفاتها: إغماده). اهـ

٩٥- باب: وجوب التمسك بما يُعرف من الشريعة، وترك ما يُنكر من غيرها عند تخليط علماء السوء، وابتداعهم ما ليس في الكتاب والسُّنة

٥٩٦- عن سهل بن سعد الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: **«كيف أنتم إذا بقيتم في حُثَالة من الناس؟ قد مرجت أمانتهم وعهودهم؛ فكانوا هكذا»**، وأدخل أصابعه بعضها في بعض؛ فقالوا: فإذا كان ذلك؛ فكيف نفعل يا رسول الله؟! قال: **«خذوا بما تعرفون، ودعوا ما تنكرون»**. ثم خصَّ رسول الله ﷺ عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فيما بينه وبينه؛ قال: فما تأمرني يا رسول الله إذا كان ذلك؟ قال: **«آمرك بتقوى الله، وعليك بنفسك، وإياك وعامة الأمور»**[1].

٥٩٧- وعن أبي وائل؛ قال:

دخلنا على ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو عند الموت، فقلنا: اعهد إلينا؛ فقال: اتقوا الله- ثلاث مرات- ثم قال: أعوذ بالله من صباحٍ إلى النار،

---

(١) رواه الروياني في مسنده، والطبراني في الكبير، والبيهقي في الشعب، وأصله في صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وإياكم والتلون في دين الله؛ ما عرفتم منه اليوم فلا تنكروه غدًا، وما أنكرتم منه اليوم فلا تعرفوه غدًا[١].

---

(١) هذا الأثر مشهور أنه من وصية حذيفة لأبي مسعود البدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وهو الأثر الذي بعده.
- وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (تجدون شرَّ الناس يوم القيامة ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه).
- وهذا هو التلون والتقلب الذي عناه حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وهو تلون المنافقين وأهل البدع الذين يرتادون لأنفسهم دينًا في كل يوم، الذين يأتون كل طائفة بما يرضيها، فيظهرون لهم أنهم منهم ومخالفون لضدهم، فهم كالحرباء التي يتغير لونها بحسب حرارة الشمس، فأول النهار لها لون، ووسط النهار لها لون، وآخره لها لون، أما أهل السُّنة والجماعة فعقيدتهم ثابتة وإيمانهم راسخ ويقينهم متواصل لا ينقطع؛ لأن وجههم واحد ودينهم واحد عليه يَبيتون ويُصبحون.
ولهذا ختم ابن أبي دواد قصيدته الحائية في معتقد أهل السُّنة والجماعة، بقوله:
إذا ما اعتقدت الدهر يا صاح هذه　　　فأنت على خيرٍ تبيت وتصبح
- قال الله تعالى: (إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ). ومعنى: (لَمْ يَرْتَابُوا۟). أي: أيقنوا ولم يشكوا ولم يتلونوا.
- وروى ابن بطة في الإبانة الكبرى، عن إبراهيم النخعي، قال: (كانوا يرون التلون في الدين من شك القلوب في الله).
- وأكثر ما أنت راءٍ من أهل التلون تجده في الأشعرية، والمرجئة الأخابيث، حتى قال ابن الوزير في كتابه العواصم والقواصم (٧/ ٥١): (الرازي وحده كثير التلون في تصرفاته). اهـ
- وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٤/ ٥٠): (أهل الكلام أكثرُ الناس انتقالًا من قول إلى قول، وجزمًا بالقول في موضع، وجزمًا بنقيضه وتكفير قائله في موضع آخر، وهذا دليلُ عدم اليقين، فإن الإيمان كما قال فيه قيصر لما سأل أبا سفيان عمن أسلم مع النبي ﷺ، قال: هل يرجع أحدٌ منهم عن دينه سخطة له بعد أن يدخل فيه؟ قال: لا، قال: وكذلك الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب لا يسخطهُ أحدٌ). اهـ
- وروى ابن بطة في الإبانة الكبرى، عن معن بن عيسى، قال: (انصرف مالكٌ يومًا من المسجد وهو متكئ على يدي، فلحقه رجلٌ يقال له: أبو الجويرية- كان يُتهم بالإرجاء- فقال: يا أبا عبدالله! اسمع مني شيئًا أكلمك به وأحاجك وأخبرك برأيي. قال مالك: فإن غلبتني؟
=

٥٩٨- وعن خالد بن سعد؛ قال:

سأل أبو مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حذيفةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو مستند إليه؛ فقال له حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن الضلالة حقّ الضلالة؛ أن تعرف ما كنت تنكر، وتنكر ما كنت تعرف، وإياك والتلون.

٥٩٩- وفي لفظ: إن الضلالة حق الضلالة؛ أن تعرف اليوم ما كنت تنكر قبل اليوم، وأن تنكر اليوم ما كنت تعرف قبل اليوم، وإياك والتلون؛ فإن دين الله واحد.

❒ ❒ ❒

قال: فإن غلبتك اتبعتني. قال: فإن جاء رجل آخر فكلمنا فغلبنا؟ قال: نتبعه. قال مالك: يا عبدالله! بعث الله محمدًا ﷺ بدين واحد، وأراك تتنقل من دين إلى دين). اهـ

٩٦- باب: النهي عن الاقتداء بمن هذه سبيله ممن يدعي العلم وينتحله وليس من أهله، وما يستضر بذلك متبعه

٦٠٠- وتقدَّم حديث عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

«إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا»[١].

٦٠١- وقال الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ:

عليك بآثار من سلف؛ وإن رَفَضَك الناس، وإياك ورأي الرجال؛ وإن زخرفوه بالقول؛ فإن الأمر ينجلي وأنت على ظهر طريق مستقيم[٢].

٦٠٢- وعن الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ أنه كان يقول:

إن الناس أهون من أن يقتدى بهم؛ فمن كان متأسيًا فبأصحاب رسول الله ﷺ[٣].

---

(١) متفق عليه.

(٢) وقال بقيّة: (قال لِي الأوزاعي: العلم: ما جاء عن أصحاب محمد ﷺ وما لم يجيء عن الصحابة فليس بعلم).

- وقال عامر بن يسّاف: (سمعت الأوزاعي؛ يقول: إذا بلغك عن رسول الله ﷺ حديث، فإياك أن تقول بغيره).

(٣) وفي الحجة في بيان المحجة (٤٩٨): قال عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (من كان منكم متأسيًا فليتأس بأصحاب النبي ﷺ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، وأقومها هديًا، وأحسنها أخلاقًا، اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم؛ فإنهم كانوا عَلَى الهدى المستقيم).

=

٦٠٣- وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لا يزال الناس صالحين متمسكين ما أتاهم- أحسب عبدالرزاق؛ قال-: العلم من أصحاب محمد ﷺ ومن أكابرهم، فإذا أتاهم من أصاغرهم هلكوا[١].

- وفي الجامع لابن عبدالبر (٢/ ٩٨٧) عن أبي البختري عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (إياكم والاستنان بالرجال، فإن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة، ثم ينقلب لعلم الله فيه، فيعمل بعمل أهل النار، فيموت وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار، فينقلب لعلم الله فيه، فيعمل بعمل أهل الجنة، فيموت وهو من أهل الجنة، فإن كنتم لابد فاعلين، فبالأموات لا بالأحياء).

(١) قال الشافعي في رسالته البغدادية التي رواها عنه الحسن بن الزعفراني: (قد أثنى الله تبارك وتعالى على أصحاب رسول الله ﷺ في القرآن والتوراة والإنجيل، وسبق لهم على لسان رسول الله ﷺ من الفضل ما ليس لأحد بعدهم، فرحمهم الله وهنأهم بما آتاهم من ذلك ببلوغ أعلى منازل الصديقين والشهداء والصالحين، أدوا إلينا سنن رسول الله ﷺ، وشاهدوه والوحي ينزل عليه، فعلموا ما أراد رسول الله ﷺ عامًا وخاصًا، وعزمًا وإرشادًا، وعرفوا من سننه ما عرفنا وجهلنا، وهم فوقنا في كل علم واجتهاد وورع وعقل، وأمر استدرك به علم واستنبط به، وآراؤهم لنا أحمد، وأولى بنا من رأينا عند أنفسنا، ومن أدركنا ممن يرضى، أو حكي لنا عنه ببلدنا، صاروا فيما لم يعلموا لرسول الله ﷺ فيه سنة إلى قولهم إذا اجتمعوا، أو قول بعضهم إن تفرقوا، وهكذا نقول، ولم نخرج عن أقاويلهم، وإن قال أحدهم ولم يخالفه غيره أخذنا بقوله).
وفي المدخل للبيهقي (١/ ٢٤٦) عن ابن مسعود قال: (لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم وعن أمنائهم وعلمائهم، فإذا أخذوه من أصاغرهم وشرارهم هلكوا).
- وقال أبو عبيد في غريب الحديث (٢/ ٩٤) في حديث عمر (تَفَقَّهوا قبل أن تُسَوَّدوا). أي: (تعلّموا العلم ما دمتم صغارًا قبل أن تصيروا سادَةً رؤساء منظورًا إليكم فإن لم تَعَلّموا قبل ذلك استحييتم أن تَعَلّموه بعد الكبر فبقيتم جُهَّالًا تأخذونه من الأصاغر؛ فيزري ذلك بكم. وهذا شبيه بحديث عبدالله: (لن يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم فإذا أتاهم من أصاغرهم فقد هلكوا). وفي الأصاغر تفسير آخر بلغني عن ابن المبارك أنه كان يذهب بالأصاغر إلى أهل البِدع، ولا يذهب إلى أهل السِّنِّ؛ وهذا وجه).

=

٦٠٤- وقال ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ:

إن من أكبر الذنوب أن يقول الرجل لأخيه: اتق الله؛ فيقول: عليك نفسك، أنت تأمرني؟! ولا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم عن أصحاب محمد ﷺ وأكابرهم. فإذا جاءهم عن أصاغرهم؛ فذلك حين هلكوا.

والأصاغر في التفسير: أصحاب البدع[1].

---

(١) قيل لابن المبارك: من الأصاغر؟ قال: (الذين يقولون برأيهم. فأما صغير يروي عن كبير- أي: الأثر- فليس بصغير). اهـ

- وفي معاذ بن جبل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عبرة في علمه وموته في سن مبكر.

- وذكر ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله: (باب: حال العلم إذا كان عند الفساق والأرذال، ثم قال: وقال بعض أهل العلم: إن الصغير المذكور في الحديث إنما يراد به الذي يستفتى ولا علم عنده، وإن الكبير هو العالم في أي شيء كان، وقالوا: الجاهل صغير وإن كان شيخًا، والعالم كبير وإن كان حدثًا... واستشهد بعضهم بأن عبدالله بن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا كان يُستفتى وهو صغير، وأن معاذ بن جبل وعتاب بن أسيد كانا يفتيان وهما صغيرا السن، وولاهما رسول الله ﷺ الولايات مع صغر أسنانهما، ومثل هذا في العلماء كثير). إلى أن قال: (ومما يدل على أن الأصاغر من لا علم عنده ما ذكره عبدالرزاق وغيره، عن معمر، عن الزهري قال: (كان مجلس عمر مغتصًا من القراء شبابًا وكهولًا، فربما استشارهم ويقول: لا يمنع أحدكم حداثة سنه أن يشير برأيه، فإن العلم ليس على حداثة السن وقدمه؛ ولكن الله يضعه حيث يشاء). اهـ

=

- قال أبو عبيد: (والذي أرى أنا في الأصاغر: أن يؤخذ العلم عمن كان بعد أصحاب النبي ﷺ ويقدم ذلك على رأي الصحابة وعلمهم؛ فهذا هو أخذ العلم من الأصاغر).

قال أبو عبيد: ولا أرى عبدالله أراد إلا هذا.

- وفي شرح السُّنة (١/ ٢١٧) عن الشعبِي، قال: (ما جاءك من أصحاب محمد ﷺ فخذه، ودع ما يقول هؤلاء الصعافقة). قيل: الصعافقة: الذين يدخلون السوق بلا رأس مال، وقيل: هم رذالة الناس، أراد الذين لا علم لهم، فهم بمنزلة التجار الذين ليس لهم رأس مال). اهـ

٦٠٥- وقال يونس بن عبدالأعلى: قال لي محمد بن إدريس الشافعي: إذا وجدت متقدمي المدينة على شيء، فلا يدخل قلبك منه شك أنه الحق، وكلما جاءك من غير ذلك؛ فلا تلتفت إليه ولا تعبأ به، وإلا فقد وقعت في اللُّجَج- يعني في البحار[١].

- وفي السُّنة للالكائي (١/ ٨٥) قال إبراهيم الحربي- في قوله: (لا يزالون بخير ما أتاهم العلم من قبل كبرائهم- معناه: أن الصغير إذا أخذ بقول رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين فهو كبير، والشيخ الكبير إن أخذ بقول أبي حنيفة وترك السنن فهو صغير). اهـ

- وفي إكمال تهذيب الكمال (١/ ١٣٧) قال المزني عن الشافعي: (ثلاثة من العلماء من عجايب الدنيا...قال: وصغير كلما قال شيئًا صدَّقه العلماء؛ وهو أحمد بن حنبل). اهـ

- وقال السجزي في رسالته لأهل زبيد (٤٨٨): (فالمتبع للأثر يجب تقديمه، وإكرامه، وإن كان صغير السن، غير نسيب. والمخالف له يلزم اجتنابه، وإن كان مُسِنًا شريفًا).

(١) مقصود الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: (وكلما جاءك من غير ذلك؛ فلا تلتفت إليه ولا تعبأ به)؛ إنما هو في المسائل التي ليس عليها العمل، وليس فيها سنة ماضية عن المتقدمين، فأيُّ حديث صحَّ عن النبي ﷺ وعمل به أصحابه وخاصة لما كانوا مجتمعين بالمدينة قبل مقتل عثمان؛ فإننا نأخذ به ونعمل به؛ ثم إن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ تفرقوا في البلدان، ونشروا علمهم في كل مكان، وقد تواتر عن الشافعي أنه قال لأصحابه: (إذا وجدتم حديثًا صحيحًا؛ مكيًّا أو مدنيًّا أو عراقيًّا أو شاميًّا أو مصريًّا على خلاف مذهبي؛ فخذوا به ودعوا مذهبي). ونقل عنه أنه كان إذا قيل له فيما صحَّ من الأخبار: أتقول به؟ يقول: إي والله! أقول به على الرأس والعين.

- أما عند الاختلاف بين الروايات مع عدم إمكانية الجمع بينها، فإن تقديم مذهب أهل المدينة المتقدمين أولى وأحرى؛ ففي معرفة السنن والآثار (١/ ٨٦) قال البيهقي: (فأما ترجيح رواية أهل الحجاز عند الاختلاف على رواية غيرهم وأنهم أعلم بسنن رسول الله ﷺ من غيرهم، فإليه ذهب أكثر أهل العلم بالحديث. وروينا عن زيد بن ثابت أنه قال: إذا رأيت أهل المدينة على شيء؛ فاعلم أنه السُّنة. وقال مسعر: قلت لحبيب بن أبي ثابت: أيهما أعلم بالسُّنة، أهل الحجاز أم أهل العراق؟ قال: بل أهل الحجاز. وكان عبدالله بن المبارك، يقول: حديث أهل المدينة أصح، وإسنادهم أقرب برجل.

=

❐ ❐ ❐

ثم قال البيهقي: وقد أملى الشافعي في الجديد أحاديث في فضائل قريش والأنصار وسائر قبائل العرب، وقصده من ذلك ترجيح معرفتهم بالسنن على معرفة غيرهم). اهـ

- وكلام الشافعي هنا قاله عن تجربة، فمن تتبع كل حديث ولو لم يكن عليه العمل؛ وقع في اللجج والتبست عليه الأمور، وربما تقفَّر العلم وتتبع الشاذ؛ ليُعرف.

- ولذلك كان شيخه الإمام مالك لا يضع في الموطأ من الأحاديث إلا ما عليه العمل عند متقدمي أهل المدينة، وكان والله فقيهًا عاقلًا إمامًا.

- وقد ذكر محمد بن موسى الحازمي (ت: ٥٨٤) في كتابه (الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار) خمسين وجهًا لمعرفة كيفية ترجيح بعض الروايات على بعض.

٩٧- باب: بيان السبب الذي تجرأ به من لا علم له على الكلام والتشبه بالعلماء ووضع الكتب بما ليس في كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ ولا قول أحد من الأئمة، ومن دعا الناس إلى البدعة التي انتحلها والضلالة التي اخترعها

٦٠٦- قال ابن مسعود رضي الله عنه:

كيف أنتم إذا ظهرت فيكم البدع وعُمل بها، حتى يربو فيها الصغير ويهرم فيها الكبير ويُسلِم فيها الأعاجم، حتى يعمل الرجل بالسُّنة؛ فيقال: بدعة؛ قالوا: متى ذلك يا أبا عبدالرحمن؟! قال: إذا كثرت أمراؤكم وقلَّت أمناؤكم، وكثرت قراؤكم وقلت فقهاؤكم، وتفقه لغير الدين، وابتُغيت الدنيا بعمل الآخرة.

٦٠٧- وقال أبو حاتم الرازي رحمه الله:

نشر العلم حياته، والبلاغ عن رسول الله ﷺ رحمة يعتصم به كل مؤمن، ويكون حجة على كل مُصِرٍّ ومُلحد[1].

---

(١) هذا الأثر محفوظ من قول الأوزاعي، كما في البدع لابن وضاح (١/ ٧) فعن الأوزاعي، قال: (كان بعض أهل العلم، يقول: لا يقبل الله من ذي بدعة صلاة، ولا صيامًا، ولا صدقة، ولا جهادًا، ولا حجًّا، ولا عمرة، ولا صرفًا، ولا عدلًا. وكانت أسلافكم تشتد عليهم ألسنتهم، وتشمئز منهم قلوبهم، ويحذرون الناس بدعتهم. قال: ولو كانوا مستترين ببدعتهم دون الناس ما كان لأحد أن يهتك عنهم سترًا، ولا يظهر منهم عورة، الله أولى بالأخذ بها وبالتوبة عليها، =

٦٠٨- قال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إذا ظهرت البدع، فلم ينكرها أهل العلم؛ صارت سُنة.

٦٠٩- وقال الفضل بن زياد:

سألت أبا عبدالله أحمد بن حنبل عن الكرابيسي وما أظهر؟ فكلح وجهه؛ ثم قال: إنما جاء بلاؤهم من هذه الكتب التي وضعوها، وتركوا أثر رسول الله ﷺ وأصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وأقبلوا على هذه الكتب[1].

٦١٠- عن أبي وائل:

سئل عبدالله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كيف ينقص الإسلام؟ قال: كما ينقض سِمَنُ الدابة وصِبْغُ الثوب، وأكثر ذلك موت العلماء[2].

فأما إذا جهروا بها، وكثرت دعوتهم ودعاتهم إليها؛ فنشر العلم حياة، والبلاغ عن رسول الله ﷺ رحمة يعتصم بها على مُصر ملحد).

(١) وفي شرف أصحاب الحديث للخطيب (١٥٦) عن أبي بكر أحمد بن عبدالرحمن المقرئ، قال: (كان مشايخنا يسمون أبا بكر بن إسماعيل- هو الإسماعيلي: صاحب اعتقاد أئمة الحديث، وصاحب المستخرج على صحيح البخاري-: أبا ثمود! لأنه كان من أصحاب الحديث، فصار من أصحاب الرأي؛ يقول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾).

(٢) وروى العدني في الإيمان (٦٦) عن أبي وائل، قال: (سمعت ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، يقول: هل يُدرى كيف ينقص- بالقاف والصاد- الإسلام؟! قالوا: كيف؟! قال: كما تنقض- بالقاف والضاد- الدابة سمنها، وكما ينفض- بالفاء والضاد- الثوب من طول اللبس، وكما يقسو الدرهم من طول الخبو، وقد يكون في القبيلة عالمان، فيموت أحدهما فيذهب نصف علمهم، ويموت الآخر فيذهب علمهم كله).

- وروى الطبراني في الكبير (٨٩٩١) عن أبي وائل، قال: (قال عبدالله: تدرون كيف ينقص الإسلام؟ قالوا: كما ينفض صبغ الثوب، وكما ينقض من الدابة، وكما يقسو الدرهم من طول الخبو، قال: إن ذلك لَمِنْهُ، وأكثر من ذلك موت أو ذهاب العلماء). اهـ

=

٦١١- قال الشيخ نصر رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فعليكم بهذا العلم من الموثوق بهم من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ومن العلماء بعدهم، فإن ظهور البدع من ذهاب العلماء وموتهم[(١)].

فالذي يجب عليكم الاقتداء بكتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، وما أجمع عليه أهل العلم المقتدى بهم، دون ما أظهره من لا علم له ممن يدعي العلم ويترأس به، ويطلب به تفرقة أهل الإسلام وتشتيت أمورهم واختلاف أهوائهم؛ ليحصل له بذلك مقصوده من إظهار ما يكتمه من بدعته ويخفيه من ضلالته، فلا تقبلوا شيئًا مما لم يتضح أصله في الكتاب والسُّنة وإجماع علماء الأمة، وإن زخرفه قائله وحَسَّنه منتحله؛ وإلا كان فيه الهلكة ومخالفة الدين، والخروج عن طريقة المسلمين.

❐ ❐ ❐

- ومعنى: (نفض صبغ الثوب). أي: إذا بهت وذهب لونه.
- ومعنى: (نقض سِمَن الدابة): إذا ذهب شحمها وعادت نقضًا.
- والرابط بين هذا وبين سؤال عبدالله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ أن الإسلام لا يذهب فجأة، كما أن هذه الاشياء لا تكون فجأة، بل مع الأيام والليالي، كما فعلت الأمم قبلنا.
- وفي حلية الأولياء (١/ ٢٧٩) عن حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقيل له: في يومٍ واحدٍ تركت بنو إسرائيل دينهم؟ قال: (لا، ولكنهم كانوا إذا أُمِروا بشيء تركوه، وإذا نُهوا عن شيء ركبوه، حتى انسلخوا من دينهم، كما ينسلخ الرجل من قميصه).

(١) قال أبو زرعة: سمعت قتيبة بن سعيد؛ يقول: (مات الثوري ومات الورع، ومات الشافعي وماتت السنن، ويموت أحمد بن حنبل وتظهر البدع).

٩٨- باب: ما يجب على العلماء عند ذلك من إظهار الشريعة وبيان السُّنة وما في ذلك من الثواب والأجر

٦١٢- تقدَّم حديث عبدالله بن عمرو بن العاص[١]؛ قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من أحيا سنة من سنتي قد أميتت بعدي؛ كان له من الأجر مثل من عمل بها من الناس لا ينقص ذلك من أجور الناس شيئًا، ومن ابتدع بدعة لا يرضاها الله ورسوله ﷺ كان عليه إثم من عمل بها من الناس لا ينقص ذلك من آثام الناس شيئًا»**[٢].

---

(١) هكذا: (عبدالله بن عمرو بن العاص)، والصحيح: عبدالله بن عمرو بن عوف المزني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ كما تقدَّم، وكما في جميع روايات هذا الحديث. والحديث رواه الترمذي؛ وقال: حديث حسن، ورواه ابن ماجه. فلعلَّه سبق قلم من المؤلف أو المختصر أو الناسخ.

(٢) وهذا الأجر في إحياء السنن، يكون في السنن العملية، كذلك الإثم في إحياء البدع، يكون في البدع العملية والإضافية:

- ففي مسائل صالح (١/ ١٨٠) قال الإمام أحمد عن رجل استقرض من أجل أن يعقَّ عن المولود: (إني لأرجو إن استقرض أن يُعجِّلَ الله له الخَلَف؛ لأنه أحيا سنةً من سنن النبي ﷺ، واتبع ما جاء عنه).

- وقال عبدالله بن أحمد في العلل ومعرفة الرجال (١٢١٦) قال أبي: (رأيت الناس في مسجد الجامع- كأنه ذكر قلة الخضاب- قال عبدالله: فخضب). أي: فخضب إحياءً للسُّنة.

- وروى عبدالرزاق في مصنفه، عن قيس بن أبي حازم، قال: (ذُكر لابن مسعود قاصٌّ يجلس بالليل، ويقول للناس: قولوا كذا، قولوا كذا، فقال: إذا رأيتموه فأخبروني، فأخبروه، قال: فجاء عبدالله متقنعًا، فقال: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا عبدالله بن مسعود، تعلمون أنكم لأهدى من محمد ﷺ وأصحابه، أو إنكم لمتعلقون بذَنَب ضلالة).

=

٦١٣- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، وحدثوا عني ولا تكذبوا عليَّ»[١].

- وروى عبدالرزاق في مصنفه، عن ابن جريج، قال: (قلت لعطاء: هل بلغك أن النبي ﷺ أو بعض أصحابه كان يستقبل البيت حين يخرج ويدعو؟ قال: لا، ثم قال:أخبرني عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال لبعض من يستقبل البيت كذلك- أي: يدعو إذا خرج عند خروجه- لم تصنعون؟ هذا صنيع اليهود في كتابهم، ادعوا في البيت ما بدا لكم، ثم اخرجوا). اهـ

(١) رواه الشافعي في الرسالة، والحميدي في مسنده، وابن حبان في صحيحه.
وقال الشافعي: (هذا أشد حديث روي عن رسول الله ﷺ في هذا، وعليه اعتمدنا مع غيره في أن لا نقبل حديثًا إلا من ثقة، ونعرف صدق من حمل الحديث من حين ابتدئ إلى أن يبلغ به منتهاه). اهـ
- وقال ابن حبان (٦٢٥٦): وقوله: (حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج) أمر إباحة لهذا الفعل من غير ارتكاب إثم يستعمله، يريد به: حدثوا عن بني إسرائيل ما في الكتاب والسُّنة من غير حرج يلزمكم فيه، وقوله: (ومن كذب عليّ متعمدًا)؛ لفظة خوطب بها الصحابة، والمراد منه غيرهم إلى يوم القيامة، لا هم، إذ الله جل وعلا نزه أقدار الصحابة عن أن يتوهم عليهم الكذب، وإنما قال هذا، لأن يعتبر من بعدهم، فيعوا السنن ويرووها على سَننها، حذر إيجاب النار للكاذب عليه). اهـ
- والكذب عند أهل الحجاز: هو مخالفة الواقع تعمدًا أو خطأً؛ ولذا خاف الصحابة أشد الخوف من التحديث؛ لأن هذا الوعيد يشمل المخطئ والعامد، ولأن كذبًا عليه ليس ككذب على غيره، ولذا صرح بعضهم فقال: لم أسمعه قال: (متعمدًا).
- ومن اللطائف ما رواه أبو بكر المروذي في أخبار الشيوخ وأخلاقهم (١١٠) عن محمد بن عمرو بن مصعب المروزي، قال: (لما دخل سفيان الثوري على الخليفة أبي جعفر فسأله أن يحدثه، فحدثه بحديثين، أحدهما من حديث بني إسرائيل، والآخر من أحاديث البحر. قال: فلما خرج من عنده قال الخليفة لأصحابه: أتدرون لم حدثنا بهذين الحديثين؟ قال: فقالوا: لا ندري، قال: فقال: إنه جاء في الحديث: حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، وحدثوا عن البحر ولا حرج، فأحب أن يحدثنا بحديثين لا يحرج فيهما). اهـ

٦١٤- وقال سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

تعلموا هذا العلم، فإذا علمتموه فاحفظوه، فإذا حفظتموه فاعملوا به، وإذا عملتم به؛ فأبشروا[1].

٦١٥- وقال حماد بن زيد:

سألت أيوب: ما السُّنة؟ قال: أن تقرأ القرآن كما عُلِّمْتَ، وأن تروي الحديث كما سمعت، وأن تعلِّم الناس كما عُلِّمْتَ[2].

٦١٦- عن بَهْز بن حكيم، عن أبيه، عن جده:

أن رسول الله ﷺ قال: **«ما لي أمسك بحُجَزكم عن النار، إن الله** عَزَّوَجَلَّ **دَاعِيَّ وسائلي: يا محمد! هل بلغت عبادي؟ وإني قائل: ربِّ قد بلغتهم؛ فليبلغ شاهدكم غائبكم»**[3].

---

(١) ويحتمل: فإذا عملتم به؛ فانشروه.
- وفي مسند الربيع بن حبيب (٩٤٠) عن جابر بن زيد، عن النبي ﷺ أنه خرج على أناس من أصحابه وهم يتذاكرون فنون العلم فيما بينهم، فقال: (تعلموا ما شئتم أن تتعلموا، لن تكونوا بالعلم علماء حتى تعملوا به).

(٢) هذا الأثر رواه أبو طاهر السِّلَفِيّ في الخامس والعشرين من المشيخة البغدادية (ص٦/ ١٢).

(٣) رواه أحمد في مسنده، عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده، قال: أتيت النبي ﷺ حين أتيته، فقلت: (والله ما أتيتك حتى حلفت أكثر من عدد أولاء أن لا آتيك، ولا آتي دينك- وجمع بهز بين كفيه- وقد جئت امرأً لا أعقل شيئًا، إلا ما علمني الله تبارك وتعالى ورسوله ﷺ، وإني أسألك بوجه الله، بم بعثك الله إلينا؟ قال: بالإسلام. قلت: وما آيات الإسلام؟ قال: أن تقول: أسلمت وجهي لله وتخليت، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، كل مسلم على مسلم محرم؛ أخوان نصيران، لا يقبل الله من مشرك أشرك بعد ما أسلم عملًا أو- أي: حتى- يفارق المشركين إلى المسلمين، ما لي أمسك بحجزكم عن النار، ألا إن ربي داعي، وإنه سائلي: هل بلَّغتَ عبادي؟
=

٦١٧- وعن الأعرج، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال:

إن الناس يقولون: أكثر أبو هريرة الحديث- والله- لولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثًا، ثم تلا: « إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ - إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ » [البقرة:١٥٩-١٦٠]، إن إخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخوتي من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ على شبع بطنه؛ فيحضر ما لا يحضرون ويحفظ ما لا يحفظون.

❐ ❐ ❐

وإني قائل: رب إني قد بلغتهم، فليبلغ الشاهد منكم الغائب، ثم إنكم مدعوون؛ مُفَدَّمة أفواهكم بالفدام، ثم إن أول ما يُبين عن أحدكم لفخذه وكفه. قلت: يا نبي الله! هذا ديننا؟ قال: هذا دينكم، وأينما تُحْسِن يَكْفِك). اهـ

- الفِدام- بالفاء-: هو قماش منسوج يُشد على فم الإناء والإبريق لتصفية ما يخرج منه، قال علقمة بن عبدة:

كأنَّ إبريقهمْ ظبْيٌ على شرفٍ ... مفدمٌ بسبا الكتانِ ملثومُ

- والمعنى: أي تغلق أفواههم لتتكلم جوارحهم. ومن ذلك قيل: رجلٌ فدمٌ؛ كأن على فمه غطاءً.

- ويبين: أي يشهد.

- وتخليتُ: أي تركتُ الشِّرك وأهله وبرئتُ منهما.

٩٩- باب: إثم من لم يفعل ذلك، وكتم العلم عند حاجة الناس إليه

٦١٨- عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ:

«إذا لعن آخرُ هذه الأمة أولَها؛ فليظهر الذي عنده العلم علمه، فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل الله على محمد ﷺ»(١).

٦١٩- وعن أبي جعفر، عن- أبيه- علي بن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال:

إذا لعن آخر هذه الأمة أولها، واستُخف بدين الله عَزَّ وَجَلَّ؛ فلينشر أهل العلم علمهم، فإنه من كتم يومئذ علمًا؛ كان كمن كتم ما أنزل الله من الكتاب، وأسرَّ النِّفاق.

٦٢٠- ورواه أيضًا مرفوعًا؛ وقال في أوله: إذا ظهر الجَوْر.

٦٢١- وتقدَّم حديث معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

«إذا ظهرت البدع في أمتي وشُتم أصحابي؛ فليظهر العالم علمه، فإن لم يفعل؛ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»(٢). فقيل للوليد بن مسلم: ما إظهار العلم؟ قال: إظهار السُّنة.

---

(١) رواه ابن ماجه، والطبراني في الأوسط، والآجري في الشريعة.

(٢) رواه الخلال في السُّنة، والآجري في الشريعة.

- ولقد قام أبو بكر الآجري في كتابه الشريعة بهذا الواجب، فقال عن نفسه: (قد رسمتُ في هذا الكتاب- وهو كتاب: الشريعة- من أوله لآخره ما أعلم أن جميع من شمله الإسلام محتاج إلى علمه؛ لفساد مذاهب كثير من الناس، ولما قد ظهر كثير من الأهواء الضالة والبدع المتواترة
=

ما أعلم أن أهل الحق تقوى به نفوسهم، ومقمعة لأهل البدع والضلالة على حسب ما علمني الله عز وجل، فالحمد لله على ذلك). اهـ

– وقبله الإمامان سفيان الثوري وأبو عمروٍ الأوزاعي، فلقد قام الثوري بإظهار العلم بالكوفة؛ وذلك بنشر أحاديث فضائل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإبطال بدعة سبه ولعنه.

– وكذلك قام أبو عمرو الأوزاعي بإظهار السُّنة في الشام؛ وذلك بنشر أحاديث فضائل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وإبطال بدعة سبه ولعنه.

– ففي حلية الأولياء (٧/ ٢٦) عن عمرو بن حسان، قال: (كان سفيان الثوري نِعْمَ المُداوي؛ إذا دخل البصرة حدَّث بفضائل عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وإذا دخل الكوفة حدَّث بفضائل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).

– وقبلهما الإمام العادل عمر بن عبدالعزيز، فلقد كان خلفاء بني أمية يسبون عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، من سنة إحدى وأربعين– وهي السَّنة التي خلع الحسن فيها نفسه من الخلافة– إلى أول سنة تسع وتسعين، آخر أيام سليمان بن عبدالملك، فلما ولي عمر بن عبدالعزيز؛ أبطل ذلك، وكتب إلى نوابه بإبطاله، ولما خطب يوم الجمعة، أبدل السبَّ في آخر الخطبة بقراءة قوله تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ). فلم يُسب عليٌّ بعد ذلك، واستمرت الخطباء على قراءة هذه الآية.

– ومن إظهار العلم والسُّنة: هجران المكان الذي ترتكب فيه البدعة، أو يُسب فيه الصحابة، كما روى الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١/ ١٩١) عن علي بن المديني، قال: حدثنا جرير ابن عبدالحميد، عن المغيرة، قال: (خرج عدي بن حاتم، وجرير بن عبدالله البجلي، وحنظلة الكاتب من الكوفة فنزلوا قرقيسيا، وقالوا: لا نقيم ببلد يُشتم فيه عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).

قال أبو بكر الخطيب: قال لي محمد بن علي الصوري: أنا رأيت قبورهم بقرقيسيا). اهـ

– وعن ابن القاسم، قال: سمعت مالكًا، يقول: (لا يحل لأحد أن يقيم بأرض يُسب فيها السَّلف، ويُعمل فيها بغير الحق).

– وروى ابن وهب، عن مالك أنه قال: (تُهجر الأرض التي يُصنع فيها المنكر جهارًا ولا يستقر فيها). اهـ

– وجاء في طبقات الحنابلة (٢/ ٧٥) في ترجمة أبي القاسم الخرقي، قال ابن أبي يعلى: (له المصنفات الكثيرة في المذهب لم ينتشر منها إلا المختصر في الفقه؛ لأنه خرج عن مدينة السلام– بغداد– لما ظهر سب الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وأودع كتبه في درب سليمان؛ فاحترقت الدار التي كانت فيها الكتب، ولم تكن انتشرت لبعده عن البلد). اهـ

=

٦٢٢- وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ:

«من غدا أو راح في طلب سنة مخافة أن تُدْرَس؛ كان كمن غدا أو راح في سبيل الله، ومن كتم علمًا علمه الله إياه؛ ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار»(١).

- ومن إظهار العلم والسُّنة: ترك التحديث أو أخذ العلم عمن يَسُبُّ الصحابة أو السَّلف الصالح- حتى ولو كان ينتسب للعلم والسُّنة- كما هي سُنة المُحَدِّثين مع الرافضة السَّبابة.

- ففي العلل ومعرفة الرجال لعبدالله بن أحمد (٦٠٧٩) عن علي بن الحسن بن شقيق، قال: (سمعت ابن المبارك، يقول: لا تحدثوا عن عمرو بن ثابت؛ فإنه يَسُبُّ السَّلف). اهـ

- وقال أحمد بن يونس: (رأيت زهير بن معاوية جاء إلى زائدة بن قدامة، فكلمه في رجل يُحدِّثه؛ فقال: من أهل السُّنة هو؟ فقال: ما أعرفه ببدعة. فقال زائدة: هيهات! أمن أهل السُّنة هو؟! فقال زهير: متى كان الناس هكذا؟! فقال زائدة: ومتى كان الناس يشتمون أبا بكر وعمر؟!). اهـ

- وقال الخطيب البغدادي في تاريخه (١٢/ ٤٩٥) في ترجمة عيسى بن مهران المستعطف الرافضي البغدادي: (هو من شياطين الرافضة ومردتهم، ووقع إليَّ كتابٌ من تصنيفه في الطعن على الصحابة وتضليلهم، وإكفارهم، وتفسيقهم، فوالله! لقد قفَّ شعري عند نظري فيه، وعظم تعجبي مما أودع فيه). اهـ

(١) رواه الطبراني في الكبير عن أَبِي الرُّدَيْنِ، قال: قال رسول الله ﷺ: (وما من عبد يخرج في طلب علم مخافة أن يموت، أو في انتساخه مخافة أن يُدْرس، إلا كان كالغادي الرائح في سبيل الله).

- ورواه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٦٧) عن ابن الزبير، عن النبي ﷺ قال: (ما من عبد يغدو في طلب علم مخافة أن يموت جاهلًا، أو في إحياء سنة مخافة أن تدرس، إلا كان كالغازي الرايح في سبيل الله، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسَبُه).

- وأما قوله: (ومن كتم علمًا علمه الله إياه...)؛ فقد رواه الطبراني في الكبير عن ابن عباس.

- أما أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فالذي جاء عنه قوله ﷺ: (من سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا سلك الله به طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر
=

٦٢٣- ومثله من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1].

❐ ❐ ❐

على سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، إنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر). رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه.

(١) يقصد حديث: (من كتم علمًا ...). الذي رواه أحمد، وأبو داود.
- وفي الآداب الشرعية لابن مفلح (٢/ ١٤٦) قال الإمام أحمد: (الأحاديث فيمن كتم علمًا؛ ألجمه الله بلجام من نار: لا يصح منها شيء). اهـ
أي: أسانيدها لا تخلو من مقال، ولا يعني ذلك بطلان المعنى، كما قال عن التسمية عند الوضوء: (لا يصح منها شيء)، وكان يفتي بالتسمية.
- وتقدَّم أن من العلماء من تأوَّل الوعيد هنا على كاتم الشهادة؛ لقوله تعالى: (وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ). مع أن الآية تشمل كاتم العلم؛ لأنه شهادة، قال تعالى: (شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ).

١٠٠- باب: ثواب من أظهر السُّنة ونشرها وعلَّمها عباد الله وبَيَّنها عند فساد الناس وظهور البدع، وما له في ذلك من الفضل والأجر

٦٢٤- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ:
«من حفظ على أمتي أربعين حديثًا فيما ينفعهم في أمر دينهم؛ بعث يوم القيامة من العلماء، وفضل العالم على العابد سبعين درجة، الله أعلم ما بين كل درجتين»[1].

٦٢٥- وفي رواية: **«من روى عني أربعين حديثًا من السُّنة؛ حُشر يوم القيامة في زمرة الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ»**[2].

---

(١) رواه ابن عدي في الكامل، والبيهقي في الشعب، ولا يصح.
قال ابن الملقِّن في خلاصة البدر المنير (٢/ ١٤٥): (حديث: من حفظ على أمتي أربعين حديثًا كُتب فقيهًا)؛ يُروى من نحو عشرين طريقًا، وكلها ضعيفة، قال الدارقطني: كل طرقه ضعاف، لا يثبت منها شيء، وقال البيهقي: أسانيده ضعيفة). اهـ
- وتقدَّم التعليق عليه في الأثر رقم: (٤٢٦).
- وليعلم أنه قد جاء في السُّنة ما يبيِّن فضل من سمع حديث النبي ﷺ وبلَّغه، ولو كان حديثًا واحدًا؛ فعن زيد بن ثابت، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (نضَّر الله امرأً سمع منَّا حديثًا، فحفظه حتى يبلغه غيره، فرُبَّ حامل فقهٍ إلى مَن هو أفقه منه، ورب حامل فقهٍ ليس بفقيه).

(٢) رواه ابن عدي في الكامل، والبيهقي في الشعب، ولا يصح.
- ومن أمثلة هذه الأربعين:
١- الأربعون حديثًا الثلاثيات لعبد بن حميد بن نصر الكشِّي.

=

٦٢٦- وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
«من أدى حديثًا إلى أمتي، لتُقَام به سُنة أو تُثْلَمُ به بدعة؛ فله الجنة»(١).

٦٢٧- وعن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
«من تَعَلَّمَ حَدِيثَيْنِ اثنين ينفع بهما نفسه أو يعلمهما غيره فينتفع بهما؛ كان خيرًا من عبادة ستين سنة»(٢).

٦٢٨- وعن عصمة بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
«لمقام أحدكم في الدنيا يتكلم بكلمة يحق بها حقًا أو يبطل بها باطلًا؛ خير له من هجرة معي»(٣).

٢- الأربعون حديثًا من مسند بريد بن عبدالله بن أبي بردة، عن جده، عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للدارقطني.
٣- الأربعون في دلائل التوحيد للهروي.
٤- الأربعون حديثًا على مذهب أهل السُّنة لأبي نعيم الأصبهاني.
٥- الأربعون في اصطناع المعروف للمنذري.
٦- الأربعون في مباني الإسلام وقواعد الأحكام للنووي.
٧- الأربعون في صفات رب العالمين للذهبي.
٨- الأربعون في الحثِّ على الجهاد لابن كثير.

(١) رواه أبو نعيم في الحلية، والخطيب في شرف أصحاب الحديث؛ وفي لفظ: (لتقام به سنة أو تنام به بدعة). وفي إسناده إسماعيل بن يحيى التيمي، وهو يضع الحديث.
(٢) رواه أبو نعيم في أخبار أصبهان، والخطيب في شرف أصحاب الحديث؛ وفي إسناده متهم بالوضع، وهو نفيع بن الحارث الهمداني.
(٣) رواه أبو نعيم في أخبار أصبهان، وابن بطة في الإبانة، وابن شاهين في شرح مذاهب أهل السُّنة.
- وقال ابن شاهين: (وهذا فيه معنى لأهل العلم أيضًا؛ لأن الحق لا يحقه إلا من عرفه، ولا يبطل الباطل إلا من عرفه، ولا يعرف الحق من الباطل إلا أهل العلم، فمعونة أهل الحق على
=

٦٢٩- وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ:

«من خرج من بيته يلتمس بابًا من العلم؛ فله بكل خطوة يخطوها عبادة ألف سنة صيامها وقيامها، وحفته الملائكة بأجنحتها، وصلى عليه طير السماء وحيتان البحر ودواب البر، ونزل من الله تعالى بمنزلة سبعين شهيدًا، وباب من العلم يتعلمه الرجل ينتفع به ويعلمه غيره؛ خير له من أن يكون له الدنيا كلها حلالًا فيضعها في الآخرة، وباب من العلم خير من ثمانين غزوة»(١).

٦٣٠- وعن الأسود، عن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ:

«من تعلَّم بابًا من العلم ليعلمه الناس ابتغاء وجه الله؛ أعطاه الله أجر سبعين نبيًّا»(٢).

حقهم، ودفع أهل الباطل عن باطلهم من أفضل الأعمال، وهو عمل بالقرآن؛ لأن الله يقول: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾. وقال: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾. اهـ

- ومن إحقاق الحق وإبطال الباطل: الكلام في المبتدعة والتحذير منهم؛ ففي طبقات الحنابلة (٢/ ١٨٤) قال المروذي: (قلت لأبي عبدالله: ترى للرجل أن يشتغل بالصوم والصلاة، ويسكت عن الكلام في أهل البدع؟ فكلح وجهه، وقال: إذا هو صام وصلى واعتزل الناس، أليس إنما هو لنفسه؟ قلت: بلى. قال: فإذا تكلم كان له، ولغيره؛ يتكلم أفضل). اهـ

(١) لم أجد من رواه عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وإنما رواه ابن عدي في الكامل، وابن الجوزي في العلل المتناهية من طريق أبين بن سفيان، عن ضرار بن عمرو، عن عمران بن الحصين؛ وقال: (هذا الحديث لا يصح). وقال البخاري: (أبين: لا يكتب حديثه). قال يحيى: (وضرار: ليس بشيء، ولا يكتب حديثه). وقال الدارقطني: (متروك).

(٢) ذكره ابن عراق في تنزيه الشريعة المرفوعة؛ قال: (وفيه الجارود بن يزيد؛ متروك الحديث). وذكره الفتني في تذكرة الموضوعات؛ وقال: (موضوع).

٦٣١- وعن الضحاك بن مزاحم، قال: قال رسول الله ﷺ:

«من خرج يطلب بابًا من العلم ليرد به باطلًا إلى حق أو ضلالًا إلى هدى؛ كان عمله كعبادة أربعين عامًا»(١).

٦٣٢- وعن عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال:

دخل رسول الله ﷺ المسجد فرأى مجلسين: أحد المجلسين يَدْعُون الله ويرغبون إليه، والآخر يتعلمون الفقه؛ فقال رسول الله ﷺ: **«كِلا المجلسين على خير، وأحدهما أفضل من صاحبه، أما هؤلاء فيَدْعُون الله ويرغبون إليه إن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وأما هؤلاء فيتعلمون ويعلمون الجاهل؛ إنما بعثت مُعَلِّمًا، هؤلاء أفضل، ثم جلس معهم»**(٢).

٦٣٣- وعن عبدالعزيز بن ظبيان؛ قال:

قال المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ: من تعلَّم وعمل، ثم علَّم؛ فذاك يسمى في ملكوت السماوات: عظيمًا(٣).

---

(١) رواه ابن بشران في أماليه، والخطيب في الفقيه والمتفقه عن الضحاك بن مزاحم، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا. والباطل لا يرد إلا بالعلم، كما أن البدعة لا ترد إلا بالسُّنة والأثر لا ببدعة مثلها. وقد قال عبدالرحمن بن مهدي: (إنما يُرد على أهل البدع بآثار رسول الله ﷺ وآثار الصالحين، فأما من ردَّ عليهم بالمعقول؛ فقد ردَّ باطلًا بباطل).

(٢) رواه الدارمي، وابن ماجه، والبزار في مسنده، والبيهقي في المدخل.

(٣) وروى الترمذي في جامعه عن الفضيل بن عياض، قال: (عالم عامل مُعلِّم يدعى كبيرًا في ملكوت السماوات).

٦٣٤- وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ:

«إذا كان يوم القيامة وضعت منابر من ذهب، عليها قباب من فضة مُفَصَّصَةٌ بِالدُّرِّ والياقوت والزبرجد، جِلالها السندس والإستبرق، ثم يجاء بالعلماء فيجلسون عليها، ثم ينادي منادي الرحمن- جلَّ جلاله-: أين من حمل إلى أمة محمد ﷺ علمًا يريد به وجه الله؟ فاجلسوا على هذه المنابر حتى تدخلوا الجنة»[1].

٦٣٥- وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال:

«ألا أخبركم بأقوام ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم يوم القيامة النبيون والشهداء بمنازلهم من الله على منابر من نور، يُعرفون عليها». قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: **«قوم يحببون عباد الله إلى الله ويحببون الله إلى عباده، يمشون في الأرض نُصحاء»**، قال: قلنا: هذا يحبب الله إلى عباده، فكيف يحببون عباد الله إلى الله؟ قال: **«يأمرونهم بما يحب الله، وينهونهم عما يكره الله، فإذا أطاعوهم أحبهم الله»**[2].

❐ ❐ ❐

(١) رواه أبو نعيم في الحلية، وابن الجوزي في الموضوعات؛ وقال الدارقطني: (تفرد به إسماعيل، عن مسعر، وهو كذاب متروك).

(٢) رواه البيهقي في الشعب، والخطيب في كتاب: أربع مجالس له. وعلته: واقد بن سلامة؛ قال فيه البخاري: (لم يصح حديثه).

١٠١- باب: دعاء النبي ﷺ لمن فعل ذلك ونشر السُّنة والعلم ليُذهب به البدعة والضلالة

٦٣٦- عن جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «نَضَّر الله رجلًا سمع منَّا حديثًا فبلَّغه كما سمعه؛ فرب مبلَّغ أوعى من سامع»[1].

(١) لم أجد مَن رواه عن جابر بن سمرة، ولعلَّ المؤلف يقصد جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فهو الذي روى هذا الحديث؛ رواه عنه الطبراني في الكبير. والحديث متواتر؛ رواه عدد من الصحابة.
- قال الرامهرمزي في المحدث الفاصل (١/ ١٦٧): (يحتمل معناه وجهين: أحدهما يكون في معنى ألبسه الله النضرة، وهي الحُسْن وخلوص اللون؛ فيكون تقديره: جمَّله الله وزيَّنه. والوجه الثاني: أن يكون في معنى أوصله الله إلى نضرة الجنة، وهي نعمتها ونضارتها، قال الله عز وجل:(تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ). وقال: (وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا). اهـ
- وهذا أمرٌ مشاهدٌ معروف في وجوه أهل السُّنة والحديث حتى لو كانوا سود الوجوه؛ قال سفيان بن عيينة: ما من أحد يطلب الحديث إلا وفي وجهه نضرة؛ لقول النبي ﷺ: (نضَّر الله امرأً سمع منا حديثًا فبلَّغه).
- وصدق من قال: الرأى ليلٌ، والحديث نهار. قال تعالى: (وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ).
- وقد اشتمل هذا الحديث على مراتب العلم الأربعة:
ففي حلية الأولياء (٦/ ٣٦٢) عن أبي هشام الرفاعي، قال: سمعت مزاحم بن زفر، يحدث أبا بكر بن عياش، قال: سمعت الثوري، يقول: (إنما هو طلبه، ثم حفظه، ثم العمل به، ثم نشره. فجعل أبو بكر يقول: أعده عليَّ كيف قال؟).
- وقال سفيان الثوري: كان يقال: (أول العلم: الصمت، والثاني: الاستماع له وحفظه، والثالث: العمل به، والرابع: نشره وتعليمه). اهـ

=

٦٣٧- ورواه من حديث جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

«نَضَّر الله عبدًا سمع مقالتي فوعاهـا، ثـم أدَّاهـا إلى مـن لم يـسمعها؛ فرُبَّ حامل فقه لا فقه له، ورُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثـلاث لا يغل عليهم قلب مؤمن: إخلاص العمل لله، وطاعة أولي الأمـر، ولـزوم الجماعة؛ فإن دعوتهم تكون من ورائهم»(١).

٦٣٨- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: **«رحم الله رجـلًا تعلَّـم فريـضة أو فريضتين؛ فعَمِل بها وعلَّمها من يعمل بها»**(٢).

❐ ❐ ❐

- وروى عبدالله بن أحمد في العلل ومعرفة الرجال (٢٠٩) عن محمد بن النضر الحارثي، قال: كان يقال: (أول العلم: الإنصات له، ثم الاستماع له، ثم حفظه، ثم العمل به، ثم بثه). اهـ

(١) رواه أحمد، والدارمي.

(٢) ذكره الخطيب في جامع بيان العلم، وإسناده لا بأس به.

١٠٢- باب: مدح النبي ﷺ لمن فعل ذلك

٦٣٩- عن كثير بن عبدالله، عن أبيه، عن جده، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الدِّين ليأرز إلى الحجاز، كما تأرز الحيَّة إلى جحرها**»[١].

٦٤٠- وتقدَّم أول الكتاب:

«**إن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا؛ فطوبى للغرباء**». قيل: يا رسول الله! ومن الغرباء؟ قال: «**الذين يحيون سنتي من بعدي، ويعلِّمونها عباد الله**».

٦٤١-وتقدَّم حديث بلال بن الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

«**أن من أحيا سنة قد أميتت...**». إلى آخره[٢].

---

(١) رواه الترمذي؛ وقال: حسن صحيح. وفيه: (وليَعقلنَّ الدِّينُ من الحجاز معقِلَ الأرويَّة من رأسِ الجبل).

- ويبدو أن مختصر الكتاب وَهِمَ في هذا الحديث، وظن أن حديث: (إن الدين ليأرز إلى الحجاز)، مُنْفَصِلٌ عن حديث: (إن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا)، التالي له في المتن، وهما في الحقيقة حديث واحد برواية كثير بن عبدالله، عن أبيه، عن جده مرفوعًا.

- وأصل الأرز: الاجتماع والانقباض. انظر: غريب الحديث للخطابي: (٢/ ٥٢١)، والمعنى أنه يرجع إليها، ويجتمع بعضه إلى بعض فيها. والدِّين يأرز أولًا إلى الحجاز، ثم إلى المدينة خاصة؛ لأنها مستقره أولًا، فعاد إليها لتكون مستقره آخرًا. وفي هذا مدحٌ لأهل المدينة في آخر الزمان.

- والأرْوِيَّة: هي الأنثى من الوُعول، وهي شِياه الجبل.

(٢) تقدَّم برقم: (٢٣).

٦٤٢- وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

في قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ» [الانفطار:٥].

قال: ما قدمت من خير- يعني:- وما أخرت من سنة صالحة يعمل بها بعده؛ فإن له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيئًا، أو سنة سيئة فإن عليه وزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيئًا.

٦٤٣- وعن عون، عن المنذر، عن أبيه[1] قال:

كنا عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صدر النهار؛ فجاءه قوم حفاة عراة مُجْتَابِي النِّمَارِ، عليهم السيوف والعباء؛ عامتهم من مضر، قال: فرأيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تغير لِمَا رأى بهم من الفاقة، قال: فأمر بلالًا فأذن، ثم دخل فصلى ثم خطب؛ فقال: «يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ» [النساء:١] الآية، «يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ» [الحشر:١٨]؛ **تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بُرِّه، من صاع تمره»**، حتى قال: **«ولو بشق تمرة»**.

قال: فجاء رجل من الأنصار بصُرَّة قد كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت، قال: وتتابع الناس، حتى رأيت بين يدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كومين من طعام وثياب، قال: فرأيت (وجه) رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتهلل كأنه مُذْهَبَةٌ؛ فقال: **«من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فعُمل بها من بعده، كان له أجرها**

(١) هو: جرير بن عبدالله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. والحديث رواه أحمد، ومسلم.

وأجر من عمل بها، لا ينقص من أجورهم شيئًا، ومـن سـنَّ في الإسـلام سنة سيئة فعُمل بها من بعده؛ فإن عليه وزرهـا ووزر مـن عمـل بهـا، لا ينقص من أوزارهم شيئًا».

❐ ❐ ❐

١٠٣- باب: ثبوت الشفاعة يوم القيامة لمن حافظ على سنة رسول الله ﷺ وعمل بها ونقلها إلى غيره ونشرها

٦٤٤- عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: **«من حفظ على أمتي أربعين حديثًا من أمر دينها؛ بعثه الله يوم القيامة فقيهًا، وكنت له شافعًا وشهيدًا»**[1].

٦٤٥- ورواه أيضًا من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت: يا رسول الله! ما الحدُّ الذي إذا بلغه الرجل كان عالمًا؟ قال: **«من حفظ على أمتي أربعين حديثًا؛ بعث فقيهًا، وكنت له يوم القيامة شاهدًا أو شفيعًا»**[2].

٦٤٦- ورواه أيضًا من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: **«كنت له شفيعًا يوم القيامة»**[3].

❐ ❐ ❐

(١) رواه ابن الجوزي في العلل المتناهية، ولا يصح؛ انظر رقم: (٤٢٦ و ٦٢٤).
(٢) رواه ابن حبان في المجروحين، وابن الجوزي في العلل المتناهية؛ انظر رقم: (٤٢٦ و ٦٢٤).
(٣) رواه ابن عدي في الكامل، ولا يصح؛ انظر رقم: (٤٢٦ و ٦٢٤).

١٠٤- باب: كون من فعل ذلك خليفة رسول الله ﷺ على أمته

٦٤٧- عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: **«ألا أدلكم على الخلفاء مني ومن أصحابي ومن الأنبياء قبلي؟! حملة القرآن والأحاديث عَنِّي وَعَنْهُم في الله عَزَّ وَجَلَّ»**(١).

٦٤٨- ورواه من طريقين آخرين؛ وفيه: **«في الله ولله»**(٢).

٦٤٩- وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: **«رحم الله خلفائي!»** قال: قلنا: يا رسول الله! ومن خلفاؤك؟ قال: **«الذين يأتون من بعدي؛ يَرْوُونَ أحاديثي وسنتي وَيُعَلِّمُونَهَا الناس»**(٣).

٦٥٠- وفي حديث الْعَلَوِيّ؛ فقال: **«اللهم ارحم خلفائي!»**(٤).

والباقي بمثله.

---

(١) رواه أبو نعيم في أخبار أصبهان، ولا يصح.

(٢) رواه الخطيب في شرف أصحاب الحديث، والهروي في ذم الكلام، ولا يصح.

(٣) رواه أبو نعيم في أخبار أصبهان، والخطيب في شرف أصحاب الحديث. وهو مشهور من رواية الحسن البصري مرسلًا.

(٤) رواه أبو نعيم في أخبار أصبهان، والخطيب في شرف أصحاب الحديث. والعلوي: هو أحمد بن عيسى بن عبدالله العلوي؛ قال عنه الدارقطني: (كذاب).
- قال الله تعالى في صفة هؤلاء الخلفاء الذين يقومون في الناس مقام الأنبياء: (ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا).

١٠٥- باب: بيان إكمال الشريعة والدِّين من قول الله وبيان رسوله ﷺ والاستغناء عما لم يرد فيهما والاكتفاء بهما، وردّ ما ابتدع من غيرهما وأن بيان جميع ما أمرنا به فيهما، وإنما يقصر رأي من لا علم له عن بلوغ علمهما فيبتدع رأيًا من غيرهما

٦٥١- تقدَّم حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لما قالت اليهود: آية تقرؤنها نزلت عليكم، لو نزلت علينا لأتخذنا ذلك اليوم عيدًا: «ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا» [المائدة:٣]؛ وإنها نزلت على النبي ﷺ يوم عرفة في يوم جمعة[١].

٦٥٢- وعن أبي ظَبْيَان، عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

ما من شيء إلا وعلمه في كتاب الله، ولكن رأي الرجال يعجز عنه.

٦٥٣- وقال مسروق رَحِمَهُ اللَّهُ:

ما نسأل أصحاب رسول الله ﷺ عن شيء إلا وجدناه في كتاب الله، إلا أن رأينا يَقْصر عنه[٢].

---

(١) فإذا انضم لهذه الآية قولُهُ تعالى: (وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ). فذلك الخير كله؛ نفي وإثبات.

- وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: (من أحدث في أمرنا ما ليس منه، فهو ردٌّ).

(٢) وفي رواية: (ما سئل أصحاب رسول الله ﷺ عن شيء إلا وجدوه في القرآن، ولكن علمنا قصر عنه).

=

٦٥٤- قال الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ما ابْتُدِعَ في الإسلام بدعة، إلا وفي كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ما يُكَذِّبُهُ[1].

٦٥٥- وعن محمد بن إسحاق؛ ذكر: أن النبي ﷺ خرج ذات ليلة في مرضه الذي قبض فيه؛ فقال: **«يا أيها الناس! سُعِّرَت النار- ثلاثًا- أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، يتبع بعضها بعضًا غير أني لم أُحِلَّ إلا ما أَحَلَّ القرآن، ولم أُحَرِّمْ إلا ما حَرَّمَ القرآن»**[2].

- وفي لفظ عند الهروي في ذم الكلام: (ولكنا لا نهتدي له).

- قال ابن تيمية في درء التعارض (٥/ ٥٧): (فالقرآن قد دلَّ على جميع المعاني التي تنازع الناس فيها؛ دقيقها وجليلها، كما قال الشعبي: ما ابتدع أحدٌ بدعة إلا وفي كتاب الله بيانها. وقال مسروق: ما نسأل أصحاب محمد ﷺ عن شيء إلا وعلمه في القرآن ولكن علمنا قَصر عنه). اهـ

- وليس هذا فحسب؛ بل إن المؤمن يهديه القرآن لمعرفة ضلالة من ضلَّ من الخلق، فقد روى أبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ١٥٨) عن الحسن، قال: (إن المؤمنين شهود الله في الأرض؛ يعرضون أعمال بني آدم على كتاب الله، فمن وافق كتاب الله؛ حمد الله عليه، ومن خالف كتاب الله؛ عرفوا أنه مخالف لكتاب الله، وعرفوا بالقرآن ضلالة من ضلَّ من الخلق).

- ومن تأمل قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾؛ وجد العجب العُجاب، وعرف مقصود الباب، ولم يتعجب حين يسمع سفيان الثوري، يقول: (ليتني كنت اقتصرت على القرآن). أي: استغنيت بها عن كثير من كلام الناس.

(١) والأثر خرَّجه أبو بكر بن الخلال في السُّنة عن الشعبي.

- وفي لفظ: (ما ابتدع أحد بدعة، إلا وفي كتاب الله بيانها).

- وقال الخلال في السنة (٩١٢): (أخبرني علي بن عيسى، أن حنبل بن إسحاق حدَّثهم، قال: قال أبو عبدالله: في القرآن كذا وكذا موضع فيه ردٌّ على القدرية، قلت: فما الذي يلزم القدرية؟ قال: قول الله عز وجل: ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾، وقوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾، وفي غير موضع، ولو تدبر إنسان القرآن كان فيه ما يرد على كل مبتدع بدعته). اهـ

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تاريخه مرسلًا، من طريق محمد بن إسحاق، عن ابن أبي مليكة.

٦٥٦- وتقدَّم قول حسَّان بن عطية:

أن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ كان ينزل بالسُّنة على رسول الله ﷺ كما ينزل بالقرآن؛ يعلمه إياها كما يعلمه القرآن.

٦٥٧- وقال ابن طاوس رَحِمَهُ اللَّهُ:

عندي كتاب من العقول[1] نزل به الوحي، وما فرض رسول الله ﷺ من العقول والصدقات؛ فإنما نزل به الوحي.

٦٥٨- وتقدَّم حديث المطلب بن حنطب؛ أن رسول الله ﷺ قال:

«ما تركت شيئًا مما أمركم الله به إلا وقد أمرتكم به، ولا تركت شيئًا مما نهاكم الله عَزَّ وَجَلَّ **عنه إلا وقد نهيتكم عنه، وإن الروح الأمين قد نفث في رُوعي أنه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها؛ فأجملوا في الطلب»**[2].

قال أبو عبيد القاسم بن سلَّام رَحِمَهُ اللَّهُ:

النفث شبيه بالنفخ؛ كما يعمل من يرقي.

وقوله: **«في رُوعي»**، كقولك: في خلدي، وفي نفسي.

٦٥٩- ورواه من طريق أخرى ابنُ مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

قال رسول الله ﷺ: **«ليس شيء يقربكم إلى الجنة إلا وقد أمرتكم به، وليس شيء يقربكم من النار إلا وقد نهيتكم عنه، وإن روح القدس قد**

---

(١) العقول: هي الديات؛ كما في الحديث: (من قُتل له قتيل فهو بخير النَّظَرين، إن أحبَّ أخذ العقل، وإن أحبَّ فله القَوَد).

(٢) رواه الشافعي في الرسالة، والبيهقي في السنن والشعب.

نفث في رُوعي؛ أن نفسًا لا تموت حتى تستكمل رزقها؛ فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعاصي الله، إن الله تعالى لا ينال ما عنده إلا بطاعته»[1].

٦٦٠- قال الشيخ نصر رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فإذا كان رسول الله ﷺ قد أعلمنا أنه لم يبق شيء يقربنا إلى الجنة إلا وقد أمرنا به، ولا شيء يباعدنا من النار إلا وقد نهانا عنه وبينه لنا، وأنه أمرنا بكل ما أمره الله عَزَّوَجَلَّ به، ونهانا عن كل ما نهاه الله عَزَّوَجَلَّ عنه؛ كان ما خرج عن أوامره ونواهيه وبيانه؛ بدعة وضلالة؛ لا العمل به ولا الكلام فيه؛ لأنه خارج عن الشريعة ومباين لدين الله عَزَّوَجَلَّ الذي أمر به نبيه ﷺ فلا يحل لأحد أن يخوض فيه، ولا يتكلم به ولا يُعول عليه.

٦٦١- قال أبو ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

لقد تركنا رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه إلا وهو يذكر لنا منه علمًا، ثم قال: بيَّن لكم ما يقربكم من الجنة، ويباعدكم من النار.

٦٦٢- وقال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مَرَّةً:

ما بقي شيء مما يقربكم من الجنة، ويباعدكم من النار إلا وقد بُيِّن لكم.

٦٦٣- وعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال:

---

(١) رواه بهذا الطريق ابن أبي الدنيا في القناعة والتعفف، وابن أبي شيبة في مصنفه، وأصله محفوظ من طرق أُخَر.

إن رسول الله ﷺ لم يدعنا في لبس من أمرنا؛ حتى نهانا عن النفخ في الشَّراب[١].

❐ ❐ ❐

(١) قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.
وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.
وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.
وفي صحيح مسلم، عن سلمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قيل له: (قد علَّمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة؟ قال: أجل، لقد نهانا ﷺ أن نستقبل القبلة بغائط أو بول... وذكر تمام الحديث.
- وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (قام فينا رسول الله ﷺ مقامًا، فذكر به بدء الخلق، حتى دخل أهل الجنة منازلهم، وأهل النار منازلهم؛ حفظ ذلك من حفظه، ونسيه من نسيه). رواه البخاري في صحيحه.
- وروى أحمد في مسنده، عن العرباض بن سارية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: (قد تركتكم على البيضاء؛ ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك).
- وروى أحمد في مسنده، عن أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: (لقد توفي رسول الله ﷺ، وما طائر يقلب جناحيه في السماء، إلا ذكر لنا منه علمًا).
- وروى مسلم في صحيحه، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أن رسول الله ﷺ قال: (إنه لم يكن نبيٌّ قبلي إلا كان حقًّا عليه أن يدلَّ أمَّته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شرَّ ما يعلمه لهم).
- وروى البخاري في صحيحه، عن أبي الجويرية، قال: (سألتُ ابنَ عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن الباذق؟ فقال: سبق محمدٌ ﷺ الباذق؛ فما أسكر فهو حرام، قال: الشراب الحلال الطيب، قال: ليس بعد الحلال الطيب إلا الحرام الخبيث). والباذق نوعٌ من الأشربة.
- والمعنى أن النبي ﷺ ما ترك شيئًا إلا بيَّنه بالعموم والخصوص.
- وفي ذم الكلام للهروي (١١٢٨) عن مالك بن أنس، أنه قال: (محالٌ أن يُظن بالنبي ﷺ أنه علَّم أمته الاستنجاء، ولم يعلمهم التوحيد).

١٠٦- باب: الأمر بقبول ذلك والتمسك به وترك مجاوزته إلى غيره وأنه هو الحق، والنهي عن الكلام فيما عداه

٦٦٤- تقدَّم حديث أبي ثعلبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

«أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى فرض فرائض فلا تضيعوها، وحرم حرمات فلا تنتهكوها، وحَدَّ حُدودًا فلا تعدوها، وسكت عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها»[1].

٦٦٥- وتقدَّم حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكلامه؛ وفيه:

وسكت عن أشياء لم يسكت عنها نسيانًا، كانت رخصة من الله تعالى؛ فاقبلوها، إن أصحاب الرأي أعداء السنن، تفلتت منهم أن يعوها، وأعيتهم أن يحفظوها، وسئلوا فاستحيوا أن يقولوا: لا نعلم، فعارضوا السنن برأيهم؛ فإياك وإياهم، إن الحلال بيِّن والحرام بيِّن، وبين ذلك المشتبهات؛ من اجتنبهن كان أوفر لدينه وعرضه، ومن اجترأ

---

(١) رواه الطبراني في الكبير، والدارقطني في سننه.
- وقوله: (وسكت عن أشياء)؛ جاء الإخبار عنها في الروايات بألفاظ مختلفة منها: (وترك أشياء)، (وعفا عن أشياء)، (وغفل عن أشياء).
- والعِلَّة من هذا السكوت عن هذه الأشياء كما جاء في الروايات: (رحمةً منه لكم)، وفي رواية: (رُخصةً لكم). وهذا الحديث قال فيه أبو الفتوح الطائي في الأربعين في إرشاد السائرين: (هذا حديثٌ كبِيرٌ، حسَنٌ، عالٍ).

عليهن وقع في الحرام؛ كالمُرتع حول الحمى أوشـك أن يواقعـه، ألا وإن لكل ملك حمى، وحمى الله في أرضه محارمه.

٦٦٦- وعن هشام بن حُجير؛ قال:

كان طاوس يصلي ركعتين بعد العصر؛ فقال له ابـن عبـاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: اتركهما؛ فقال: إنما نهى عنهما أن تتخذ سُلَّمًا؛ فقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إنه قد نهى النبي ﷺ عن صلاة بعـد العـصر؛ فـلا أدري أتعـذب عليهـا أم تؤجر؟! لأن الله تعالى قال: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ» [الأحزاب:٣٦][(١)].

٦٦٧- وعن عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال:

خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن سكوت لا نتحـدث؛ فقـال: **«ما لكم لا تحدثون؟!»**. قالوا: سمعناك تقول: **«من كذب عليّ متعمدًا فليتبوأ**

---

(١) رواه الدارمي في سننه (٤٤٨)، وفيه قال سفيان: (تُتَّخذ سُلَّمًا) يقول: يصلي بعد العصر إلى الليل. وفي لفظ خرَّجه الحاكم في مستدركه، قال: (إنما نهي عنهما أن تُتَّخَذَ سُلَّمًا أن يوصل ذلك إلى غـروب الشمس). اهـ

- وفي هذا دليلٌ على تحريم البدع الإضافية، وهي التي جاء الشرع بأصلها، ثم أوقعهـا النـاس على غير مراد الشرع من حيث زمانها أو وقتها أو صفتها أو سببها.

- روى البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (١٩١) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: (كل بدعـة ضلالة، وإن رآها الناس حسنة).

- وروى ابن أبي شيبة في مصنفه، عن عبدالله بن مرة، عن مـسروق، قـال: (رفـع الإمـام يـوم الجمعة يديه على المنبر، فرفع الناس أيديهم، فقال مسروق: ما لهم؟! قطع الله أيديهم).

مقعده من النار»؛ فخفنا أن نزيد وننقص، فأمسكنا، قال: «**حدثوا عني ولا حرج**».

قال عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: يا رسول الله! كنت أسمع أشياء أحب أن أحفظها فأكتبها؛ فقالت لي قريش: إن رسول الله ﷺ بشر يغضب ويرضى، أفتكتب كل ما تسمع منه؟! فقال رسول الله ﷺ: «**اكتب، والذي نفسي بيده ما يخرج من بينهما إلا حقٌّ- يعني شفتيه-**».

وتقدَّم مختصرًا[1].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل إلى قوله: (حدثوا عني ولا حرج).
- والشطر الثاني رواه أحمد، وأبو داود. ولو صحَّ قوله: (حدثوا عني ولا حرج) لكان المعنى: أي: لا حرج من رواية الحديث بالمعنى، إذا ضبط أصله.
- وقد احتج بحديث عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قومٌ في التوسع في كتابة الكتب ونشرها بين الناس، وفي هذه الرواية ما يُبيِّن أنه كان يكتب لنفسه خاصة؛ لأجل أن يحفظ، ولم ينشرها حتى مات، فقال: (كنت أسمع أشياء أحبُّ أن أحفظها فأكتبها)، وعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما أراد تدوين السُّنة استخار شهرًا، ثم عزم على عدم الكتابة، والقرون الفاضلة الثلاثة انقرضت وليس بين أيديهم كتاب واحد إلا القرآن، وهم أعلم الأمة إلى قيام الساعة دون شكٍّ.
- وتأمل أخي القارئ هذا الأنموذج مما كان عليه السَّلف؛ لتعلم خطورة الأمر:
- في كتاب: الضعفاء وأجوبة الرازي على سؤالات البرذعي (ص٦٧٤) قال البرذعي: (شهدت أبا زرعة وذكر كتاب الصحيح الذي ألَّفه مسلم بن الحجَّاج، ثم الفضل الصائغ على مثاله، فقال لي أبو زرعة: هؤلاء قومٌ أرادوا التقدم قبل أوانه، فعملوا شيئًا يتشوفون به؛ ألَّفوا كتابًا لم يسبقوا إليه؛ ليقيموا لأنفسهم رياسة قبل وقتها، وأتاه ذات يوم- وأنا شاهد- رجلٌ بكتاب الصحيح من رواية مسلم، فجعل ينظر فيه، فإذا حديثٌ عن أسباط بن نصر، فقال لي أبو زرعة: ما أبعد هذا من الصحيح! يُدْخِل في كتابه: أسباط بن نصر! ثم رأى في الكتاب: قَطَن بن نُسَيْر، فقال لي: وهذا أطم من الأول! قُطن بن نُسير وَصَل أحاديث عن ثابت وجعلها عن أنس! ثم نظر، فقال: يَروي عن أحمد بن عيسى المصري في كتابه الصحيح! قال لي أبو
=

❐ ❐ ❐

زرعة: ما رأيت أهل مصر يَشكُّون في أن أحمد بن عيسى، وأشار أبو زرعة بيده إلى لسانه كأنه يقول: الكذب، ثم قال لي: يُحدِّث عن أمثال هؤلاء، ويترك عن محمد بن عجلان ونظرائه، ويطرق لأهل البدع علينا، فيجدون السبيل بأن يقولوا: لحديث- إذا احتُجَّ عليهم به- ليس هذا في كتاب الصحيح، ورأيته يذم وضع هذا الكتاب ويؤنبه.

فلما رجعتُ إلى نيسابور في المرَّة الثانية ذكرت لمسلم بن الحجَّاج إنكار أبي زرعة عليه روايته في هذا الكتاب عن أسباط بن نصر، وقَطن بن نُسير، وأحمد بن عيسى؛ فقال لي مسلمٌ: إنما قلتُ: صحيح! وإنما أدخلت من حديث أسباط وقطن وأحمد ما قد رواه الثقات عن شيوخهم، إلا أنه ربما وقع إليَّ عنهم بارتفاع، ويكون عندي من رواية من هو أوثق منهم بنزول، فأقتصر على أولئك، وأصل الحديث معروفٌ من رواية الثقات.

وقَدِم مسلمٌ بعد ذلك إلى الرَّي، فبلغني أنه خرج إلى أبي عبدالله محمد بن مسلم بن وارة، فجفاه وعاتبه على هذا الكتاب، وقال له نحوًا مما قاله أبو زرعة: إن هذا يطرق لأهل البدع علينا، فاعتذر إليه مسلمٌ، وقال: إنما أخرجتُ هذا الكتاب، وقلت: هو صحاح، ولم أقل: إن ما لم أُخَرِّجه من الحديث في هذا الكتاب ضعيف، ولكني إنما أخرجتُ هذا من الحديث الصحيح؛ **ليكون مجموعًا عندي، وعند من يكتبه عني، فلا يرتاب في صحتها**، ولم أقل: إن ما سواه ضعيف، ونحو ذلك مما اعتذر به مسلمٌ إلى محمد بن مسلم؛ فقبل عذره، وحدَّثه). اهـ

- فانظر- عافاك الله- إلى علَّة انتقاد أبي زرعة ومحمد بن مسلم تأليف الكتب، ثم انظر إلى ما اعتذر به مسلمٌ في ذلك، وأنه أراد بذلك أن يكون مجموعًا عنده، وعند من يكتبه عنه، ليس مبثوثًا لعامة الناس.

- قال عبدالله بن أحمد في العلل ومعرفة الرجال (٥٠٦١): (كتب إليَّ ابن خلاد: سمعت ابن عيينة، عن عاصم الأحول، قال: أتيت ابن سيرين بكتابٍ أضعه عنده، فقال: لا يبيت عندي). أي: الكتاب.

- وما دام الأمر قد انفرط، والكتب قد خُلدت، فليتقلل منها العبد، ولا يزاحم القرآن بها، سوى ما أعان على فهمه فحسب.

١٠٧- باب: تحذير النبي ﷺ ممن اتبع متشابه القرآن طلبًا للفتنة والجدل، وقطع الناس عن العلم المأمور به والعمل، وإظهارًا لباطن بدعته وزيغ قلبه

٦٦٨- تقدَّم حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ تلا: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [آل عمران:٧]. قالت: قال رسول الله ﷺ: «**فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين عنى الله؛ فاحذروهم**»[١].

٦٦٩- وعن مجاهد في قوله:

﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران:٧].

قال: الشبهات: الباب الذي ضلوا منه، وهلكوا به[٢].

---

(١) متفق عليه بلفظ: (فأولئك الذين سمَّى الله؛ فاحذروهم).

- ومن علامة هؤلاء: أنهم يعتقدون ثم يستدلون، فإذا رأيت من يعتقد ثم يستدل؛ فاعلم أنه صاحب بدعة، وهو ممن يتبع المتشابه، وقد قال الزمخشري المعتزلي في كتابه ربيع الأبرار (١/ ٣١٤): (قالت أخت عمرو بن عبيد- وكانت تحت واصل بن عطاء-: كان واصل إذا جنَّه الليل صفَّ قدميه يصلي، ولوح ودواة موضوعان بين يديه، فإذا مرَّت به آية من كتاب الله فيها حُجة على أهل الإلحاد والبدعة- تقصد: أهل السُّنة والجماعة- كتبها، ثم عاد في صلاته!).

(٢) وجاء في الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٥٠١)، عن أيوب السختياني، قال: (لا أعلم اليوم أحدًا من أهل الأهواء يخاصم إلا بالمتشابه).

٦٧٠- وقال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

طلب القومُ التأويل؛ فأخطأوا التأويل، وأصابوا الفتنة، واتبعوا ما تشابه منه؛ فهلكوا بذلك.

٦٧١- وتقدَّم كلام الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا تجالسوا أصحاب الخصومات؛ فإنهم الذين يخوضون في آيات الله عَزَّوَجَلَّ.

٦٧٢- وعن طاوس رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال:

ذكر لابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا الخوارج، وما يصيبهم عند قراءة القرآن (أي: من الرِّقة والبكاء)، قال: يؤمنون بمحكمه، ويهلكون عند متشابهه[1]؛ وقرأ: «وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا» [آل عمران:٧].

❐ ❐ ❐

---

(١) وهكذا كل أهل الأهواء بلا استثناء، وكان أيوب يسمي أهل الأهواء كلهم خوارج، وكان يقول: إن الخوارج اختلفوا في الاسم واجتمعوا على السَّيف. وهذا الأثر رواه الفريابي في كتاب القدر.

١٠٨- باب: مناظرة من هذه سبيله

٦٧٣- عن بكير بن الأشج:

أن عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سيأتي أناس يجادلونكم بشبهات القرآن؛ فخذوهم بالسُّنن، فإن أصحاب السُّنن أعلم بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ.

٦٧٤- وقال علي ابن المديني في حديث النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ:

«لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم».

قال: هم أصحاب الحديث، والذين يتعاهدون مذهب الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ويذبون عن العلم؛ لولاهم لم نجد عند المعتزلة والرافضة والجهمية وأهل الإرجاء والرأي أشياء من السُّنن.

٦٧٥- وعن عبدالرحمن بن غَنْم؛ قال:

خطب رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقال: **«إن أخوف ما أخاف على أمتي: ما يفتح لهم من الدنيا، وأن يقتتلوا عليها، وأن يفتح لهم القرآن، حتى يقرأه الفاجر والمنافق؛ فيجادلون به المؤمن: ﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾** [آل عمران:٧]. **والناس في هذا القرآن ثلاثة: رجل يقرأه بلسانه ولا يسيغ[١] به حنجرته، ورجل يقرأه ويأكل به في دنياه؛ فليس له**

---

(١) يسيغ: أي يجاوز.

منه يوم يلقى ربه شيء، ورجل يأخذه بسكينة وقوة؛ فهو له حجة في الدنيا والآخرة»[١].

٦٧٦- وتقدَّم حديث:

«من قال في القرآن برأيه؛ فليتبوأ مقعده من النار»[٢].

❑ ❑ ❑

---

(١) رواه الطبراني في مسند الشاميين، عن عبدالرحمن بن غَنْم- مُختلفٌ في صحبته- عن أبي عامر الأشعري، ورواه أبو عمرو الداني في الفتن دون قوله: (والناس في هذا القرآن ثلاثة...).

(٢) قال ابن الأنباري، كما نقله عنه الخطيب في الفقيه والمتفقه (١/ ٥٧): (حمل بعض أهل العلم هذا الحديث على أن الرأي معْنِيٌّ به الهوى، من قال في القرآن قولًا يوافق هواه، لم يأخذه عن أئمة السَّلف، فأصاب فقد أخطأ، لحكمه على القرآن بما لا يعرف أصله، ولم يقف على مذاهب أهل الأثر والنقل فيه). اهـ

١٠٩- باب: النهي عن قراءة كُتب المتقدِّمين[١] وكَتْبها والاشتغال بها، وما يخاف من ذلك من فساد الدين وافتراق الموحدين ووجوب التمسك بالشريعة التي أكرمنا الله بها على لسان محمد ﷺ والاكتفاء بها عن غيرها

٦٧٧- عن عبدالله بن ثابت الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال:

جاء عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى رسول الله ﷺ بجوامع من التوراة؛ فقال: إني مررتُ بأخٍ لي من بني قريظة؛ فكتب لي جوامع من التوراة، أفلا أعرضها عليك؟ فتغير وجه رسول الله ﷺ فقلت: أما ترى ما بوجه رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: رضيتُ بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ رسولًا، قال: فذهب ما كان بوجه رسول الله ﷺ فقال: «**والذي نفسي بيده، لو أصبح موسى فيكم فاتبعتموه وتركتموني لضللتم؛ أنتم حظي من الأمم، وأنا حظكم من النبيين...**» وتقدَّم[٢].

٦٧٨- وعن قطن؛ قال:

كنت جالسًا عند عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذ أُتي برجل من عبد القيس مسكنه السُّوس؛ فقال له عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنت فلان بن فلان

(١) أي: من الأمم قبلنا.

(٢) رواه أحمد، وعبدالرزاق في مصنفه.

العبدي؟ قال: نعم؛ قال: وأنت النازل بالسُّوس؟ قال: نعم؛ قال: فضربه عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بقناة معه؛ فقال العبدي: وما لي؟ فقرأ عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ «الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ »، حتى بلغ: «وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ » [يوسف: ١-٣]؛ فقرأ عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ثلاث مرات وضربه ثلاث مرات؛ فقال له: أنت الذي انتسخت كتاب دانيال؟ قال: فأْمُرني بأمرك، قال: انطلق؛ فامحه بالحميم والصوف الأبيض، ثم لا تقرأ به أبدًا، فلئن بلغني أنك قرأته أو أقرأته أحدًا؛ لأنهكنك عقوبة.

قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: انتسختُ كتابًا من أهل الكتاب، فرآه رسول الله ﷺ فقال: ما هذا الكتاب يا عمر؟! فقلت: كتاب انتسخته من أهل الكتاب؛ لنزداد به علمًا إلى علمنا، فغضب رسول الله ﷺ حتى احمرت وجنتاه؛ فقالت الأنصار: يا معشر الأنصار! أُغْضِب نبيكم؛ السلاح! السلاح! فجاءوا حتى أحدقوا برسول الله ﷺ، وقام رسول الله ﷺ فقال: يا أيها الناس! إني أوتيت جوامع الكلم وخواتمه واختصر لي اختصارًا، ولقد أتيتكم بها بيضاء نقية؛ فلا تتيهوا ولا تهتكوا ولا يغرنكم المتهوكون، قال: فقمت؛ فقلت: رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ رسولًا، ثم نزل رسول الله ﷺ.

٦٧٩- وعن صدقة بن يسار، قال:

سمعت عمرو بن ميمون الأودي؛ قال: كنا جلوسًا بالكوفة، فجاء رجل ومعه كتاب؛ فقلنا: ما هذا الكتاب؟ قال: كتاب دانيال، فلولا أن الناس تحاجزوا عنه لقُتل، وقالوا: كتاب سوى القرآن؟!

٦٨٠- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال:

كان ناس من أصحاب رسول الله ﷺ يكتبون من التوراة؛ فذكر ذلك لرسول الله ﷺ؛ فقال: «**أحمق الحمق وأضل الضلال؛ قوم رغبوا عما جاء به نبيهم إلى نبي غير نبيهم وإلى أمة غير أمتهم**»؛ فأنزل الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت:٥١] الآية[١].

٦٨١- وعن ميمون بن مهران، عن أبيه؛ قال:

أتى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجل؛ فقال: يا أمير المؤمنين! إنا لما فتحنا المدائن، أصبت كتابًا فيه كلام مُعْجِب؛ فقال: أمن كتاب الله؟ فقال: لا؛ فدعا بالدِّرة وجعل يضربه بها، وجعل يقرأ: ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [يوسف: ١-٣]. ثم قال: إنما هلك من كان قبلكم، أنهم أقبلوا على كتب علمائهم وأساقفتهم وتركوا التوراة والإنجيل، حتى درسا وذهب ما فيهما من العلم[٢].

---

(١) رواه أبو بكر الإسماعيلي في معجم أسماء شيوخه، والخطيب في موضح أوهام الجمع والتفرق؛ وفي إسناده إبراهيم بن يزيد الخوزي؛ وهو متروك الحديث.

(٢) وهكذا هذه الأمة، إذا تركت الكتاب والسُّنة والأثر، وأقبلت على الرأي والكلام؛ هلكت، ولولا أصحاب الحديث لاندرس الإسلام:
ففي شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي (ص٥٢) عن أبي داود، قال: (لولا هذه العصابة؛ لاندرس الإسلام- يعني: أصحاب الحديث؛ الذين يكتبون الآثار).
- وفيه، عن شعيب بن حرب، قال: (كنت عند عبدالعزيز بن أبي روَّاد، فنظر إلى شاب قد أقبل نحوه للحديث، فقال: أما ترى ما في يده؟! قناديل الإسلام، هذه قناديل الإيمان، وأعلام المتقين- يعني: قارورة الحبر).

٦٨٢- **قال الشيخ نصر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فهذا الحديث من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مع ما تقدمه من نهي رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ذلك؛ خوفًا من الرجوع إلى غير كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ وسنة رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من آراء الرجال الفاسدة وبدعهم المضلة وأقيستهم الغوية ومخيلاتهم، وركوبهم أهوائهم فيما ابتدعوه وقبيح ما انتحلوه، وترك الرجوع إلى الحق من الكتاب والسُّنة بعد ما علموه؛ خوفًا من ذهاب رئاستهم وسقوط منزلتهم عند العوام، من أتباعهم وغيرهم، وأن يُروا ويظن بهم أنهم رجعوا عما قالوه، وتركوا ما وضعوه للناس في كتبهم وسطروه، مما لا أصل له من كتاب ولا سنة.

ولعمري! إن الرجوع إلى الحق أولى من التمادي في الباطل؛ فخاف عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن يفعلوا كما فعل أهل التوراة والإنجيل، فضلوا بذلك عن سواء السبيل.

ولعمري! لقد وجدنا في وقتنا هذا ما خافه وحذر منه، فإنك لو فتشت كتب المبتدعة ومن خالف ما كان عليه الأئمة المهديون وما درج عليه السلف الصالح والمؤمنون، لم تجد فيها آية من كتاب الله تدل على ما ابتدعوه ولا سنة عن رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تشهد بما انتحلوه، وإن أصبت ذلك نادرًا؛ فبتحريف عن الحق وضعوه، وتأويل فاسد اعتمدوه؛ تغطية على أتباعهم وتزيينًا لأهوائهم، ولقد نوَّر الله تعالى قلب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بالحق وأجراه على لسانه.

وكيف لا يكون كذلك؟ وقد قال رسول الله ﷺ: **«إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه»**(١).

فنسأل الله العظيم أن يرزقنا التمسك بما أُمرنا به مما كان عليه السلف الصالح المشهورون بالعلم والدين، ومن شهد لهم النبي ﷺ بالإصابة والتمكين؛ ونفى عنهم الاجتماع على الخطأ والضلالة، وأخبر عنهم بكمال الدين والعدالة، وأن يميتنا على سنتهم ويحشرنا في زمرتهم؛ إنه قريب مجيب.

❐ ❐ ❐

---

(١) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي؛ وقال: حديث حسن صحيح.
- وزاد ابن سعد في الطبقات (٣/ ١٤٤): (وهو الفاروق، فرَّق الله به بين الحق والباطل).
- وفي رواية: (إن الله جعل الحقَّ على لسان عمر ويده).
- وقال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (ما نزل بالناس أمرٌ قط فقالوا فيه، وقال فيه عمر، إلا نزل فيه القرآن على نحو ما قال عمر).
- وقال ابن شهاب: (بلغنا أن أهل الكتاب كانوا أول من قالوا لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الفاروق).
- وقال ابن شاهين في شرح مذاهب أهل السُّنة (١/ ٦٢): (تفرد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بهذه الفضيلة، لم يشركه فيها أحد).

١١٠- باب: حصول ذلك بوجود سببه على ما نبه عليه عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

٦٨٣- سأل أبو محمد عبدالله بن أبي زيد[١] أبا عمر أحمد بن محمد بن سعدي المالكي[٢] عند وصوله إلى القيروان من ديار المشرق- وقد كان أبو عمر دخل بغداد في حياة أبي بكر محمد بن عبدالله بن صالح الأبهري- فقال له يومًا: هل حضرت مجالس أهل الكلام؟ قال: بلى، حضرتهم مرتين، ثم تركت مجالستهم ولم أعد إليها، فقال له أبو محمد: ولِمَ؟ فقال: أمّا أول مجلس حضرته فرأيت مجلسًا قد جمع الفرق كلها: المسلمين من

---

(١) هو: القيرواني المالكي، شيخ المالكية بالمغرب وإليه انتهت رئاسة المذهب، الملقب: بمالك الصغير، صاحب الرسالة في الفروع المالكية، والنوادر والزيادات. وله كتاب النهي عن الجدال، ورسالة في الرَّد على القدرية، ورسالة في التوحيد. مات سنة (٣٨٦هـ).

(٢) هو: أبو عمر أحمد بن محمد بن سعدي الأندلسي المحدث الفقيه، لقي بالقيروان أبا محمد عبدالله ابن أبي زيد وغيره، وسمع بمصر من أبي محمد عبدالرحمن بن النحاس، وبالعراق من أبي بكر محمد بن عبدالله الأبهري، وسمع منه أبو محمد عبدالله بن عثمان بن مروان العمري. (انظر: توضيح المشتبه لابن القيسي الدمشقي).

- وفي تاريخ الإسلام (٢٨/ ٤٩٢): (كان فقيهًا محدثًا فاضلًا. روى عنه: أبو عمر الطلمنكي- صاحب الكتاب العظيم في أصول السُّنة-، وحاتم بن محمد؛ وقال: لقِيتُهُ بالمهدية وقد استوطنها، وكان أمرها يدور عليه في الفتوى). اهـ

- وقد ذكر الذهبي هذه القصة في أحداث سنة اثنتين وسبعين وثلاثمئة؛ وهذا يكشف لنا حال الناس في ذلك الوقت!

أهل السُّنة والبدعة، والكفار من المجوس والدهرية والزنادقة واليهود والنصارى وسائر أجناس الكفر، ولكل فرقة رئيس يتكلم عن مذهبه ويجادل عنه، فإذا جاء رئيس من أي فرقة كان؛ قامت الجماعة إليه قيامًا على أقدامهم، حتى يجلس فيجلسون بجلوسه، فإذا غص المجلس بأهله ورأوا أنه لم يبق أحد ينتظرونه؛ قال قائل من الكفار: قد اجتمعتم للمناظرة، فلا يحتج علينا المسلمون بكتابهم ولا بقول نبيهم، فإنا لا نصدق بذلك ولا نقر به، وإنما نناظر بحجج العقل وما يحتمله النظر والقياس، فيقولون: نعم، لكم ذلك.

قال أبو عمر: فلما سمعت ذلك لم أَعُدْ إلى ذلك المجلس، ثم قيل لي: هنا مجلس آخر للكلام، فذهبت إليه فوجدتهم على مثل سيرة أصحابهم سواء، فقطعت مجالس الكلام ولم أَعُدْ إليها[1].

---

(١) وفي تاريخ بغداد (١٣/ ٤٢٨) قال زكريا: (سمعت عبدالله وعليّ بن شقيق، كليهما يقول: قال ابن المبارك: كنت إذا أتيت مجلس سفيان، فشئت أن تسمع كتاب الله سمعته، وإن شئت أن تسمع آثار رسول الله ﷺ سمعتها، وإن شئت أن تسمع كلامًا في الزهد سمعته. وأما مجلس لا أذكر أني سمعت فيه قط صُلِّي على رسول الله ﷺ فمجلس أبي حنيفة).
- وقال أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني: (قال ابن المبارك: ما مجلس ما رأيت ذكر فيه النبي ﷺ قط ولا يُصلى عليه إلا مجلس أبي حنيفة، وما كنا نأتيه إلا خفيًا من سفيان الثوري).
- وقال هارون بن إسحاق: (سمعت محمد بن عبدالوهاب القناد، يقول: حضرت مجلس أبي حنيفة؛ فرأيت مجلس لغوٍ لا وقار فيه. وحضرت مجلس سفيان الثوري؛ فكان الوقار والسكينة والعلم فيه؛ فلزمته).
- وفي حلية الأولياء (٦/ ٣٥٨) عن الحسن بن هارون النيسابوري، قال: (سمعت ابن المبارك يقول: تعجبني مجالس سفيان الثوري! كنت إذا شئت رأيته في الورع، وإذا شئت رأيته مصليًا، =

قال ابن أبي زيد: ورضي المسلمون بهذا الفعل والقول؟!

قال أبو عمر: هذا الذي شاهدتُ منهم.

فجعل أبو محمد يتعجب من ذلك! وقال: ذهب العلماء وذهبت حرمة الإسلام وحقوقه، وكيف يبيح المسلمون المناظرة بين المسلمين وبين الكفار؟! وهذا لا يجوز أن يفعل لأهل البدع الذين هم مسلمون ويَعْتَزون بالإسلام وبالنبي ﷺ[1]، وإنما يُدعَى من كان على بدعة من منتحلي الإسلام إلى الرجوع إلى السُّنة والجماعة، فإن رجع قُبل منه، وإن أبى ضربت عنقه؛ وأما الكفار فإنما يُدْعَون إلى الإسلام، فإن قبلوا كُفَّ عنهم، وإن أبوا وبذلوا الجزية في موضع يجوز قبولها كُفَّ عنهم، وقُبل منهم، وأما أن يناظروا على أن لا نحتج عليهم بكتابنا! ولا بنبينا! فهذا لا يجوز؛ إنا لله وإنا إليه راجعون[2].

وإذا شئت رأيته غائصًا في الفقه. فأما مجلس أتيته فلا أعلم أنهم صلوا على النبي ﷺ حتى قاموا عن شَغب- يعني مجلس أبي حنيفة وأصحابه-).

(١) أي: في الظاهر. ومعنى: (يعتزون) من الاعتزاء وهو الانتساب.

(٢) فكيف والحاضرون يقومون قيامًا على أقدامهم كلما دخل واحد من الكفار؛ تعظيمًا له وتوقيرًا؟! وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها.

- وقد كان السَّلف يرون مجالسة أهل البدع ومناظرتهم- من كانت بدعته مكفرة ومن كان دون ذلك- خطأً وسفهًا- وهذا هو الأصل- وقد جاء عنهم ما يدل على ذم المجادلة والخصومة في الدين، وذكروا عِللًا وحِكمًا لذلك:

- قال معاوية بن قرة: (إياكم وهذه الخصومات؛ فإنها تحبط الأعمال).

- وقال الأحنف بن قيس: (كثرة الخصومة تنبت النفاق في القلب).

- وقال مسلم بن يسار: (إياكم والمراء؛ فإنها ساعة جهل العالم، وبها يبتغي الشيطان زلته).

=

- وقال هرم بن حيان: (صاحب الكلام على إحدى المنزلتين: إن قصر فيه خصم، وإن أغرق فيه أثم).
- وقال مالك: (إني أخاف أن يكلمهم فيخطئ فيمضوا على خطئه، أو يظفروا منه بشيء فيطغوا ويزدادوا تماديًا على ذلك).
- وقال عبدالرحمن بن مهدي- كما في الإبانة الكبرى-: (أدركت الناس وهم على الجملة، يعني: لا يتكلمون ولا يخاصمون).
- وقال عبدالرحمن بن أبي الزناد: (أدركنا أهل الفضل والفقه من خيار أولية الناس يعيبون أهل الجدل والتنقيب والأخذ بالرأي أشد العيب، وينهوننا عن لقائهم ومجالستهم، وحذرونا مقاربتهم أشد التحذير).
- وقال أحمد بن حنبل: (أصول السُّنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم، وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة، وترك الخصومات، والجلوس مع أصحاب الأهواء، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين).
- وقال سحنون: (كان ابن غانم يقول في كراهية مجالسة أهل الأهواء: أرأيت لو أن أحدكم قعد إلى سارق وفي كمه بضاعة، أما كان يختزنها منه خوفًا أن يغتاله فيها؟! فلا يجد بُدًا أن يقول: نعم، قال: فدينكم أولى بأن تحرزوه وتتحفظوا به).
- وقال اللالكائي في السُّنة (١/ ٢٠)- عن نتائج مناظرة المبتدعة-: (فما جنى على المسلمين جناية أعظم من مناظرة المبتدعة، ولم يكن لهم قهر ولا ذل أعظم مما تركهم السلف على تلك الجملة، يموتون من الغيظ كمدًا ودردًا، ولا يجدون إلى إظهار بدعتهم سبيلًا، حتى جاء المغرورون ففتحوا لهم إليها طريقًا، وصاروا لهم إلى هلاك الإسلام دليلًا، حتى كثرت بينهم المشاجرة، وظهرت دعوتهم بالمناظرة، وطرقت أسماع من لم يكن عرفها من الخاصة والعامة، حتى تقابلت الشبه في الحجج، وبلغوا من التدقيق في اللجج، فصاروا أقرانًا وأخدانًا، وعلى المداهنة خلانًا وإخوانًا، بعد أن كانوا في الله أعداءً وأضدادًا، وفي الهجرة في الله أعوانًا، يكفرونهم في وجوههم عيانًا، ويلعنونهم جهارًا، وشتان ما بين المنزلتين، وهيهات ما بين المقامين. نسأل الله أن يحفظنا من الفتنة في أدياننا وأن يمسكنا بالإسلام والسُّنة ويعصمنا بهما بفضله ورحمته). اهـ

=

ثم قال أبو محمد: بنو أمية لم يكن فيهم قط خليفة ابتـدع في الإسـلام بدعة[1]؛ كان أكثر عُمَّالهم وأصحاب ولايتهم العرب، فلما زالت الخلافـة عنهم بالمشرق، ودارت إلى بني العباس؛ قامت دولتهم بالعجم وكانـت الرئاسة فيهم، وفي قلوب أكثر الرؤساء مـنهم الكفـر والـبغض للعـرب ودولـة الإسـلام؛ فأحـدثوا في الإسـلام الحـوادث التـي تـؤذن بهـلاك الإسلام. ولولا أن الله تعالى وعد نبيه ﷺ أن ملته وأهلها هم الظاهرون إلى يوم القيامة لأبطلوا الإسلام، ولكـنهم ثلمـوه وهـدوا أركانـه، والله منجز وعده- إن شاء الله تعالى.

فأول الحوادث التي أحـدثوها: إخـراج الكتـب اليونانيـة إلى أرض الإسلام، فتُرجمت بالعربية وشاعت في أيدي المسلمين، وسبب خروجها من أرض الروم إلى بلد الإسلام: يحيى بن خالد بـن برمـك؛ وذلـك أن كتب اليونانية كانت ببلد الروم، وكان ملك الروم خاف عـلى الـروم إن نظروا في كتب اليونانية تركوا ديـن النـصرانية ويرجعـون إلى اليونانيـة؛ فتتشتت كلمتهم وتتفرق جماعتهم، فجمع الكتب في موضع وبنى عليها بناء مطمّسًا بالحجارة والجص؛ حتى لا يوصل إليها.

- وفي الانتصار لأصحاب الحديث: (١/ ٦٣) قال أبو العباس بن سريج: (لو أن رجلًا جاءنا، وقال: إن الأديان كثيرة فخلوني أنظر في الأديان فما وجدت الحق فيـه قبلتـه، ومـا لم أجـد فيـه تركته؛ لم نُخله وكلفناه الإجابة إلى الإسلام، وإلا أوجبنا عليه القتل).

(١) أي: في أصل الإسلام، وأشهر ما ابتدعوه تأخير الصلاة عن وقتها تأولًا.

فلما أفضت رئاسة دولة بني العباس إلى يحيى بن خالد وكان زنديقًا؛ بلغه خبر الكتب التي في البناء ببلد الروم، فصانع ملك الروم الذي كان في وقته بالهدايا ولا يلتمس منه حاجة، فلما أكثر عليه جمع الملك بطارقته وقال لهم: إن هذا الرجل- خادم العربي[١]- قد أكثر عليَّ من هداياه ولا يطلبني حاجة وما أُراه يلتمس إلا حاجة، وأخاف أن تكون حاجة تشق عليّ وقد شغل بالي، فلما جاءه رسول يحيى قال له: قل لصاحبك: إن كانت له حاجة فليذكرها، فلما أخبر الرسول يحيى ردَّه إليه، وقال له: حاجتي الكتب التي تحت البناء يرسلها إليّ، أُخرج منها بعض ما أحتاج وأردها إليه، فلما قرأ الرومي كتابه استطار فرحًا، وجمع البطارقة والأساقفة والرهبان، وقال لهم: قد كنت ذكرت لكم عن خادم العربي أنه لا يخلو من حاجة وقد أفصح بحاجته، وهي أخف الحوائج عليَّ، وقد رأيت رأياً فاسمعوه؛ فإن رضيتموه أمضيته، وإن رأيتم خلافه تشاورنا في ذلك حتى تتفق كلمتنا؛ فقالوا: وما هو؟ قال: حاجته الكتب اليونانية يستخرج منها ما أحب ويردها، قالوا: فما رأيك؟ قال: قد علمتُ أنه ما بنى عليها مَن كان قبلنا إلا أنه خاف إن وقعت في أيدي النصارى وقرؤوها؛ كان سببًا لهلاك دينهم وتبديل جماعتهم، وأنا أرى أن أبعث بها إليه وأسأله أن لا يردها؛ يُبتلون بها ونسلم من شرها، فإني لا آمن أن

(١) أي: خادم الملك العربي.

يكون من بعدي من يجترئ على إخراجها إلى الناس؛ فيقعوا فيها خيف عليهم؛ فقالوا: نِعم الرأي ما رأيت أيها الملك! فأمضه، فبعث بالكتب إلى يحيى بن خالد، فلما وصلت إليه، جمع عليها كل زنديق[1] وفيلسوف. فمما أخرج منها كتاب: «حدّ المنطق».

قال أبو محمد: وقلَّ من أمعن النظر فيه وسَلِم من الزندقة.

قال أبو محمد: ثم جعل يُحيي المناظرة في داره والجدال فيما لا ينبغي؛ فيتكلم كل ذي دين في دينه، ويجادل عليه آمنًا على نفسه.

٦٨٤- عن غطيف بن الحارث الثمالي، أن رسول الله ﷺ قال: **«ما ابتدعت في الإسلام بدعة إلا رُفع مثلها من السُّنة»**؛[2] وتقدَّم.

---

(١) قال سهل بن عبدالله التستري: (إنما سمي الزنديق زنديقًا؛ لأنه وزن دق الكلام بمخبول عقله وقياس هوى طبعه، وترك الاثر والاقتداء بالسُّنة، وتأول القرآن بالهوى). تاريخ الإسلام (٢١/ ١٨٨).

- وهذا تأويل حسن، حيث جعل أصل كلمة: (زنديق) هو الذي وَزَنَ دقيق الكلام بعقله، أما أصل الكلمة فهي فارسية مُعرَّبة، وصارت عند المسلمين مرادفة للمنافق الاعتقادي.

فائدة: قال أبو هلال العسكري في كتابه الفروق اللغوية (١/ ٤٤٤): (قال بعض المتأخرين: الكافر: اسم لمن لا إيمان له، فإن أظهر الإيمان خُصَّ باسم المنافق، وإن أظهر الكفر بعد الإسلام خُصَّ باسم المرتد؛ لرجوعه عن الإسلام. فإن قال بإلهين فصاعدًا خُص باسم المشرك، وإن كان متدينًا ببعض الأديان والكتب المنسوخة خُصَّ باسم الكتابي، وإن كان يقول بقدم الدهر واستناد الحوادث إليه؛ سمي باسم الدهري. وإن كان لا يثبت البارئ خُصَّ باسم المعطل، وإن كان مع اعترافه بنبوة نبينا محمد ﷺ، وإظهار شرائع الإسلام، ويبطن عقائد من كفر بالاتفاق؛ خُصَّ باسم الزنديق). اهـ

(٢) رواه أحمد، والبزار، وابن بطة في الإبانة؛ وقال حسان بن عطية: (ما ابتدع قوم في دينهم بدعة، إلا نزع الله منهم مثلها من السُّنة، ثم لا يردها عليهم إلى يوم القيامة).

٦٨٥- عن عبدالله بن الديلمي؛ قال:

إن أول ذهاب الدين: ترك السُّنة؛ يذهب الدين سُنَّةً سُنَّةً كما يـذهب الحبل قوةً قوةً[1].

٦٨٦- وكتب عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أهل المدينة:

أن انظروا حديث رسول الله ﷺ فاكتبوه؛ فإني خفت دروس العلـم وذهاب العلماء.

٦٨٧- وعن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ:

«لم يُبعث نبي إلا وله حواريون، فيمكث بين أظهـرهم مـا شـاء الله؛ يُعمل فيهم بكتاب الله وسنة نبيه، فإذا انقرضوا كـان مِـن بعـدهم أمـراء يركبون رؤوس المنابر؛ يقولون ما يعرفون ويعملـون مـا ينكـرون، فـإذا رأيتم أولئك؛ فحق على كـل مـؤمن أن يجاهـدهم بيـده، فـإن لم يـستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه؛ ليس وراء ذلك إسلام»[2].

---

(١) في الأصل: مرةً مرةً. وما أثبتناه من المصادر؛ كما في البـدع لابـن وضـاح، وفي آخـره: (وآخـر الدين الصلاة، وليصلين قوم ولا خلاق لهم).
وفي لفظ عنه قال: (ما ابتدعت بدعة إلا ازدادت مضيًا، ولا تركت سُنة إلا ازدادت هربًا).

(٢) أصله عند مسلم في صحيحه، ورواه أبو عوانة في مسنده، وابن عـساكر في تـاريخ دمـشق، وفي بعض الألفاظ: (فمن أدركهم فلا يكونن لهم عريفًا ولا جابيًا ولا خازنًا ولا شرطيًا).
- وفي المنتخب من علل الخلال (١/ ٢٠) عن سليمان، قال: (سمعت أبا عبـدالله ذكـر حـديث صالح بن كيسان، عن الحارث بن فضيل، عن جعفر بن عبدالله بن الحكم، عن عبدالرحمن بـن المسور بن مخرمة، عن أبي نافع، عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ: (يكون أُمـراء يقولون ما لا يفعلون فمن جاهدهم بيـده...). قـال أحمـد بـن حنبـل: جعفـر هـذا؛ هـو أبـو
=

٦٨٨- وتقدَّم كلام الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فيما كتبه لبعض إخوانه يسأله عن مناظرة أهل الكلام؛ فكتب له هذا الجواب: «الذي كنا سمعناه، وأدركنا عليه من أدركنا من سلفنا من أهل العلم؛ أنهم كانوا يكرهون الكلام، والخوض مع أهل الزيغ؛ وإنما الأمر في (التسليم)، والانتهاء إلى ما في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ لا يعدُ ذلك. ولم يزل الناس يكرهون كل مُحْدث: من وضع كتاب، أو جلوس مع مبتدع؛ ليورد عليه بعض ما يلبس عليه في دينه، فالسلامة- إن شاء الله تعالى- في ترك مجالستهم[1]، والخوض معهم في بدعتهم وضلالتهم؛ فليتق اللهَ رجلٌ،

عبدالحميد بن جعفر، والحارث بن فضيل ليس بمحفوظ الحديث، وهذا الكلام لا يشبه كلام ابن مسعود؛ ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: قال رسول الله ﷺ: (اصبروا حتى تلقوني).
- وقال مهنًّا: سألت أحمد عن إبراهيم قعيس يحدث عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: (سيكون أُمراء من بعدي...)؟ قال: لا أعرفه، ولكن العلاء بن المسيب يحدث عنه هذا الحديث، ولا نعرف هذا الحديث؛ لم يروه أصحاب نافع. قال: ولا أعرف إبراهيم قعيس، ولا أدري من هو). اهـ

(١) وأيضًا السلامة في عدم تمكينهم من حضور مجالس العلم؛ فتكون السلامة بأمرين: لا يجلس هو إليهم، ولا يمكنهم هو من الجلوس إليه حتى يَدَعوا بدعتهم:
- قال أبو مسهر: (قدم أبو إسحاق الفزاري دمشق، فاجتمع الناس يسمعون منه، فقال: أُخْرج إلى الناس؛ فقل لهم: من كان يرى القدر فلا يحضر مجلسنا، ومن كان يرى رأي فلان- أي: أبا حنيفة- فلا يحضر مجلسنا، فخرجت فأخبرتهم).
- وقال عاصم بن أبي النجود: (كنا نجالس أبا عبدالرحمن السلمي، فكان يقول: لا يجالسنا حروري، ولا من يجالس القُصاص، ولا من يجالس شقيقًا الضبي- رأس الضلال الحروري-. وفي رواية: ولا مرجئ).
=

وليَصِرْ إلى ما يعود عليه نفعه غدًا؛ من عملٍ صالح يقدمه لنفسه، ولا يكون ممن يحدث أمرًا، فإذا هو خرج منه أراد الحجة له فيحمل نفسه على المحال فيه بطلب الحجة لما خرج منه بحق أو بباطل؛ ليزين بذلك بدعته وما أحدث، وأشد ذلك أن يكون قد وضعه في كتاب فأُخذ عنه؛ فهو يريد تزيين ذلك بالحق والباطل، وإن وضح الحق في غيره.

نسأل الله التوفيق لنا ولك ولجميع المسلمين، والسَّلام عليك».

❐ ❐ ❐

- وفي ذم الكلام للهروي: (كان الحسين بن الشماخ الحافظ لا يدع أحدًا من أهل الرأي يكتب عنه؛ فنشده رجل من أهل المغرب بالله، وذكر له طول الرحلة؛ فروى له شيئًا من مساوئ أبي حنيفة، ولم يحدِّثه بحديث).
- وقال يحيى بن عمار: (كان حامد بن محمد الرَّفَّاء يُحرِّج على أهل الرأي أن يرووا عنه، ولا يأذن لهم في داره ليسمعوا منه، فأتاه إنسان من رؤساء بلخ، فألحوا عليه، فأذن له، فلما أذن له دخل عليه؛ لم يرفع به رأسًا، وقال: من أين أنت؟ قال: من بلخ؛ قال: دار المرجئة! ثم قال لي الرفاء: خذ من رد الحميدي. فقرأت له عليه منه شيئًا كثيرًا).
- وكان أبو الأحوص إذا ملئت داره من أصحاب الحديث، قال لابنه أحوص: (يا بني! قم، فمن رأيته في داري يشتم أحدًا من الصحابة؛ فأخرجه، ما يجيء بكم إلينا؟!).
- وقال أحمد بن يونس: (رأيت زهير بن معاوية جاء إلى زائدة بن قدامة فكلمه في رجل يحدثه؛ فقال: من أهل السُّنة هو؟ فقال: ما أعرفه ببدعة. فقال زائدة: هيهات أمن أهل السُّنة هو؟! فقال زهير: متى كان الناس هكذا؟! فقال زائدة: ومتى كان الناس يشتمون أبا بكر وعمر؟!).

١١١- باب: النهي عن المسائل المشكلات والتكلم في المعضلات مما لم يرد به الشرع، ولا تكلم فيه أحد من أئمة المسلمين، ومنع السائل منها وأمر المسئول بترك الجواب؛ لما يخاف من فتنتها وسوء عاقبتها، وما يؤدي إليه الكلام فيها من اعتقاد ما لا يجوز اعتقاده، والدخول في التكلف وما لا ينفع، مما لم يرد به كتاب ولا سنة، وما يخاف على فاعله من أن يكون سببًا لبدعة؛ تظهر عند الملاحاة والمراء مع خصمه فيها فيكتب إثمها عليه ويرجع وزرها إليه، وهذا هو السبب في ظهور أكثر البدع [1]

---

(١) قال ابن بطة في الإبانة (١/ ٤٢٣): (اعلموا إخواني أني فكرت في السبب الذي أخرج أقوامًا من السُّنة والجماعة واضطرهم إلى البدعة والشناعة وفتح باب البلية على أفئدتهم، وحجب نور الحق عن بصيرتهم، فوجدت ذلك من وجهين: أحدهما: البحث والتنقير وكثرة السؤال عما لا يعني ولا يضر العاقل جهله ولا ينفع المؤمن فهمه. والآخر: مجالسة من لا تؤمن فتنتُه وتفسد القلوب صحبتُه).
وقال: (الله الله! إخواني يا أهل القرآن، ويا حملة الحديث، لا تنظروا فيما لا سبيل لعقولكم إليه، ولا تسألوا عما لم يتقدمكم السلف الصالح من علمائكم إليه، ولا تكلفوا أنفسكم ما لا قوة بأبدانكم الضعيفة عليه، ولا تنقروا ولا تبحثوا عن مصون الغيب ومكنون العلوم، فإن الله جعل للعقول غاية تنتهي إليها، ونهاية تقصر عندها، فما نطق به الكتاب وجاء به الأثر فقولوه، وما أشكل عليكم فكِلوه إلى عالمه، ولا تخبطوا الأمور خبط العشواء حنادس الظلماء بلا دليل هاد، ولا ناقد بصير، أتراكم أرجح أحلامًا وأوفر عقولًا من الملائكة المقربين، حين قالوا: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾).
وقال: (إخواني، فمن كان بالله مؤمنًا فليردد إلى الله العلم بغيوبه، وليجعل الحكم إليه في أمره، فيسلك العافية، ويأخذ بالمندوحة الواسعة، ويلزم المحجة الواضحة، والجادة السابلة، والطريق الآنسة، فمن خالف ذلك وتجاوزه إلى الغمط بما أمر به، والمخالفة إلى ما نهي عنه،
=

٦٨٩- عن المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أنه كتب إلى معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن رسول الله ﷺ كان يقول عند انصرافه من الصلاة: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجدِّ منك الجد**». وكتب إليه: «**أنه كان ينهى عن قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال، وكان ينهى عن عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنع وهات**»[1].

٦٩٠- وقال أبو نعيم الفضل بن دكين:

عليكم بالسنن والآثار والعلم وما كان عليه من مضى من السَّلف، لعن الله أهل الزيغ والضلال. قال: وسمعت شريكًا؛ يقول: كفرٌ بالله؛ الكلام في ذات الله عَزَّوَجَلَّ[2].

يقع- والله- في بحور المنازعة، وأمواج المجادلة، ويفتح على نفسه أبواب الكفر بربه، والمخالفه لأمره، والتعدي لحدوده. والعجب لمن خلق من نطفة من ماء مهين، فإذا هو خصيم مبين، كيف لا يفكر في عجزه عن معرفة خلقه؟ أما تعلمون أن الله قد أخذ عليكم ميثاق الكتاب، أن لا تقولوا على الله إلا الحق؟ فسبحان الله أنى تؤفكون).

(١) متفق عليه. والشاهد من الحديث قوله: (أنه ﷺ كان ينهى عن قيل وقال، وكثرة السؤال).

(٢) روى هذا الأثر ابن بطة في الإبانة الكبرى (٦/ ٣٧).

- وقال ابن رجب في كتابه الرائع: بيان فضل علم السَّلف على علم الخلف: (ومن محدثات الأمور ما أحدثه المعتزلة، ومن حذا حذوهم، من الكلام في ذات الله تعالى وصفاته بأدلة العقول، وهي أشد خطرًا من الكلام في القدر؛ لأن الكلام في القدر كلام في أفعاله، وهذا كلام في ذاته وصفاته). اهـ

٦٩١- وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

لن يبرح الناس أن يسألونا عما لم يكن، حتى يقولوا: الله خلق كل شيء؛ فمن خلق الله؟

٦٩٢- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«لا يزال الناس يسألون؛ حتى يقال: هذا الله خلق الخلق، فمن خلق الله؟ فمن وجد شيئًا من ذلك؛ فليقل: آمنت بالله عَزَّ وَجَلَّ»[1].

٦٩٣- وتقدَّم كلام ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

إياكم وما يحدث الناس من البدع؛ فإن الدين لا يذهب في مرة واحدة، ولكن الناس يُحْدَث لهم بدع بعد بدع، حتى يخرج الإسلام من قلوبهم، أوشك أن يدع الناس ما ألزمهم الله من فرضه؛ من الصلاة

---

(١) متفق عليه.

- وهذا الحديث من أعلام نبوته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشاهد على رسالته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنه رسول الله حقًّا؛ فقد حدث ما أخبر به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

- روى أحمد في مسنده، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا يزالون يسألون، حتى يقال: هذا الله خلقنا، فمن خلق الله عزَّ وجلَّ؟ فقال أبو هريرة: فوالله، إني لجالسٌ يومًا إذ قال لي رجل من أهل العراق: هذا الله خلقنا، فمن خلق الله عز وجل؟ قال أبو هريرة: فجعلت أصبعي في أذني، ثم صحتُ، فقلت: صدق الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الله الواحد الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد).

- وروى مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا يزالون يسألونك يا أبا هريرة! حتى يقولوا: هذا الله، فمن خلق الله؟ قال: فبينا أنا في المسجد إذ جاءني ناسٌ من الأعراب، فقالوا: يا أبا هريرة! هذا الله، فمن خلق الله؟ قال: فأخذ حصى بكفه فرماهم، ثم قال: قوموا قوموا؛ صدق خليلي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). اهـ

والصيام والزكاة والحج إلى البيت الحرام، ويتكلموا في ربهم؛ فمن أدرك ذلك الزمان فالهرب؛ فقيل: يا أبا عبدالرحمن! فإلى أين الهرب؟! فقال: الهرب بقلبه ودينه!! ولا يجالس أحدًا من أهل البدع؛ عسى أن يسلم.

٦٩٤- وعن المحرر بن أبي هريرة، عن أبيه رَضِوَاللَّهُعَنْهُ؛ قال:

قال رسول الله ﷺ: **«لا يزال الناس يسألون، حتى يقولوا: هذا الله كان قبل كل شيء؛ فمن كان قبل الله؟»**. فقلت: يا أبتاه! هل سُئلتَ عنها بعد؟ فقال: نعم، سُئلتُ عنها مرتين؛ فقلت: صدق رسول الله ﷺ[1].

٦٩٥- وتقدَّمت الأحاديث:

«اتركوني ما تركتكم؛ فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فانتهوا، وإذا أمرتكم- يعني بشيء- فخذوا منه ما استطعتم»[2].

٦٩٦- وقول عمر رَضِوَاللَّهُعَنْهُ: نُهينا عن التكلف.

٦٩٧- وقول ابن عباس رَضِوَاللَّهُعَنْهُمَا:

كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء؟! وكتابكم الذي أُنزل على رسولكم ﷺ أحدثُ الكتب؛ تقرؤنه محضًا لم يُشَبْ، وقد حدَّثكم أن أهل الكتاب بَدَّلوا كتاب الله وغَيَّروه، وكتبوا بأيديهم الكتاب؛ وقالوا:

---

(١) رواه الهروي في ذم الكلام. وتقدَّم ذِكرُ المرَّتيْن قبل قليل.

(٢) تقدَّم برقم: (٥١٩).

هو من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلًا، ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم، لا والله ما رأينا رجلًا منهم يسألكم عن الذي أنزل إليكم!!»[(١)]

٦٩٨- وتقدَّم حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

«إن الله يرضى لكم ثلاثًا ويسخط لكم ثلاثًا؛ يرضى لكم: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا، وأن تناصحوا من ولَّى الله أمركم، والذي يكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»[(٢)].

٦٩٩- وتقدَّم حديث: **«إن الله لا ينزع العلم»**[(٣)].

٧٠٠- **قال الشيخ نصر** رَحِمَهُ اللَّهُ:

والواجب على كل مسلم: طاعة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما أَمر به، والانتهاء عند نهيه، وإن من خالف ذلك كان عاصيًا مستحقًا عقوبة الله؛ لمخالفة

---

(١) وفي هذا ردٌّ على من زعم أن كثيرًا من تفاسير ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قد أخذها عن أهل الكتاب.
- قال ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية (٦/ ٤٤٨): «لا يجوز أن يكون مستند ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أخبار أهل الكتاب؛ الذي هو أحد النَّاهين لنا عن سؤالهم، ومع نهي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن تصديقهم أو تكذيبهم، فعُلم أن ابن عباس إنما قاله توقيفًا من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي البخاري عن أبي هريرة، قال: كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾). الآية. فمعلوم مع هذا أن ابن عباس لا يكون مستندًا فيما يذكره من صفات الرب أنه يأخذ عن أهل الكتاب، فلم يبق إلا أن يكون أخذ من الصحابة الذين أخذوا من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». اهـ

(٢) رواه أحمد، ومسلم.

(٣) رواه البزار، والآجري في أخلاق العلماء. وأصله في الصحيحين.

رسول الله ﷺ الذي أُمر بطاعته؛ لأن طاعة الله تعالى في طاعته، ومعصية الله تعالى في معصيته ﷺ: «فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» [النور:٦٣].

٧٠١- عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال:

«كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى». قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟! قال: **«من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»**(١).

٧٠٢- وعن جابر بن عبدالله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال:

جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم؛ فقال بعضهم: إنه نائم؛ وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان؛ فقالوا: إن لصاحبكم هذا مَثلًا؛ فقال بعضهم: إنه نائم؛ وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان؛ فقالوا: مَثَلُه كمثل رجل بنى دارًا، وجعل فيها مأدبة وبعث داعيًا؛ فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة؛ فقالوا: أولوها له يفقهها. قال بعضهم: إنه نائم؛ وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان؛ فقالوا: الدار: الجنة، والداعي: محمد ﷺ، فمن أطاع محمدًا ﷺ فقد أطاع الله عَزَّ وَجَلَّ، ومن عصى محمدًا ﷺ فقد عصى الله، ومحمدٌ ﷺ فَرْقٌ بين الناس(٢).

---

(١) تقدَّم برقم: (٤٤).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، و(فَرْقٌ) بسكونها على المصدر مع تنوين القاف؛ وصفٌ للمبالغة. ويروى بتشديد الراء: (فرَّق) أي: فرَّق بين المؤمن والكافر.
- قال ابن القيم في كتابه الروح (ص٢٦٠): (الدِّينُ كله فرقٌ، وكتاب الله فرقان، ومحمد ﷺ فرق بين الناس، ومن اتقى الله جعل له فرقانًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ
=

٧٠٣- وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

«إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به، كمثل رجل أتى قومًا؛ فقال: يا قوم! إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان فالنجاء، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا وانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبت طائفة منهم؛ فأصبحوا مكانهم، فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحقِّ»[1].

❐ ❐ ❐

فُرْقَانًا)، وسمى يوم بدر يوم الفرقان؛ لأنه فرق بين أولياء الله وأعدائه، فالهدى كله فرقان والضلال أصله الجمع؛ كما جمع المشركون بين عبادة الله وعبادة الأوثان، ومحبته ومحبة الأوثان، وبين ما يحبه ويرضاه وبين ما قدره وقضاه، فجعلوا الأمر واحدًا، واستدلوا بقضائه وقدره على محبته ورضاه، وجمعوا بين الربا والبيع؛ فقالوا: إنما البيع مثل الربا، وجمعوا بين المذكى والميتة، وقالوا: كيف نأكل ما قتلنا ولا نأكل ما قتل الله، وجمع المنسلخون عن الشرائع بين الحلال والحرام؛ فقالوا: هذه المرأة خلقها الله وهذا خلقها، وهذا الحيوان خلقه وهذا خلقه، فكيف يحل هذا ويحرم هذا؟ وجمعوا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، وجاءت طائفة الاتحادية فطموا الوادي على القرى، وجمعوا الكُلَّ في ذات واحدة، وقالوا: هي الله الذي لا إله إلا هو! وقال صاحب فصوصهم وواضع نصوصهم: واعلم أن الأمر قرانًا لا فرقانًا). اهـ

(١) متفق عليه.

١١٢- باب: التشديد في ذلك وبيان الإثم فيه

٧٠٤- عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«من كذب عليَّ أو ردَّ عليَّ شيئًا أمرت به؛ فليتبوأ مقعده من النار»؛ وتقدَّم[1].

٧٠٥- وتقدَّم حديث:

«ألا عسى رجل يبلغه عني حديث وهو متكئ على أريكته؛ فيقول: لا أدري ما هذا؟! عليكم بالقرآن، فمن بلغه عني حديث وكذب به، أو كذب عليَّ متعمدًا؛ فليتبوأ مقعده من النار»[2].

٧٠٦- وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

«ستة لعنتهم ولعنهم الله، وكلُّ نبيٍّ مجاب الدعوة: الزائد في كتاب الله، والمُكذِّب بقدر الله، والمُتسلِّط بالجبروت ليذل من أعز الله، ويعز من أذلَّ الله، والمستحل حرمة الله، والتارك لسنتي، والمستحل من عترتي ما حرم الله»[3].

---

(١) تقدَّم برقم: (٣٦) و(٣٨).

(٢) تقدَّم برقم: (١٣).

(٣) رواه الترمذي؛ وقال: (رواه سفيان الثوري، وحفص بن غياث وغير واحد، عن عبيدالله بن عبدالرحمن بن موهب، عن علي بن حسين، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرسلًا، وهذا أصح). اهـ ورواه كذلك ابن أبي عاصم، والحاكم، والطبراني.

٧٠٧- وقال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في كلام له:
ومن ترك السُّنة؛ كفر[(١)].

(١) وفي مقدمة الدارمي (١/ ١٥٣) عن مكحول، قال: (السُّنة سنتان: سنة الأخذ بها فريضة، وتركها كفر، وسنة الأخذ بها فضيلة، وتركها إلى غير حرج).
- قال ابن بطة في الإبانة الكبرى (١/ ٦١): (وأنا أشرح لكم طرفًا من معنى كلام مكحول، يحضكم ويدعوكم إلى طلب السنن، التي طلبها والعمل بها فرض، والترك لها والتهاون بها كفر. فاعلموا رحمكم الله! أن السنن التي لزم الخاصة والعامة عِلمُها، والبحث والمسألة عنها، والعمل بها هي السنن التي وردت تفسيرًا لجملة فرضِ القرآن مما لا يُعرف وجه العمل به إلا بلفظ ذي بيانٍ وترجمة. قال الله تعالى: (وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ). وقال: (وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ). وقال: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ). وقال: (وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ). وقال: (فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ). وقال: (وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ). فليس لأحد يجد السبيل إلى العمل بما اشتملت عليه هذه الجمل من فرائض الله دون تفسير رسول الله ﷺ بالتوقيف والتحديد والترتيب، ففرضٌ على الأمة علمُ السنن التي جاءت عن رسول الله ﷺ في تفسير هذه الجمل من فرائض الكتاب؛ فإنها أحد الأصلين اللذين أكمل الله بهما الدين للمسلمين، وجمع لهم بهما ما يأتون وما يتقون، فلذلك صار الأخذ بها فرضًا وتركها كفرًا). اهـ
- وقال المروزي في السُّنة (١/ ٣٥): (فالسُّنة تتصرف على أوجه: سنة اجتمع العلماء على أنها واجبة، وسنة اجتمعوا على أنها نافلة، وسنة اختلفوا فيها أواجبة هي أم نافلة؟ ثم السُّنة التي اجتمعوا أنها واجبة، تتصرف على وجهين: أحدهما: عمل. والآخر: إيمان؛ فالذي هو عمل يتصرف على أوجه: سنة اجتمعوا على أنها تفسير لما افترضه الله مجملًا في كتابه، فلم يفسره وجعل تفسيره وبيانه إلى رسول الله ﷺ. قال الله: (وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ).
والوجه الثاني: سنة اختلفوا فيها؛ فقال بعضهم: هي ناسخة لبعض أحكام القرآن. وقال بعضهم: لا، بل هي مبينة في خاص القرآن وعامه، وليست ناسخة له؛ لأن السُّنة لا تنسخ القرآن، ولكنها تبيِّن عن خاصه وعامه وتفسر مجمله ومبهمه.
والوجه الثالث: سنة اجتمعوا على أنها زيادة على ما حكم الله به في كتابه، وسنة هي زيادة من النبي ﷺ ليس لها أصل في الكتاب إلا جملة الأمر بطاعة النبي ﷺ والتسليم لحكمه وقضائه، والانتهاء عما نهى عنه). اهـ

١١٣- باب: النهي عن تغليط العلماء بالمسائل العويصة مما لم يرد به الشرع، ولا يوجد عن أحد من السلف له أصل، وما يخاف من ذلك على السائل والمسئول والمستمع

٧٠٨- عن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

«سيكون أقوام من أمتي يُغَلِّطونَ فقهاءهم بعُضَل المسائل؛ أولئك شرار أمتي»(١).

٧٠٩- وعن معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن الأُغلوطات(٢).

---

(١) رواه الطبراني في الكبير، والآجري في أخلاق العلماء؛ وفي رفعه نظر.

(٢) رواه أحمد، وأبو داود.

والأغلوطات جمع أغلوطة- بالضم-: ما يغلّط به من المسائل. انظر الصحاح (٣/ ١١٤٧).

- وقال الأوزاعي: (هي شواذ المسائل وصعابها وشرارها وشدادها).

- وقال البغوي في شرح السُّنة (١/ ٣٠٨): (معناه: أن يقابل العالم بصعاب المسائل التي يكثر فيها الغلط، ليستزل ويستسقط فيها رأيه. وروي عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: أنذرتكم صعاب المنطق، يريد المسائل الدقاق والغوامض، وإنما نهى عنها، لأنها غير نافعة في الدين، ولا يكاد يكون إلا فيما لا يقع أبدًا). اهـ

- وفي طبقات الحنابلة (١/ ٢٢٩) عن علي بن عثمان؛ قال: (سمعت أبا عبدالله يقول: شرُّ الحديث: الغرائب التي لا يعمل بها، ولا يعتمد عليها).

- ويدخل فيها: المسائل التي لم تقع؛ لأنه يؤول الكلام فيها إلى الغلط فإذا وقعت اتضحت. وكان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يلعن من سأل عما لم يكن.

=

قال عيسى (ابن يونس):
والأغلوطات: ما لا يحتاج إليه من: كيف؟ وكيف؟.
٧١٠- ومن طريق آخر مثله.

❐ ❐ ❐

- وساق ابن رجب آثارًا كثيرة في ذم الأغلوطات؛ منها:
- قال الحسن: (شرار عباد الله الذين يتبعون شرار المسائل يُعمُّون بها عبادَ الله).
- وقال الأوزاعيُّ: (إن الله إذَا أراد أن يحرم عبده بركة العلم؛ ألقى على لسَانه المغاليط، فلقد رأيتُّهم أقل الناس علمًا).
- وقال ابن وهبٍ، عن مالك: (أدركتُ هذه البلدة وإنَّهم ليكرهون الإكثار الذي فيه النَّاس اليوم: يريد المسائل).
- وقال أيضًا: (سمعتُ مالكًا وهو يعيبُ كثرة الكلام وكثرة الفتيا، ثم قال: يتكلم كأنه جمل مغتلم- أي: الهائج- يقول: هو كذا هو كذا؛ يهدر في كَلامه).
- وقال: (سمعتُ مالكًا يكره الجوابَ في كثرة المسائل، وقال: قال الله: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾. فلم يأته في ذلك جواب). اهـ
انظر: مقدمة جامع العلوم والحكم (١/ ٩٣).
- وفي مسائل هانئ (١٩١٦): سُئِل الإمام أحمد بن حنبل عن الذي جاء في الحديث: (أجرؤكم على الفُتيا؛ أجرؤكم على النار)، ما معناه؟ قال: يُفتي بما لم يسمع). اهـ
- وقال الآجري في أخلاق العلماء (١/ ٩٧): (وأما ما ذكرنا في الأغلوطات، وتعقيد المسائل مما ينبغي للعالم أن ينزه نفسه عن البحث عنها مما لم يكن، ولعلها لا تكون أبدًا، فيشغلون نفوسهم بالنظر والجدل والمراء فيها، حتى يشتغلوا بها عما هو أولى بهم، ويغالط بعضهم بعضًا، ويطلب بعضهم زلل بعض، ويسأل بعضهم بعضًا، هذا كله مكروه منهي عنه، لا يعود على من أراد هذا منفعة في دينه، وليس هذا طريق من تقدّم من السلف الصالح، ما كان يطلب بعضهم غلط بعض، ولا مرادهم أن يخطِّئ بعضهم بعضًا، بل كانوا علماء عقلاء، يتكلمون في العلم مناصحة، وقد نفعهم الله بالعلم). اهـ

١١٤- باب: ما أجاب به الأئمة والعلماء إذا سئلوا عن شيء من ذلك

٧١١- تقدَّم[١] كلام عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين سأله ابن الكَوَّاء[٢] عن السواد الذي في القمر؛ فقال: قاتلك الله! ألا سألت عما ينفعك في دنياك وآخرتك.

٧١٢- وعن الحسن، عن أمه، عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]. قالت: الكَيْف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والإيمان به واجب، والجحود به كفر.

---

(١) هذا الأثر لم يتقدم ذكره في الكتاب غير هذه المرة. وذكره الآجري في الشريعة (١/ ١٦٧) قال: (وهكذا كان من بعد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إذا سأله إنسان عما لا يعنيه؛ عنَّفه ورده إلى ما هو أولى به. رُوي أن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال يومًا: سلوني، فقام ابن الكواء فقال: ما السواد الذي في القمر؟ فقال له: قاتلك الله، سل تفقهًا، ولا تسأل تعنتًا، ألا سألت عن شيء ينفعك في أمر دنياك أو أمر آخرتك. وفي لفظ قال: أعمى يسأل عن عمياء، ما العلم أردت بهذا، ويحك، سل تفقهًا ولا تسأل تعنتًا، أو قال: تعتهًا، سل عما يعنيك ودع ما لا يعنيك. ثم قال: ذلك محو الليل).

(٢) هو: عبدالله بن الكواء اليشكري- ويقال له: أبو الكواء وابن الكواء- وهو ممن أثاروا الفتنة مدة قبل قتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وخرج مع الخوارج إلى حروراء، وجعلوه أميرًا للصلاة، وكان من أول من بايع عبدالله بن وهب الراسبي أمير الخوارج، وقد رشحه الخوارج ليجادل عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيما نقموا عليه، وقد رجع عن مذهب الخوارج، وعاود صحبة عليٍّ). (لسان الميزان).
وفي السُّنة للخلال (٨٣٧) عن مهنا قال: (سألت أحمد عن عبدالله بن الكواء؛ قال: كوفي. قلت: يُروى عنه الحديث؛ قال: لا). اهـ
وقال البخاري: (لم يصح حديثه). وذكره الجوزجاني في أحوال الرجال (١/ ٣٤) في رؤوس الخوارج ممن نبذ الناس حديثهم اتهامًا له منهم.

٧١٣- وتقدَّم مثله عن مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ وزاد:

الإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وقال للسائل: لا أُراك إلا ضالًا؛ أخرجوه من مجلسي[1].

٧١٤- وتقدَّم كلام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما ناظره العراقي، وخرج إلى شيء من الكلام؛ فقال له: هذا من الكلام؛ فدعه.

٧١٥- وتقدَّم قول الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لرجلين يخوضان في الكلام:

إما أن تجاورونا بخير، وإما أن تقوما عنا.

٧١٦- وقيل لابن سُرَيْج: ما التوحيد؟

قال: توحيد أهل العلم وجماعة المسلمين: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله ﷺ، وتوحيد أهل الباطل من المتكلمين: الخوض في الأعراض والأجسام[2]، وإنما بُعث محمد ﷺ بإنكار ذلك.

---

(١) وفي الحجة في بيان المحجة (ص٢٢١) زيادة: (والشَّكُّ فيه شرك).
- وفي لفظ قال: (وأظنك زنديقًا أخرجوه من المسجد).
- وفي لفظ آخر صحَّ عن ابن عيينة، قال: (سئل ربيعة كيف استوى؟ فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول ﷺ البلاغ، وعلينا التصديق).
- وقال يحيى بن عمار: (لا نحتاج فِي هذا الباب إلى قول أكثر من هذا أن نؤمن به، وننفي الكيفية عنه، ونتقي الشك فيه، ونوقن بأن ما قاله الله سبحانه وتعالى ورسوله حق ﷺ ولا نتفكر فِي ذلك ولا نسلط عليه الوهم، والخاطر والوسواس، وتعلم حقًّا يقينًا أن كل ما تصور فِي فهمك ووهمك من كيفية أو تشبيه؛ فالله سبحانه بخلافه وغيره، نقول: هو بذاته على العرش، وعلمه محيط بكل شيء). اهـ

(٢) قوله: (الخوض في الأعراض والأجسام)، ليس معناه: الخوض في أعراض المسلمين وغيبتهم، وإنما المقصود: أن العَرَض والجسم والجوهر من ألفاظ المتكلمين والفلاسفة التي يطلقونها على =

٧١٧- وجاء رجل إلى المزني، فسأله عن شيء من الكلام:
فقال: إني أكره هذا، بل أنهى عنه كما نهى عنه الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
٧١٨- (قال المزني): وسمعت الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول:
سألت مالكًا عن الكلام والتوحيد؛ فقال مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **محال أن يُظَنَّ بالنبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه علَّم أمته الاستنجاء، ولم يعلمهم التوحيد!**
والتوحيد ما قاله النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أمرت أن أقاتل الناس، حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها فقد عصموا دمائهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله**»[١]. فما عُصم به الدم والمال؛ فهو حقيقة الدين.
٧١٩- وقال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لرجل:
إن سألك رجل عن شيء من الكلام فلا تجبه؛ فإنه إن سألك عن شيء من الكلام فزللت؛ قال لك: كفرت[٢].

الله كقولهم: ليس بجسم ولا عرض ونحو ذلك، وأول من ابتدعها: الجهمية، وأتباعهم من المعتزلة، وبعض قدماء الشيعة، وليس في الكتاب، ولا السُّنة، ولا قول أحد من سلف الأمة وأئمتها إطلاق لفظ الجسم أو العرض أو الجوهر في صفات الله تعالى، لا نفيًا، ولا إثباتًا.

(١) متفق عليه.

(٢) وقال: (إياكم والنظر في الكلام، فإن رجلًا لو سُئل عن مسألة في الفقه فأخطأ فيها، أو سئل عن رجل قتل رجلًا، فقال: ديته بيضة؛ كان أكثر شيء أن يضحك منه. ولو سُئل عن مسألة في الكلام فأخطأ فيها؛ نسب إلى البدعة).
- وهذا منه يدلُّ على التفريق بين الخطأ في العقائد، والخطأ في الفقهيات- لا كما يقول المتأخرون.
- ويدلُّ أيضًا على أن العقيدة لا مجال فيها للاجتهاد، إنما هو الاتباع لسبيل المؤمنين. بل إن المجتهد في العقيدة منسوب إلى البدعة، كما اجتهدت الجهمية والأشاعرة في تأويل الصفات.

٧٢٠- ودخل رجلان على ابن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أهل الأهواء؛ فقالا: يا أبا بكر! نحدثك بحديث؟ فقال: لا. فقالا: فنقرأ عليك آية من كتاب الله؟ قال: لا[1].

٧٢١- **قال الشيخ نصر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وإنما فعل ذلك حسمًا للباب، وقطعًا للمسألة؛ لئلا يخرجا من ذلك إلى غيره مما لا يحل الكلام فيه.

٧٢٢- وعن نوح الجامع؛ قال:

قلت لأبي حنيفة: ما تقول في ما أحدث الناس من الكلام في الأعراض والأجسام؟ فقال: مقالات الفلاسفة؛ عليك بالآثار وطريقة السلف، وإياك وكل محدثة؛ فإنها بدعة[2].

---

(١) والعِلَّة في ذلك؛ كما في مقدمة الدارمي، قال: (إني خشيتُ أن يقرأ عليَّ آية من كتاب الله؛ فيحرفانها، فيقر ذلك في قلبي).

- وفي الإبانة الكبرى (١/ ١٤١) قال رجل لابن سيرين: (إن فلانًا يريد أن يأتيك، ولا يتكلم بشيء، قال: قل لفلان: لا يأتيني، فإن قلب ابن آدم ضعيف، وإني أخاف أن أسمع منه كلمة، فلا يرجع قلبي إلى ما كان).

- وفي السُّنة لعبدالله، قال ابن سيرين: (لو أعلم أني أكون مثلي الساعة؛ لتركتهما).

- وقال رجلٌ من أهل البدع لأيوب السختياني: (يا أبا بكر! أسألك عن كلمة؛ فولى، وهو يقول بيده: لا، ولا نصف كلمة).

- وقال ابن طاوس لابنٍ له- وقد تكلم رجل من أهل البدع-: (يا بني! أدخل أصبعيك في أذنيك، حتى لا تسمع ما يقول، ثم قال: اشدد، اشدد. قال معمر: يعني: أن القلب ضعيف).

(٢) المؤلف، وكثير من المتأخرين قد يستدلون بأخبار لأبي حنيفة في الحثِّ على التمسك بالسُّنة وذم البدع والإحداث في الدين، ومرادهم في ذلك هو استجلاب واستمالة أصحابه في عصرهم إلى =

٧٢٣- وقال أبو جعفر النفيلي:
سئل الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الكلام؛ فقال: اجتنب علمًا إذا بلغت فيه المنتهى؛ نسبوك إلى الزندقة، وعليك بالاقتداء والتقليد(١).

الحق، وإلا فمن المعلوم أن هذه ليست بضاعة أبي حنيفة، إنما بضاعته الرأي والقياس والحيل وغيرها من البدع، وفي كلام أهل السُّنة ما يغني عن كلامه هذا، حتى وإن كان حقًا؛ ولهذا قال عنه ابن حبان: (كان رجلًا جدلًا، لم يكن الحديث صناعته؛ حدَّث بمئة وثلاثين حديثًا مسانيد، ما له حديث في الدنيا غيرها، أخطأ منها في مئة وعشرين حديثًا، إما أن يكون قلب إسناده أو غيّر متنه من حيث لا يعلم؛ فلما غلب خطؤه على صوابه استحق ترك الاحتجاج به في الأخبار، ومن جهة أخرى لا يجوز الاحتجاج به؛ لأنه كان داعيًا إلى الإرجاء، والداعية إلى البدع لا يجوز أن يحتج به عند أئمتنا قاطبة، لا أعلم بينهم فيه خلافًا، على أن أئمة المسلمين وأهل الورع في الدين في جميع الأمصار وسائر الأقطار جرحوه، وأطلقوا عليه القدح إلا الواحد بعد الواحد). اهـ

- وقال البخاري: (كان مرجئًا سكتوا عنه، وعن رأيه، وعن حديثه).
- وقال الجوزجاني: (لا يُقنع بحديثه ولا برأيه).
- وقال عبدالله بن أحمد بن حنبل: (سألت أبي عن أسد بن عمرو؛ فقال: صدوق، وأبو يوسف صدوق؛ إلا أنه لا ينبغي أن يُروى عن أصحاب أبي حنيفة شيء). اهـ
- وقال ابن تيمية في ردِّه على السُّبكي في مسألة تعليق الطلاق (٢/ ٨٣٧) : (وأكثر أهل الحديث طعنوا في أبي حنيفة وأصحابه طعنًا مشهورًا امتلأت به الكتب، وبلغ الأمر بهم إلى أنهم لم يرووا عنهم في كتب الحديث شيئًا؛ فلا ذكر لهم في الصحيحين والسُّنن). اهـ
- ونوح الجامع هذا؛ قال عنه ابن حبان: (ممن يقلب الأسانيد ويروي عن الثقات ما ليس من حديث الأثبات، لا يجوز الاحتجاج به بحال، جمع كل شيء إلا الصدق).
- وقال فيه الحاكم: (وضع حديث فضائل القرآن. ومرة قال: ذاهب الحديث، وقد أفحش أئمة الحديث القول فيه ببراهين ظاهرة. ومرة قال: كان جامعًا، رُزِق كل شيء إلا الصدق!).
- وقال محمد بن حمدويه: (غلب عليه الإرجاء، ولم يكن بمحمود الرواية). اهـ

وقد كذب نوح هذا في أخبار كثيرة في تزكية أبي حنيفة، مخالفة لما ذكره الثقات عنه.

(١) أي: اتباع الصحابة والتابعين.

٧٢٤- وسئل سفيان الثوري عن الكلام؛ فقال للسائل:
دع الباطل، أين أنت عن الحق؟ اتبع السُّنة، ودع البدعة.

٧٢٥- وقال رجل لأبي عُبيد القاسم بن سلَّام:
ما ترى في رأي أصحاب الكلام؟

فقال أبو عُبيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لقد دلَّك الله عَزَّوَجَلَّ على سبيل الرشد وطريق الحق؛ فقال: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء:٥٩]. أما لك فيما دلَّك عليه ربك من كلامه، وسنة نبيه ﷺ ما يغنيك عن الرجوع إلى رأيك وعقلك؟! وقد نهاك الله عن الكلام في ذاته وصفاته، إلا حسب ما أطلقه لك؛ قال الله: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ﴾ [الأنعام:٦٨] الآية. وقال تعالى: ﴿وَيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ﴾ [الشورى:٣٥]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآ﴾ [فصلت:٤٠].

٧٢٦- وقال رجل من أهل العراق لمكحول:
أرأيت سبَّك الشيطان ولعنك إياه؛ هل رأيتموه؟!

فقال مكحول: نَحِّ عنا نفسك، ولا تكلمنا بمثل هذا؛ فقد بيَّن الله تعالى أمر الشيطان في كتابه.

٧٢٧- وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما سأله ابن الشافعي عن الولدان[1]؛ فصاح به، وقال: هذه مسائل أهل الزيغ.

---

(١) راجع التعليق على الأثر رقم: (٣٨٤).

٧٢٨- وقال الفضل بن زياد:

سمعت الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول لرجل ألح عليه في تعقيد المسائل: تسأل عن عبد بين رجلين؟! سل عن الصلاة والزكاة، سل عن علم تنتفع به ونحو هذا، ما تقول في صائم احتلم؟ فقال الرجل: لا أدري؛ فقال الإمام أحمد: تترك ما تنتفع به، وتسأل عن عبدٍ بين رجلين[١].

٧٢٩- وتقدَّم كلام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما سأله رجل عن القرآن والقدر؛ فقال: لعلَّك من أصحاب عمرو بن عبيد؛ فإنه ابتدع هذه البدعة من الكلام، ولو كان الكلام علمًا لتكلم به الصحابة والتابعون رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، كما تكلموا في الأحكام والشرائع؛ ولكنه باطل يدل على باطل[٢].

❐ ❐ ❐

---

(١) لعلَّه سأله عن مسألة شاذة نادرة في المُبَعَّض أو العبد الذي يملكه أكثر من واحد، والسائل لا يملك عبدًا، فليس تحتها عملٌ بالنسبة له.

- وأما الصائم الذي احتلم؛ فقد قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: (إن رسول الله ﷺ كان يصبح جنبًا من غير احتلام، ثم يصوم ذلك اليوم).

- وقال الحسن- في صائم احتلم-: (لا شيء عليه).

- وقال جابر بن زيد: (لا شيء عليه، ولكن يُعجل بالغسل).

(٢) تقدَّم في الأثر ذي الرقم: (٢١٤).

١١٥- باب: ما يجب على العلماء من السكوت عما لم يعلموا، وترك الجواب عنه إذا سئلوا، اقتداء بأئمة الصحابة وأهل العلم المتقدمين؛ فإن ذلك ليس بعيب لهم ولا نقص عليهم، بل هو اتباع لمن قبلهم وسلوك فيه لآثارهم، وهم القوم يقتدى بهم، وقد سُئل رسول الله ﷺ عن أشياء لم يكن عنده فيها علم؛ فلم يُجِب السائل حتى نزل عليه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بجوابه من عند الله عَزَّوَجَلَّ؛ فأجابه

٧٣٠- وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

مرضتُ فجاءني رسول الله ﷺ يعودني وأبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهما ماشيان؛ فأتاني وقد أغمي عليَّ، فتوضأ رسول الله ﷺ ثم صبَّ عليَّ وَضوءه فأفقت؛ فقلت: يا رسول الله! لمن مالي؟ وربما قال سفيان- أيْ رسول الله: كيف أصنع في مالي؟- قال: فما أجابني بشيء؛ حتى نزلت آية الميراث[1].

٧٣١- وعن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

كنت مع النبي ﷺ في حرث بالمدينة وهو متكئ على عسيب، إذ مرَّ بنفر من اليهود؛ فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح؛ فقالوا: ما

---

(١) متفق عليه.

رابكم إليه، وقال بعضهم: لا يستقبلنكم بشيء تكرهونه؛ فقالوا: سلوه؛ فسألوه عن الروح؛ فأمسك النبي ﷺ فلم يرد عليهم شيئًا، وظننت أنه يوحى إليه، فقمت مقامي، فلما نزل الوحي قال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:٨٥][(١)].

٧٣٢- وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال:

كنت إلى جنب رسول الله ﷺ فغشيته السكينة؛ فوقعت فخذ رسول الله ﷺ على فخذي؛ قال: فما وجدت ثِقَل شيء أثقل من فخذ رسول الله ﷺ ثم سُري عنه؛ فقال: **«اكتب»** فكتبت في كتف: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ [النساء:٩٥] إلى آخر الآية.

فقام ابن أم مكتوم- وكان رجلًا أعمى- لما سمع فضيلة المجاهدين؛ فقال: يا رسول الله! فكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين؟ فلما قضى كلامه غشيت رسول الله ﷺ السكينة؛ فوقعت فخذه على فخذي، ووجدت من ثقلها في المرة الثانية كما وجدت في المرة الأولى، ثم سُري عن رسول الله ﷺ فقال: **«اقرأ يا زيد!»**، فقرأت: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ

(١) متفق عليه.
- وقوله: (حرث بالمدينة). أي: أرض مزروعة.
- وقوله: (عسيب). أي: جريدة من النخل.
- وقوله: (ما رابكم إليه) بصيغة الماضي من الرّيب؛ أي: ما أقلقكم وألجأكم إليه.
- وذُكر بضم الباء: (ما رَابُكُمْ). أي: ما أَرَبُكم وحاجتكم إلى سؤاله. لسان العرب (١/ ٤٤٣).
- وفي نسخة (ما رأيكم). أي: فكركم.

ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾؛ فقال رسول الله ﷺ: «اكتب: ﴿غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾؛ الآية كلها. قال زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنزلها الله وحدها فألحقتها، والذي نفسي بيده لكأني أنظر إلى مُلْحَقِها عند صَدْع في كَتِف[1].

٧٣٣- وعن يعلى بن أمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أن رجلًا أتى النبي ﷺ وهو بالجعرانة، وعليه أثر خلوق أو صفرة، وعليه جبة؛ فقال: يا رسول الله! كيف تأمرني أن أصنع في عمرتي؟ فأُنزل على رسول الله ﷺ الوحي فلما سُرِّيَ عنه؛ قال: **«أين السائل عن العمرة؟»** قال: **«اغسل عنك أثر الخلوق- أو قال: أثر الصفرة- واخلع الجبة عنك، واصنع في عمرتك ما صنعت في حجك»**[2].

٧٣٤- ورواه من طريق آخر؛ وفيه:

وعليه جبة، وهو متلطخ بالزعفران؛ فقال: إني أهللت بالعمرة؛ فكيف أصنع فيها؟ فأوحى الله إلى النبي ﷺ حتى رُؤي في وجهه؛ فقال: **«أين السائل عن العمرة؟ اطرح عنك هذه الجبة، واغسل عنك هذا الزعفران، واصنع فيها كما تصنع في الحجِّ»**[3].

---

(١) رواه أحمد، وأبو داود، وأصله في الصحيحين.
والصَّدْع: الشَّق في الشيء الصلب كالزجاجة والحائط وغيرهما. والكتف عظم عريض يكون في أصل كتف الحيوان من الناس والدوابّ، كانوا يكتُبون فيه لقِلة القراطيس عندهم. وفي الحديث: (ائتوني بكَتِف ودواة؛ أكتب لكم كتابًا). لسان العرب (٩/ ٢٩٤).

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه أحمد، ومسلم، وأبو داود.

٧٣٥- وعن جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال:

خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى جئنا امرأة بالأسواف[١]، وهي جدة خارجة بن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فزرناها ذلك اليوم، فَرَشَّتْ لنا صَوْرًا فقعدنا تحته بين نخل، وذبحت لنا شاة، وعلقت لنا قِربةً من ماء، فبينما نحن نتحدث جاءت امرأة بابنتين لها؛ فقالت: يا رسول الله! هاتان بنتا ثابت بن قيس- أو قال: سعد بن الربيع- قتل معك يوم أحد، وقد استفاء عمهما مالهما وميراثهما، ولم يدع لهما مالًا إلا أخذه؛ فما ترى يا رسول الله؟! فوالله ما تنكحان أبدًا إلا ولهما مال؛ فقال رسول الله ﷺ: **«يقضي الله في ذلك»**؛ فنزلت سورة النساء، وفيها: ﴿ **يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ** ﴾[النساء:١١] إلى آخر الآيتين.

فقال رسول الله ﷺ: **«ادع لي المرأة وصاحبها»**؛ فقال لعمهما: **«أعطهما الثلثين، وأعط أمهما الثُّمُن؛ فما بقي فلك»**[٢].

---

(١) الأسواف: موضع بالمدينة شامي البقيع بين الحرَّتين.

(٢) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، والدارقطني في سننه. الصَّوْرُ بالتسكين. قال الأصمعي: (جماعة النخل الصغار، ولا واحد له من لفظه). لسان العرب (٤/ ٤٧١).
- ومعنى: (فرشت لنا صَوْرًا) أي: نضحته بالماء ليجلسوا تحته. وفي رواية للحديث؛ قال: (فَفَرَشَتْ لنا تحت صَوْرٍ لها- والصور النخلات المجتمعات- وذبحت لنا شاة فأكلنا منها). إتحاف الخيرة المهرة (١/ ٩٥).
- وفي رواية، قال: (ففرشت لرسول الله ﷺ تحت صَوْر لها مرشوش). الغيلانيات (١/ ١١١).
- فيكون المعنى كما في السُّنة لابن أبي عاصم: (فَرَشَتْ له صَوْر نخل)، أي: حصيرًا من جريد النخل؛ ليقعد عليها.

٧٣٦- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

سئل رسول الله ﷺ عن ميراث العمة والخالة؛ فقال: **«لا أدري، حتى يأتيني جبريل»**. ثم قال: **«أين السائل عن ميراث العمة والخالة؟»**. فأتى الرجل؛ فقال: **«سارني جبريل أنه لا شيء لهما»**[١].

٧٣٧- وعن عطاء بن يسار:

أن النبي ﷺ ركب إلى قباء، يستخير في ميراث العمة والخالة؛ فأنزل الله: لا ميراث لهما[٢].

٧٣٨- وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ بشَريك بن سحماء؛ فقال النبي ﷺ: **«البينة، وإلا حدٌّ في ظهرك»** فقال: يا رسول الله! إذا رأى أحدنا على امرأته رجلًا ينطلق يلتمس البينة؟! فجعل النبي ﷺ يقول: **«البينة، وإلا حدٌّ في ظهرك»**؛ فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق؛ فلينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحدِّ، فنزل جبريل وأنزل عليه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ﴾، حتى بلغ ﴿مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[النور:٩]. وانصرف النبي ﷺ

---

(١) رواه الدارقطني في سننه؛ وقال: (لم يسنده غير مَسْعدة عن محمد بن عمرو، وهو ضعيف، والصواب مرسل). اهـ

- ومسألة توريث العمَّة والخالة؛ مسألة خلافية بين السَّلف- وذلك إذا لم يوجد أصحاب فروض ولا عصبة-.

(٢) هذا مرسل؛ رواه الدارقطني في سننه، وأبو داود في المراسيل؛ قال أبو داود: (ومعناه: لا سهم لهما، ولكن يورثون للرحم). اهـ

فأرسل إليهما فجاءا؛ فقام هلال فشهد، والنبي ﷺ يقول: **«إن الله يعلم أن أحدكما كاذب، فهل منكما من تائب؟»** ثم قامت فشهدت، فلما كان عند الخامسة؛ وقفوها وقالوا: إنها موجبة.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: فتلكأت ونكصت حتى ظننا أنها ترجع، ثم قالت: لا أفضح قومي سائر اليوم فمضت. فقال النبي ﷺ: **«أبصروها فإن جاءت به أكحل العينين سابغ الإليتين خَدَلَّج الساقَيْن[1]؛ فهو لشريك ابن سحماء»** فجاءت به كذلك.

فقال النبي ﷺ: **«لولا ما مضى من كتاب الله؛ لكان لي ولها شأن»**[2].

٧٣٩- وتقدَّم حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

أن رجلًا سأل النبي ﷺ: أي البقاع خير؟ فقال: **«لا أدري»**؛ قال: فأي البقاع شر؟ فقال: **«لا أدري»** وسكت، فأتاه جبريل فسأله؛ فقال: لا أدري؛ فقال: **«سل ربك»**؛ فقال: ما أسأله عن شيء، وانتفض انتفاضة كاد يصعق منها محمد ﷺ، فلما صعد جبريل؛ قال الله: **«سألك محمد ﷺ عن أي البقاع خير؟ قلت: لا أدري، وسألك عن أي البقاع شر؟ قلت: لا أدري»**؛ قال: نعم؛ قال: **«فخبِّره أن خير البقاع: المساجد، وشر البقاع: الأسواق»**[3].

---

(١) خَدَلَّج الساقَيْن: بتشديد اللام: عظيمهما.

(٢) متفق عليه.

(٣) تقدَّم برقم: (١٠).

٧٤٠- وساق حديث يعلى بن أمية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في العمرة المتقدِّم.

وقال عمر ليعلى رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا:

تعال! فجاء يعلى رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فأدخل رأسه في ثوب أُظِلَّ به رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فإذا هو محمر الوجه وهو يَغُطُّ[1] ثم سُرِّيَ عنه؛ فقال: **«أين السائل؟»**- والباقي كما تقدَّم- **«يصنع في العمرة كما يصنع في الحج»**[2].

❒ ❒ ❒

---

(١) هو الصوت الذي يُسْمع من النائم عند ترديد نَفَسِه. (لسان العرب).

(٢) متفق عليه.

١١٦- باب: ما رُوي في ذلك عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

٧٤١- عن زاذان أبي ميسرة؛ قال:

خرج علينا عليٌّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يمسح بطنه؛ ويقول: يا بردها على الكبد! سُئلت عما لا أعلم؛ فقلت: لا أعلم، والله أعلم.

وكان يقول في دعائه: أعوذ بك أن أقول في العلم بغير علم، أو أعمل في الدين بغير يقين[1].

٧٤٢- وتقدَّم قول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

إن من العلم أن تقول لما لا تعلم: الله أعلم؛ إن الله قال لنبيه ﷺ: «قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ» [ص:٨٦].

٧٤٣- وسئل ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن أمرٍ لا يعلمه؛ فقال: لا أعلمه.

---

(١) وفي أخلاق العلماء للآجري (٩٤) قال محمد بن الحسين: (فلو أدَّب العلماء أنفسهم وغيرهم، بمثل هذه الأخلاق التي كان عليها من مضى من أئمة المسلمين انتفعوا بها، وانتفع بهم غيرهم، وبارك الله لهم في قليل علمهم، وصاروا أئمة يهتدى بهم. وأما الحجة للعالم يسأل عن الشيء لا يعلمه، فلا يستنكف أن يقول: لا أعلم، إذا كان لا يعلم، وهذا طريق أئمة المسلمين من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومن بعدهم من أئمة المسلمين، اتبعوا في ذلك نبيهم ﷺ، لأنه كان إذا سئل عن الشيء بما لم يتقدم له فيه علم الوحي من الله عز وجل؛ فيقول: لا أدري، وهكذا يجب على كل من سئل عن شيء لم يتقدم فيه العلم أن يقول: الله أعلم به، ولا علم لي به، ولا يتكلف ما لا يعلمه، فهو أعذر له عند الله، وعند ذوي الألباب). اهـ

٧٤٤- وتقدَّم قوله: أتريدون أن تجعلوا ظهورنا لكم جسورًا إلى جهنم؟! تقولون: أفتانا بهذا ابن عمر[(١)].

---

(١) أي في مسألة في الفرائض، وليست من الكلالة، بل فيها أصول للميت أو فروع وهي أسهل، وهذا الأثر لم يتقدَّم ذكره إلا في هذا الموضع.
- وقال عقبة بن مسلم: (صحبتُ ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أربعة وثلاثين شهرًا، فكثيرًا ما يسأل، فيقول: لا أدري، ثم يلتفت إليَّ، فيقول: تدري ما يريد هؤلاء؟ يريدون أن يجعلوا ظهورنا جسرًا لهم إلى جهنم).
- وروى زهير بن حرب في كتاب العلم (١٠) عن الأعمش، عن شقيق، عن عبدالله، قال: (والله إن الذي يفتي الناس في كل ما يسألونه لمجنون!). قال الأعمش: فقال لي الحكم بن عتيبة: لو كنتُ سمعتُ بهذا الحديث منك قبل اليوم ما كنتُ أفتي في كثير مما كنت أفتي.
- وروى أبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٣٨٠) عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، أن عمر ابن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا دعاه ليستعمله، فأبى أن يعمل له، فقال: (أتكره العمل وقد طلبه من كان خيرًا منك؟! قال: من؟ قال: يوسف بن يعقوب عليهما السلام! فقال أبو هريرة: يوسف نبي الله ابن نبي الله، وأنا أبو هريرة بن أميَّة- تصغير أمة-، فأخشى ثلاثًا واثنتين. فقال عمر: أفلا قلت: خمسًا؟ قال: أخشى أن أقول بغير علم، وأقضي بغير حكم، وأن يُضرب ظهري، ويُنتزع مالي، ويُشتم عرضي).
- وروى أبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ٣٥) عن عبدالصمد بن معقل، أنه سمع وهب بن منبه، يقول لرجل من جلسائه: (ألا أعلمك طبًّا لا يتعايا فيه الأطباء، وفقهًا لا يتعايا فيه الفقهاء، وحلمًا لا يتعايا فيه الحلماء؟ قال: بلى يا أبا عبدالله! قال: أما الطبُّ الذي لا يتعايا فيه الأطباء، فلا تأكل طعامًا إلا ما سميت الله على أوله، وحمدته على آخره، وأما الفقه الذي لا يتعايا فيه الفقهاء، فإن سُئلت عن شيء عندك فيه علم فأخبر بعلمك، وإلا فقل: لا أدري، وأما الحلم الذي لا يتعايا فيه الحلماء، فأكثر الصمت، إلا أن تسأل عن شيء).
- وروى أبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ١٧٩) عن تميم بن عطية العنسي، قال: (كثيرًا ما كنت أسمع مكحولًا، يقول: نادانم- بالفارسية: لا أدري-). اهـ
- وكان مالك رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: (من أجاب في مسألة، فينبغي من قبل أن يجيب فيها أن يعرض نفسه على الجنة أو النار، وكيف يكون خلاصه في الآخرة).

=

٧٤٥- وسأله رجل عن فريضة هينة من الصلب[1]؛ فقال: لا أدري؛ فقام الرجل، فقال له بعض من عنده: ألا أخبرت الرجل؛ فقال: لا والله ما أدري.

٧٤٦- وعن يحيى بن سعيد؛ قال:

سئل ابنٌ لعبدالله بن عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن شيء فلم يكن عنده من جواب؛ فقلت له: إني لأعظم أن يكون مثلك ابن إمام هدى، يُسئل عن شيء لا يكون عنده منه علم!

فقال: أعظم والله من ذلك عند الله، وعند من عقل عن الله؛ أن أقول بغير علم، أو أحدث عن غير ثقة[2].

- وروى أبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ٢٧٤) عن علي بن المديني، قال: (كان سفيان بن عيينة، إذا سئل عن شيء، يقول: لا أحسن، فيقول السائل: مَن يُسأل؟! فيقول: سل العلماء، وسل الله التوفيق).

- وروى أبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ٢٩٥) عن مروان بن محمد، قال: (سمعت سفيان بن عيينة، وسأله رجل عن مسألة، فقال: لا أدري، فقال له: يا أبا محمد! إنها قد كانت، فقال له سفيان: فإذا قد كانت، وأنا لا أدري، فأيش نعمل؟!).

(١) وفي الآداب الشرعية لابن مفلح (٢/ ٦٤) عن خالد بن أسلم، قال: (كنا مع ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فسأله أعرابي أترِثُ العمة؟ فقال: لا أدري، قال: أنت لا تدري؟! قال: نعم، اذهب إلى العلماء فاسألهم، فلما أدبر الرجل؛ قَبَّلَ ابن عمر يده، وقال: نِعْم ما قال أبو عبدالرحمن سئل عما لا يدري؛ فقال: لا أدري).

(٢) وذكر ابن عبدالبر، عن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أنه جاءه رجل فسأله عن شيء، فقال القاسم: لا أحسنه، فجعل الرجل يقول: إني دُفعت إليك، لا أعرف غيرك.
=

٧٤٧- وتقدَّم قول ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا:

إذا أخطأ العالم أن يقول: لا أدري؛ فقد أصيبت مقاتله[1].

فقال القاسم: لا تنظر إلى طول لحيتي، وكثرة الناس حولي، والله لا أحسنه؛ فقال شيخ من قريش جالس إلى جنبه: يا ابن أخي الزمها، فوالله ما رأيتك في مجلس أنبل منك اليوم؛ فقال القاسم: والله لئن يقطع لساني أحبّ إليَّ من أن أتكلم بما لا أعلم).

- وروى أبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ١٨٤) عن أيوب، قال: (سمعت القاسم، يُسأل بمنى، فيقول: لا أدري، لا أعلم! فلما أكثروا عليه، قال: والله ما نعلم كل ما تسألون عنه، ولو علمنا ما كتمناكم، ولا حلَّ لنا أن نكتمكم).

- وروى أبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ١٨٤) عن يحيى بن سعيد، قال: سمعت القاسم، يقول: (ما نعلم كل ما نسأل عنه، ولأن يعيش الرجل جاهلًا بعد أن يعرف حقَّ الله تعالى عليه خير له من أن يقول ما لا يعلم).

- وقال ابن وهب: سمعت مالكًا، يقول: (سأل عبدالله بن نافع أيوبَ السختياني عن شيء فلم يجبه، فقال له: لا أُراك فهمت ما سألتك عنه! قال: بلى، قال: فلمَ لا تجيبني؟ قال: لا أعلمه).

- وروى أبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ٣٢٣) عن عبدالرحمن بن مهدي، قال: (رأيت رجلًا جاء إلى مالك بن أنس يسأله عن شيء أيامًا ما يجيبه، فقال: يا أبا عبدالله! إني أريد الخروج، قال: فأطرق طويلًا، ثم رفع رأسه، وقال: يا هذا! إني إنما أتكلم فيما أحتسب فيه الخير، وليس أحسن مسألتك هذه).

(١) هذا الأثر لم يأتِ ذكره في الكتاب إلا في هذا الموضع.

- وقد جاء مسلسلًا عن الأئمة؛ فقد رواه أبو إسماعيل الهروي في ذم الكلام وأهله (٥١٩) عن أبي داود السجستاني، قال: (حدثنا أحمد بن حنبل، حدثنا الشافعي، حدثنا مالك بن أنس، عن ابن عجلان، عن أبيه، قال: إذا أغفل العالم: لا أدري؛ أُصيبت مقاتله). اهـ

- وكذا قالها علي بن الحسين، وسفيان بن عيينة، كما في حلية الأولياء لأبي نعيم.

- وقد نظم ابن دُريد هذا المعنى شعرًا، فقال:

ومن كان يهوى أن يُرى متصدّرًا ... ويكره لا أدري أُصيبَتْ مَقاتلُه

- وهذه الكلمة لها شأن عظيم عند الصحابة فمن دونهم من أهل السُّنة والجماعة، وكانوا يعدُّونها نصف العلم، كما قال ابن عبد البر: (صحَّ عن أبي الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن لا أدري: =

٧٤٨- وكذا قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٧٤٩- وسئل مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن شيء؛ فقال: لا أدري؛ فقال الرجل: أنا أذكر عنك أنك لا تدري؟! قال: نعم؛ احكِ عني: لا أدري(١).

نصف العلم). وفي تعظيم قدر الصلاة (١/ ٤٣٥) قال يحيى بن آدم: وتفسير قوله: (لا أدري: نصف العلم، أن العلم إنما هو: أدري، ولا أدري، فأحدهما نصف الآخر).

وأيضًا صحَّ ذلك عن عطاء بن أبي رباح، والشَّعبي.

- وهي أغيظ كلمة على أهل الرأي، بل كانوا يسخرون منها كما كان يفعل أبو حنيفة إمام أهل الرأي، ففي تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر، قال يحيى بن آدم: (ذُكر لأبي حنيفة قول من قال: لا أدري: نصف العلم. قال: فليقل مرتين: لا أدري، حتى يستكمل العلم!).

- وهذه الكلمة تمدح في موطن وتذم في موطن آخر؛ تمدح من العبد إذا كانت في الأمور المبهمة أو التي لم يتضح وجهها، وتذم منه إذا كانت في الأمور الواضحات بسبب الجهل أو الإعراض أو الاستهزاء، كما في حديث الملكين: (حينما يسألان العبد، فيقولان: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري! فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري! فيقولان: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري! فينادي مناد من السماء أن كذب عبدي، فأفرشوه من النار...). الحديث.

أما أهل السُّنة، فكما قال عبدالله بن يزيد بن هرمز: (ينبغي للعالم أن يورث جلساءه قول: لا أدري، حتى يكون ذلك أصلًا لهم يفزعون إليه).

(١) وفي الجرح والتعديل (١/ ١٨) قال عبدالرحمن بن مهدي: (كنا عند مالك بن أنس فجاءه رجل، فقال: يا أبا عبدالله! جئتك من مسيرة ستة أشهر، حملني أهل بلدي مسألة أسألك عنها، قال: فسل، فسأل الرجل عن المسألة، فقال مالك: لا أحسنها، قال: فبُهت الرجل، كأنه قد جاء إلى من يعلم كل شيء، فقال: فأي شيء أقول لأهل بلدي إذا رجعتُ إليهم؟ قال: تقول لهم: قال مالك: لا أحسنها). اهـ

- وروى أبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ٣٢٣) عن عبدالرحمن بن مهدي، قال: (رأيت رجلًا جاء إلى مالك بن أنس يسأله عن شيء أيامًا ما يجيبه، فقال: يا أبا عبدالله! إني أريد الخروج قال: فأطرق طويلا، ثم رفع رأسه وقال: ما شاء الله يا هذا إني إنما أتكلم فيما أحتسب فيه الخير وليس أحسن مسألتك هذه).

=

❒ ❒ ❒

- وقال ابن وهب في كتاب المجالس: سمعت مالكًا، يقول: (ينبغي للعالم أن يألف فيما أُشكل عليه قول: لا أدري، فإنه عسى أن يُهيأ له خير).
- وقال ابن وهب: (وكنت أسمعه كثيرًا يقول: لا أدري).
- وروى أبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ٣٢٣) عن ابن وهب، قال: (لو شئت أن أملأ ألواحي من قول مالك بن أنس: لا أدري؛ فعلت).
- وفي ذم الكلام (٣٥٢) قال محمد بن رُمح: (عددت لمالك مئة مرة؛ قال: لا أدري، في مجلس واحد).
- وفيه عن زيد بن الحباب، قال: (رأيت سفيان الثوري إذا سئل عن المسائل؛ قال: لا أدري، حتى يظن من رآه ولا يعرفه أنه لا يعلم شيئًا).

اعتقاد المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]

٧٥٠- **قال الشيخ الفقيه نصر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إن قال قائل: ذكرت ما يجب على أهل الإسلام من اتباع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما أجمع عليه الأئمة والعلماء؛ ممن عُرف بالعلم والدين والصدق واليقين، وذكرت المنع من البدع وذم الكلام والأهواء الخارجة عن الحق والصواب، ووجوب ترك ذلك والأخذ بما عليه أهل السُّنة والجماعة؛ فاذكر مذاهبهم وما أجمعوا عليه من اعتقادهم، وما يلزمنا المصير إليه من إجماعهم؛ لنعلم ذلك ونصير إليه ونعتقده ونعتمد عليه.

فالجواب، وبالله التوفيق:

إن الذي أدركتُ عليه أهل العلم، ومن لقيتهم وأُحدِّثُ عنهم، ومن بلغني قوله من غيرهم؛ ممن يعول عليه ويرجع في النوازل إليه؛ ممن ينطق عن علم صائب، وفهم ثاقب، وأمانة قوية، وديانة أصلية، مشهور في وقته بالإمامة، موصوف بالقدوة والزعامة، ناطق عن الكتاب والسُّنة وإجماع علماء الأمة، مجانب للبدعة والضلالة والأهواء والجهالة:

---

(١) تقدَّم التنبيه على سبب إيرادنا هذه العقائد هنا في آخر الكتاب، وذلك عند الباب رقم: (٥٥).

- أنه لا يجوز اعتقادُ ما لم يكن له أصل في كتاب الله تعالى، ولا سنة رسوله ﷺ وإجماع أهل العلم من الصحابة، والتابعين لهم بإحسان- عليهم من الله الرحمنِ الرحمةُ والرضوان- ولا يحلُّ الكلام فيه؛ وأنه بدعة وضلالة ومعصية وجهالة.

- ثم الاعتقاد[1] بعد ذلك أن الله تعالى واحد أحد، فرد صمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، وأنه خلق العالم، وبعث الأنبياء والرسل، وأنزل عليهم الكتب، وشرع لخلقه الشرائع وأمرهم ونهاهم، وأنه يميتهم أجمعين، ثم يحييهم ليوم الدين؛ فيحاسبهم بما أسلفوا ويقابلهم بما قدموا وأخروا.

- ما نطقت به كتبه فهو الحق، وما أخبرت به رسله فهو الصدق، وأنه لا يجوز لأحد مخالفة أمره- تعالى وجلَّ- ولا تجاوزه.

---

(١) معنى: (الاعتقاد)، أي: عقد القلب على الشيء وربطه عليه:
- قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة (٤/ ٨٦): (عقد: العين والقاف والدال؛ أصل واحد يدل على شد وشدة ووثوق، وإليه ترجع فروع الباب كلها. ومن ذلك: عقد البناء، وعقدت الحبل أعقده عقدًا، وقد انعقد، وعقدة النكاح وكل شيء: وجوبه وإبرامه. والعقد في البيع: إيجابه. وعقد قلبه على كذا فلا ينزع عنه). اهـ
- وقال الفيومي في المصباح المنير (٢/ ٤٢١): (اعتقدت كذا: عقدت عليه القلب والضمير، حتى قيل: العقيدة: ما يدين الإنسان به. وله عقيدة حسنة: سالمة من الشك). اهـ
- فمدار كلمة (عقد) على الربط والوثوق والثبات والصلابة في الشيء، ومنه العُقدة والمُعَقَّد والعَقْد ونحوه.

- نَصِفُه بما وصف به نفسه في كتابه، وعلى لسان نبيه ﷺ لا نجاوز ذلك ولا نزيد عليه، ولا نقيس بعقولنا غيره عليه؛ بل نُسلِّم ذلك إليه ونتوكل في توفيقنا عليه.

- وأن الإيمان: قول وعقد وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

- وأن القرآن كلام الله وحيه وتنزيله؛ غير مخلوق، كيف تُلي، وكيف قُرئ، وكُتب.

- وأن القدر خيره وشره وحلوه ومُرّه من الله، قَدَّر جميع أعمال العباد وقضاها قبل أن يخلق أعمالهم؛ فهم يعملون ما قَدَّر لهم عمله وقضاه وكتبه وأمضاه، ولا يجاوز ذلك تقديره، ولا يفارق ترتيبه، ولا يخرج من علمه ولا يزول عن حكمه.

- وأن خير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وأنهم هم الخلفاء الراشدون المهديون الذين أمر رسول الله ﷺ باتباعهم، ونهى عن خلافهم.

- وأن العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة على ما شهد به، وكذلك من سواهم ممن أخبر عنه بذلك، أو وعده[1] على عمل عمله أو فعلٍ فعله الجنة.

---

(١) المراد بـ(وعده) أي: بعينه إن مات على الاستقامة، أما الوعد العام؛ فلا نجزم لصاحبه، لكن نرجو له؛ لأنا لا ندري عن القبول.

- والترحم على جميع أصحاب رسول الله ﷺ ونشر فضائلهم، وترك الخوض والنظر فيما شجر بينهم[1].

---

(١) قال شهاب بن حراش: (أدركتُ من أدركت من صدور هذه الأمة، وهم يقولون: اذكروا من محاسن أصحاب رسول الله ﷺ ما تأتلف عليه القلوب، ولا تذكروا الذي شجر بينهم؛ فتحرشوا عليهم الناس).
- وروى الخطيب بسنده، عن أبي زرعة الرازي أنه قال: (إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول ﷺ؛ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن، والسنن: أصحاب رسول الله ﷺ. وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا؛ ليبطلوا الكتاب والسُّنة، والجرح بهم أولى؛ وهم زنادقة). اهـ من (الكفاية ص٤٩).
- وقال الفضيل بن عياض كما في حلية الأولياء: (إني أحبُّ من أحبهم الله؛ وهم الذين يسلم منهم أصحاب محمد ﷺ وأبغض من أبغضه الله؛ وهم أصحاب الأهواء والبدع).
- وفي الطيوريات (٢٧٥) قال الفضيل بن عياض: قال ابن المبارك: (خصلتان من كانت فيه؛ الصدق، وحب أصحاب محمد ﷺ، فأرجو أن ينجو إن سلم).
- وفي مسائل عبدالله (١٥٥٩) سئل الإمام أحمد: (عمن شتم رجلًا من الصحابة؟ فقال: أرى أن يُضرب، وقال: ما أُراه إلا متهمًا على الإسلام).
- وفي السنة للخلال (٧٩٩) قال الإمام أحمد، عن رجل كتب وحدَّث بأخبار فيها تنقص لأصحاب رسول الله ﷺ: (يستاهل صاحب هذه الأحاديث الرديئة: الرجم). اهـ
- وقال ابن مفلح في الآداب الشرعية (٢/ ٣٥١): (قال بعض السَّلف: مَثَلُ أصحاب محمد ﷺ مثل العَيْن، ودواء العَيْن ترك مسها). اهـ
- وروى المزي في تهذيب الكمال (١/ ٣٣٩) عن أبي الحسن علي بن محمد القابسي، قال: (سمعت أبا علي الحسن بن أبي هلال، يقول: سُئل أبو عبدالرحمن النَّسائي عن معاوية بن أبي سفيان صاحب رسول الله ﷺ، فقال: إنما الإسلام كدارٍ لها باب، فبابُ الإسلام الصحابة، فمن آذى الصحابة؛ إنما أراد الإسلام، كمن نَقَرَ الباب؛ إنما يريد دخول الدار، قال: فمن أراد معاوية؛ فإنما أراد الصحابة). اهـ
- فالصحابة كلهم عدول، ولا يُسئل عن عدالة أحدٍ منهم، حتى من لابس الفتنة منهم، بإجماع العلماء. والله سبحانه وتعالى قد علم ما يكون بينهم، ومع ذلك رضي عنهم، وأمرنا بالترضي عنهم.
=

- وأن الله تعالى مستوٍ على عرشه، بائن من خلقه- كما قال في كتابه العزيز الحكيم- و﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾، ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١].

- وأن الله تعالى يُرى في الآخرة؛ يراه المؤمنون بأبصارهم، والكفار عن رؤيته محجوبون.

- وأن الجنة حقٌّ، وأن النار حقٌّ، وأنهما مخلوقتان، لا تفنيان أبدًا.

- وأن الميزان حقٌّ.

- وأن الصراط حقٌّ.

- وأن الحوض المكرم به نبينا ﷺ حقٌّ(١).

- وفي أصول السُّنة لابن أبي زمنين، عن أيوب السختياني، قال: (ومن أحسن الثناء على أصحاب رسول الله ﷺ فقد برئ من النفاق، ومن ينتقص أحدًا منهم أو أبغضه لشيء كان منه فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح، والخوف عليه أن لا يرفع له عمل إلى السماء حتى يحبهم جميعًا ويكون قلبه لهم سليمًا). اهـ

- وفي حلية الأولياء لابي نعيم (٧/ ٢٧) عن محمد بن الصباح، قال: (سمعت شعيب بن حرب، يقول: ذكروا سفيان الثوري عند عاصم بن محمد؛ فذكروا مناقبه- حتى عدوا خمس عشرة منقبة- فقال: فرغتم؟! إني لأعرف فيه فضيلة أفضل من هذه كلها؛ سلامة صدره لأصحاب محمد ﷺ). اهـ

فائدة: سُئل الإمام أحمد كما في مسائل الكوسج (٩/ ٤٦٦٩): (هل للصحبة حدٌّ تحدده؟ قال: لا، من صحب النبي ﷺ ولو ساعة فهو من أصحابه. قال إسحاق: كما قال). أي: ومات مؤمنًا.

(١) جاء في الأحاديث أن أهل البدع والإحداث في الدين المفارقين لجماعة المسلمين؛ يُحرمون من الشرب من حوض النبي ﷺ وشفاعته. من ذلك قوله ﷺ: (إني على الحوض حتى أنظر من يرد علي منكم، وسيؤخذ ناس دوني، فأقول: يا رب! مني ومن أمتي، فيقال: هل شعرت ما =

- وأن الشفاعة حقٌّ، وأن ناسًا من أهل التوحيد يُخرجون من النار، ولا يبقى فيها من في قلبه شيء من الإيمان.

- وأن عذاب القبر حقٌّ، وأن منكرًا ونكيرًا حقٌّ.

- وأن الكرام الكاتبين حقٌّ.

- وأن أهل الكبائر في مشيئة الله، لا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب[1]؛ بل نحكم بإيمانهم[2]، وأحكامهم ومواريثهم، ونكل سرائرهم إلى الله تعالى.

عملوا بعدك؟ والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم). وقال ﷺ: (أنا فرطكم على الحوض، ليرفعن إلي رجالًا منكم، حتى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني، فأقول: أي رب!، أصحابي، فيقول: لا تدري ما أحدثوك بعدك). ورُوي عن النبي ﷺ: (حلَّت شفاعتي لأمتي؛ إلا صاحب بدعة). رواه ابن وضاح في البدع.

وقال ﷺ: (رجلان ما تنالهما شفاعتي، إمام ظلوم غشوم، وآخر غالٍ في الدين مارقٌ منه). رواه ابن أبي عاصم في السُّنة.

(١) إلا إذا ترك الصلاة، فإنه يكفر بذلك، كما قال الإمام أحمد. وليس هو من أهل القبلة.

(٢) أراد المؤلف بهذا: أن أهل السُّنة لا يكفرون أصحاب الكبائر، ولا يخرجونهم من مطلق الإيمان بسبب ذنوبهم، أما خروج أصحاب الكبائر من الإيمان إلى الإسلام، فهذا مما يقول به أهل السنة والجماعة خلافًا للمرجئة والخوارج، وقد دلَّ على ذلك الكتاب والسنة والإجماع:

- قال تعالى: (بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ).

- وروى البخاري ومسلم، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن...). الحديث.

- وقال الإمام أحمد في رواية مسدد بن مسرهد: (يخرج الرجل من الإيمان إلى الإسلام، فإن تاب رجع إلى الإيمان، ولا يخرج من الإسلام إلا بالشرك بالله العظيم).

- وروى الآجري في الشريعة (ص١١٣) عن أبي جعفر الباقر محمد بن علي أنه قال: (هذا الإسلام، ودوَّر دارة في وسطها أخرى، وقال: هذا الإيمان مقصور في الإسلام، وقال: قال

=

- ونرى الحج والعمرة والجهاد والجمعة والصلوات، وجميع الطاعات مع أئمة المسلمين ماض إلى يوم القيامة، والسمع والطاعة لولاة الأمر في طاعة الله دون معصيته[1].

رسول الله ﷺ: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ...). قال: يخرج من الإيمان إلى الإسلام، ولا يخرج من الإسلام إلا الشرك، فإذا تاب تاب الله عليه ورجع إلى الإيمان). اهـ

- ولهذا فإن مرتكب الكبيرة يُسمى مسلمًا فاسقًا، كما سماه الله في سورة الحجرات.

(١) هذه من العلامات الفارقة بين أهل السُّنة والخوارج؛ فإذا رأيت الرجل لا يصلي الجمعة ولا الجماعة ولا يقف بعرفة خلف الأئمة وإن جاروا؛ فاعلم أنه من الخوارج الذين في قلوبهم غلٌّ على المسلمين، ولو ادعوا العبادة والورع والعلم والنصح للناس:

- قال زافر بن سليمان: (أردت الحجَّ، فقال لي الحسن بن صالح- وكان يرى السَّيف-: إن لقيت أبا عبدالله سفيان الثوري بمكة، فأقرئه مني السَّلام، وقل: أنا على الأمر الأول. قال: فلقيت سفيان في الطواف، فقلت: إن أخاك الحسن بن صالح يقرأ عليك السَّلام، ويقول: أنا على الأمر الأول! قال سفيان: فما بال الجمعة؟). اهـ

- لأنه كان لا يرى الجمعة خلف أئمة الجور.

- وقال أحمد بن يونس اليربوعي: (لو لم يولد الحسن بن صالح كان خيرًا له؛ يترك الجمعة، ويرى السيف، جالسته عشرين سنة، ما رأيته رفع رأسه إلى السماء، ولا ذكر الدنيا).

- وذكر أبو نعيم في ترجمته من حلية الأولياء (٧/ ٣٢٨) أنه كان يقال للحسن بن صالح: حيَّةُ الوادي- يعني: لا ينام بالليل- وكان يقول: إني أستحيي من الله تعالى أن أنام تكلفًا، حتى يكون النوم هو الذي يصرعني، فإذا أنا نمت، ثم استيقظت، ثم عدت نائمًا، فلا أرقد الله عيني، وكان لا يقبل من أحدٍ شيئًا). اهـ

- ومع ذلك لم تنفعه عبادته ولا علمه ولا ورعه؛ وكان أهل السُّنة يقولون: (تبسم سفيان الثوري أحبُّ إلينا من صعق الحسن بن صالح).

- وكانوا إذا رأوه يصلي ويبكي، قالوا: نعوذ بالله من خشوع النفاق.

- وكان زائدة يجلس في المسجد يحذر الناس من ابن حي وأصحابه؛ لأنهم كانوا يرون السيف.

- وقال خلف بن تميم: كان زائدة يستتيب من أتى حسن بن صالح.

- كل هذا والرجل لم يخرج على الأئمة بقتال وإنما كان يرى ذلك، فكيف بمن خرج؟!

=

- فهذا ما أدركتهم عليه وبلغني عنهم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، ووفقنا وإياكم لما يرضيه، واستعملنا فيما يحبه ويرتضيه؛ فإنما نحن به وإليه.

- وأنا أذكر بعد هذا ما بلغني عمن أشرت إليه من الأئمة في ذلك بأسانيده، مع اختلافهم في البسط والاختصار، واتفاق المعاني واختلاف الألفاظ، وأنقل قبل ذلك خبرًا عن رسول الله ﷺ. وبالله التوفيق:

٧٥١- عن عبدالرحيم العمي، عن أبيه، عن أربعين من التابعين رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ عن نفر من أصحاب رسول الله ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«تسع من سنن الهدى وفيهن الجماعة ومن خرج منهن خرج من الجماعة: لا تشهدوا على أحد من أهل قبلتكم بكفر ولا شرك ولا نفاق، وردوا سرائرهم إلى الله، وصَلُّوا على من مات من أهل قبلكتم، واشهدوا الصلوات الخمس والجمعة والجماعة مع كل إمام بار أو فاجر، وجاهدوا المشركين مع كل خليفة، لكم جهادكم وعليهم مآثمهم، ولا تخرجوا على أئمتكم بالسيف وإن جاروا، وادعوا لأئمتكم بالصلاح والمعافاة ولا تدعوا عليهم، وجانبوا الأهواء كلها فإن أولها وآخرها باطل»[1].

---

(١) لم أجده بهذا السياق، ولا يصح رفعه؛ ومعناه صحيح ومتواتر عن السَّلف.
- والأولى من هذه التسع خطيرة جدًا، ولذا بدأ بها؛ لأنه يضل فيها كثيرٌ من الناس، وخلاصتها ما يلي: أن أهل القبلة هم الذين أظهروا كلمة التوحيد والصلاة، ودانوا بالإسلام وانتسبوا له، ولم يظهر منهم ما ينقض ذلك، فهؤلاء هم (مستورو الحال). وهم أكثر الناس، والقاعدة فيهم ما رواه البخاري عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: (من صلى صلاتنا،
=

واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا؛ فذاكم المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله، فلا تخفروا الله في ذمّته). فهؤلاء حكمهم الإسلام الظاهر، ولهم حقوق الإسلام، فيُسلَّم عليهم، ويُصلَّى عليهم إذا ماتوا، ويرثون ويورثون، ويدخلون مكة ولو كانوا منافقين في الباطن أو مشركين؛ ففي الإيمان للقاسم بن سلام (٣٠) عن أبي سفيان طلحة بن نافع، قال: (جاورت مع جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بمكة ستة أشهر، فسأله رجل: هل كنتم تسمون أحدًا من أهل القبلة كافرًا؟ فقال: معاذ الله! قال: فهل تسمونه: مشركًا؟ قال: لا). اهـ

– فأما التسليم وردُّه عليهم: فقد قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا).

– وأما في الصلاة عليهم إذا ماتوا: فقد ذكر اللالكائي في السنة، عن محمد بن سيرين، قال: (لا نعلم أحدًا من أصحاب محمد ﷺ ولا من غيرهم من التابعين تركوا الصلاة على أحد من أهل القبلة تأثمًا).

– وعن إبراهيم النخعي، قال: (لم يكونوا يحجبون الصلاة عن أحد من أهل القبلة).

– وعن عطاء، قال: (صل على من صلى إلى قبلتك).

– وعن الحسن، قال: (إذا قال: لا إله إلا الله؛ صل عليه).

– وعن ربيعة، قال: (إذا عرف الله؛ فالصلاة عليه حق).

– وعن مالك، قال: (إن أصوب ذلك وأعدله عندي؛ إذا قال: لا إله إلا الله، ثم هلك، أن يُغسل ويُصلى عليه). اهـ

– وهذه الآثار وإن كانت في مرتكب الكبيرة من أهل القبلة، إلا أنها تشمل أيضًا مستور الحال الذي لا يُدرى عنه.

– وقال مؤمل بن إسماعيل: (مات عبدالعزيز بن أبي رواد فجيء بجنازته، فوضعت عند باب الصفا، وجاء سفيان الثوري؛ فقال الناس: جاء الثوري! جاء الثوري! فجاء حتى خرق الصفوف، والناس ينظرون إليه؛ فجاوز الجنازة ولم يصل عليها، وذلك أنه كان يرى الإرجاء؛ فقيل لسفيان؛ فقال: والله إني لأرى الصلاة على من هو دونه عندي، ولكن أردت أن أري الناس أنه مات على بدعة). اهـ

– فكان سفيان الثوري يرى لعامة الناس أن يصلوا عليه مع تلبسه ببدعةٍ، فكيف بمستور الحال الذي لا يُعلم عنه شركٌ أو بدعة؟

=

– وأما الصلاة خلفهم: ففيها تفصيل معروف عند السَّلف؛ حيث يفرِّقون بين صلاة الجماعة والصلاة الجامعة كالجمعة والعيدين. فأما الصلاة الجامعة فتكون خلف كل إمام برًّا كان أو فاجرًا، معلومًا كان أو مستورًا؛ لأن مقصودها يفوت بتركها، أما صلاة الجماعة فالأفضل والأورع أن تكون خلف معلوم الحال– أي: من كان حاله على التوحيد والسنة– فإن لم يتيسر معلوم الحال، فمستور الحال يجزئ، ومن كان في غير بلده فإنه لا يقدر إلا على مستور الحال غالبًا، وهذا يكفيه. وإليك ما جاء في ذلك من آثار:

– قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالته إلى مسدد: (والصلاة خلف كل برٍّ وفاجر؛ صلاة الجمعة والعيدين). وقال: (وأرى الصلاة خلف كل برٍّ وفاجر، وقد صلى ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا خلف الحجَّاج، يعني الجمعة والعيدين).

– وفي طبقات الحنابلة (١/ ٤١٩) عن يوسف بن موسى، قال: (سمعت أحمد بن حنبل، يقول: صلاة الجمعة والعيدين جائزة خلف الأئمة البر والفاجر، ما داموا يقيمونها).

– أما في صلاة الجماعة، فقد قال المروذي كما في طبقات الحنابلة(١/ ٥٨): (سُئل أحمد: أَمُرُّ في الطريق فأسمع الإقامة، ترى أن أصلي؟ فقال: قد كنت أُسَهِّلُ، فأما إذ كثرت البدع فلا تصل إلا خلف من تعرف). اهـ

– فهنا فرَّق الإمام أحمد بين صلاة الجماعة التي تقام خمس مرات في اليوم والليلة، وبين الصلاة الجامعة كالجمعة العيدين. ومما يؤيد ذلك ما قاله سفيان الثوري لشعيب بن حرب، كما في السنة للالكائي(١/ ١٧٠) قال: (يا شعيب! لا ينفعك ما كتبت، حتى ترى الصلاة خلف كل برٍّ وفاجر. قال شعيب: فقلت لسفيان: يا أبا عبدالله! الصلاة كلها؟ قال: لا، ولكن صلاة الجمعة والعيدين، صل خلف من أدركت، وأما سائر ذلك فأنت مخير، لا تصل إلا خلف من تثق به، وتعلم أنه من أهل السُّنة والجماعة). اهـ

– وقال ابن أبي زمنين في أصول السنة (١/ ٢٨٤): (حدثني وهب، عن ابن وضاح، قال: سألت حارث بن مسكين: هل ندع الصلاة خلف أهل البدع؟ فقال: أما الجمعة خاصة فلا، وأما غيرها من الصلاة فنعم).

– قال ابن وضاح: وسألت يوسف بن عدي عن تفسير حديث النبي ﷺ: (خلف كل برٍّ وفاجر)؟ قال: الجمعة خاصة، قلت: وإن كان الإمام صاحب بدعة؟! قال: نعم، وإن كان صاحب بدعة؛ لأن الجمعة في مكان واحد، ليس توجد في غيره). اهـ

=

- ومن عَلِم عن أحدٍ بدعة أو نفاقًا؛ فهو بالنسبة له (معلوم الحال) لـه أن يمتنـع عـن الـصلاة خلفه أو عليه، ويبقى لباقي المسلمين (مستورًا)، ولذا قال الله تعالى لنبيه ﷺ في حقِّ المنـافقين: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾. وكان أقارب المنـافق ممـن لم يعلـم نفاقـه يـصلي عليه، ويرثه، ولم ينهه الرسول ﷺ عن ذلك. بينما قال الله تعالى له في حق المشركين: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ ﴾، فأدخـــل المـــؤمنين معـــه في النهي؛ وهذه سعة من الله أن نقبل الظواهر، ونَكِل السرائر، ولا نفتش عما في قلوب الناس، أو ننقب عما في بطونهم.

- أما في التزويج: فالعبدُ مأمورٌ بالتحري؛ لما أخرجه الترمـذي بـسند حـسن، عـن أبي حـاتم المزني، قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا أتاكم مـن ترضـون دينـه وخلقـه؛ فـأنكحوه. قـالوا: يـا رسول الله! وإن كان فيه؟ قال: إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه؛ فأنكحوه، إلا تفعلـوا تكـن فتنة في الأرض وفساد كبير. قال ذلك ثلاث مرات).

- وأما الذبائح: ففيها مجالٌ للورع دون تحريم، ألا يأكل العبد إلا ذبيحة الزاكي عنـده، خاصـة مع انتشار البلاء، ففي الزهد لأحمد: لما أنكر الناس على عامر بن عبد قيس العنبري أنه لا يأكل اللحم، قال: (إنهم يشترون العِلج من السبي الذي لا يفقه الإسلام، فيذبح، وأنا إذا اشـتهيت اللحم أرسلنا إلى شاة، فذبحناها).

- وروى عبدالرزاق في مصنفه، عن القاسم بن محمـد: (أن عمـر بـن الخطـاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ جـاء الجزَّارين، فقال: من يذبح لكم؟ فقالوا: هذا العلج، فسأله عمر مسألة فلـم يحـسنها، فجلـده عمر جلدات، ثم قال: لا يذبح لكم إلا من عقل الصلاة).

- وروى عبدالرزاق، عن معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه أنه كان لا يأكل ذبيحة الزنجي.

- وليعلم أن الحكم على الدار بالكفر أو الشرك، لا يعني بالضرورة الحكم على جميـع مـن فيهـا بالكفر أو الشرك، فمكة كانت قبل الهجرة دار كفر، وقد كان بها النبي ﷺ وأصـحابه، وخيـبر كانت دار إسلام، مع أن اليهود كانوا فيها، لكن كان الحُكم فيها للمسلمين.

قال تعالى: ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾.

- قال ابن جرير في تفسيره (٢٢/ ٢٩٤): (يقول تعالى ذكره: ولـولا رجـال مـن أهـل الإيـمان ونساء منهم، أيها المؤمنـون بـالله! أن تطئـوهم بخـيلكم ورجلكـم، لم تعلمـوهم بمكـة، وقـد =

❐ ❐ ❐

حبسهم المشركون بها عنكم، فلا يستطيعون من أجل ذلك الخروج إليكم فتقتلوهم، كما حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة أنه قرأ قوله: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ ﴾، حتى بلغ: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾. فقال: هذا حين رد محمد ﷺ وأصحابه أن يدخلوا مكة، فكان بها رجال مؤمنون ونساء مؤمنات، فكره الله أن يؤذوا أو يوطئوا بغير علم). اهـ

وعليه، فمن أظهر الإسلام؛ حُكم له به ولو كان في بلاد الكفر، ومن أظهر الكفر؛ حُكم له به ولو كان في بلاد الإسلام.

- وبعض الناس يخرج من هذه السَّعة إلى الضيق، ويريد ألا يبقى أحدٌ مستورَ الحال، فينقب عن كل أحد ويستنكه باطن حاله، فيضيق عليه أمره، وربما أدى به إلى الخروج عن السُّنة والجماعة، وترك الصلاة في مسجدي مكة والمدينة وسائر المساجد، واعتزال المسلمين.

- ويقابل هؤلاء من يقول: المسلم من لفظ كلمة التوحيد، وصلى وحج واعتمر، ولو أتى بألف ناقض، ولو عبد الوثن، وانتسب لأحزاب الكفر، وتولى المشركين!

ونعوذ بالله من حال هؤلاء وهؤلاء، بل نقبل الظواهر، ونكل السرائر، ونتورع ما استطعنا، ولا نزكي أنفسنا، ولا نثق بها، والله المستعان وعليه التكلان.

اعتقاد عبدالله بن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ

٧٥٢- قال ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أدركت الناس بمكة والمدينة والكوفة والبصرة وبمصر وخراسان؛ فأدركتهم مجتمعين على أن السُّنة والجماعة:

- من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا ﷺ عبده ورسوله.

- وفوض الأمر إلى الله، وعلم أن كل شيء بقضاء الله وقدره؛ الخير والشر والكفر والإيمان.

- وعرف حق السَّلف الماضين الذين اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، وقَدَّم أبا بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب- رضوان الله عليهم أجمعين- وترحم على أصحاب رسول الله ﷺ كبيرهم وصغيرهم، وحَدَّث بفضائلهم، وأمسك عما شجر بينهم.

- وصلى العيدين، وعرفات، والجماعات مع كل إمام بر أو فاجر.

- والقرآن كلام الله وتنزيله، ليس بمخلوق.

- والإيمان قول وعمل ونية مع إصابة السُّنة، والإيمان يزيد وينقص، بالقلب والجوارح.

- والجهاد ماض منذ بعث الله محمدًا ﷺ إلى آخر عصابة يقاتلون الدجال، لا يضرهم جور جائر.

- والإيمان بعذاب القبر، ومنكر ونكير، والحوض والشفاعة والميزان.

- وأهل الجنة يرون ربهم عَزَّوَجَلَّ.

- وما أتت به الأنبياء والرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ نؤمن به، ولا نضرب له الأمثال.

- وأن صفة أهل السُّنة: الأخذ بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وأحاديث رسول الله ﷺ، وأحاديث الصحابة أجمعين، وترك الرأي والقياس، فهذا الذي أدركت عليه علماءنا القدماء(١).

فرزقنا الله وإياكم الاستقامة واللحوق بالصالحين.

❐ ❐ ❐

---

(١) وفي جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر (٢/ ٦٦) عن عمر بن عبدالواحد، قال: (سمعت الأوزاعي، عن ابن المسيب، أنه سئل عن شيء؟ فقال: اختلف فيه أصحاب رسول الله ﷺ، ولا أرى لي معهم قولًا).
قال محمد بن وضاح: (هذا هو الحق).
قال أبو عمر: (معناه: ليس له أن يأتي بقول يخالفهم به). اهـ
- وفيه (٢/ ٨٦) عن ابن سيرين، أنه سُئل عن المتعة بالعمرة إلى الحج، قال: (كرهها عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، فإن يكن عِلمًا فهما أعلم مني، وإن يكن رأيًا فرأيهما أفضل).

اعتقاد الرازيين: أبي زرعة وأبي حاتم رَحِمَهُمَاٱللَّهُ

٧٥٣- قال عبدالرحمن بن أبي حاتم:

سألتُ أبي وأبا زرعة عن مذاهب أهل السُّنة في أصول الدين، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار، وما يعتقدان من ذلك؟

فقالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار- حجازًا وعراقًا ومصرًا وشامًا ويمنًا- فكان من مذهبهم أن:

- الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص.
- والقرآن كلام الله غير مخلوق بجميع جهاته[1].
- والقدر خيره وشره من الله عَزَّوَجَلَّ.
- وخير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ: أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب الفاروق، ثم عثمان بن عفان، ثم عليّ بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ. وهم الخلفاء الراشدون المهديون[2].

---

(١) أي: كيف تُلي، وكيف قُرِيء، وكيف كُتب، وأنه بحرفٍ وصوت، تكلَّم به على الحقيقة.

(٢) وفي الجزء العاشر من المخلصيات (٤/ ٨١) قال سفيان الثوري: (لايجوز القول والعمل والنية إلا بموافقة السُّنة. قال شعيب: فقلت: يا أبا عبدالله! وما موافقة السُّنة؟ قال: تقدمة الشيخين أبي بكر وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا. يا شعيب! لاينفعك ما كتبت حتى تقدم عثمان فَعَليًّا على من بعدهما). اهـ

=

- وأن العشرة الذين سماهم رسول الله ﷺ وشهد لهم بالجنة: على ما شهد به رسوله ﷺ، وقوله الحق.

- والترحم على جميع أصحاب محمد ﷺ، والكف عما شجر بينهم.

- وأن الله عَزَّوَجَلَّ على عرشه بائن من خلقه- كما وصف به نفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ- بلا كيف، أحاط بكل شيء علمًا، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

- والله تعالى يُرى في الدار الآخرة، يراه أهل الجنة بأبصارهم، ويسمعون كلامه كيف شاء، وكما شاء.

- وفي هذا الكلام وما يأتي في هذه العقائد المجمع عليها ردٌّ على ما قاله ابن عبدالبر في كتابه الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١١١٦) بأن السَّلف اختلفوا في تفضيل أبي بكر وعلي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

- وفيه ردٌّ على ما قاله ابن حزم في الفصل (٤/ ٩٠): (ذهب بعض أهل السُّنة إلى أن أفضل الأمة بعد رسول الله ﷺ عليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ). اهـ

- وهذا كله كذب وافتراء على أهل السُّنة، وهو شيء لم يقل به أحد من أهل السُّنة والجماعة، فكيف وابن أبي حاتم هنا يحكي إجماع أهل السُّنة في أصول الدين، وما كان عليه العلماء في جميع الأمصار على تفضيل أبي بكر وتقديمه على سائر الصحابة، ثم عمر، ثم عثمان، ثم عليّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ. بل أجمع الصحابة والتابعون على ذلك؛ فإن عليًّا نفسه كان يقول على منبر الكوفة: (خير هذه الأمة بعد نبيها: أبو بكر ثم عمر). بل كان يقول على المنبر: (لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر؛ إلا جلدته حدَّ المفتري). يعني: ثمانين جلدة.

- ولما سأله ابنه محمد: (من أفضل الناس بعد النبي ﷺ؟ قال رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أبو بكر، ثم عمر).

- بل إن عقلاء الشِّيعة الأُوَل ما كانوا يفضلون على الشيخين أحدًا، ولهذا روى اللالكائي في السنة (٢٤٧١) عن ابن شوذب، قال: سمعت ليث بن أبي سليم، يقول: (أدركت الشِّيعة الأولى وما يفضلون على أبي بكر وعمر أحدًا).

- والجنة حقٌّ، والنار حقٌّ، وهما مخلوقتان لا تفنيان أبدًا، فالجنة ثواب لأوليائه، والنار عقاب لأهل معصيته إلا من رحم.

- والصراط حقٌّ.

- والميزان الذي له كفتان، توزن فيه أعمال العباد؛ حسنها وسيئها؛ حق.

- والحوض المكرّم به نبينا ﷺ حقٌّ.

- والسَّاعة[1] حقٌّ.

- وأن أناسًا من أهل التوحيد يخرجون من النار بالشفاعة؛ حق.

- وعذاب القبر حقٌّ.

- ومنكر ونكير حقٌّ، والكرام الكاتبون حقٌّ.

- والبعث من بعد الموت حقٌّ.

- وأهل الكبائر في مشيئة الله عَزَّوَجَلَّ.

- ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنوبهم، ونكل سرائرهم إلى الله.

- ونقيم فرض الحج والجهاد مع أئمة المسلمين في كل دهر وزمان.

- ولا نرى الخروج على الأئمة، ولا القتال في الفتنة، ونسمع ونطيع لمن ولاه الله أمرنا، ولا ننزع يدًا من طاعة.

- ونتبع السُّنة والجماعة، ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة.

---

(١) وفي السُّنة للالكائي: (والشفاعة حقٌّ).

- وأن الجهاد ماضٍ منذ بعث الله نبيه ﷺ إلى قيام الساعة مع أولي الأمر من أئمة المسلمين لا يبطله شيء.

- والحج كذلك، ودفع الصدقات من السوائم إلى أولي الأمر من أئمة المسلمين.

- والناس مؤمنون في أحكامهم ومواريثهم، ولا يُدرى ما هم عند الله عَزَّوَجَلَّ، فمن قال: إنه مؤمن حقًا فهو مبتدع، ومن قال: هو مؤمن عند الله فهو من الكاذبين، ومن قال: إني مؤمن بالله حقًّا؛ فهو مصيب(١).

- والمرجئة المبتدعة ضُلَّال(٢).

---

(١) لأنه جزم بأصل الإيمان وأركانه، ولم يجزم بالإيمان مطلقًا؛ لأنه لا يدري ما خاتمته.
أما المبتدع فهو من قال: (أنا مؤمن حقًّا)؛ فكأنه يعلم خاتمته ومصيره وقبول الله لعمله.

(٢) قارن بين هذا القول المجمع عليه وبين ما قاله رجل ليس عنده بصيرة؛ كالذهبي عندما قال في ميزان الاعتدال (٤/ ٩٩) في ترجمة مسعر بن كدام: (الإرجاء مذهب لعدَّة من جِلَّة العلماء، لا ينبغي التحامل على قائله). اهـ

- ونحن نقول: بل أجمع العلماء على التحامل على الإرجاء والمرجئة؛ فهم شرُّ طائفة على الإسلام، وما أشبه أن يكون واضع الإرجاء زنديقًا:

- قال الزهري، كما في الإبانة الكبرى: (ما ابتُدع في الإسلام بدعة هي أضر على أهله من هذه، يعني الإرجاء).

- وفي السنة لعبدالله (٦٣٤) عن سعيد بن جبير، أنه قال: (المرجئة يهود القبلة).

- وقال إسحاق بن راهويه كما في مسنده (٣/ ٦٧٢): (المرجئة طائفة من الجهمية).

- وفي حلية الأولياء (٤/ ٢٢٣) عن الأعمش، قال: (ذكرت عند إبراهيم النخعي المرجئة، فقال: والله لهم أبغض إليَّ من أهل الكتاب). اهـ

- وقال محمد بن إبراهيم البوشنجي: (سمعت أحمد يقول: تقربوا إلى الله ببغض أهل الإرجاء، فإنه من أوثق الأعمال إلينا). اهـ

=

- وروى عبدالله بن أحمد في السنة (٥٣٤) عن حجَّاج، قال: سمعت شريكًا وذكر المرجئة، فقال: (هم أخبثُ قوم، وحسبك بالرافضة خُبثًا، ولكن المرجئة يكذبون على الله تعالى). اهـ

- وقال ابن بطة: (فاحذروا- رحمكم الله- مجالسة قوم مرقوا من الدين، فإنهم جحدوا التنزيل، وخالفوا الرسول ﷺ، وخرجوا عن إجماع علماء المسلمين، وهم قوم يقولون: الإيمان قول بلا عمل، ويقولون: إن الله فرض على العباد الفرائض، ولم يرد منهم أن يعملوها، وليس بضائر لهم أن يتركوها، وحرّم عليهم المحارم، فهم مؤمنون، وإن ارتكبوها، وإنما الإيمان عندهم أن يعترفوا بوجوب الفرائض، وأن يتركوها، ويعرفوا المحارم وإن استحلوها، ويقولون: إن المعرفة بالله إيمان يغني عن الطاعة، وإن من عرف الله تعالى بقلبه فهو مؤمن، وإن المؤمن بلسانه والعارف بقلبه مؤمن كامل الإيمان كإيمان جبريل، وإن الإيمان لا يتفاضل ولا يزيد ولا ينقص، وليس لأحد على أحد فضل، وإن المجتهد والمقصر والمطيع والعاصي جميعًا سيان). اهـ

- وقد قال إمامهم الأول في وقته- أبو حنيفة-: (الإيمان: هو التصديق والإقرار)؛ كما في كتابه المسمى الفقه الأكبر (٨٥). وحكى الخطيب في تاريخ بغداد (١٣/ ٣٧٧) عن القاسم بن حبيب، قال: (وضعت نعلي في الحصى، ثم قلت لأبي حنيفة: أرأيت رجلًا صلى لهذه النعل حتى مات إلا أنه يعرف الله بقلبه؟ فقال: مؤمن، فقلت: لا أكلمك أبدًا).

- وفي كتاب المجروحين لابن حبان (٣/ ٧٣) عن يحيى بن حمزة وسعيد بن عبدالعزيز، قالا: (سمعنا أبا حنيفة يقول: لو أن رجلًا عَبَد هذا البغل تقربًا بذلك إلى الله جل وعلا؛ لم أر بذلك بأسًا).

- وقال اللالكائي في السُّنة (٥/ ٩٩٦): (سياق ما نُقل من مقابح مذاهب المرجئة). ثم ساق بسنده إلى عبّاد بن كثير أنه قال: (استتيب أبو حنيفة مرتين؛ قال مرة: لو أن رجلًا قال: أشهد أن لله بيتًا إلا أني لا أدري: أهو هذا أو بيت بخراسان؟! كان عندي مؤمنًا، ولو أن رجلًا قال: أشهد أن محمدًا رسول الله إلا أني لا أدري: أهو الذي بالمدينة أو رجل كان بخراسان؟! كان عندي مؤمنًا).

- وعند اللالكائي (٥/ ٩٩٨) عن أبي إسحاق الفزاري قال: (قال أبو حنيفة: إيمان أبي بكر، وإيمان إبليس واحد؛ قال أبو بكر: يا رب، وقال إبليس: يا رب)!!

- وعن وكيع بن الجراح، قال: (اجتمع ابن أبي ليلى، والحسن بن صالح، وسفيان بن سعيد الثوري، وشريك بن عبدالله؛ فأرسلوا إلى أبي حنيفة فجاءهم. فقالوا: ما تقول فيمن نكح أمه
=

وقتل أباه وشرب في قحفه- أي: جمجمتِهِ- الخمر؟ فقال: مؤمن!! فقال ابن أبي ليلى: لا أقبل لك شهادة أبدًا. وقال الحسن بن صالح: وجهي من وجهك حرام أن أنظر إليك أبدًا. وقال شريك: لو كان لي من الأمر شيء لضربت عنقك. وقال له الثوري: كلامك عليَّ حرام أبدًا).

- ولأبي حنيفة رسالة أرسلها لعثمان البتي لما ناصحه في الإرجاء، يقرر فيها الإرجاء الغالي صراحًا، وقد حققها ونشرها الكوثري الجهمي- في عصرنا-.

- وقال إمامهم الثاني في وقته- أبو الحسن الأشعري- كما في كتابه اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع (ص١٥٤) إن قال قائل: (ما الإيمان عندكم بالله تعالى؟ قيل له: هو التصديق بالله، وعلى ذلك إجماع أهل اللغة التي نزل بها القرآن. فلما كان الإيمان في اللغة التي أنزل الله تعالى بها القرآن هو التصديق؛ وجب أن يكون الإيمان هو ما كان عند أهل اللغة إيمانًا وهو التصديق). اهـ

- وقال الشهرستاني في الملل والنحل (١/ ١٠١): قال- أي الأشعري-: (الإيمان هو التصديق بالجَنان، وأما القول باللسان والعمل بالأركان ففروعه. فمن صدق بالقلب، أي أقر بوحدانية الله تعالى، واعترف بالرسل تصديقًا لهم فيما جاءوا به من عند الله تعالى بالقلب صحَّ إيمانه، ولو مات عليه في الحال كان مؤمنًا ناجيًا، ولا يخرج من الإيمان إلا بإنكار شيء من ذلك). اهـ

- وقال السجزي في رسالته (٤٢٧) في معرض كلامه عن عقيدة الأشعري: (ومنها: أن الإيمان والنبوة؛ عرضان؛ يحلان الأجسام في حال الحياة، ويزولان عنها بزوال الحياة. فالمؤمن إذا مات؛ يدخل قبره ولا إيمان معه. والنبي إذا مات؛ يدفن وليس بنبي. وعلى هذا الأصل يقتضي أن يزول الإيمان عن الرجل إذا نام. وهذا من أشنع الأقاويل). اهـ

- ثم جاء إمامهم الثالث- الألباني- في وقتنا، وهؤلاء الثلاثة: أبو حنيفة، وأبو الحسن الأشعري، والألباني، أشأم الناس على أمة محمد ﷺ وأعظمهم فتنة، وبينهم تشابهٌ عجيب خاصةً في الانتساب إلى أهل الحقِّ، وهدم الإسلام من الداخل.

- وقد سئل الألباني عن رجل يقول: لا إله إلا الله، ويصلي ويصوم ويحج إلى بيت الله الحرام، لكن يقول: يا باز! أغثني، يا بدوي! مدد.. إلى آخره. قال: (أنا بالطبع لا أقول: إنه مرتد عن دينه). موسوعة عقائد الألباني (٥/ ٧٧٠).

- وسئل عن أناس ماتوا على عقيدة دعاء الأموات، وظهر هذا الشيء منهم، هل ندعوا لهم أم لا؟ فقال الألباني: (ما دام أنهم كانوا يحافظون على أركان الإسلام، فأنتم تدعون لهم، لأنكم لا تعلمون ما في قلوبهم). الهدى والنور- زعموا- (٩٥).

=

- فردَّ الكفر إلى جحود القلب فحسب، كما هو اعتقاد الجهمية.
- وقال: (أنا لا أكفر هؤلاء العامة الذين يطوفون حول القبور لغلبة الجهل). الموسوعة (٥/ ٦٢٧).
- وقال أبو اليسر أحمد الخشاب: (اتصل هاتفيًّا بالألباني أحد المشايخ الصوفيين في الأردن قبل عشرين عامًا في بداية مقدم الشيخ إلى عَمَّان، قائلًا له: يا شيخ ناصر! الغريب لابد أن يكون أديبًا. فقال الألباني: ما هذه الإقليمية التي عندك يا شيخ فلان؟ قال الصوفي: لأنك وتلاميذك تكفّرون المسلمين! فقال الألباني: نحن؟! قال الصوفي: نعم! فقال الألباني: إني سائلك سؤالًا. قال الصوفي: سَلْ. قال الألباني: ماذا تقول في رجلٍ يقف أمام قبرٍ ناويًا، ويقول بصوت مرتفع: نويت أن أصلي ركعتين لصاحب هذا القبر؟! قال الصوفي: هذا كافرٌ مشركٌ! فقال الألباني: نحن لا نقول: كافرٌ مشركٌ! نحن نقول: جاهلٌ، ونعلمه، فمن الذي يُكفِّر الناس يا شيخ فلان؟! نحن أم أنت؟! فإذا بهذا الشيخ الصوفي يستسمح الألباني عما بدر منه، ويأتي إليه في بيته ويعتذر إليه ويقبل يده!).
- وهذا منشور في موقع تلاميذ الألباني، وكلهم صدَّق هذه القصة وبعضهم شهدها. وهي تُجسِّدُ موقف الرجل من التوحيد والشِّرك.
- وقال الألباني: (أنا أقول قولة **ما أظن أحدًا يقولها اليوم**، أنا أقول: أهل الفترة موجودون بين ظهرانينا، وأعني هؤلاء الجهلة الذين يجدون من يؤيد ضلالهم: استغاثتهم بغير الله، والنذر لغير الله، والذبح لغير الله، فهؤلاء من أين لنا أن نكفرهم وهم لم تبلغهم دعوة الكتاب والسُّنة!). الموسوعة (٥/ ٦٢٧).
- حقًّا! قال كلمة لم يقلها أحد اليوم حتى إبليس!

وانظر- رحمك الله- إلى هذه الأقوال الشنيعة جدًا، التي تدلُّ على أنه لم يعرف الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ القائم على الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله والبراءة من الشرك وأهله، فتجده يُسأل عن أناس حالهم كحال كفار قريش والعرب تمامًا حال البعثة- بل أشد- من أنهم يعملون أعمالًا صالحة، لكنهم يشركون بالله غيره، فيفتي بأنهم مسلمون، وأن الإيمان الكلمة، من قالها فهو المسلم، ولو نقضها بألف ناقض.

وكأن التوحيد لم يأخذ الله عليه الميثاق، ولم يبث أدلتَه في الأنفس والآفاق، ولم يفطر الناس عليه ولم يجعل الأفئدة تنقاد إليه! وكأن الله لم يقل لرسوله ﷺ: (فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ)، ومن لم يأته تذكيرٌ فهذا لا ينفي عنه الشرك.

=

- قال الإمام حقًّا محمد بن عبدالوهاب في الرسالة الواضحة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾، قال الشيخ محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (المسألة الخامسة الكبرى: وهي **كشف شبهة علماء المشركين** الذين يقولون: **هذا شرك، ولكن لا يكفر من فعله لكونه يؤدي الأركان الخمسة!** فإذا كان الأنبياء لو يفعلونه كفروا، فكيف بغيرهم؟!). اهـ

- وقال الألباني: (الذي مات في القطب الشمالي أو القطب الجنوبي، ولم يطرق سمعه شيء اسمه دين الإسلام، أو إنسان اسمه محمد بن عبدالله نبي الإسلام، ما طرق سمعه؛ **فعاش يعبد الأصنام التي كان يعبدها أهل الجاهلية الأولى**. هل هذا يقال له يوم القيامة: لم كفرت؟ لا!). الموسوعة (٥/ ٥٧١).

- بينما ذو القرنين قد بلغ مغرب الشمس ومطلعها، وقال عن سكان تلك النواحي: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾. قال المفسرون: (أما من ظلم). أي: أما من كفر.

- ثم إن الألباني يقرن في كلامه بين التوحيد والرسالة! وبينهما فرقٌ يعرفه أطفال المسلمين ويجهله هو؛ فرسالة نبي معين متوقفة على السمع بخلاف التوحيد.

- سبحان الله! كأن الله لم يملأ السَّهل والجبل بأدلة التوحيد، ولم يجعل للناس أفئدة تعقله، ولم يجعلهم يولدون عليه، ولم يأخذ الميثاق منهم عليه، وإذا كان صاحب كتاب تنبيه الغافلين قد قال في شأن الوالدين: (لو لم يذكر الله تعالى في كتابه حرمة الوالدين، ولم يوص بهما، لكان يُعرف بالعقل أن حرمتهما واجبة، وكان الواجب على العاقل أن يعرف حرمتهما، ويقضي حقهما، فكيف وقد ذكره الله تعالى في جميع كتبه: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، وقد أمر في جميع كتبه وأوحى إلى جميع رسله، وأوصاهم بحرمة الوالدين ومعرفة حقهما، وجعل رضاه في رضى الوالدين وسخطه في سخطهما). اهـ

- فكيف بالتوحيد المأخوذ عليه العهود والمواثيق؟!

- وسئل الألباني: هل يعذر بالجهل من كان في بلدة يقام فيها الذبح للأولياء والطواف حول قبورهم وهم يَدَّعُون الإسلام، فهل هذا الرجل يعذر بالجهل أم لا؟ ويعتقد أن الأولياء أو أن هذا الذي يطوف حوله ينفع ويضر، وهذا المعتقد السائد في هذا البلد، فهل هذا الرجل يعذر بالجهل، أم ماذا؟ فقال: (أنا جوابي بكل صراحة: نعم). الموسوعة (٥/ ٧٤٥).

- وسئل عمن حجَّ وهو يعتقد عقيدة شركية. فقال: (هذا يختلف باختلاف الجو الذي يعيش فيه، بمعنى: هذا الذي وصفته إما أن يكون بلغته دعوة الإسلام بلاغًا صحيحًا، **وأصرَّ على ما**

=

تسميه بالشرك!! فهذا معناه أنه يجب عليه أن يحج مرة أخرى، أما إن كان عائشًا في جوٍ ليس فيه من ينبهه، ومن يبيِّن له أن هذا الذي هو فيه هو من الإشراك بالله عز وجل، والكفر بلا إله إلا الله، فهو يكون معذورًا، ويكون إسلامه وحجه مقبولًا). سلسلة الهدى والنور- زعموا- (١٣٢/ ٥٧: ٢٠).

- وسئل عن قوم يقولون: لا إله إلا الله، ولكن اعتقادهم الجازم أن من ليس له أستاذ لا يدخل الجنة- والأستاذ رجل ميت- يسألونه ويدعونه من دون الله؟ فقال: (هؤلاء نحن نسوقهم مساق المسلمين). ثم علل ذلك بقوله: (الإسلام له شروط وأركان، فكل من اعترف بها حُسب مسلمًا، ولا شك أنهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويصلون ويصومون ويحجون. ويؤمنون بالله وملائكته وكتبه. ثم قال: هؤلاء لا يحكم عليهم بأنهم كفار، وبأنهم خارجون عن الإسلام). الهدى والنور (٨٠٩/ ٠٠: ٤٤). والموسوعة (٥/ ٨٥٠).

- وهو بهذا يُصرِّح بأنه لا يعترف بنواقض الإسلام بالكلية، فهو كمن يفتي بأنه من توضأ ثم أتى بجميع نواقض الوضوء فإنها لا تضره وعليه أن يصلي مع وجودها!

- وقال: (اليوم كثير من المشركين الذين نراهم في ضلال مبين ويشركون ويجعلون لله أندادًا وهم لا يعلمون، لا نستطيع أن نحكم لهم بنار؛ لأن الذي يقيم الحجة عليهم المشايخ الذين يحيطون بهم هم سبب بلائهم، يسمون الاستغاثة توسلًا ونحو ذلك من الضلالات والانحرافات، فهؤلاء ما بلغتهم الدعوة). اهـ

- وكأن الكفار من قوم نوح إلى كفار قريش لم يكن لهم كبراء يُضلونهم.

- وهذا القول لا نعلم أحدًا سبقه إليه من علماء الإسلام في قديم الدهر وحديثه، بل غاية انحراف من انحرف منهم عن الصراط أن يحكم للمشرك بالشرك على ظاهره، ويُعامل معاملة المشرك في الدنيا، ولكنه لا يحكم له بالكفر في الآخرة، ويزعم أن له امتحانًا آخر وفرصة أخرى في الآخرة! أمَّا أن يحكم على الوثني عابد الوثن بأنه مسلم؛ فهذا لم يقل به أحدٌ عاقلٌ من قبل.

وإنا- والله- لئن نحكي كلام اليهود والنصارى أهون علينا من أن نحكي كلام هذا وأمثاله، ولعلَّ بعض ضعفاء العقول تنطلي عليهم شبهته في هذه النقول، ولكن لما عظمت به البلوى حتى صار (أبو حنيفة هذا العصر وأشد).

وبعض الناس قد يُحسن به الظن، أو يغتر بتزكية من زكَّاه، وربما قلَّده في شيء من الدين، فاضطررنا كارهين لذكر بعض أقواله الشنيعة البشعة التي يعلم كل من سَلِمَتْ فطرته أنها مناقضة لدين الإسلام.

=

- وفي سؤال وجه إليه عن حكم من مات من المسلمين وهو يجهل التوحيد- ومَثَّل السائل بالصوفية والقاديانية- فقال: (هذا النوع من **المسلمين** يعاملون فيما نعلم من دين الإسلام عند رب العالمين معاملة مَنْ لم تبلغهم الدعوة). موسوعة العقائد (٥/ ٨٤٢)، (٥/ ٧٦٢).
- ومعلوم أن القاديانية لهم نبيٌّ غير نبينا ﷺ، ولهم دين غير ديننا، ومع ذلك سماهم مسلمين!
- وفي سؤال وجه إليه عن الذين ماتوا على عقيدة دعاء الأموات والأولياء ويعتقدون فيهم الضر والنفع من دون الله، هل يُدعى لهم؟ فقال: (إن هؤلاء ما دام أنهم كانوا يحافظون على أركان الإسلام، لكن فيهم جهل، والمسؤول عنهم- أي: كبراؤهم- هم هؤلاء الجهلة من أهل العلم، الذين هم يضللونهم، فهؤلاء الذين ماتوا، فالأصل فيهم أنهم مسلمون، فيعاملون معاملة المسلمين، فهم يدفنون في مقابر المسلمين، وبالتالي إذا مر المار بقبورهم يقول: السلام عليكم أهل الديار من المسلمين، ويترحم عليهم ويدعو لهم بالمغفرة والرحمة ... ثم لا يؤاخذ المشرك إلا بعد أن تكون قد بلغته الدعوة). الموسوعة (٥/ ٧٦٣).
- وقال: (نحن إذا تصورنا هؤلاء المساكين الضالين من **إخواننا المسلمين** بسبب علماء السوء، يقعون في الشرك وفي الضلال، يستغيثون بغير الله، وينادون الأموات، وهم لا يسمعون، وبينهم برزخ إلى يوم يبعثون، فالله عز وجل إذا علم من أحدهم أنه لم تتبين له الحقيقة، وأن هذا شرك وضلال، بل لم يوجد من يقول لهم يومًا ما: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾، فاعتقادنا أن الله عز وجل لا يؤاخذ الإنسان إلا بعد قيام الحجة). الموسوعة (٥/ ٧٦٥).
- وهذا مع بطلانه كلامٌ في الخيال! فمن الذي لم يسمع عن الإسلام؟!
- وقال: (لنأخذ مثلًا كالبلاد المصرية حيث يوجد فيها مشايخ وعلماء الأزهر وما أدراك ما علماء الأزهر من حيث الأزهر الشريف وإلى آخره، ومع ذلك فتجد الشرك هناك ضاربًا أطنابه في الأزهر وفي المساجد التي في الحسين وغيره، فيعيش المصري هناك مسكينًا ولا يسمع صوت التوحيد إطلاقًا، فمن الخطورة بمكان أن يقال بأن الجاهل لا يعذر؛ لأنه يعيش في بلد إسلامي، يشترط في هذا البلد الإسلامي أن تكون عقائده مشهورة، وكما قلت: معلومة من الدين بالضرورة). الموسوعة (٥/ ٧٥٢).
- وأعظم ما يَرُدُّ هذا الإلحاد وتبديل دين الإسلام أن نعلم أن الله أقام ستة أدلة على كل آدمي في التوحيد خاصة، وسيسأله عنها وبها تقوم الحجة عليه، ولو لم ينبهه أحد، ولو لم ير إلا نفسه، فجعل فيه فؤادًا يعقل الظلم والشرك وكفر النعمة، وهو مسئول عنه، وبث له أدلة التوحيد في
=

الأنفس وفي الآفاق، ففي كل شيء له آية؛ تدل على أنه الواحد، وأخرجه من صلب آدم وأخذ عليه الميثاق- وهو يعقل- ألا يشرك بالله شيئًا، وجعله يولد على التوحيد والحنيفية والإسلام، وجعل معه ملكًا ينهاه عن الشرك كلما أمرته الشياطين به، فهل يقال بعد ذلك: لم تقم عليه الحجة! والله يقول للرسل في شأن التوحيد: (فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ)، وقال: (رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ).

- فجعل مهمتهم التذكير والإنذار والتبشير، لئلا يجادل أحدٌ بعد بعثتهم، ويطول لسانه، وهم حجةٌ بعد حجة، كحديث: (من أتت عليه ستون سنة، فقد أعذر الله إليه في العمر).

- وسئل: هل صحيح أن من مات على التوحيد وإن لم يعمل بمقتضاه وأول مقتضى التوحيد إقامة الصلاة، هل يكفر ويخلد مع الكافر الخالد في نار جهنم أم لا؟ فقال: (السلف فرقوا بين الإيمان وبين العمل؛ فجعلوا العمل شرط كمال في الإيمان، ولم يجعلوه شرط صحة خلافًا للخوارج). (م ٤/ ٥٢).

- وهذا هو الإرجاء الغالي الذي ذمَّه السَّلف وحذروا منه.

- وقال: (نحن نأخذ القاعدة ونستريح: الكفر المخرج عن الملة يتعلق بالقلب، لا يتعلق باللسان).

- وسئل عن حد الإعراض عن دين الله الذي يكفر صاحبه، ومعنى قوله: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ)؟ فقال: (إن الآية تعني بصراحتها الإعراض القلبي، وليس فقط الإعراض العملي؛ فهي تعني الكفر الاعتقادي). الموسوعة (٥/ ٦٧٨ و٧٠٦).

- وقال: (لا يكفر المسلم ما دام لم يظهر منه المعاندة للنصوص، وإنما عنده وجهة نظر هو مخطئ عندنا بلا شك، لكنه لم يتبين لنا أنه تبين له الحقّ ثم **جحده**، كما هي طبيعة الكفار الذين كفروا بالقرآن الكريم وأخبرنا رب العالمين عنهم بقوله: (وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا). الذي يستيقن الحق ثم يحيد عنه فهو الكافر، أما الذي لم يتبين لنا أنه تبين له الحق فنحن نضلله، نبين أنه ضل سواء السبيل، لكن ما نكفره، ولا نخرجه عن دائرة الإسلام). الهدى والنور (٥٨٢/ ٠٧: ٤٢).

- وقال: (الكفر الذي هو الجحد هو الذي يحاسب عليه الإنسان عند الله، ويكون خالدًا مخلدًا في النار). الموسوعة (٥/ ٧٤٩).

- فحصر الكفر في الجحود والعناد فقط، كما هو مذهب الجهمية. مع أنَّ الجاحدين المعاندين هم الأقل عددًا في كفار جميع الأمم.

=

- وقال في الذين لا يعتقدون أن الله عز وجل له صفة العلو: (أنا في اعتقادي **يكونون معذورين كل العذر**). وعلَّل ذلك بقوله: (لأنه لا يعيش في ذلك الجو الإسلامي الذي منه تعلمت الجارية تلك العقيدة الصحيحة). رحلة النور! (٥أ/ ١٨: ٠٦).

- وسئل هل يعذر بالجهل في مسائل الاعتقاد؟ فقال: (أما في بلادنا اليوم يعذر؛ لأنه ليس هناك علماء يبلغون أحكام الله إلى عامة المسلمين). الموسوعة (٥/ ٧٤٤).

- فهو يربط قيام الحجة في أصول الدين بالعلماء فقط.

- وقال في حديث الرجل الذي أمر بتحريق نفسه بعد موته: (إن الله يغفر الكفر أحيانًا، لعلمه بعذر هذا الكافر). الموسوعة (٥/ ٧٦٤).

- مع أن الذي أحرق نفسه لم يكفر عند العلماء الذين يعقلون عن الله أمره، بل كان موحِّدًا، وأن الذي حمله على ذلك: الخوف من الله وليس الكفر بالله، وقد جاء في مسند أحمد (٣٧٨٥) عن أبي وائل، عن عبدالله: (أن رجلًا لم يعمل من الخير شيئًا قط إلا **التوحيد**، فلما حضرته الوفاة، قال لأهله: إذا أنا متُ فخذوني، واحرقوني حتى تدعوني حُمَمة، ثم اطحنوني، ثم اذْرُوني في البحر في يوم راحٍ، قال: ففعلوا به ذلك، قال فإذا هو في قبضة الله، قال: فقال الله عز وجل له: ما حملك على ما صنعت؟ قال: مخافتك، قال: فغفر الله له). اهـ

- وكأني بالرجل لم يقرأ هذه الأحاديث! وهو الذي يَدَّعي أنه عمل بالتصحيح والتضعيف قرابة الخمسين عامًا، فإذا بها قد ذهبت عليه سُدىً دون انتفاع، وكانت مزيد حجة عليه. نعوذ بالله من الحور بعد الكور.

- وسئل: ما موقع العمل من الإيمان؟ وهل هو شرط كمال أم شرط صحة؟ فقال: (الذي فهمناه من أدلة الكتاب والسُّنة ومن أقوال الأئمة من صحابة وتابعين وأئمة مجتهدين، أن ما جاوز العمل القلبي وتعداه إلى ما يتعلق بالعمل البدني؛ فهو شرط كمال، وليس شرط صحة). الموسوعة (٤/ ١٥٥).

- وهذا افتراءٌ منه على الصحابة ومن بعدهم، وسيخاصمونه أمام الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة، إنما هو قول المرجئة الغالية. وهو مأمورٌ باتباع سبيل المؤمنين الذين سبقوه، ولم يُؤمر بأن يجتهد في الواضحات، ويقول: الذي فهمناه!!

- وقال: (الكفر العملي الذي قد يكون كفرًا اعتقاديًا كما قلت في أول جوابك هذا لا بد أن يكون مربوطًا بالكفر الاعتقادي، أما كفر عملي وحكمه كالكفر الاعتقادي، أي: مرتد عن الملة وهو مؤمن بقلبه؛ هذا لا وجود له في الإسلام).

=

- ويبطله اتفاق السَّلف على أن قتل النبي، وإهانة المصحف، وسبَّ الإله، وترك الصلاة؛ كلها كفر بمجرد الفعل أو الترك ولا تحتاج لاعتقاد.
- وقال: (التفريق بين كفر وكفر هو أن ننظر إلى القلب، فإن كان القلب مؤمنًا والعمل كافرًا، فهنا يتغلب الحكم المستقر في القلب على الحكم المستقر في العمل). الموسوعة (٤/ ٤٦٠).
- وقال: (إن الأعمال الصالحة كلها شرط كمال عند أهل السُّنة؛ خلافًا للخوارج والمعتزلة). الموسوعة (٤/ ٣٤٣).
- بل هذا هو عين قول المرجئة، كما سيأتي.
- وقيل له: وردت بعض الآثار عن بعض الأئمة وعن بعض الصحابة؛ كخالد بن الوليد، وبعض الأئمة كالإمام أحمد بكفر شاتم الله أو الرسول واعتبروه كفر ردة، فهل هذا على إطلاقه؟ فقال: (ما نرى ذلك على الإطلاق، فقد يكون السبُّ والشتم ناتجًا عن الجهل وعن سوء التربية، وقد يكون عن غفلة. وأخيرًا: قد يكون عن قصد ومعرفة، فإذا كان بهذه الصورة عن قصد ومعرفة، فهو الردة الذي لا إشكال فيه، أما إذا احتمل وجهًا من الوجوه الأخرى التي أشرتُ إليها، فالاحتياط في عدم التكفير أهم إسلاميًا من المسارعة إلى التكفير).
- فتصور! حتى شاتم الله وشاتم الرسول ﷺ يفتي فيه بهذا، فالمعافى يحمد الله على نعمة العافية في الدين ونعمة العقل.
- وفي سؤالٍ عن حكم من سبَّ الله والدين **ويتكرر منه يوميًا**؟ قال: (هذا يحتاج إلى عصايتين ثلاثة!! ولن يعود مرة أخرى إلى مثل هذه اللفظة الكافرة. أريد أن أقول: هذا من سوء التربية). الموسوعة (٥/ ٦٠٩).
- وقد جمع ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابًا سماه: (الصارم المسلول على شاتم الرسول). وحكى فيه إجماعات كثيرة على كفر شاتم الله وشاتم الرسول ﷺ. وأن حدَّه ضربةٌ بالسَّيف.
- قال عبدالله بن الإمام أحمد في مسائله لأبيه (١٥٥٦): (سألت أبي عن رجلٍ قال لرجل: يا ابن كذا وكذا أنت ومن خلقك؟ قال أبي: هذا مرتد عن الإسلام. قلت لأبي: تُضرب عنقه؟ قال: نعم؛ تضرب عنقه. سمعت أبي يقول فيمن سبَّ النبي ﷺ قال: تُضرب عنقه).
- وروى الخلال في أحكام أهل الملل والردة (١/ ٢٥٥): (عن حنبل، قال: سمعت أبا عبدالله، يقول: كل من شتم النبي ﷺ أو تنقصه، مسلمًا كان، أو كافرًا؛ فعليه القتل). اهـ
- وقال الألباني: (أنا لا أعلم في حدود ما علمت- وفوق كل ذي علم عليم- أن العلماء يفرقون بين الإيمان والتصديق، والنصوص التي تمر بنا وقد ننساها، وذكرنا إحداها آنفًا هي
=

ترادف الإيمان تمامًا، قال تعالى: (ومُصَدِّقًا)- هكذا قرأها الألباني، وهي في القرآن: (وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ)- أي: ومؤمنًا، فأنت إذا أردت أن تقول: مصدقًا لا تعني مؤمنًا، أنت بحاجة إلى نصوص من الكتاب والسُّنة، أو على الأقل إلى نصوص من أقوال أئمة السلف الذين نحن نقتدي بهم). الموسوعة (٤/ ١٧٣).

– وقال: (حقيقةً أنا لأول مرة أسمع التفريق بين التصديق والإيمان). الموسوعة (٤/ ١٧٦). اهـ

– وصدق الحسن البصري حين قال: (أهلكتهم العجمة، يتأولون القرآن على غير تأويله). اهـ

– ويرى أنه يكفي في النجاة من النار التصديق مع القول؛ ففي شرحه لحديث: (من مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله مخلصًا من قلبه؛ حرم الله بدنه على النار) قال: (من قال هذه الكلمة الطيبة بلسانه، ولما يدخل الإيمان إلى قلبه، فذلك لا يفيد شيئًا في الآخرة إلا إذا قالها فاهمًا لمعناها أولًا، ومعتقدًا لهذا المعنى). وقال: (إذا قال المسلم: لا إله إلا الله بلسانه، فعليه أن يضم إلى ذلك معرفة معنى هذا الكلمة بإيجاز ثم بالتفصيل، فإذا عرف وصدَّق وآمن، فهو الذي يصدق عليه تلك الأحاديث). ثم قال: (وهذا أكرره لكي يرسخ في الأذهان، بعد معرفة معناها والإيمان بهذا المعنى الصحيح، ولكنه قد لا يكون قام بمقتضياتها وبلوازمها من العمل الصالح والانتهاء عن المعاصي، فقد يدخل النار كجزاء لما فعل وارتكب من معاصي، أو أخل ببعض الواجبات، ثم تنجيه هذه الكلمة الطيبة، هذا معنى قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: (من قال: لا إله إلا الله نفعته يومًا من دهره). الموسوعة (٢/ ٣٤).

– وكلامه هذا يرد على طوامه السابقة، فهنا يشترط لكي تنفعه كلمة التوحيد أن يفهم معناها ويعتقد ذلك المعنى. وهناك يعذر بالجهل من خالف معناها، ونقض مقتضاها بعبادة الأموات، ويحتج بأنه قال الكلمة! فأين إذًا معناها؟!

– وقال: (إن شهادة أن لا إله إلا الله تُنجي قائلها من الخلود في النار يوم القيامة ولو كان لا يقوم بشيء من أركان الإسلام الخمسة الأخرى كالصلاة وغيرها). الصحيحة (١/ ١٣٠).

– وهذا مخالف لإجماع الصحابة رضوان الله عليهم.

– وعن مسألة خلق القرآن؛ قال: (فخلق القرآن صحيح أنه ضلالة وأنه مذهب المعتزلة ومذهب الخوارج، ولكن ذلك لا يعني أنه يكفر يخرج من الملة). الموسوعة (٥/ ٥٥٩). اهـ

– وهنا خالف أكثر من (٥٥٠) عالمًا من كبار أئمة الإسلام كفروا القائل بخلق القرآن كفر ردة؛ قال ابن القيم في نونيته:

ولقد تقلد كفرهم خمسون في ... عشر من العلماء في البلدان

=

والـلالكـائي الإمـام حكـاه عنـ ـهم بـل حكـاه قبلـه الطـبراني

- وعن الأحزاب الضالة، قال: (أنا أقول في الشيعة وفي الرافضة وهم شر الفرق الضالة: لا نكفرهم بالكوم، يعني: بالجملة، وإنما ندين في كل إنسان بما يُسمع منه. لكن هل نستطيع أن نقول في كل فرد من أفراد الشيعة، سواء كانوا من علمائهم أو طلابهم أو عامتهم؟ الجواب: لا، لا يجوز التكفير بالكوم. أما الأحزاب الإسلامية فهؤلاء لا يجوز أن يصفوا مع بعض الفرق الضالة، هؤلاء لهم مناهجهم ارتضوها لأنفسهم لا نؤيدهم فيها، بل ننصحهم أن ينخلعوا منها؛ لأنها ليست على الكتاب والسنة، لكننا لا نقرنهم مع الفرق الضالة. كذلك البهائية والقاديانية، ومن يعتقد عقيدتهم؛ كمن يعتقد بنقصان المصحف فهو كافر، لكن فردًا فردًا! لا). الموسوعة (٤/ ٢٨٤). اهـ

- ونحن نقول: إن رسول الله ﷺ عامل جميع المشركين بما ظهر منهم؛ ولذا بيَّت رسول الله المشركين بالليل وسبى نساءهم وأولادهم، ثم أين تولى المشركين؟! وأين الكفر بالطاغوت؟! وأين أصول الإسلام كلها؟! زمان كأهله، وأهله كما ترى!!

- وقال: (الإخوان المسلمون وحزب التحرير وجماعة التبليغ؛ فيهم خير لكن فيهم بعد عن الإسلام؛ إما جهلًا وإما تجاهلًا، ولذلك هذه المقولة: (وهي أن الجماعات الإسلامية غير السلفية أشد خطرًا على الإسلام من اليهود والنصارى)؛ فيها خطورة متناهية جدًا؛ لا يجوز أن نطلق هذا الكلام؛ بل لا يجوز أن نضللهم). سلسلة الهدى والنور، شريط رقم: (٧٥٢).

- وسئل: هل الأشاعرة من أهل السُّنة والجماعة؟ فقال: (الجواب العدل: هم من أهل السنة والجماعة في كثير، وليسوا من أهل السنة والجماعة في قليل). الهدى والنور شريط رقم: (٢٣٧).

- وقال: (نظام البعث كفر، لكن ما نحكم على كل من كان بعثيًّا بأنه كافر؛ لأنه قد يكون مضلَّلًا وقد يكون جاهلًا). الهدى والنور (٩٥٧).

- وسُئل عن الانضمام إلى الحزب الاشتراكي، فقال: (ذاك الاشتراكي، إن كان انضم إلى ذاك الحزب وعمل معه عن اعتقاد فهو كافر مرتدّ عن دينه، وإن كان عن حاجة وعوز وفقر وليس عن عقيدة فكفرُه كفرًا عمليًّا وليس اعتقاديًّا، هذه القاعدة هي التي يجب تطبيقها). اهـ

- أين الحذر من تولي المشركين، وأين الكفر بالطاغوت؟!

- فأي إرجاء أعظم ممن يعذر المشركين بشركهم ولا يكفر عبّاد القبور، وتاركي الأعمال بالكلية، ومن سبَّ الله ورسوله ﷺ، ومن قال بخلق القرآن، ومن نفى العلو عن الله. بل أي تجهم أعظم من هذا؟!

=

- وأما عن طعنه في علماء الإسلام وأئمة المسلمين:
- فقد قال عن البربهاري: (كان يتمسح في السنة، وفي العقيدة السلفية؛ لكن كثير من أمثال هؤلاء؛ فيه غلو وتطرف). الهدى والنور (٨٧/ ١٤).
- وقال عن الدارمي: (يبدو من كتابه الرد على المريسي أنه مغالٍ في الإثبات). التعليق على التنكيل (١/ ٣٤٩).
- وقال عن ابن بطة: (تجلى لي أن ابن بطة من الحنابلة الذين عندهم شيء من الغلو في إثبات الصفات). الهدى والنور (٨٧).
- وقال عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب: (فيه شيء من الغلو والشدة). الهدى والنور (٢٩٧).
- وقال: (الشيخ محمد بن عبدالوهاب، لم تكن له هذه العناية، لا في الحديث ولا في الفقه السَّلفي، فهو من الناحية المذهبية حنبلي، ومن الناحية الحديثية كغيره، فليس له آثار في الفقه تدلنا على أنه كابن تيمية سلفي المنهج في التفقه في الدين).
- وقال: (مختصر سيرة الرسول ﷺ للشيخ محمد بن عبدالوهاب، لم تكن على منهج علمي، حتى إنه أورد قصة الغرانيق العُلى! وهي قصة تهدم القرآن كله). حياة الألباني (٤٣٢).
- وقصة الغَرانيق العُلى، قد استفاض نقلها بين الأمة، ورواها الثقات عن الثقات، بل ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح. لكن الجاهل المتصدر لا حيلة فيه.
- وقال: (أما الوهابية: فما لي ولها! فأنا أنقدها- أو أنقضها- ربما أشد من غيري، وربما الحاضرون يعلمون ذلك). الهدى والنور (٧١٣). اهـ
- وكل ما سبق قطرة في بحر إرجائه وتجهمه وطوامه العظيمة، فمن هدم قواعد البيت من أصلها؛ هان عليه هدم السقف والجدران، ومن أراد الحقَّ تبيَّن له ذلك، فقد جُمعت أقوال الألباني في العقيدة وحدها فبلغت تسعة أجزاء.
- ورحم الله سفيان الثوري إذ يقول- كما رواه عنه ابن شاهين في شرح مذاهب أهل السُّنة (١/ ٢٧): (اتقوا هذه الأهواء المضلة. قيل له: بيِّن لنا رحمك الله. فقال سفيان: أما المرجئة فيقولون: الإيمان كلام بلا عمل؛ من قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله؛ فهو مؤمن مستكمل الإيمان، إيمانه على إيمان جبريل والملائكة، وإن قتل كذا وكذا، مؤمن وإن ترك الغسل من الجنابة، وإن ترك الصلاة، وهم يرون السَّيف على أهل القبلة). اهـ
- وهذا الأثر في آخره فائدة نفيسة؛ وهي أن المرجئة يرون السَّيف على أهل القبلة، وهذا موافق تمامًا لحال أبي حنيفة، فقد جمع بين الإرجاء والسَّيف، كما تواتر ذلك عنه. وهكذا كل المرجئة.
=

– روى عبدالله بن أحمد في السُّنة، عن أبي إسحاق الفزاري، قال: سمعت سفيان والأوزاعي، يقولان: (إن قول المرجئة يخرج إلى السَّيف). اهـ

– وقال الحميدي: (أخبرت أن ناسًا يقولون: من أقرَّ بالصلاة والزكاة والصوم والحج، ولم يفعل من ذلك شيئًا حتى يموت، ويصلي مستدبر القبلة حتى يموت: فهو مؤمن ما لم يكن جاحدًا، إذا علم أن تركه ذلك فيه إيمانه إذا كان مقرًا بالفرائض واستقبال القبلة. فقلت: **هذا الكفر الصراح**، وخلاف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعلماء المسلمين؛ قال تعالى: (وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ). الآية.

– وقال حنبل: (سمعت أبا عبدالله أحمد بن حنبل يقول: من قال هذا؛ فقد كفر بالله ورد على أمره وعلى الرسول ﷺ ما جاء به عن الله). شرح أصول الاعتقاد (٥/ ٨٨٧).

– وقال إسحاق بن راهويه: (**غَلَت المرجئة** حتى صار من قولهم: إن قومًا يقولون: من ترك الصلوات المكتوبات وصوم رمضان والزكاة والحج، وعامة الفرائض من غير جحود لها: إنَّا لا نكفره، يرجأ أمره إلى الله بعد، إذ هو مقرٌّ. فهؤلاء الذين لا شك فيهم – يعني: في أنهم مرجئة). تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٩٢٩).

– ورحم الله السجزي إذ يقول في رسالته (٤٨٠): (وكل من زعم: أن الإيمان قول مفرد، أو قول ومعرفة، أو قول وتصديق، أو معرفة مجردة، أو تصديق مفرد، أو أنه لا يزيد ولا ينقص؛ **فهو مرجئ، وبعضهم جهمي**). اهـ

– وصدق أبو بكر بن عياش، وقد قال له رجل: يا أبا بكر! من السُّني؟ فقال: (السُّني الذي إذا ذكرت الأهواء لم يتعصب لشيء منها).

فمن تعصَّب للمبتدع بعد الذي بلغه منه، ودافع عنه؛ فليس بسني.

– وفي كتاب الضعفاء وأجوبة الرازي على سؤالات البرذعي (ص٧٥٥) قال أبو زرعة الرازي: (كان أهل الرأي قد افتتنوا بأبي حنيفة، وكُنَّا أحداثًا نجري معهم، ولقد سألت أبا نعيم عن هذا، وأنا أرى أني في عمل! ولقد كان الحميدي يقرأ كتاب الرد، ويذكر أبا حنيفة، وأنا أهم بالوثوب عليه، حتى منَّ الله علينا، وعرفنا ضلالة القوم). اهـ

- والقدرية المبتدعة ضُلَّال، فمن أنكر منهم أن الله يعلم ما يكون قبل أن يكون؛ فهو كافر.

- وأن الجهمية كفار، والرافضة رفضوا الإسلام، والخوارج مُرَّاق[١].

- ومن زعم أن القرآن مخلوق؛ فهو كافر بالله عَزَّوَجَلَّ كفرًا ينقل عن الملة، ومن شكَّ في كُفره ممن يفهم؛ فهو كافر.

- ومن شكَّ في كلام الله فوقف فيه شاكًّا، يقول: لا أدري مخلوق أو غير مخلوق؛ فهو جهمي.

- ومن وقف في القرآن جاهلًا عُلِّم وبُدِّع، ولم يكفّر.

- ومن قال: لفظي بالقرآن (مخلوق)، أو قال: القرآن بلفظي مخلوق؛ فهو جهمي[٢].

---

(١) اكتفى بنص الحديث: (يمرقون من الدين)، وبهذا أجاب الإمام أحمد عندما سُئل عنهم.

(٢) تأمل قوله: (ومن زعم أن القرآن مخلوق...) إلى قوله: (ومن قال: لفظي بالقرآن مخلوق...)، ففيه دليلٌ على أن الجهمية أقسام، وكذلك الشَّاكِّين والمتوقفين فيهم والعاذرين لهم أقسام، وأن الحكم عليهم يختلف باختلاف أحوالهم، ففيهم من يَكْفُر مباشرة دون الحاجة إلى إقامة الحجة، وفيهم من يكون جهله أو توقفه أو شكِّه بسبب خفاء المسألة عليه، ومسألة خلق القرآن ليست كمسألة الشرك بالله في وضوحها؛ والمتوقف في عدم تكفير من قال بخلق القرآن لا يُحكم عليه بالكفر إلا بعد إقامة الحجة، وهذا التفصيل ينفعنا في الحكم على عُبَّاد القبور، وفي الحكم على من عذرهم أو توقف فيهم، فالشرك بالله شركًا أكبر، واتخاذ الأنداد مع الله لا يُعذر فيه أحد البتة؛ لأن الله قد أقام الحجج تلو الحجج على النهي عن ذلك على كل آدمي، أما من لم يُكَفِّر المشرك وهو لم يفعل الشرك، فليست هذه المسألة في وضوحها كوضوح الشرك نفسه، فمن كان لا يرى الفعل شركًا أصالة فهذا لم يكفر بالطاغوت، ولم يعرف الإسلام ولم يدخل فيه، =

ومن كان يُقرُّ بأنه شرك ويبرأ منه ويكفر به، ولكن توقف في تكفير أهله لشبهة عرضت له، فهذا الذي يُتأنى به حتى تقوم عليه الحجة.
- ومسألة تكفير المشرك لها ارتباط بمسألة تولي المشرك التولي المكفِّر، فمن لم يكفره لأنه يتولاه ويغضب له ويحب ظهوره ويعامله معاملة المسلمين فهو كافر مثله، ومن لم يكفره مع أنه يبرأ منه ويبغضه، فهذا الذي تقام عليه الحجة أولًا.
- وهناك تشابه بين الجهمية والقبورية، ومما يدل لذلك:
- ما رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى (١/ ٣٧٩) عن حفص بن حميد، قال: (قلت لعبدالله بن المبارك: على كم افترقت هذه الأمة؟ فقال: الأصل أربع فرق: هم الشِّيعة- وليس الرافضة الذين هم أصل القبورية- والحرورية، والقدرية، والمرجئة... قال: قلت: يا أبا عبدالرحمن! لم أسمعك تذكر الجهمية؟ قال: إنما سألتني عن فرق المسلمين!). اهـ
- وروى الآجري في الشريعة (١٧٥) عن الفضل بن زياد، قال: (سألت أبا عبدالله- الإمام أحمد- عن عباس النرسي، فقلت: كان صاحب سنة؟ فقال: رحمه الله! قلت: بلغني عنه أنه قال: ما قولي: القرآن غير مخلوق، إلا كقولي: لا إله إلا الله! فضحك أبو عبد الله، وسُرَّ بذلك. قلت: يا أبا عبدالله! أليس هو كما قال؟ قال: بلى). اهـ
- فالجهمية كفارٌ كعُبَّاد القبور باتفاق المسلمين، لكن عاذر الجهمية وعاذر المشركين ليسوا نوعًا واحدًا؛ منهم من يعذر النوع ولا يسميه شركًا، ومنهم من يعذر المعين، ومنهم... ومنهم... وكلٌّ له حُكمه، فليس عاذر المشرك- في وضوح المسألة- كالمشرك نفسه الذي لا يُتوقف فيه، وتكون المسألة على التفصيل الذي ذكره أبو زرعة وأبو حاتم في المتن، وقد نقلا إجماع العلماء على ذلك.
- ومما يزيد الأمر وضوحًا ما جاء في طبقات الحنابلة (١/ ٢٨٧) عن أبي حاتم الرازي، قال: (من زعم أن القرآن مخلوق مجعول فهو كافر كفرًا ينتقل به عن الملة، ومن شكَّ في كفره ممن يفهم ولا يجهل فهو كافر، ومن كان جاهلًا عُلِّم، فإن أذعن للحق بتكفيره وإلا ألزم الكفر). اهـ
- وقال البخاري في خلق أفعال العباد (١/ ٣٣): (نظرت في كلام اليهود والنصارى والمجوس، فما رأيت أضل في كفرهم- أي: الجهمية- منهم، وإني لأستجهل من لا يكفرهم إلا من لا يعرف كفرهم). وكذا ذكرها ابن تيمية في مجموع الفتاوى ونسبها لأبي عبيد القاسم بن سلَّام.
- وفي الحجة في بيان المحجة (١/ ٤٢٤): (قال أحمد بن منيع: من زعم أن القرآن مخلوق؛ فهو جهمي، ومن وقف فيه- أي: في القرآن أو في الحكم على الجهمي- فإن كان ممن لا يعقل، مثل
=

قال أبو محمد[1]: وسمعت أبي؛ يقول: وعلامة أهل البدع: الوقيعة في أهل الأثر[2].

وعلامة الزنادقة: تسميتهم أهل السُّنة حَشْوية[3]؛ يريدون إبطال الآثار.

البقَّالين والنساء والصبيان؛ سُكِت عنه وعُلِّم، وإن كان ممن يفهم؛ فَأَجْرِهِ في وادي الجهمية، ومن قال: لفظي بالقرآن مخلوق؛ فهو جهمي). اهـ

- وفيه (١/ ٢٤٠) قال أبو الشيخ الأصبهاني: (من شك في كفر من قال: القرآن مخلوق بعد علمه، وبعد أن سمع من العلماء المرضيين ذلك؛ فهو مثله). اهـ

- وعليه؛ فمن عَذر عُبَّاد القبور المعينين، أو توقف في تكفيرهم؛ فإن كان ممن يفهم الأمر فهو كافر، وإن كان ممن لا يفهم ولا يعقل عُلِّم، فإن أصرَّ كفر. وهذا دليل على أن الفتوى المشهورة الآن بالتفصيل بين العابد للوثن والعاذر له، لها أصل صحيح من كلام السَّلف.

- قال الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب في كتابه: أوثق عُرى الإيمان (ص٣٧): (إن كان شاكًّا في كفرهم - أي: عباد القبور - أو جاهلًا بكفرهم؛ بُيِّنت له الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على كفرهم، فإن شكَّ بعد ذلك أو تردد؛ فإنه كافر بإجماع العلماء على أن من شكَّ في كفر الكفار فهو كافر). اهـ

(١) هو: عبدالرحمن ابن أبي حاتم.

(٢) قال أحمد بن سنان القطان: (ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو يبغض أهل الحديث، فإذا ابتدع الرجل؛ نزعت حلاوة الحديث من قلبه). اهـ

- وهذا هو سبب وقيعتهم في أهل الحديث والأثر؛ لأنهم يعلمون أنه لن يبطل بدعتهم مطلقًا إلا أهل التوحيد والسنة. أما أهل البدع الآخرون، فإنهم - ولو ردوا عليهم - إلا أنهم يجترؤن عليهم لعلمهم بمخازيهم، وكلهم أهل دنيا لا يبلغ ما بينهم أن يصل إلى العداوة في الله أو البغض في الله.

(٣) قال ابن الصلاح: فتح الشين غلط، وإنما هو بالإسكان.

وفي اللسان (٣/ ١٨٠): (الحشو من الكلام: الفضل الذي لا يعتمد عليه، وكذلك هو من الناس، وحشوة الناس: رذالتهم. وفلان من حشوة بني فلان بالكسر: أي من رذالهم). اهـ

=

- والزنادقة أردوا بهذه التسمية: أن أهل السُّنة من العامة الذين هم حشو الناس، ورذالتهم وجمهورهم، وأنهم ليسوا من الأعيان والمتميزين. وسبب تسميتهم أهل السُّنة بذلك؛ لأنهم أهل حديث وأثر؛ رواية ودراية، يقفون عند ما صحَّ من النصوص، ولا يتكلمون بالرأي والهوى، ولا يتكلمون في دين الله إلا بـ (حدثنا) و(سمعنا).

- روى الحاكم في معرفة علوم الحديث (ص٣٥) عن أبي نصر أحمد بن سلام الفقيه، أنه قال: (ليس شيء أثقل على أهل الإلحاد ولا أبغض إليهم من سماع الحديث وروايته بالإسناد).

ثم قال الحاكم: (وعلى هذا عهدنا في أسفارنا وأوطاننا؛ كلُّ من يُنسب إلى نوع من الإلحاد والبدع لا يَنظر إلى الطائفة المنصورة إلا بعين الحقارة ويسميها الحشوية). اهـ

- فعند الرافضة كل من لم يقل بإمامة عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد رسول الله ﷺ فهو حشوي.

- وعند المعتزلة كل من أثبت الصفات، وأثبت القدر فهو حشوي.

- وعند الأشاعرة والماتريدية كل من أثبت الصفات ولم يؤولها ويصرفها عن ظاهرها فهو حشوي.

- والخوارج أيضًا يسمون أهل السُّنة: نابتة وحشوية- كما ذكره الإمام أحمد- لأنهم لا يرون السيف على أمة محمد ﷺ.

- ومن ألقاب الزنادقة المعاصرة لأهل السُّنة: علماء الحيض والنِّفاس، وزوامل أسفار، وأصحاب الكتب الصفراء- أي: كتب الآثار-. وهم بذلك يقتفون آثار عمرو بن عبيد الملعون؛ ففي الكامل لابن عدي (٥/ ١٠٣) قال إسماعيل: (حدثني اليسع قال: تكلم واصل- هو ابن عطاء رأس المعتزلة- يومًا فقال عمرو بن عبيد: ألا تسمعون؟ ما كلام الحسن وابن سيرين عند ما تسمعون، إلا خرقة حيضة مطروحة).

- وقالها الخميني- زعيم الروافض- في كتابه الحكومة الإسلامية، حيث قال عن أهل السنة: (علماء الحيض والنفاس)، وتلقفها الزنادقة منه.

- وفي طبقات الحنابلة (١/ ٣٨) قال أحمد بن الحسن لأحمد بن حنبل: (يا أبا عبدالله! ذكروا لابن أبي قُتيلة بمكة أصحاب الحديث؛ فقال: أصحاب الحديث قوم سوء، فقام أبو عبدالله وهو ينفض ثوبه، وقال: زنديق زنديق زنديق! ودخل البيت).

- ويقال: إن أول من نطق بهذه الكلمة- أي: حشوية- هو عمرو بن عبيد الملعون، فكان يطعن على الصحابة، ويقول: كان ابن عمر حشويًا. قال ابن العماد في (شذرات الذهب) في ترجمته: (وكانت له جرأة، فإنه قال عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هو حشوي). اهـ

=

وعلامة الجهمية: تسميتهم أهل السُّنة مشبِّهة(١).

ثم خليفته في ذلك: الجاحظ؛ لما استأذن عليه ابن أبي داود- صاحب قصيدة الحائية الشهيرة- قال: (من أنت؟ قال: رجل من أصحاب الحديث، فقال: أما علمت أني لا أقول بالحشوية).

- والحقيقة هم أولى الناس بهذا الوصف؛ قال ابن القيم في نونيته:

تدرون من سمَّت شيوخكم بهـ ... ذا الاسم في الماضي من الأزمان

سمى به عمرو لعبدالله ذا ... ك ابن الخليفة طارد الشيطان

فورثتموا عمرًا كما ورثوا لعبد ... الله أنى يستوى الإرثان

تدرون من أولى بهذا الاسم وهـ ... ـو مناسب أحواله بوزِان

من قد حشى الأوراق والأذهان مِن ... بدع تخالف موجب القرآن

هذا هو الحشوى لا أهل الحديـ ... ـث أئمة الإسلام والإيمان

(١) هذه علامة الجهمية: سواء الذكور منهم، أو الإناث وهم الأشاعرة الذين هم جهمية في أقوالهم، ويزعمون السُّنة بأقلامهم وألسنتهم؛ قال ابن حجر في فتح الباري (٣/ ٣٠) في شرحه الحديث: (ينزل ربنا إلى السماء الدنيا) قال: (وقد اختُلف في معنى النزول على أقوال: فمنهم من حمله على ظاهره وحقيقته، وهم المشبِّهة تعالى الله عن قولهم). اهـ

- وسبب تسميتهم أهل السُّنة بالمشبهة؛ لأنهم يثبتون الأسماء والصفات كما وردت مع اعتقاد أن الله ليس كمثله شيء، والإيمان بمعناها وعدم السؤال عنها بكيف. وبعضهم يسميهم بالمجسمة، كما هو صنيع النووي في شرحه على صحيح مسلم، والشوكاني في إرشاد الفحول وغيره من كتبه.

- قال قتيبة بن سعيد: (إذا رأيت الرجل يقول- أي: عن أهل السُّنة- المشبِّهة فاحذره؛ فإنه جهمي).

- وقيل لأبي إسحاق ابن شاقلا البزار؛ كما في طبقات الحنابلة: (أنتم المشبهة، فقال: حاشا لله! المشبِّهة الذين يقولون: وجهٌ كوجهي ويدٌ كيدي. فأما نحن فنقول: له وجهٌ كما أثبت لنفسه وجهًا، وله يدٌ كما أثبت لنفسه يدًا، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير، ومن قال هذا فقد سلم).

وعلامة القدرية: تسميتهم أهل الأثر مُجْبِرة[١].
وعلامة المرجئة: تسميتهم أهل السُّنة مخالفة ونُقصانية[٢].
وعلامة الرافضة: تسميتهم أهل السُّنة ناصبة[٣].

---

(١) أي: يقولون بالجبر؛ وهو أن العبد مجبر على أفعاله. وذلك لأن أهل السُّنة يؤمنون بقدر الله وكمال مشيئته وقدرته النافذة، وأن مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله.

(٢) لأن أهل السُّنة يقولون بالاستثناء، وبزيادة الإيمان إلى ما شاء الله، ونقصانه حتى لا يبقى منه شيء.

(٣) أي: أنهم ينصبون العداء لآل البيت؛ لأن أهل السُّنة لا يغلون في آل البيت؛ فوصفوهم بالناصبة.
- وفي طبقات الحنابلة (١/ ٣٥) عند ذكر السُّنة للإمام أحمد برواية الإصطخري- وهي نفسها عقيدة حرب الكرماني- قال: (وقد رأيت لأهل الأهواء والبدع والخلاف أسماء شنيعة قبيحة يسمون بها أهل السُّنة؛ يريدون بذلك عيبهم والطعن عليهم والوقيعة فيهم والإزراء بهم عند السفهاء والجهال:
- فأما المرجئة؛ فإنهم يسمون أهل السُّنة شُكّاكًا. وكذبت المرجئة، بل هم بالشك أولى وبالتكذيب أشبه.
- وأما القدرية؛ فإنهم يسمون أهل السُّنة والإثبات: مجبرة. وكذبت القدرية، بل هم أولى بالكذب والخلاف، أَنِفوا قدرة الله عز وجل على خلقه، وقالوا: ليس له بأهل تبارك وتعالى.
- وأما الجهمية؛ فإنهم يسمون أهل السنة: المشبهة. وكذبت الجهمية أعداء الله، بل هم أولى بالتشبيه والتكذيب افتروا على الله عز وجل الكذب، وقالوا الإفك والزور وكفروا بقولهم.
- وأما الرافضة؛ فإنهم يسمون أهل السنة: الناصبة. وكذبت الرافضة، بل هم أولى بهذا لانتصابهم لأصحاب رسول الله ﷺ بالسب والشتم، وقالوا فيهم بغير الحق ونسبوهم إلى غير العدل كفرًا وظلمًا وجرأة على الله عز وجل واستخفافًا بحق الرسول ﷺ، وهم أولى بالتعيير والانتقام منهم.
- وأما الخوارج؛ فإنهم يسمون أهل السنة والجماعة: مرجئة. وكذبت الخوارج في قولهم، بل هم المرجئة يزعمون أنهم على إيمانٍ وحقٍّ دون الناس، ومن خالفهم كافر.
- وأما أصحاب الرأي؛ فإنهم يسمون أصحاب السنة: نابتة وحشوية. وكذب أصحاب الرأي أعداء الله، بل هم النابتة والحشوية تركوا آثار الرسول ﷺ وحديثه، وقالوا بالرأي وقاسوا الدين بالاستحسان، وحكموا بخلاف الكتاب والسنة، وهم أصحاب بدعة، جهلة ضلال،
=

وكل ذلك من عصيان[١]، ولا يلحق أهل السُّنة إلا اسم واحد[٢]، ويستحيل أن تجمعهم هذه الأسامي.

قال أبو محمد: وسمعت أبي وأبا زرعة يأمران بهجران أهل الزيغ والبدع، ويغلظان في ذلك أشد التغليظ، وينكران وضع الكتب بالرأي

وطلاب دنيا بالكذب والبهتان. رحم الله عبدًا قال بالحق واتبع الأثر وتمسك بالسنة واقتدى بالصالحين، وبالله التوفيق. اللهم ادحض باطل المرجئة، وأوهن كيد القدرية، وأذل دولة الرافضة، وامحق شبه أصحاب الرأي، واكفنا مؤنة الخارجية، وعجل الانتقام من الجهمية).اهـ

– وقال ابن تيمية في الفتاوى (٥/ ١١١): (وقد صنف أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان بن درباس الشافعي جزءًا سماه: (تنزيه أئمة الشريعة عن الألقاب الشنيعة) ذكر فيه كلام السَّلف وغيرهم في معاني هذا الباب وذكر أن أهل البدع كل صنف منهم يُلقب أهل السُّنة بلقب افتراه– يزعم أنه صحيح على رأيه الفاسد– كما أن المشركين كانوا يلقبون النبي ﷺ بألقاب افتروها. فالروافض تسميهم: نواصب، والقدرية يسمونهم: مجبرة، والمرجئة: تسميهم شُكَّاكًا، والجهمية تسميهم: مشبهة، وأهل الكلام يسمونهم: حشْوية ونوابت– أي: الأغمار من الأحداث– وغُثَاءً، وغُثْرًا– الغُثْر: سفلة الناس– إلى أمثال ذلك.

كما كانت قريش تسمي النبي ﷺ تارة مجنونًا وتارة شاعرًا وتارة كاهنًا وتارة مفتريًا. قالوا: فهذه علامة الإرث الصحيح والمتابعة التامة؛ فإن السُّنة هي ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه: اعتقادًا واقتصادًا وقولًا وعملًا؛ فكما أن المنحرفين عنه يسمونهم بأسماء مذمومة مكذوبة– وإن اعتقدوا صدقها بناء على عقيدتهم الفاسدة– فكذلك التابعون له على بصيرة الذين هم أولى الناس به في المحيا والممات؛ باطنًا وظاهرًا... فلابد للمنحرفين عن سنته ﷺ أن يعتقدوا فيهم نقصًا يذمونهم به ويسمونهم بأسماء مكذوبة– وإن اعتقدوا صدقها–. إلى أن قال: ومن حكى عن الناس المقالات، وسماهم بهذه الأسماء المكذوبة– بناء على عقيدته التي هم مخالفون له فيها– فهو وربه، والله من ورائه بالمرصاد، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله). اهـ

– وعلامة الصوفية: تسميتهم أهل السُّنة محجوبين.

(١) هكذا في الأصل. ولعلَّ الأصح: (وكل ذلك عصبية)؛ كما قاله أبو عثمان الصابوني.

(٢) وهو: أصحاب الحديث، أو أهل السُّنة والجماعة.

مـن غـير آثـار[1]، وينهيـان عـن مجالـسة أهـل الكـلام، والنظـر في كتـب المتكلمين، ويقولان: لا يفلح صاحب كلام أبدًا.

---

(١) ففي مسائل الإمام أحمد رواية ابنه صالح (٣/ ٢٥١) عن أبي هريرة التيمي - وكان ثبتًا - قـال: (كنا جلوسًا عند عطاء ونحن نسائله، إذ جاء رجل بصحيفة، فقال: يا أبا محمد! إني مـن أرض شاسعة قليلٌ علماؤها، فأنا أحب أن تكتب لي ما سمعت من أصحاب النبي ﷺ الذي حدثهم به مما أمرهم به ونهاهم عنه ليس في القرآن. قال: فقال لـه عطـاء: وتـرضى بـما قـال أصـحاب رسول الله ﷺ. قال: ومالي لا أرضى! قال: فـإن رسـول الله ﷺ لمـا مـضى اجتمـع أصـحابه، فقالوا: نكتب ما أُمرنا به ونُهينا عنه مما ليس في القرآن، قال: ثم أجمع رأيهم على أن بني إسرائيل إنما تفرقت في الكتب، فلستُ بكاتبٍ لك).
- وفي تهذيب المدونة (١/ ٤١) عن مطرف بن عبـدالله المـديني، قـال: (صـحبت مالكًـا سـبع عشرة سنة، فما رأيته قرأ الموطأ على أحد، وكان يعيب كتابة العلم علينا، ويقول: لم أدرك أحـدًا من أهل بلدنا ولا كان من مضى يكتب. فقيل له: فكيف نصنع؟ فقال: تحفظـون كـما حفظـوا، وتعملون كما عملوا، حتى تتنور قلوبكم، فيغنيكم عن الكتابة، ولقد كره ذلـك عمـر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أي: تدوين السُّنة - وقال: لا يكتب كتاب مع كتاب الله). اهـ
- وقال الخلال: (أخبرني محمد بن أبي هارون أن أبا الحارث حدثهم؛ قال: قـال أبـو عبـدالله - الإمام أحمد -: أهلكهم وضع الكتب؛ تركوا آثار رسول الله ﷺ، وأقبلوا على الكلام).
- وقال: (أخبرني محمد بن أحمد بن واصل المقرئ؛ قال: سمعت أبا عبدالله، وسئل عن الرأي؟ فرفع صوته؛ قال: لا يثبت شيء من الرأي؛ عليكم بالقرآن والحديث والآثار).
- وقال في رواية ابن مشيش: (إن أبا عبدالله سأله رجل؛ فقال: أكتب الرأي؟ فقال: مـا تـصنع بالرأي؟ عليك بالسنن فتعلمها، وعليك بالأحاديث المعروفة).
- وقال عبدالله بن أحمد: (سمعت أبي يقول: هذه الكتب بدعةٌ وضعها).
- وقال إسحاق بن منصور: (سمعت أبا عبدالله يقول: لا يعجبني شيء من وضع الكتب؛ من وضع شيئًا من الكتب؛ فهو مبتدع).
- وقال المروذي: (قال حماد بن زيد: قال لي ابن عون: يا حماد، هذه الكتب تضل).
- وقال الميموني: (ذاكرت أبا عبـدالله خطـأ النـاس في العلـم؛ فقـال: وأي النـاس لا يخطـئ؟ ولاسيما من وضع الكتب؛ فهو أكثر خطأ).
=

- وقال إسحاق: (سمعت أبا عبدالله، وسأله قوم من أردبيل عن رجل يقال لـه: عبـدالرحيم؛ وضع كتابًا. فقال أبو عبدالله: هل أحـد مـن أصـحاب رسـول الله ﷺ فعـل ذا، أو أحـد مـن التابعين؟! وأغلظ وشدد في أمره، وقال: انهوا الناس عنه، وعليكم بالحديث).
- وقال في رواية أبي الحارث: (ما كتبت من هذه الكتب الموضوعة شيئًا قط).
- وقال عبدالله: كان أبي يكره (جامع سفيان) وينكره ويكرهه كراهية شـديدة، ويقـول: (مـن سمع هذا من سفيان؟! ولم أره يصحح لأحد سمعه من سفيان).
- وقال محمد بن يزيد المستملي: (سأل أحمدَ رجلٌ؛ فقال: أكتب كتب الـرأي؟ قـال: لا تفعـل، عليك بالحديث والآثار؛ فقال له السائل: إن ابن المبارك قد كتبها، فقال له أحمد: ابن المبـارك لم ينزل من السماء، إنما أُمرنا أن نأخذ العلم من فوق).
- وقال عبدالله بن أحمد: (سمعت أبي، وذكر وضع الكتب؛ فقـال: أكرههـا، هـذا أبـو حنيفـة وضع كتابًا؛ فجاء أبو يوسف فوضع كتابًا؛ وجاء محمد بن الحسن فوضع كتابًا؛ فهذا لا انقضاء له؛ كلما جاء رجل وضع كتابًا، وهذا مالك وضع كتابًا، وجاء الـشافعي أيـضًا، وجـاء هـذا- يعني: أبا ثور- وهذه الكتب وضعها بدعة؛ كلما جاء رجل وضع كتابًا، وترك حـديث رسـول الله ﷺ وأصحابه؛ ليس إلا الاتباع والسنن وحديث رسول الله ﷺ وأصحابه. وعاب وضـع الكتب، وكرهه كراهة شديدة).
- وقال المروذي في موضع آخر: (قال أبو عبدالله: يضعون البدع في كتـبهم؛ إنـما أحـذر عنهـا أشد التحذير؛ قلت: إنهم يحتجون بمالك؛ أنه وضع كتابًا؟ فقال أبـو عبـدالله: هـذا ابـن عـون والتيمي ويونس وأيوب: هل وضعوا كتابًا؟!).
- وإنكار الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ ينصب على ما في كتب مالك والشافعي وسـفيان وابـن المبـارك رحمهم الله من تدوين رأيهم وتخليده في الكتب، دون ما في كتبهم مـن الـوحي والآثـار، ونَقْـلِ عمل الناس وما عليه الفتوى، ونحو ذلك.
- وفي طبقات الحنابلة (١/ ٣١٤) في ترجمة محمد بن عمران الخياط، قـال ابـن أبي يعـلى: (فـإن اعترض معترض بأن إمامنا أحمد محفوظ عنه النهي عن كتب كلام منصور- أحد القُـصَّاص- والاستماع للقصص بها، قيل: إنما رأى إمامنا أحمد الناسَ لَهِجين بكلامه، قد استهتروا به، حتى دونوه وفصلوه مجالس، يتحفظونها ويلقنونها ويكثرون فيما بينهم دراستها؛ فكره لهـم أن يلهـوا بذلك عن كتاب الله تعالى، ويشتغلوا به عن حفظ السُّنة، وأحكام الملة لا غير). اهـ

=

❐ ❐ ❐

- قال ابن القيم في الطرق الحكمية (١/ ٤٠٢): (ومسألة وضع الكتب: فيها تفصيل، ليس هذا موضعه، وإنما كره أحمد ذلك، ومنع منه: لما فيه من الاشتغال بها، والإعراض عن القرآن والسُّنة، فإذا كانت الكتب متضمنة لنصر القرآن والسنة والذَّبِّ عنهما، وإبطال للآراء والمذاهب المخالفة لهما فلا بأس بها). اهـ

- أو كان كتابًا لشخصٍ معيَّنٍ لكشفٍ شبهةٍ عنده، كما في الكتاب الآتي، حينما أشكل على مسدد بن مسرهد أمر الفتنة وما وقع فيه الناس من الاختلاف في القدر، والرفض، والاعتزال، وخلق القرآن، والإرجاء، كتب إلى الإمام أحمد بن حنبل أن اكتب إليَّ بسنة النبي ﷺ.

اعتقاد الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ

٧٥٤- قال الحافظ أبو الحسين علي بن محمد البردعي[١]:

لما أشكل على مسدد بن مسرهد أمر الفتنة[٢]، وما وقع فيه الناس من الاختلاف في القدر، والرفض، والاعتزال، وخلق القرآن، والإرجاء، كتب إلى الإمام أحمد بن حنبل أن اكتب إليَّ بسنة النبي ﷺ.

فلما ورد الكتاب على الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بكى، وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، يزعم هذا البصري أنه أنفق في العلم مالًا عظيمًا، وهو لا يهتدي إلى سنة النبي ﷺ؛ فكتب إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل في كل زمانٍ بقايا من أهل العلم، يدعون من ضلَّ إلى الهدى، وينهون عن الردى، يحيون بكتاب الله تعالى الموتى، وبسنة النبي ﷺ أهل الجهالة والعمى[٣]، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضالٍّ تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، ينفون

(١) جاء اسمه في عقيدة أحمد رواية الخلال: (أبو بكر أحمد بن محمد البردعي التميمي). وفي طبقات الحنابلة: (أحمد بن محمد التميمي الزرندي).

(٢) يعني في القول بخلق القرآن.

(٣) في أكثر النسخ: (أهل الجهالة والردى).

عن دين الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين[1]، الذين عقدوا ألوية البدع، وأطلقوا عنان الفتنة، مختلفين في الكتاب، يقولون على الله وفي الله- تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا-[2] فنعوذ بالله من كل فتنة مضلة، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا.

أما بعد:

وفقنا الله وإياكم لما فيه رضاه، وجنبنا وإياكم كل ما فيه سخطه، واستعملنا وإياكم بعمل العارفين، والخائفين، فإنه المتولي ذلك.

- وأوصيكم ونفسي بتقوى الله العظيم، ولزوم السُّنة والجماعة، قد علمتم ما حلَّ- يعني- بمن خالفها، وما جاء فيمن اتبعها، فإنه بلغنا عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله تعالى لَيُدْخِلُ العبد الجنة بالسُّنة يتمسك بها**»[3].

- وآمركم أن لا تؤثروا على القرآن شيئًا، فإنه كلام الله عَزَّوَجَلَّ، وما تكلم الله بشيء فليس بمخلوق، وما أخبر به عن القرون الماضية فغير مخلوق، وما في اللوح المحفوظ، وما في المصاحف وتلاوات الناس، وكيف يقرأ وكيفما يوصف؛ فهو كلام الله غير مخلوق، ومن قال: إنه مخلوق؛ فهو كافر بالله العظيم، ومن لم يكفره؛ فهو كافر.

---

(١) وفي طبقات الحنابلة (١/ ٣٤٢): (وتأويل الضالين).

(٢) وفي طبقات الحنابلة (١/ ٣٤٢): (وفي كتابه بغير علم).

(٣) رواه ابن بطة عن عبدالملك بن مسلم اللخمي من أهل الشام؛ قال: (بلغني أن رسول الله ﷺ قال:..)، فذكره.

- ثم بعد كتاب الله: سنة النبي ﷺ والحديث عنه، وعن المهديين أصحاب النبي ﷺ، والتابعين من بعدهم، والتصديق بما جاءت به الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

- واتباع السُّنة نجاة، وهي التي نقلها أهل العلم كابرًا عن كابر.

- واحذروا رأي جهم؛ فإنه صاحب رأي وكلام وخصومات.

فقد أجمع من أدركنا من أهل العلم أن الجهمية افترقت ثلاث فرق:

فقال بعضهم: القرآن كلام الله تعالى، وهو مخلوق.

وقال بعضهم: القرآن كلام الله وسكت؛ وهم الواقفة (الملعونة).

وقال بعضهم: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة.

وكل هؤلاء جهمية يستتابون، فإن تابوا وإلا قتلوا.

وأجمعوا أن مَنْ هذا قولُه؛ فحكمه- إن لم يتب- لم تحل ذبيحته في ردته حتى يتوب، ولا يناكح، ولا يجوز قضاؤه.

- والإيمان: قول وعمل، ويزيد وينقص؛ زيادته إذا أحسنتَ، ونقصانه إذا أسأت.

- ويخرج الرجل من الإيمان إلى الإسلام، فإن تاب رجع إلى الإيمان، ولا يخرج من الإسلام إلا بالشرك بالله العظيم، أو بِرَدِّ فريضة من فرائض الله عَزَّوَجَلَّ جاحدًا بها.

فإن تركها تهاونًا بها وكسلًا؛ فهو في مشيئة الله عَزَّوَجَلَّ إن شاء عذبه، وإن شاء عفا عنه(١).

وأجمعت المعتزلة على أن من سرق حبة فهو في النار، تبين منه امرأته، ويستأنف الحج إن كان حج، وكل هؤلاء الذين يقولون هذه المقالة؛ كفار وحكمهم أن لا يكلموا، ولا تؤكل ذبائحهم حتى يتوبوا(٢).

---

(١) هذا بلا شك في غير الصلاة. أما الصلاة فمن تركها فقد كفر سواء تركها جحودًا أو تكاسلًا؛ وعلى هذا إجماع الصحابة ومن بعدهم.
- قال عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في جمع الصحابة: (لا إسلام لمن لم يصل).
- وقال إسحاق بن راهويه: (قد صحَّ عن رسول الله ﷺ أن تارك الصلاة كافر، وكذلك كان رأى أهل العلم من لدن النبي ﷺ إلى يومنا هذا: أن تارك الصلاة عمدًا من غير عذر حتى يذهب وقتها كافر). اهـ
- وما ذُكر من الخلاف فيها عن بعض الأئمة، فهو عند التحقيق لا يصح، وهو من قبيل المكذوب عليهم أو المُعارض بما هو أقوى منه، وسيأتي بحثٌ مطولٌ في ذلك.
- وقد نقل الخلال في جامعه عشرات الروايات عن أصحاب أحمد كلهم ينقل عنه تكفيره بالترك المجرد.
- وفي السُّنة للخلال (٣/ ٥٧٩ و٥٨٤) عن إسماعيل بن سعيد، قال أحمد: (ولا أكفر أحدًا إلا بترك الصلاة).
- وعن سليمان بن الأشعث قال: (سمعت أبا عبدالله يقول: إذا قال الرجل: لا أصلي؛ فهو كافر).
- وفي طبقات الحنابلة (١/ ٣٤٣) جاءت بعد هذه الفقرة زيادة متتمة للكلام عن المعتزلة، قال: (وأما المعتزلة الملعونة فقد أجمع من أدركنا من أهل العلم أنهم يكفرون بالذنب، ومن كان منهم كذلك فقد زعم أن آدم كان كافرًا، وأن إخوة يوسف حين كذبوا أباهم يعقوب كانوا كفارًا).

(٢) في طبقات الحنابلة (١/ ٣٤٣) هنا زيادة وهي: (وأما الرافضة فقد أجمع من أدركنا من أهل العلم أنهم قالوا: إن عليًّا أفضل من أبي بكر الصديق، وأن إسلام عليّ أقدم من إسلام أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، فمن زعم أن عليًّا أفضل من أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا فقد رد الكتاب والسُّنة؛ لقول الله
=

- ونؤمن بالقضاء والقدر؛ خيره وشره، وحلوه ومره من الله.

- وأن الله خلق الجنة قبل خلق الخلق، وخلق للجنة أهلًا، ونعيمها دائم، فمن زعم أنه يبيد شيء من الجنة؛ فهو كافر. وخلق النار وخلق للنار أهلًا، وعذابها دائم.

- وأن الله يخرج من النار أقوامًا بشفاعة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(١).

- وأن أهل الجنة يرون ربهم لا محالة.

- وأن الله كلم موسى تكليمًا، واتخذ إبراهيم خليلًا.

- والميزان حقٌّ، والصراط حقٌّ، والأنبياء حقٌّ، وعيسى ابن مريم عبدالله ورسوله.

عَزَّوَجَلَّ: (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ) فقدَّم أبا بكر بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يقدم عليًّا، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ولكن الله قد اتخذ صاحبكم خليلًا). يعني نفسه.

ومن زعم أن إسلام عليّ كان أقدم من إسلام أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقد أخطأ؛ لأنه أسلم أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو يومئذ ابن خمس وثلاثين سنة، وعليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يومئذ ابن سبع سنين، لم تجرِ عليه الأحكام والحدود والفرائض). اهـ

(١) وفي السُّنة للالكائي (٥/ ١٩٧) عن حنبل، قال: (قلت لأبي عبدالله- يعني أحمد بن حنبل-: ما يُروى عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الشفاعة؟ فقال: هذه أحاديث صحاح نؤمن بها ونقر، وكل ما رُوي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأسانيد جيدة نؤمن بها ونقر، قلت له: وقوم يخرجون من النار؟ فقال: نعم، إذا لم نقر بما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودفعناه؛ رددنا على الله أمره. قال الله عَزَّوَجَلَّ: (وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟). قلت: والشفاعة؟ قال: كم حديث يُروى عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الشفاعة والحوض، فهؤلاء يكذبون بها ويتكلمون، وهو قول صنف من الخوارج، وأن الله تعالى لا يخرج من النار أحدًا بعد إذ أدخله، والحمد لله الذي عدل عنا ما ابتلاهم به).

- والإيمان بالحوض، والشفاعة، (والإيمان بمنكر ونكير، وعذاب القبر)، والإيمان بملك الموت وأنه يقبض الأرواح، ثم ترد في الأجساد في القبور، فيسألون عن الإيمان والتوحيد.

- والإيمان بالنفخ في الصور- والصور قرن ينفخ فيه إسرافيل-.

- وأن القبر الذي بالمدينة هو قبر النبي (محمد) ﷺ، معه أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

- (وقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن عَزَّ وَجَلَّ).

- والدجال خارج في هذه الأمة لا محالة، وينزل عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ من السماء فيقتله بباب لُدٍّ.

- وما أنكرت العلماء من أهل السُّنة (من الشُّبهة) فهو منكر.

- واحذروا البدع كلها.

- ولا عين تطرف بعد النبي ﷺ خيرًا من أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولا بعد أبي بكر عين تطرف خيرًا من عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولا بعد عمر عين تطرف خيرًا من عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولا بعد عثمان بن عفان عين تطرف خيرًا من علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ:

هم والله الخلفاء الراشدون المهديون.

- وأن نشهد للعشرة أنهم في الجنة، وهم: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعليّ بن أبي طالب، وطلحة، والزبير،

وسعد، وسعيد، وعبدالرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجـراح رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، فمن شهد له النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ (بالجنة) يُشهد بأن له الجنة[1].

---

(١) قال الخلال في السُّنة (٢/ ٣٥٥): الشهادة للعشرة بالجنة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ. ثم قال: (أخبرني محمد بـن الحسن بن هارون، قال: سألت أبا عبدالله عن الشهادة للعشرة، قال: نعم أشهد للعشرة بالجنة. وقال: حُجَّتُنا في الشهادة للعشرة أنهم في الجنة؛ حديث طارق بن شهاب، قال: لما صـالح أبـو بكر أهل الردة، قال: صالحهم على حربٍ مُجْلِية أو سِلْمٍ مُخزية؟ قال: قالوا: قد عرفنا ما الحـرب المجلية، فما السلم المخزية؟ قال: أن تشهدوا أن قتلانا في الجنة، وأن قتلاكم في النار).

– وقال الخلال: (أخبرنا أبو بكر المروذي في هذه المسألة، قال: قلت لأبي عبدالله: إن ابن الهيثم المقرئ قد حُكِي عنه أنه قال: لا أشهد للعشرة أنهم في الجنة، قال: لم يُذاكرني بشيء، قلـت لـه: أفلا يجانب صاحب هذه المقالة؟ قال: قد جفاه قوم، وقد لَقِي أَذًى).

– وقال محمد بن يحيى الكحال: (سألت أبا عبـدالله عمـن لا يـشهد لأبي بكـر وعمـر وعـثمان بالجنة؟ فقال: هذا قول سوء، وقد كان عندي منذ أيام من هو ذا يُخبِر عنـه بهـذا، ولـو علمـتُ لجفوتُه، قلت له: ابن الهيثم؟ قال: نعم، قد أخبروني أنه وضـع في هـذا كتابًـا، وقـال: والله مـا رضي أبو بكر الصديق من أهل الردة حتى شهدوا أن قتلانا في الجنة، وقتلاهم في النار).

– وقال أبو بكر الأثرم: (سمعت أبا عبدالله ونحن على باب عفان، فذكروا الشهادة للذين جاء عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنهم في الجنة، فقال أبو عبدالله: نعم نـشهد، وغلَّـظ القـول عـلى مـن لم يـشهد، واحْتَجَّ بأشياء كثيرة، واحْتُجَّ عليه بأشياء فغضب، حتى قال: صبيان نحن! ليس نعـرف هـذه الأحاديث، واحْتُجَّ عليه بقول عبدالرحمن بن مهدي، فقال: عبدالرحمن بن مهدي من هو؟ أي مع هذه الأحاديث).

– قال الخلال: (وأخبرنا أبو بكر المروذي، قال: قال أبو عبدالله في المسألة، وقوم يحتجون بـابن الحنفية، أنه قال: لا أشهد لأحد، ويحتجون بالأوزاعي. قال أبو عبـدالله: واحتججـت علـيهم بحديث ابن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس: أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: (اسْكُن حراء، فـما عليـك إلا نبي وصديق وشهيد). واحتججت بحديث أبي عثمان، عن أبي موسى: (افتح له الباب، وبَشِّرْه بالجنة). وذكر الأحاديث في ذلك).

– قال الخلال: (وأخبرنا أبو بكر المـروذي في هـذه المـسألة؛ أنـه قـال لأبي عبـدالله: قـال ابـن الدورقي: في حديث عبدالله بن ظالم شيء. قال أبو عبدالله: قال لكم: لا أقـول: إنهـم في الجنـة =

- ورفع اليدين في الصلاة زيادة في الحسنات.
- والجهر بآمين عند قول الإمام: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[(١)].
- والدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، ولا يخرج عليهم بالسيف.
- ولا يقاتل في الفتنة.
- ولا يتألى على أحد من المسلمين؛ أن يقول: فلان في الجنة، وفلان في النار إلا العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة[(٢)].

ولا نشهد؟ هذا كلام سوء. قال أبو عبدالله: علي ابن المديني قدم إلى ههنا وأظهر هذا القول، وتابعه قوم على ذا، فأنكرنا ذلك عليهم، وتابعني أبو خيثمة، وقلنا: نشهد).
- وأخبرنا محمد بن علي أبو بكر، أن يعقوب بن بختان حدَّثهم في هذه المسألة، قال أبو عبدالله: (وقال النبي ﷺ: أشهد على عشرة من قريش أنهم في الجنة. فقيل له: إن رجلًا يقول: هم في الجنة ولا أشهد. فقال: هذا رجل جاهل، أي: أيش الشهادة إلا القول).
- وقال أبو عبدالله: (وأشهد أن أبا لهب في النار، هم لا يقولون: أبو لهب في النار! ليس في أبي لهب حديث أنه في النار، هو في الكتاب، ونحن نشهد أن أبا لهب، وأبا جهل في النار).
- وعن مثنى الأنباري أنه قال لأبي عبدالله: (رجل مُحَدِّث يُكتب عنه الحديث، قال: من شهد أن العشرة في الجنة؛ فهو مبتدع، فاستعظم ذلك وقال: لعلَّه جاهل لا يدري، يقال له). اهـ
- وقد ذكر الخلال في كتابه السُّنة آثارًا كثيرة في هذا المعنى.

(١) قد تأتي مسائل من فروع الأحكام في عقائد أهل السُّنة، وإنما ذكروها لكونها صارت شعارًا لأهل السُّنة، وخالفهم فيها أهل البدع والرأي.

(٢) بل قد ثبت عن النبي ﷺ الشهادة بالجنة لغير هؤلاء العشرة، كالحسن، والحسين، وثابت بن قيس بن شماس، وعكاشة بن محصن، وعبدالله بن سلام، وآل ياسر، وبلال بن رباح، وجعفر ابن أبي طالب، وزيد بن حارثة، وعبدالله بن رواحة، وفاطمة بنت الرسول ﷺ، وخديجة بنت خويلد، وجميع زوجات النبي ﷺ، وغيرهم كثير.
- وأما الشهادة بالنار، فنشهد لمن شهد لهم الكتاب والسُّنة بأنهم من أهل النار، كأبي لهب بن عبدالمطلب، وامرأته أم جميل أروى بنت حرب وغيرهما ممن ثبت في حقهم ذلك.

=

- وأن الله تعالى سميع عليم؛ نصف الله بما وصف به نفسه، وننفي عن الله عَزَّوَجَلَّ ما نفاه عن نفسه.

- واحذروا الأهواء والجدال والخصومات لأصحاب الأهواء.

- والكفّ عن مساوئ أصحاب رسول الله ﷺ وتحدثوا بفضائلهم، وأمسكوا عما شجر بينهم.

- ولا تشاور أحدًا من أهل البدع في دينك، ولا ترافقه في سفرك.

- ولا نكاح إلا بولي، وخاطب وشاهدي عدل.

- والمتعة حرام إلى يوم القيامة[1].

- والصلاة خلف كل بار وفاجر: (صلاة الجمعة) وصلاة العيدين[2].

ولهذا فالصحيح أن يقال: إن الشهادة بالجنة أو بالنار تكون لمن شهد له الكتاب والسنة بذلك- كما قاله الإمام أحمد قبل قليل- ولعلَّ مقصوده التشديد في أمر الجزم بالشهادة لأحدٍ- حتى المقتول بأيدي الكفار في أرض المعركة- بجنةٍ أو بنارٍ غير ما ثبت فيه النص.

- ولا يدخل في التألي على الله مَنْ شهد لمشرك مات على شركه ظاهرًا بالنار، كما شهد الصحابة بذلك، لقوله تعالى: (مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ). متى تبيَّن لنا؟ لما ماتوا على شركهم في الظاهر.

(١) وفي طبقات الحنابلة (١/ ٣٤٥) هنا زيادة وهي: (ومن طلق ثلاثًا في لفظ واحد؛ فقد جهل وحرمت عليه زوجته، ولا تحل له أبدًا حتى تنكح زوجًا غيره).

(٢) الصلاة جائزة خلف السُّلطان أو الأمير الخاص- أمير البلد أو الجهاد أو الحج- وكذلك إذا لم يكن في القرية إلا جمعة واحدة، أو إذا كان تركها مع إمام يؤدي إلى ترك صلاة الجمعة بالكلية- فهذه المسألة محل إجماع بين العلماء وهي سُنَّةٌ ماضية، سواء كان السلطان فاسقًا أو صاحب بدعة لا تخرجه عن الإسلام أو ابتدع بدعة مكفرة تخرجه عن الملَّة، لأنَّ مصلحة الاجتماع وعدم التفرق عن الأمير، أعظم من ترك الصلاة خلفه لفسقٍ أو فجورٍ أو كفرٍ. والخلاف مع الأئمة كله شرٌّ كما قاله ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

=

– وفي سنن الدارقطني عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (الصلاة واجبة عليكم مع كل مسلم، برًّا كان أو فاجرًا، وإن عمل بالكبائر، والجهاد واجب عليكم مع كل أمير، برًّا كان أو فاجرًا، وإن عمل الكبائر).

– وروى البخاري في صحيحه، أن النبي ﷺ قال: (يصلون لكم، فإن أصابوا فلكم ولهم، وأن أخطأوا فلكم وعليهم).

– وقال البربهاري في شرح السنة (١١٨): (ومن ترك صلاة الجمعة والجماعة في المسجد من غير عذر فهو مبتدع، والعذر كمرض لا طاقة له بالخروج إلى المسجد، أو خوف من سلطان ظالم، وما سوى ذلك فلا عذر له). اهـ

– وقال ابن زمنين في أصول السُّنة (ص٧١): (باب: في الصلاة خلف الولاة. ثم قال: ومن قول أهل السُّنة: أن صلاة الجمعة والعيدين وعرفة مع كل أمير بر أو فاجر من السُّنة والحق، وأنّ من صلى معهم ثم أعادها فقد خرج من جماعة من مضى من صالح سلف هذه الأمة، وذلك أن الله تبارك وتعالى قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَ﴾). وقد علم جلَّ ثناؤه حين افترض عليهم السعي إليها وإجابة النداء لها أنه يصليها بهم مِن مجرمي الولاة وفساقها من لم يجهله، فلم يكن ليفترض على عباده السعي إلى ما لا يجزيهم شهوده ويجب عليهم إعادته، وقضاتهم وحكامهم ومن استخلفوا على الصلاة، والصلاة وراءهم جائزة).

– ثم ساق الآثار الدالة على ذلك منها: عن عبدالملك أنه قال في تفسير ما جاءت به الآثار وأن الصلاة جائزة وراء كل بر وفاجر: (إنما يراد بذلك الإمام الذي تؤدى إليه الطاعة؛ لأنه لو لم تكن الصلاة وراءه جائزة أو وراء من استخلف عليهم، وخلفائهم؛ لأدى ذلك إلى سفك الدماء واستباحة الحريم وتفتح الفتن. فالصلاة وراءهم جائزة؛ الجمعة وغيرها ما صلوا الصلاة لوقتها، ومن عُرف منهم ببعض الأهواء المخالفة للجماعة مثل الإباضية والقدرية فلا بأس بالصلاة خلفه أيضًا). قال عبدالملك: وهو الذي عليه أهل السُّنة.

– وعن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال: (صلوا خلف كل إمام بر أو فاجر) يعني الولاة.

– وعن سوار بن شبيب قال: (حج نجدة الحروري في أصحابه فوادع ابن الزبير فصلى هذا بالناس يومًا وليلة، وهذا بالناس يومًا وليلة، فصلى ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا خلفهما فاعترضه رجل، فقال: يا أبا عبدالرحمن أتصلي خلف نجدة الحروري؟! فقال ابن عمر: إذا نادوا حي على خير العمل أجبنا، وإذا نادوا حي على قتل نفس؛ قلنا: لا، ورفع بها صوته).

=

– وعن الأعمش، قال: (كان كبار أصحاب عبدالله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يصلون الجمعة مع المختار، ويحتسبون بها).
– وعن الحكم بن عطية، قال: (سألت الحسن، فقلت رجل من الخوارج يؤمنا أنصلي خلفه؟ قال: نعم، قد أمّ الناسَ من هو شر منه).
أي: إذا كان ذا سلطان.
– قال ابن زمنين: (وحدثني وهب، عن ابن وضاح، قال: سألت حارث بن مسكين: هل ندع الصلاة خلف أهل البدع؟ فقال: أمّا الجمعة خاصة فلا، وأما غيرها من الصلاة فنعم. قال ابن وضاح: وسألت يوسف بن عدي عن تفسير حديث النبي ﷺ خلف كل بر وفاجر، قال: الجمعة خاصة، قلت: وإن كان الإمام صاحب بدعة؟ قال: نعم، وإن كان صاحب بدعة؛ لأن الجمعة في مكان واحد ليس توجد في غيره). اهـ
– ومثلها الصلاة في مسجدي مكة والمدينة لنفس العِلّة.
– ومما يدلُّ لذلك أيضًا:
أن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ صلى يومًا خلف الوليد بن عقبة عندما كان أميرًا على العراق، وكان شاربًا للخمر، ولم يعلموا بذلك، فصلى بهم الصبح أربع ركعات، ثم التفت إليهم قائلًا: يكفي أم أزيدكم؟ فقال له ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: (يكفي، ما زلنا معك منذ الصبح في زيادة).
– وفي الصحيح: أن عثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لما حُصر ومُنع من أن يؤم الناس، صلى بهم أحد رؤوس الفتنة، فسأل سائل عثمان: إنك إمام عامة، وهذا الذي صلى بالناس إمام فتنة؟ فقال: (يا بن أخي، إن الصلاة من أحسن ما يعمل الناس، فإذا أحسنوا فأحسن معهم، وإذا أساءوا فاجتنب إساءتهم).
– وفي تاريخ المدينة لابن شبة (١٩٧٨) قال عبيدالله بن عدي بن الخيار: (قلت لعثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: ما تقول في الصلاة خلف هؤلاء الذين أحدثوا في الإسلام ما أحدثوا، وحالوا بيننا وبين الصلاة؟ – وعثمان يومئذ محصور – فقال عثمان: صل معهم، فإنك لم تخالفهم في الصلاة).
– وفي السُّنة للخلال، عن يوسف بن موسى، أن أبا عبدالله قيل له: (صلاة الجمعة والعيدين جائزة خلف الأئمة البر والفاجر ما داموا يقيمونها؟ قال: نعم).
– وعن أبي بكر المروذي، أن أبا عبدالله، قال: (قد قلت لابن الكلبي – صاحب الخليفة –: ما أعرف نفسي مذ كنتُ حدثًا إلى ساعتي هذه، إلا أؤدي الصلاة خلفه وأعتدُّ بإمامته، ولا أرى الخروج عليه).

=

- وفي السنن الواردة في الفتن لأبي عمرو الداني (٢/ ٣٩٣) عن صدقة الدمشقي، قال: (قال عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: يكون عليكم أمراء: متابعتهم ضلال، ومفارقتهم في الصلاة والجهاد والحج كفر).

- وقال سفيان الثوري: (يا شعيب! لا ينفعك ما كتبت حتى ترى الصلاة خلف كل برٍّ وفاجر، والجهاد ماض إلى يوم القيامة، والصبر تحت لواء السلطان جار أم عدل. قال شعيب: فقلت لسفيان: يا أبا عبدالله! الصلاة كلها؟ قال: لا، ولكن صلاة الجمعة والعيدين؛ صل خلف من أدركت.

وأما سائر ذلك فأنت مخير، لا تصل إلا خلف من تثق به، وتعلم أنه من أهل السُّنة والجماعة). السنة للالكائي (١/ ١٥٤).

- وقال أحمد- كما في رواية عبدوس بن مالك العطار-: (وصلاة الجمعة خلفه وخلف من ولي، جائزة تامة ركعتين من أعادهما؛ فهو مبتدع تارك للآثار مخالف للسنة، ليس له من فضل الجمعة شيء إذا لم ير الصلاة خلف الأئمة من كانوا برهم وفاجرهم، فالسُّنة أن تصلي معهم ركعتين من أعادهما فهو مبتدع، وتدين بأنها تامة ولا يكن في صدرك من ذلك شك).

- وقد قال بعض السلف- لما لامه بعض الناس على الصلاة خلف الأئمة المبتدعة -:
(إن دعونا إلى الله أجبنا، وإن دعونا إلى الشيطان أبينا).

- وأما إذا وصل الحاكم إلى حدِّ الكفر، فإننا نصلي خلفه ونعيد الصلاة؛ ففي السُّنة لعبدالله (١/ ١٣٠) عن يحيى بن معين أنه يعيد صلاة الجمعة منذ أظهر عبدالله بن هارون المأمون ما أظهر، يعني: القول بأن القرآن مخلوق.

- وفي مسائل أبي داود (١/ ٦٤) قال: (قلت لأحمد أيام كان يصلي الجمعَ الجهميةُ، قلت له: الجمعة؟ قال: أنا أعيد، ومتى ما صليتَ خلف أحد ممن يقول: القرآن مخلوق؛ فأَعِدْ. قلت: وبعرفة؛ قال: نعم).

- وفي السُّنة لعبدالله، قال: (سمعت أبي رَحِمَهُٱللَّهُ يقول: من قال ذلك القول: لا يصلى خلفه الجمعة ولا غيرها؟! إلا أنَّا لا ندع إتيانها، فإن صلى رجل؛ أعاد الصلاة- يعني خلف من قال: القرآن مخلوق-). اهـ

- ومن ترك الصلاة خلف الأئمة وولاة الأمور، فهو إما خارجي أو رافضي أو معتزلي؛ فإن هؤلاء لا يرون الصلاة خلف أحد من أهل القبلة، إلا من كان على هواهم.

=

- والصلاة على من مات من أهل هذه القبلة، وحسابهم على الله تعالى.

- والخروج مع كل إمام خرج في غزو أو حج.

- والتكبير على الجنائز أربع تكبيرات، فإن كبر خمسًا فكبر معه؛ (قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كبِّر، ما كبر إمامك).

- قال أحمد: خالفني الشافعي؛ فقال: إن زاد على أربع تكبيرات أعاد الصلاة، واحتج بحديث رسول الله ﷺ أنه صلَّى على النجاشي فكبر أربعًا.

- والمسح على الخفين للمسافر ثلاثة أيام ولياليهن، وللمقيم يوم وليلة.

- وصلاة الليل والنهار مثنى مثنى، ولا صلاة بعد العيد.

- وإذا دخلت المسجد فلا تجلس حتى تصلي ركعتين تحية المسجد. والوتر بركعة، والإقامة فرادى فرادى.

- قال البربهاري في شرح السُّنة (١٢٢): (ومن قال: الصلاة خلف كل بر وفاجر، والجهاد مع كل خليفة، ولم ير الخروج على السلطان بالسيف، ودعا لهم بالصلاح؛ فقد خرج من قول الخوارج أوله وآخره). اهـ

- وأما آحاد المبتدعة الذين تسلطوا على الإمامة، وكان ترك الصلاة خلفهم لا يؤدي إلى تفويت صلاة الجماعة، أو تفويت الصلاة بمكان لا يوجد غيره مثله كالحرمين؛ فقد تقدَّم كلام السلف في ذلك والتشديد فيه.

وراجع مسألة الصلاة خلف المبتدعة في حاشية الأثر: (٣٥٩).

- وأحبوا أهل السُّنة على ما كان منهم[(١)].

(١) وروى البيهقي في مناقب الشافعي (١/ ٧٧) عن الميموني، قال: (سمعت أحمد بن حنبل، يقول لأبي عثمان- ابن الشافعي-: إني لأحبك لثلاث خلال: أنك رجل من قريش، وأنك ابن أبي عبدالله، وأنك من أهل السُّنة).

- وقال مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لو أن العبد ارتكب الكبائر بعد أن لا يشرك بالله شيئًا، ثم نجا من هذه الأهواء والبدع والتناول لأصحاب رسول الله ﷺ، أرجو أن يكون في أعلى درجة الفردوس مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا، وذلك أن كل كبيرة فيما بين العبد وبين الله؛ فهو منه على رجاء، وكل هوى ليس منه على رجاء؛ إنما يهوي بصاحبه في نار جهنم، من مات على السُّنة؛ فليبشر، من مات على السُّنة؛ فليبشر، من مات على السُّنة؛ فليبشر).

- وقال: (لو أن رجلًا ارتكب جميع الكبائر، ثم لم يكن فيه شيء من هذه الأهواء؛ لرجوت له. من مات على السُّنة؛ فليبشر).

- وقال: (لو لقي الله رجل بملء الأرض ذنوبًا، ثم لقي الله بالسُّنة؛ لكان في الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا). (ذم الكلام للهروي).

- وفي حلية الأولياء لأبي نعيم (٦/ ٣٢٥) عن عبد الله بن نافع، قال: (سمعت مالكًا، يقول: لو أنَّ رجلًا ركب الكبائر كلها بعد أن لا يشرك بالله، ثم تخلى من هذه الأهواء والبدع- وذكر كلامًا- دخل الجنة).

- وفي تاريخ بغداد (١/ ٣٤٨) عن ابن المجاهد المقرئ، قال: (رأيت أبا عمرو بن العلاء في النوم، فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال لي: دعني مما فعل الله بي، من أقام ببغداد على السنة والجماعة ومات؛ نُقِل من جَنَّةٍ إلى جَنَّة).

- وفي ذم الكلام (١٣٣٩) قال الهروي: سمعت أبي، يقول: (جاءت عجوز إلى أبي سعد الزاهد تبكي، فقال: ما لك؟ قالت: ابنٌ لي مات سكران؛ قال لها: ابنك كان يحب أهل السُّنة؟ فقالت: وهل كان يحب غيرهم؟! قال: فأمِّلي له الخير؛ فإن السُّنة سفينة ما حُمِّلت حَمَلت).

- وعن يوسف بن أسباط، قال: (قال سفيان: يا يوسف! إذا بلغك عن رجل بالمشرق صاحب سنة؛ فابعث إليه بالسَّلام، وإذا بلغك عن آخر بالمغرب صاحب سنة؛ فابعث إليه بالسلام؛ فقد قَلَّ أهل السُّنة والجماعة).

=

أماتنا الله وإياكم على الإسلام والسُّنة، (ورزقنا وإياكم اتباع العلم)، ووفقنا وإياكم لما يحب ويرضى.

❐ ❐ ❐

- وفي السُّنة للالكائي، عن الحسن، قال: (يا أهل السُّنة! ترفقوا رحمكم الله؛ فإنكم من أقل الناس). وفي رواية: (إن أهل السُّنة كانوا أقل الناس فيما مضى، وهم أقل الناس فيما بقي).

- وفي حلية الأولياء (٤/ ٢٣٣) عن مغيرة، قال: (كان رجل على حالٍ حسنة، فأحدث أو أذنب ذنبًا، فرفضه أصحابه ونبذوه، فبلغ إبراهيم النخعي ذلك، فقال: تداركوه وعظوه، ولا تدعوه). اهـ

اعتقاد محمد بن عُكَّاشة الكرماني[١]

٧٥٥- وقال محمد بن عُكَّاشة الكرماني[٢]:

(١) ذكر هذه العقيدة بجملتها: ابن البنا في المختار في أصول السُّنة، والطبراني في الأوسط، وأشار إليها ابن الجوزي في الموضوعات، وابن عساكر في تاريخ دمشق. وأشار إسماعيل التيمي في الحجة إلى محمد بن عكَّاشة هذا، وأنه ممن ألفوا في اعتقاد أهل السُّنة والجماعة. وذكرها أيضًا الملطي الشافعي في التنبيه والرد (ص٢٥). وذكرها الحاكم في شعار أصحاب الحديث مطولة، لكنها عن قتيبة بن سعيد شيخ الأئمة أصحاب الكتب الستة؛ بدأها بقوله: (هذا قول الأئمة المأخوذ به في الإسلام والسُّنة: الرضا بقضاء الله، والاستسلام لأمره...)، ثم سردها مع زيادات مفيدة؛ فلعلَّ ابن عكاشة نقلها عن قتيبة، وأضاف إليها الرؤيا- وستأتي-.

(٢) هو: محمد بن عُكَّاشة الكرماني؛ له ذِكرٌ في طبقات المجروحين ممن وضعوا الأحاديث كأبي عِصْمة نوح بن أبي مريم. وهو من الكذَّابين؛ قال سعيد بن عمرو البرذعي: (قلت لأبي زرعة: محمد بن عكَّاشة الكرماني؟ فحرَّك رأسه، وقال: قد رأيتُه، وكتبتُ عنه، وكان كذابًا، وقال: كذاب لا يحسن أن يكذب أيضًا).
- وقال أبو عبدالله الحافظ: (ومنهم- يعني الكذَّابين- جماعة وضعوا الحديث حِسْبَةً- كما زعموا- يدعون الناس إلى فضائل الأعمال؛ مثل أبي عصمة ومحمد بن عكاشة الكرماني).
- وقال سهل بن السّري الحافظ: (قد وضع أحمد بن عبدالله الجويباري، ومحمد بن عكاشة الكرماني، ومحمد بن تميم الفاريابي على رسول الله ﷺ أكثر من عشرة آلاف حديث).
- وقال الحاكم: (حدَّث بنيسابور، وله عجائب).
- وقال الدارقطني: (يضع الحديث).
- وقال أحمد الهروي: (كان يحدث بأحاديث بواطيل، وبلغني أنه مات بكرمان؛ شهد الجمعة فقرأ الإمام على المنبر آية فصعق فمات، وبلغني أنه كان حيًّا إلى سنة خمس وعشرين ومئتين). اهـ
- ولعلَّ الشيخ نصرًا- مؤلِّف الكتاب- لم يعرف حاله، ورأى كلامًا حسنًا فنقله في كتابه.

أصول السُّنة وما اجتمع عليه أهل السُّنة والجماعة؛ مثل: سفيان بن عيينة، ووكيع بن الجراح، ومحمد بن يوسف الفريابي، وشعيب بن حرب، ويزيد بن هارون، وعلي بن عاصم، وعبدالوهاب بن عطاء، وكثير بن هشام، ومحمد بن عمر الواقدي، وداود بن المحبر، وشَبَابة بن سَوَّار(١)، وعبدالعزيز بن أبان، وأبي نعيم الفضل بن دُكين، ويعلى ومحمد ابني عبيد الطنافسي، وعبدالله بن داود الْخُرَيْبِيّ، وقبيصة بن عقبة، وسعيد بن عامر، وزهير بن نعيم البابي، وأزهر بن سعد السّمان، وأبي عبدالرحمن المقرئ، والنضر بن شميل، وأحمد بن خلف الدمشقي(٢)،

---

(١) هو: شَبَابَة بن سَوَّار الفَزَاري، مولاهم أبو عمرو المدائني، أصله من خراسان. قيل: اسمه مروان، وإنما غلب عليه شبابة. ولد في حدود عام ثلاثين ومئة.
- وذكر الخلال في السُّنة عن الأثرم؛ قال: (سمعت أبا عبدالله- الإمام أحمد- وقيل له: شبابة؛ أي شيء تقول فيه؟ فقال: شبابة كان يدعو إلى الإرجاء؛ قال: وقد حُكي عن شبابة قول أخبث من هذه الأقاويل؛ ما سمعت مثله عن أحد؛ قال: قال شبابة: إذا قال فقد عمل؛ قال: الإيمان قول وعمل كما يقولون؛ فإذا قال فقد عمل بجارحته أي بلسانه؛ فقد عمل بلسانه حين تكلم. ثم قال أبو عبدالله: هذا قول خبيث؛ ما سمعت أحدًا يقول به، ولا بلغني).
- وقال: (تركته؛ لم أكتب عنه للإرجاء، قيل له: وأبو معاوية؟ قال: شبابة كان داعية).
- وقال زكريًّا بن يحيى الساجي: (صدوق يدعو إلى الإرجاء، كان أحمد بن حنبل يحمل عليه).
- وقال عبدالرحمن بن خراش: (كان أحمد بن حنبل لا يرضاه، وهو صدوق في الحديث).
- وقال محمد بن سعد: (كان ثقة صالح الأمر في الحديث، وكان مرجئًا).
- وقال أحمد بن عبدالله العجلي: (كان يرى الإرجاء).
- ولهذا فإن إدخال شبابة بن سوار مع الأكابر من صنيع ابن عكاشة.

(٢) وقع اسمه في تاريخ دمشق: (أحمد بن خالد الدمشقي).

والوليد بن مسلم، ومحمد بن عبدالله بـن الحـارث الدمـشقي[١]، وعامـة أصحاب عبدالله بن المبارك، ويحيى بن يحيى، وإسحاق بن راهويه، وأبي عمر الضرير[٢]، ويحيى بن سعيد، وعبدالرحمن بن مهدي رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وهو:

- الرضا بقضاء الله، والتسليم لأمر الله، والصبر على حكمه.
- والأمر بما أمر الله، والنهي عما نهى الله، وإخلاص العمل لله.
- والإيمان بالقدر خيره وشره.
- وترك المراء والخصومات في الدين.
- والمسح على الخفين.
- والجهاد مع كل خليفة[٣].
- وصلاة الجمعة مع كل بار وفاجر.
- والصلاة على من مات من أهل القبلة سُنة.
- والإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص[٤].
- والقرآن كلام الله غير مخلوق.
- والصبر تحت لواء السُّلطان على ما كان فيهم من عدل أو جور.

---

(١) وفي تاريخ دمشق (٩/ ٣٠٠) زيادة: (عبدالرزاق بن همام، وأمية بن عثمان الدمشقي).

(٢) تقدَّمت ترجمته في الحاشية ذات الرقم: (٢٣٧).

(٣) وفي تاريخ دمشق (٩/ ٢٩٩): (والجهاد مع الخليفة، وإن عمل أي عمل).
- وفي شعار أصحاب الحديث عن قتيبة بن سعيد؛ قال: (والجهاد مع كـل خليفـة جهـاد الكفـار، لك جهاده وعليه شرُّه).

(٤) وقال قتيبة بن سعيد في عقيدته: (والإيمان يتفاضل).

- ولا يُخْرَجُ على الأمراء بالسَّيف ولو جاروا[١].
- ولا نُنْزِلُ أحدًا من **أهل القبلة** جنة ولا نارًا.
- ولا نُكَفِّرُ أحدًا من **أهل التوحيد**[٢] وإن عملوا الكبائر.
- والكَفُّ عن مساوئ الصحابة- أصحاب رسول الله ﷺ[٣]-.
- وأفضل الناس بعد رسول الله ﷺ: أبو بكر الصديق، وعمر الفاروق، (ثم عثمان، ثم عليٌّ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

قال محمد بن عكاشة:

أخبرنا معاوية بن حماد الكرماني[٤]؛ قال:

من اغتسل ليلة الجمعة وصلى ركعتين؛ يقرأ فيهما: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» ألف مرة ثم نام؛ رأى رسول الله ﷺ في منامه[٥].

---

(١) وقال قتيبة بن سعيد في عقيدته: (ونتبرأ من كل من يرى السَّيف في المسلمين، كائنًا من كان).

(٢) الشرط في عدم التكفير؛ هو أن يكون من أهل التوحيد.
أما إن كان من أهل الشِّرك وترك الصلاة؛ فإننا نكفره. وقد جاء ذلك مصرحًا كما في شعار أصحاب الحديث (١/ ١٧) عن أبي رجاء قتيبة بن سعيد، قال: (ولا نكفر أحدًا بذنب إلا ترك الصلاة، وإن عمل بالكبائر).

(٣) جاء في البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ١٣٩) عن ابن وهب، عن مالك، عن الزهري، قال: (سألت سعيد بن المسيب عن أصحاب رسول الله ﷺ، فقال لي: اسمع يا زُهري: من مات محبًّا لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وشهد للعشرة بالجنة، وترَّحم على معاوية، كان حقيقًا على الله أن لا يناقشه الحساب). اهـ

(٤) عند الطبراني في الأوسط زيادة: عن الزُّهْري؛ قال: (من اغتسل ليلة الجمعة...)، وذكر الحديث.

(٥) هذا حديث موضوع مكذوب على النبي ﷺ؛ ذكره ابن الجوزي في الأحاديث الموضوعة؛ وقال: (محمد بن عُكَّاشة من أكذب الناس).

=

قال محمد بن عكاشة:

دمت نحوًا من سنتين أغتسل كل ليلة جمعة، وأصلي ركعتين أقرأ فيهما: «قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ» ألف مرة طمعًا أن أرى النبي ﷺ في المنام؛ فأعرض عليه هذه الأصول.

قال محمد بن عكاشة:

فاغتسلت وصليت ركعتين وقرأت فيهما: «قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ» ألف مرة، فلما أخذت مضجعي أصابتني جنابة؛ فقمت الثانية فاغتسلت وصليت ركعتين قرأت فيهما: «قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ» ألف مرة، فلما فرغت منهما كان قريبًا من السَّحَر؛ فاستندت إلى الحائط ووجهي إلى القبلة؛ فدخل عليَّ النبي ﷺ - على النعت والصفة - وعليه بردان مثل هذه البرود اليمانية قد تأزر بواحدة، وارتدى بأخرى فجاء فاستوى على رجله اليسرى وأقام اليمنى.

وذكره ابن عراق في تنزيه الشريعة؛ وقال: (آفته ابن عكاشة).

- والأحاديث التي فيها: (من صلى كذا، أو قرأ كذا؛ رأى النبي ﷺ في المنام)؛ لا تصح، وأسانيدها لا تخلو من كذابين ومجاهيل.

- وقد جاء في فضل قراءة سورة الإخلاص ألف مرة غير هذا؛ منها ما رواه أبو محمد الحسن الخلال في كتابه فضائل سورة الإخلاص، قال: (حدثنا أبو محمد عبدالله بن عثمان الصفار، ثنا أحمد بن محمد المكي، ثنا محمد بن يوسف ابن أخي حجاج بن الشاعر، ثنا يزيد بن هارون، عن حُميد، عن أنسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: (من قرأ «قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ» ألف مرّة كانت أحبَّ إلى الله من ألف فرس مُلْجمَةٍ مُسْرَجةٍ في سبيل الله). اهـ

قال محمد بن عكاشة:

فأردت أن أقول: حياك الله يا رسول الله! فبدأني؛ فقال: حياك الله يا محمد! وكنت أحبُّ أن أرى رباعيته المكسورة؛ فتبسم رسول الله ﷺ فنظرت إلى رَبَاعتيه المكسورة؛ فقلت: يا رسول الله؟ إن الفقهاء قد خلطوا عليَّ، وعندي أصناف من السُّنة فأعرضهن عليك؟ قال: نعم؛ قلت: الرضا بقضاء الله والتسليم لأمره، والأخذ بما أمر الله والنهي عما نهى الله، وإخلاص العمل لله، والإيمان بالقدر خيره وشره، وترك المراء والخصومات في الدين، والمسح على الخفين، والجهاد مع كل خليفة، وصلاة الجمعة مع كل بار وفاجر، والصلاة على من مات من أهل القبلة، والإيمان قول وعمل يزيد وينقص، والقرآن كلام الله غير مخلوق، والصبر تحت لواء السلطان على ما كان فيهم من عدل أو جور، ولا يُخْرَجُ على الأمراء بالسيف وإن جاروا، ولا نُنْزِلُ أحدًا من أهل القبلة جنة ولا نارًا، ولا نُكَفِّرُ أحدًا من أهل التوحيد وإن عملوا الكبائر، والكَفُّ عن مساوئ أصحاب رسول الله ﷺ، وأفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق، وعمر الفاروق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

قال محمد بن عكاشة:

فوقفت عند عليّ وعثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا كأني تهيبت رسول الله ﷺ أن أُفَضِّلَ عثمان على عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا فقلت في نفسي: عليٌّ ابن عمه، وعثمان خَتَنُهُ؛ فتبسم النبي ﷺ كأنه قد علم ما أردت، ثم قال: عثمان ثم عليّ، ثم قال النبي ﷺ هكذا؛ مدَّ يده بها، وضمَّ أصابعه.

قال محمد: عرضت عليه هذه الأصول ثلاث ليال، كل ليلة أقف عند عليّ وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فيتبسم عند وقوفي؛ كأنه قد علم، ثم يقول: عثمان ثم عليّ؛ تمسك بها.

قال محمد: أعرض عليه هذه، وعيناه تهملان؛ فلما أن قلتُ: والكف عن مساوئ أصحابك؛ انتحب حتى علا صوته.

قال محمد بن عكاشة:

وجدتُ حلاوة في فمي؛ فمكثت ثلاثة أيام لا آكل طعامًا، حتى ضعفت عن صلاة الفريضة؛ فلما أكلتُ ذهبت تلك الحلاوة من فمي[١].

٧٥٦- وعن مجاهد:

أنه سأل ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن السُّنة، والسَّلامة، والبدع، والقَدَر؛ فقال: إذا لم تشرك في عبادة الله أحدًا[٢]، ولم تشبهه بخلقه، ولم تُجهِّل الله في

---

(١) روى هذه الرؤيا الطبراني في الأوسط، قال: (حدّثنا محمد بن إبراهيم بن بُكَيْر الطيالسي، قال: سمعت محمد بن عُكَّاشَة الكِرماني...). وذكرها.
- ومن المعلوم أن الرُّؤى لا يؤخذ منها أحكام فضلًا عن العقائد، أما العقيدة التي سبقتها فهي صحيحة، وهي مذهب أهل السُّنة، وتقدَّم أن نفس هذه العقيدة مروية عن قتيبة بن سعيد؛ نقلها عنه الحاكم في شعار أصحاب الحديث.
- وهذه الرؤيا ظاهرها الوضع، ومحمد بن عكاشة اشتهر بالكذب على رسول الله ﷺ يقظة، فكذلك منامًا.

(٢) في هذا دليلٌ على أن التحذير من الشرك والمشركين وتكفيرهم والبراءة منهم يدخل في السُّنة؛ بل هو أول ما يُبدأ به، وليست السُّنة فقط التحذير من أهل البدع، فلا إسلام إلا بالسُّنة ولا سنة إلا بالإسلام.

علمه، ولم تُجوِّره في حُكمه، ولم تُعجِّزه في قدرته، ولم تعادِه في عـترة نبيـه ﷺ ولم تخالفه في أمره ونهيه، ولم تـسب أحـدًا مـن أصـحاب نبيـه ﷺ وأزواجه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وكنت على الدوام مفتقرًا إليه، لا يكره فيك أمرًا، ولا تلتفت إلى سواه أبدًا، ولا تؤثر عليه شيئًا، وكنتَ به راضيًا، وإليه شاكيًا، غنيًا قانعًا؛ فتلك السُّنة الكاملة، والسلامة الشاملة، فإن شئت بعد ذلك إذا أكلت الحلال بالورع قِوامًـا، وتمـسكت بهـذا الأدب سرًّا وجهـرًا أن تمشي على الماء والنار والهواء، أو تـأتي مـن المـشرق إلى المغـرب في طرفـة عين؛ فافعل[1].

❐ ❐ ❐

---

(١) لم أجده بهذا السياق عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
- وأوله مما تواتر معناه عن السَّلف.
- وآخر الأثر المراد منه: أن من لـزم الـسُّنة لا يـضره أظهـرت لـه كرامـات وخـوارق للعـادة وفراسة، أو لم تظهر. وأعظم الكرامة: لزوم الاستقامة.

اعتقاد الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]

٧٥٧- قال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

صفة المؤمن من أهل السُّنة والجماعة:

- من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا ﷺ عبده ورسوله.

- وأقرَّ بجميع ما أتت به الأنبياء والرسل عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ.

- وعقد قلبه على ما أظهر من لسانه، ولم يشك في إيمانه.

- ولم يكفر أحدًا من أهل التوحيد بذنب[٢].

- وأرجأ ما غاب عنه من الأمور إلى الله، وفوَّض أمره إلى الله تعالى.

- ولم يقطع بالذنوب العصمة من الله تعالى.

- وعلم أن كل شيء بقضاء الله وقدره؛ والخير والشر جميعًا.

- ورجى لمحسن أمة محمد ﷺ وتخوف على مسيئهم.

---

(١) هذه رواية محمد بن يونس السرخسي، وهي إحدى بضع روايات عن الإمام أحمد في السُّنة؛ بعضها في طبقات الحنابلة، وبعضها في السُّنة للخلال، وبعضها في الإبانة الكبرى لابن بطة. ولا تغني واحدة منهن عن الأخرى. وجاءت هذه الرواية أيضًا عن محمد بن حبيب الأندراني؛ كما في طبقات الحنابلة.

(٢) إلا من ترك الصلاة؛ فإنه يكفر بذلك، كما نبَّه على ذلك الإمام أحمد كما في مسائل ابن هانئ- وتقدَّم بيان ذلك في الأثر رقم: (٧٥٤) عند التعليق على عقيدة الإمام أحمد بن حنبل-.

- ولم يُنزل أحدًا من أمة محمد ﷺ الجنة بإحسان، ولا النار بذنبٍ اكتسبه، حتى يكون الله تعالى هو الذي يُنزل خلقه حيث يشاء.

- وعرف حقَّ السَّلف الذين اختارهم الله تبارك وتعالى لصحبة نبيه ﷺ.

- وقدَّم أبا بكر الصديق، وعمر بن الخطاب الفاروق، (وعثمان).

- (وعرف حقَّ عليٍّ بن أبي طالب، وطلحة، والزبير، وعبدالرحمن ابن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، على سائر الصحابة رضي الله عنهم، وأن هؤلاء التسعة الذين كانوا مع النبي ﷺ على جبل حراء؛ فقال النبي ﷺ:

«**اسكن حراء؛ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد**». والنبي ﷺ عاشرهم.

- وترحَّم على جميع أصحاب محمد ﷺ صغيرهم وكبيرهم، وحدَّث بفضائلهم وأَمْسَك عما شجر بينهم.

- وصلاة العيدين، والخوف، والجمعة والجماعات مع كل أمير برٍّ أو فاجر.

- والمسح على الخفين في السفر والحضر.

- والقصر في السفر.

- والقرآن كلام الله منزَّل[1]، وليس بمخلوق.

- والإيمان قول وعمل، يزيد وينقص.

---

(١) وفي رواية: وتنزيله.

- والجهاد ماض منذ بعث الله محمدًا ﷺ إلى آخر عصابة يقاتلون الدجال، لا يضرهم جور جائر.

- والشراء والبيع حلال إلى يوم القيامة على حكم الكتاب والسُّنة.

- والتكبير على الجنائز أربعًا.

- والدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، ولا تخرج عليهم بسيفك.

- ولا تقاتل في فتنة والزم بيتك.

- والإيمان بعذاب القبر، والإيمان بمنكر ونكير.

- والإيمان بالحوض، والشفاعة.

- والإيمان بأن أهل الجنة يرون ربهم تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

- وأن الموحِّدين يخرجون من النار بعد ما امتُحشوا.

- كما جاءت الأحاديث في هذه الأشياء عن النبي ﷺ، نؤمن بها ولا نضرب لها الأمثال.

هذا ما اجتمع عليه السلف من العلماء في الآفاق)[1].

٧٥٨- وعن عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«من لم يحسن الوصية عند الموت؛ كان متهمًا في مروءته».

قيل: يا رسول الله! كيف يوصي إذا حضرته الوفاة، واجتمع عليه الناس؟

---

(١) ما بين الأقواس لا يوجد في الأصل، وزدناها من عقيدة أحمد رواية الخلال (١/ ٦٧)، والمقصد الأرشد لابن مفلح (٢/ ٤٠٠)، وطبقات الحنابلة (١/ ٢٩٤).

قال: «**يقول: اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، الرحمن الرحيم، إني أعهد إليك في دار الدنيا، أني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأن محمدًا ﷺ عبدك ورسولك، وأن الجنة حقٌّ، وأن النار حقٌّ، وأن البعث حقٌّ، وأن الحساب حقٌّ، وأن القَدَر حقٌّ، وأن الميزان حقٌّ، وأن الدين كما وضعت، وأن الإسلام كما شرعت، وأن القرآن كما أنزلت، وأنك أنت الحق المبين؛ جزى الله محمدًا ﷺ عنّا خيرًا، وحَيِّ محمدًا ﷺ عنَّا بالسَّلام، اللهم يا غياثي عند كربتي! ويا صاحبي عند شدتي! ويا وليي عند نعمتي! ويا إلهي وإله آبائي! لا تكلني إلى نفسي طرفة عين، فإنك إن وكلتني إلى نفسي طرفة عين؛ أتقرب من الشر وأتباعد من الخير، فآنس في القبر وحشتي، واجعل لي عهدًا يوم لقائك، حتى تغفر لي وترحمني إنك أنت الغفور الرحيم، وتصديق ذلك في كتاب الله** عَزَّوَجَلَّ: «يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا» [طه:١٠٩]. **وقوله**: «لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا» [مريم:٨٧]؛ **فهذا** عهد الميت ووصيته.

وقال النبي ﷺ: «**حقٌّ على كل مسلم؛ حفظ هذه الوصية وتعليمها**»[1].

❒ ❒ ❒

(١) أخرجه الرافعي في التدوين في أخبار قزوين؛ ولا يصح رفعه. وهي وصية حسنة.

اعتقاد بشر بن الحارث رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١)

٧٥٩- قال أبو حفص عمر بن ياسر العطار، وأخرج صحيفة يزعم أنها بخط بشر بن الحارث دفعها إليهم، وقال: تحفَّظوه وتعلَّموه؛ فإنه أصل الإيمان:

- أولها: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبده ورسوله.

- وأقر بما جاءت به الرسل والأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ وعقد قلبه على ما ظهر من لسانه، ولم يشك في إيمانه.

- ولم يكفر أحدًا من أهل التوحيد بذنب.

- وأرجأ ما غاب من الأمور إلى الله، وفوض أمره إلى الله، ولم يقطع بالذنوب العصمة من الله عَزَّوَجَلَّ.

- وعلم أن كل شيء بقضاء الله وقدره، والخير والشر من الله.

- ورجى لمحسن أمة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإحسان عمله، ولا ينزله النار بذنب اكتسبه، حتى يكون الله ينزل خلقه حيث يشاء.

- ويعرف حق السَّلف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ الذين اختارهم الله لصحبة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) هذا الاعتقاد مماثل لاعتقاد أحمد بن حنبل السَّابق.

- وقدَّم أبا بكر الصديق، وعمر الفاروق، وعثمان بن عفان، وعلي ابن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

- وترحَّم على أصحاب النبي ﷺ صغيرهم وكبيرهم، وحدَّث بفضائلهم، وأمسك عما شجر بينهم.

- وصلى الجمعة والعيدين وعرفات مع كل أمير بر أو فاجر.

- والمسح على الخفين في الحضر والسفر.

- وأن يقصر الصلاة في السفر.

- والجهاد ماض منذ بُعث النبي ﷺ إلى آخر عصابة يقاتلون الدجال لا يضرهم جور جائر.

- والقرآن كلام الله عَزَّ وَجَلَّ وتنزيله ليس بمخلوق.

- والبيع والشراء حلال إلى يوم القيامة على حكم السُّنة.

- والإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص.

- والتكبير على الجنائز أربعًا.

- والدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، ولا تخرج عليهم بالسَّيف[1].

---

(١) مع تكرار هذه الجملة في جميع عقائد أهل السُّنة والجماعة، وانعقاد الإجماع عليها؛ إجماعًا بعد إجماع سلفًا وخلفًا، إلا أنه يوجد من يقدح في هذا الإجماع، وينسب الخروج على الأئمة للسلف كذبًا وزورًا؛ كما قاله ابن حجر في تهذيب التهذيب (٢/ ٢٤٩) في ترجمة الحسن بن صالح، قال: (كان يرى السَّيف- أي: كان يرى الخروج بالسَّيف على أئمة الجور- وهذا مذهب للسلف قديم!! لكن استقر الأمر على ترك ذلك؛ لما رأوه قد أفضى إلى أشد منه؛ ففي وقعة الحرَّة ووقعة ابن الاشعث وغيرهما عِظةٌ لمن تدبر). اهـ

=

ثم قال: (وبمثل هذا الرأي لا يقدح في رجل قد ثبتت عدالته واشتهر بالحفظ والإتقان والورع التام). اهـ
- وهذه هي البدعة المسماة بالموازنات. ومعنى الموازنات: وجوب ذكر محاسن أهل البدع عند النقد والتجريح، وأن المبتدع إذا كانت حسناته تغلب سيئاته؛ فالمعول عليه الحسانات ولا عبرة بالسيئات، حتى لو كانت بِدَعًا كِبَارًا، وهذا المنهج أُبتدع لحماية أهل البدع والأهواء.
- وأيضًا صلاة الجمعة خلف الأئمة يرى أنها اجتهادية؛ فقال في الموضع المذكور في اعتذاره ودفاعه عن الحسن بن صالح: (وأما ترك الجمعة؛ ففي جملة رأيه ذلك أن لا يُصلي خلف فاسق، ولا يصحح ولاية الإمام الفاسق؛ فهذا ما يُعتذر به عن الحسن، وإن كان الصواب خلافه؛ فهو إمام مجتهد!!). اهـ
- والمسألة ليست محل اجتهاد، بل هي محل إجماع كما سبق.
- وبمثل هذا الكلام يُهدم الإسلام ويُثلم، حيث يُحفظ قدر الرجال ولا تُحفظ حُرمة الإسلام، فكل من اتبع غير سبيل المؤمنين في المسائل الواضحات تساق له المعاذير! سبحانك هذا بهتان عظيم.
- هذا، وليُعلم أن أهل السُّنة أجمعوا على أن الرجل يخرج من السنة بمخالفة أصلٍ واحدٍ منها:
- قال الإمام الكبير سليمان بن حرب: (من زال عن السُّنة قيد شعرة؛ فلا تعتدن به).
- وقال الإمام أحمد في أصول السنة: (السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقلها ويؤمن بها؛ لم يكن من أهلها).
- وقال حرب الكرماني في عقيدته: (هذا مذهب أئمة العلم وأصحاب الأثر وأهل السُّنة المعروفين بها المقتدى بهم فيها، وأدركت من أدركت من علماء أهل العراق والحجاز والشام وغيرهم عليها، فمن خالف شيئًا من هذه المذاهب أو طعن فيها، أو عاب قائلها؛ فهو مخالفٌ مبتدع، خارجٌ عن الجماعة، زائلٌ عن منهج السُّنة وسبيل الحق).
- وقال ابن بطة في الإبانة الصغرى (ص١٩١): (ونحن الآن ذاكرون شرح السنة ووصفها، وما هي في نفسها، وما الذي إذا تمسك به العبد، ودان الله به سُمي بها، واستحق الدخول في جملة أهلها، وما إن خالفه أو خالف شيئًا منه؛ دخل في جملة من عِبْنَاه وذكرناه وحذرنا منه من أهل الزيغ والبدع).
- وقال البربهاري في شرح السنة (١٢٢): (ولا يحلُّ لرجلٍ أن يقول: فلان صاحب سنة، حتى يعلم أنه قد اجتمعت فيه خصال السنة، فلا يقال له: صاحب سنة حتى تجتمع فيه السنة كلها) .اهـ
=

– وروى ابن أبي الدنيا في الصمت (٥٥٣) عن رافع بن أشرس، قال: (كان يقال: إن من عقوبة الكذاب: أن لا يُقبل صدقه. قال: وأنا أقول: ومن عقوبة الفاسق المبتدع: أن لا تذكر محاسنه).

– وقال السجزي في رسالته إلى أهل زبيد (٤٦٨): (وكان في وقتهم – أي: وقت السَّلف – علماء لهم تقدم في علوم، وأتباع على مذهبهم؛ لكنهم وقعوا في شيء من البدع: إما القدر، وإما التشيع، أو الإرجاء؛ عُرفوا بذلك؛ فانحطت منزلتهم عند أهل الحق). اهـ

– ولنأخذ مثالين على ذلك – مع ما تقدَّم ذكره من الأمثلة –:

١ – عوف بن بندويه، المعروف بعوف بن أبي جميلة الأعرابي؛ قال عبدالله بن أحمد في الجامع في العلل ومعرفة الرجال (٢٩١٣): (حدثني محمد بن أبي بكر، قال: سمعت عمي عمر بن علي، يقول: رأيت عبدالله بن المبارك في مسجدنا هذا عند المنارة، يقول لجعفر بن سليمان: رأيتَ أيوب؟ قال: نعم. قال: ورأيت ابن عون؟ قال: نعم. قال: ورأيت يونس؟ قال: نعم. قال: فكيف لم تجالسهم وجالستَ عوفًا؟! والله ما رضي عوفٌ ببدعة واحدة حتى كانت فيه بدعتان: كان قدريًّا، وكان شيعيًّا.

قال: وحدثني أبو الربيع الزهراني، قال: حدثني محمد بن عبدالله الأنصاري، قال: رأيت داود ابن أبي هند يضرب عوفًا الأعرابي، ويقول: ويلك يا قدري، ويلك يا قدري). اهـ

– وقال العقيلي في الضعفاء (٣/ ١١٢): (حدثنا محمد بن أحمد، قال: سمعت بندارًا، وهو يقرأ علينا حديث عوف، فقال: يقولون: عوفٌ! والله لقد كان عوفٌ قدريًّا رافضيًّا شيطانًا). اهـ

– وعوف هذا ثقةٌ ثبتٌ كثيرُ الحديث، بل كان يُسمى عوف الصدوق، حتى قال عنه مسلم بن الحجَّاج في مقدمة صحيحه: (غير مدفوع عنه الصدق والأمانة). وهو من أقران ابن عون وأيوب السختياني، وروى أخبارًا كثيرة عن النبي ﷺ، وروى له أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه والطبراني وابن خزيمة وابن حبان والحاكم وغيرهم كثير، وخدم الإسلام خدمة عظيمة من حيث الرواية، وبالرُّغم من ذلك يقال فيه ما تقدَّم سلفًا. فأين منهج الموازنات المزعوم؟!

٢ – نعيم بن حماد؛ قال الخلال في السنة (٢١٠٩): (سمعت أبا بكر المروذي، يقول: أتيت أبا عبدالله ليلةً في جوف الليل، فقال لي: يا أبا بكر! بلغني أن نُعيمًا كان يقول: لفظي بالقرآن مخلوق، فإن كان قاله؛ فلا غفر الله له في قبره!). اهـ

– ونعيم هذا هو نعيم بن حماد المروزي الإمام المشهود له بالسُّنة، وضع كُتبًا في الردِّ على أبي حنيفة، وناقض محمد بن الحسن، وكان من أشد الناس على الجهمية، حتى إنه ألف ثلاثة عشر

=

كتابًا في الردِّ عليهم والحطِّ منهم، حتى كان في ذلك نفسه؛ فقد مات في محسبه بسبب رده على الجهمية، أيام فتنة خلق القرآن.

وهذه المقالة لم يقلها نعيم بن حماد، ولو كان قالها؛ فقد تاب منها:

- قال الخلال في السنة (٢١٠٨): (أخبرنا عبدالله بن أحمد بن حنبل، قال: سألت أبي عن من قال: لفظي بالقرآن مخلوق؟ قال: يقال لمن قال هذه المقالة: لا إله إلا الله، هو مخلوق؟! هو يلزمه في مقالته هذه، هذا ويقال له: لفظ جبريل به مخلوق؟ ولفظ محمد به مخلوق؟ وقال: هذا كلام سوء رديء وهو كلام الجهمية، قال: وبلغني أنهم أنحلوه نعيمًا وكذبوا عليه).

- وقال الخلال في السنة (٢١١٠): (أخبرني محمد بن عبدالله الرَّحبي بالرَّحبة، قال: سمعت مؤملًا- يعني ابن إهاب- يقول: قلت لنعيم بن حماد: ما حملك على هذه الكلمة، أن قلت: لفظي بالقرآن مخلوق؟! فقال: والله ما أردت بها إلا الاحتجاج عليهم، فقلت: لا تعد، فقال: أنا أستغفر الله منها، ما أردتُ إلا الاحتجاج بها).

- ومع ذلك قال فيه الإمام أحمد ما قال!

ولم يقل: (من قلَّ خطؤه وكثر صوابه؛ فهو على خير!)، أو (إذا غلبت محاسن الرجل على مساويه؛ فلا تذكر المساوئ!)؛ كما يردده مبتدعة زماننا على المبتدعة في كل زمان ومكان! حتى جعلوها فيمن قال بالحلول والاتحاد، ودعا إلى الشرك، وحرَّف الأسماء والصفات!

- والمقصود هنا بيان شدة أهل السُّنة والجماعة على المخالف أو المبتدع كائنًا ما كان، وعدم التماس الأعذار له.

- وإذا كان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد قال: (يهدم الإسلام ثلاث... وذكر منها زلة العالم). مع أن الزَّلة في نفسها لا تهدم الإسلام- فمن ذا الذي يَسْلَم من ذلك- ولكن الذين يهدم الإسلام اتباع هذه الزَّلة وتبريرها وتزيينها للناس وأن يُدفع بها في نحر النصوص. هذا إذا كانت زلَّة من عالم، فكيف إذا كانت بدعة من مبتدع؟!!

- والعجيب أن السَّلف لم يعملوا منهج الموازنات مع أُناسٍ عُرفوا بالعلم والعبادة والورع والصلاح، وأهلُ زماننا يعملون بالموازنات مع أُناس أشبه ما يكونوا بمن وصفهم الإمام محمد ابن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: (لا وجهٍ سمح، ولا بنت رجال). ليسوا بأهل علم ولا عبادة ولا ورع، بل قُصَّاصٌ مرتزقة أو متكلمون صعافقة، قال تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ﴾.
[النساء:١٠٩].

- ولا تقاتل في الفتنة، وتلزم بيتك.

- والإيمان بعذاب القبر ومنكر ونكير.

- والإيمان بالحوض والشفاعة والميزان.

- والإيمان أن قومًا من الموحدين يُخرجون من النار، جاءت به الأخبار عن النبي ﷺ.

- وهذه الأشياء نؤمن بها، ولا نضرب لها الأمثال.

- ومن صفة أهل السُّنة: الأخذ بكتاب الله وأحاديث رسول الله ﷺ وأحاديث أصحاب رسول الله ﷺ، وترك الرأي والابتداع.

- ونشهد أن الله يقول ويخلق، وقوله قول، وخلقه خلق، قوله بائن من خلقه، وخلقه بائن من قوله.

وقوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران:٥٩] وقوله: ﴿كُن﴾ ليس بمخلوق.

- فالحمد لله الذي ليس له شريك ولا شبيه ولا وزير ولا نظير ولا ضد، ولا يشرك في حكمه أحدًا.



اعتقاد محمد بن يحيى الذهلِيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

٧٦٠- قال أبو عمرو الخفَّاف أحمد بن محمد بن حفص الحيري:

رأيت محمد بن يحيى الذُّهْلِي في المنام بعد موته، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غَفَر لي ولمن صلى على جنازتي، ورفع كتبي في أعلى عليين، وكُتبتْ بماء الذهب، ثم رأيته مرة أخرى في المنام، فقلت له: كنت رأيتك في المنام فسألتك ما فعل الله بك؟ فقلتَ: غَفر لي؛ أغَفر لك؟ قال: نعم، وقلتَ: غفر لمن صلى على جنازتي، أَغَفر لهم؟ قال: نعم، فقلتَ: ورفع كتبك في أعلى عليين، وكتبت بماء الذهب؟ قال: نعم؛ كما قلت.

٧٦١- وقال أبو عمرو الخفاف:

أملى علينا محمد بن يحيى الذُّهْلِيُّ؛ قال: السُّنة عندنا:

- الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، وهو قول الميثاق؛ عليه عَهدنا أهل العلم.

- وأن الأعمال والفرائض وأعمال الجوارح في طاعة الله أجمع من الإيمان.

- وأن القدر خيره وشره من الله عَزَّوَجَلَّ، قد جفَّ القلم بما هو كائنٌ إلى أن تقومَ الساعة، عَلِم الله جَلَّوَعَلَا من العباد ما هم عاملون، وإلى ما هم صائرون، وأَمَرهم ونهاهم؛ فمن لزِمَ الله تعالى وطاعته وأمره؛ فبتوفيق الله عَزَّوَجَلَّ، ومن ترك أمر الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وركب معاصيه؛ فبخذلان الله إياه.

- ومن زعم أن الاستطاعة قبل الفعل بالجوارح إليه؛ إن شاء عمل وإن شاء لم يعمل؛ فقد كذَّب بالقدر[١]، وردَّ كتاب الله عَزَّوَجَلَّ نصًا، وزعم أنه مستطيع لما لم يرده الله جلَّ ثنائه، ونحن نتبرأ إلى الله عَزَّوَجَلَّ من هذا القول، ولكن نقول: الاستطاعة في العبد مع الفعل، فإذا عمل عملًا بالجوارح من برٍّ وفجور، علمنا أنه كان مُستطيعًا للفعل الذي فعل، فأما قبل أن يفعل؛ فإنَّا لا ندري لعلَّه يريد أمرًا فيُحال بينه وبين ذلك، والله- جلَّ اسمه- مريدٌ لتكوين أعمال الخلق، ومن ادَّعى خلاف ما وصفناه فقد وصف الله عَزَّوَجَلَّ بالعجز، وهلك في الدارين[٢].

---

(١) وفي تهذيب الكمال (٤/ ٣٥١٠) قصة لطيفة ذكرها في ترجمة عبدالمجيد بن عبدالعزيز؛ قال أحمد بن شيبان الرملي، عن عبدالمجيد ابن أبي رواد: (كنا مع إنسان يتكلم في القدر، وكنا نأكل بيضًا وخبزًا، فأخذ بيضةً، فقال: هذه البيضة إن شئت أكلتُها، وإن شئت لم آكلها، قال: فقلنا له: فشَأْ، قال: فأنا أشاء، فأدخلها في فِيه، فوثب إليه رجلان من أصحابنا جَلْدان، ففكا لحيَيْه حتى رمى بها، فقالا: زعمت يا عدو الله! أنك لو شئت لأكلتها، ولكنَّ المشيئة إلى الله تبارك وتعالى؛ شاء أن لا تأكلها، فطرحتها). ورواه اللالكائي كذلك في السُّنة.

(٢) مسألة الاستطاعة- وهي قدرة العبد- من المسائل الكلامية التي وقع فيها الخلاف بين المذاهب تبعًا للخلاف الواقع في القدر، فالجبرية والجهمية- ومن وافقهم- قالوا بنفي استطاعة العبد مطلقًا سواء المصاحِبة للفعل أو التي قبله، وذلك لأن العبد عندهم لا اختيار له. وأما القدرية والمعتزلة- ومن وافقهم- فقد أثبتوا استطاعة العبد قبل الفعل، ونفوا أن تكون هناك أي إرادة أو قدرة خارجية؛ وذلك لأنهم يقولون بنفي القدر، وأن العبد هو الخالق لفعله، وأنَّ الجميع يجب أن يكونوا في فعل الله سواء، حتى لا يُظْلَم هذا ويُتْرَك ذاك- بزعمهم.
وأما الأشاعرة- ومن وافقهم من الأحناف- فقالوا بأن الاستطاعة تكون مع الفعل لا قبله.
- قال أبو الحسن الأشعري في مقالات الإسلاميين (ص٢٩١): (وقالوا: إن أحدًا لا يستطيع أن يفعل شيئًا قبل أن يفعله). اهـ

=

- وهذا هو قول الأشعرية الجبرية، وليس قول أهل السُّنة. وفي هذا دليل على أن أبا الحسن الأشعري عاش ومات على عقيدة الجبرية، حتى صرَّح في الإبانة بأن الكافر غير قادر على الإيمان، وكثيرٌ من مشاهير الأشاعرة كانوا لا يرتضون كلامه في مسألة الاستطاعة.

- وأما اعتقاد أهل السُّنة والجماعة؛ فهو إثبات استطاعة العبد قبل الفعل ومع الفعل، لكن الاستطاعة على نوعين:

- الأولى: سلامة الأسباب والآلات وصحة الجوارح والأعضاء، وهي الاستطاعة الشرعية السابقة للفعل، وهي مناط التكليف والأمر والنهي، وهي المرادة بقوله تعالى: (وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا). وبقوله تعالى: (فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا). وبقوله تعالى: (فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ). وبقوله تعالى عن المنافقين: (وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ).

إلا أن هذه الاستطاعة لا تَكْفِي وحدها في حصول الفعل، فإذا انضم إليها التوفيق من الله صارت تلك الاستطاعة مع هذا التوفيق سببًا لوجود للفعل.

- وفي طبقات الحنابلة (١/ ٣١) في ذكر عقيدة الإمام أحمد برواية الإصطرخي، قال الإمام أحمد: (القدرية: هم الذين يزعمون أن الاستطاعة والمشيئة والقدرة إليهم، وأنهم يملكون لأنفسهم الخير والشر، والضر والنفع، والطاعة والمعصية، والهدى والضلالة؛ بدءًا من أنفسهم، من غير أن يكون سبق لهم ذلك من الله أو في علم الله، وقولهم يضارع قول المجوسية والنصرانية). اهـ

- الثانية: الاستطاعة التي يكون معها وجود الفعل، وهي المصاحبة للفعل من التوفيق والسَّداد والسَّماع النافع ودفع المعارض، وهي مناط الثواب والعقاب. وهي المرادة بقوله تعالى: (مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ). وبقوله تعالى: (وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا -ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُواْ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا). وبقوله تعالى عن المشركين: (وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ). فالمراد بعدم الاستطاعة هنا: مشقة ذلك عليهم وصعوبته على نفوسهم، فنفوسهم لا تستطيع إرادته، وإن كانوا قادرين على فعله لو أرادوه.

وبقول الخضر لموسى: (إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا). ولو كان المراد منها سلامة الأسباب والآلات لما عاتبه على ترك الصبر. وإنما المراد نفي حقيقة الاستطاعة والقدرة لا نفي الأسباب والآلات.

- قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٨/ ٣٧١): (قد تكلَّم الناس من أصحابنا وغيرهم في استطاعة العبد، هل هي مع فعله أم قبله؟ وجعلوها قولين متناقضين: فقومٌ جعلوا الاستطاعة =

- والقرآن كلام الله عَزَّوَجَلَّ غير مخلوق من جميع جهاته، وحيث يتصرف من الوجوه كلها، وكلامه منه، وليس شيء منه مخلوقًا، ومن زعم أن كلامه مخلوق، فقد زعم أن في الله عَزَّوَجَلَّ شيئًا مخلوقًا، والله يتعالى عن هذا؛ قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز: «أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ» [الأعراف:٥٤] فَفَصَلَ الخلق من الأمر، وبأمره خلق الخلق، وكَوَّن الأشياء، وقال تعالى: «إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ» [النحل:٤٠]، فمن زعم أن «كُن» الذي به كَوَّن خلقه مخلوقة؛ فقد كفر.

- ومن وقف؛ فقال: لا أقول: مخلوق ولا غير مخلوق، كان محله محل من زعم أن القرآن مخلوق.

- ومن تكلَّم في اللفظ فقد ابتدع؛ لأنه اخترع شيئًا لم يتكلم فيه السلف إلا رجل من أهل عصرنا، ممن كان ينتحل الحديث يقال له:

مع الفعل فقط، وهذا هو الغالب على مثبتة القدر المتكلمين من أصحاب الأشعري ومن وافقهم من أصحابنا وغيرهم. وقومٌ جعلوا الاستطاعة قبل الفعل، وهو الغالب على النُّفاة من المعتزلة والشيعة... والصواب الذي دلَّ عليه الكتاب والسُّنة: أن الاستطاعة متقدمة على الفعل ومقارنة له أيضًا، وتقارنه أيضًا استطاعة أخرى لا تصلح لغيره. فالاستطاعة نوعان: متقدمة صالحة للضدين، ومقارنة لا تكون إلا مع الفعل، فتلك هي المصححة للفعل المجوزة له، وهذه هي الموجبة للفعل المحققة له). اهـ

- وقد ذكر البيهقي عقيدة الذُّهلي بحروفها- في استطاعة العبد- في كتابه القضاء والقدر، ولم يتعقبها بشيء؛ لما فيها من الموافقة لاعتقاده واعتقاد أئمته الأشاعرة.

- وهذه الكلمات- إن صحَّت عن الذُّهلي- فهي في معرض الرَّدِّ على القدرية، وليست تصحيحًا لمذهب الأشعرية، ومن عرف طبقة الذُّهلي؛ عرف أنهم لا يتوسعون في الكلام بهذه الطريقة.

الكرابيسي[1]؛ فنُقل كلامه إلى إمامنا أبي عبدالله أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ

(١) قال الذهبي في السير (١١/ ٢٨٩): (حسين بن علي الكرابيسي: هو أول من أظهر مسألة اللفظ، ووضع كتابًا في المدلسين يحط على جماعةٍ وفيه: أن ابن الزبير من الخوارج. وفيه أحاديث يقوي بها الرافضة؛ فأُعلم الإمام أحمد فحذَّر منه، فبلغ ذلك الكرابيسي فتنمر، وقال: لأقولنَّ مقالة حتى يقول ابن حنبل بخلافها فيكفر؛ فقال: لفظي بالقرآن مخلوق. فقال المروذي- في كتاب القصص-: فذكرت ذلك لأبي عبدالله: إن الكرابيسي قال: لفظي بالقرآن مخلوق، وأنه قال: أقول: إن القرآن كلام الله غير مخلوق من كل الجهات إلا أن لفظي به مخلوق، ومن لم يقل: لفظي بالقرآن مخلوق فهو كافر؛ فقال أبو عبدالله: بل هو الكافر قاتله الله، وأي شيء قالت الجهمية إلا هذا، وما ينفعه! وقد نقض كلامه الأخير كلامه الأول، ثم قال: إيش خبر أبي ثور- لأنه صاحبه لما كانا من أهل الرأي ثم لما صحبا الشافعي- أوافقه على هذا؟ قلت: قد هجره. قال: أحسن، لن يفلح أصحاب الكلام). اهـ

- وفي طبقات الحنابلة (١/ ٤١٢) قال يعقوب بن إبراهيم الدورقي: (سألت أحمد بن حنبل عن أبي ثور وحسين الكرابيسي، فقال: متى كان هؤلاء من أهل العلم؟! متى كان هؤلاء من أهل الحديث؟! متى كان هؤلاء يضعون للناس الكتب؟!).

- وقال: سألت أحمد بن حنبل عمن يقول: القرآن مخلوق؛ فقال: (كنت لا أكفرهم، حتى قرأت آيات من القرآن: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾. وقوله: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾؛ فالقرآن من عِلْم الله، ومن زعم أن علم الله مخلوق؛ فهو كافر. ومن زعم أنه لا يدري: علم الله مخلوق أو ليس بمخلوق؛ فهو كافر أشر ممن يقول: القرآن مخلوق).

- وعن ابن بدينا، قال: (سألت أبا عبدالله أحمد بن حنبل؛ فقلت له: يا أبا عبدالله! أنا رجل من أهل الموصل، والغالب على أهل بلدنا الجهمية، ومنهم أهل سنة نفر يسير يحبونك، وقد وقعت مسألة الكرابيسي فَفَتَنَهم قول الكرابيسي: لفظي بالقرآن مخلوق؛ فقال لي أبو عبدالله: إياك وإياك وهذا الكرابيسي لا تكلمه ولا تكلم من يكلمه- أربع مرار أو خمسًا-... فقلت: يا أبا عبدالله! فهذا القول عندك وما تشعَّب منه يرجع إلى قول جهم؟ قال: هذا كله من قول جهم).

- وعن شاهين بن السميذع، قال: (سمعت أبا عبدالله، يقول: الحسين الكرابيسي عندنا كافر).

- وقال جعفر الطيالسي: (سمعت يحيى بن معين، وقيل له: إن حسينًا الكرابيسي يتكلم في أحمد بن حنبل؛ قال: ومن حسين الكرابيسي؟! لعنه الله! إنما يتكلم في الناس أشكالهم، يبطل حسين ويرتفع أحمد؛ قال جعفر: يبطل يعني: ينزل).

=

- وعن بديل بن محمد، قال: (دخلت أنا وإبراهيم بن سعيد الجوهري على أحمد بن حنبل في اليوم الذي مات فيه أو مات في تلك الليلة التي تستقبل ذلك اليوم، قال: فجعل أحمد يقول لنا: عليكم بالسُّنة، عليكم بالأثر، عليكم بالحديث، لا تكتبوا رأي فلان ورأي فلان؛ فسمى أصحاب الرأي، ثم قال له إبراهيم بن سعيد: يا أبا عبدالله! إن الكرابيسي وابن الثلجي قد تكلما؛ فقال أحمد: فيم تكلما، قال: في اللفظ؛ فقال أحمد: اللفظ بالقرآن غير مخلوق، ومن قال: لفظي بالقرآن مخلوق؛ فهو جهمي كافر).

- وقال حنبل بن إسحاق: (سمعت أبي يسأل أبا عبدالله عن كلام الكرابيسي وما أحدث؛ فقال أبو عبدالله لأبي: هذا كلام الجهمية، صاحب هذه المقالة يدعو إلى كلام جهم؛ إذا قال: إن لفظه بالقرآن مخلوق فأي شيء بقي).

- وقال إسحاق بن إبراهيم: (سمعت أبا عبدالله، يقول: أخزى الله الكرابيسي! لا يُجالس ولا يُكلم ولا تُكتب كتبه ولا يُجالس من يجالسه).

- وقال: (ثار بشر المريسي- أي أظهر بدعته ونشرها- وخَلَفَهُ حسين الكرابيسي. وقال لي: هذا قد تجهم وأظهر الجهمية، ينبغي أن يحذر عنه وعن كل من اتبعه).

- وقال أبو طالب: (أخبروني عن الكرابيسي أنه ذكر قول الله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾، قال: لو أكمل لنا ديننا ما كان هذا الاختلاف؛ فقال- يعني: أحمد بن حنبل: هذا الكفر صراحًا-).

- وقال الفضل بن زياد: (سألت أبا عبدالله عن الكرابيسي وما أظهر؛ فكلح وجهه، ثم قال: إنما جاء بلاؤهم من هذه الكتب التي وضعوها، تركوا آثار رسول الله ﷺ وأصحابه وأقبلوا على هذه الكتب!). اهـ

- وبعد هذا كله يقول الذهبي في السِّير (١٢/ ٨٢) بعد ذكر هذه الآثار: (ولا ريب أن ما **ابتدعه** الكرابيسي وحرَّره في مسألة التلفظ، وأنه مخلوق هو **حقٌّ**، لكن أباه الإمام أحمد؛ لئلا يتذرع به إلى القول بخلق القرآن). اهـ

- وقد مرَّت عليه الآثار السابقة، وأن الكرابيسي إنما قال هذه الكلمة توريطًا وتلبيسًا لا تحريرًا، ثم هو يصف القول بأنه بدعة، ثم يصفه بأنه حق!!

- فاعجب من هذا الذهبي، وهذا ديدنه في كتبها كلها! وماذا يُتوقع من رجلٍ قال عن ابن عربي المشرك، كما في كتابه تاريخ الإسلام (١٤/ ٢٧٣): (ولابن عربي توسعٌ في الكلام، =

فبدعه وأنكر عليه أشد الإنكار، وأمر بمباينته ومجانبته، ونهى عن مجالسته، فمات متهتكًا خائبًا مخذولًا، ونحن نستوفق الله تعالى بتوفيقه، ونستهديه بهداه، فإنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، ومتى ما تكلم في اللفظ، انشعب عليه وارتبك فيه، فلم يتخلص المراد منه، وخيفت عليه الفتنة، وقد قال رسول الله ﷺ: **«لا تماروا في القرآن؛ فإن المراء فيه كفر»**[(١)].

وقال عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

سمع رسول الله ﷺ قومًا يتدارءون في القرآن؛ فقال: **«إنما هلك من كان قبلكم بهذا، ضربوا الكتاب بعضه ببعض، فلا تكذبوا بعضه ببعض، ما علمتوه فقولوه، وما جهلتم فكلوه إلى عالمه- يقول: إلى الله جلَّ ذكره-»**[(٢)].

قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: قال رسول الله ﷺ وتلا:

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ [الأنعام:٦٨].

وذكاء، وقوة حافظة، وتدقيق في التصوف، وتواليف جمة في العرفان. ولولا شطحات في كلامه وشعره، لكان كلمة إجماع، ولعلَّ ذلك وقع منه في حال سُكره وغيبته، فنرجو له الخير!). اهـ

- وابن عربي الزنديق قد أجمع الناس على كفره، ولكن هذا حال الذهبي مع جميع الزنادقة، يحاول أن يكونوا كلمة إجماع!! يجتمع الناس عليهم!! ولو هدموا الإسلام.

(١) رواه أحمد، والطبراني في الكبير.

(٢) رواه أحمد، والآجري في الشريعة.

قال: «**فهم الذين عَنَى الله عَزَّوَجَلَّ فاحذروهم**»[١].

وقال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا:

وما يعلم تأويله إلا الله ويقول الراسخون في العلم آمنا به[٢].

وقال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا:

لا تضربوا القرآن بعضه ببعض؛ فإن ذلك يوقع الشَّكَّ في قلوبكم.

وقال أبو موسى رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ:

من علم علمًا فليعلِّمه الناس، وإياه أن يقول ما لا يعلم؛ فيكون من المتكلفين، ويمرق من الدين.

وأشباه لهذه الأشياء كثيرة مما قد ذكره الأسلاف من أهل العلم من النهي عن الخوض فيه والتنازع، ولا يجوز التلفظ فيما لم يحط علمًا به من المشكلات التي لم يتقدمنا فيها إمام ولا الخوض فيه، فإنهم كانوا أعلم بالتنزيل والتأويل، وعنهم أخذنا هذا، وبهم نقتدي، فأعاذنا الله وإياكم من مضلات الفتن.

---

(١) رواه أبو داود في مسائله مع أحمد، وعنه ابن بطة في الإبانة.
- والمحفوظ كما في صحيح مسلم أنه ﷺ قال ذلك بعدما قرأ الآية السابعة من آل عمران: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾.

(٢) كانت هذه قراءة عبدالله بن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، كما في كتاب المصاحف لأبي بكر بن أبي داود، عن ابن طاوس، عن أبيه، قال: (كان ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا يقرأ: وما يعلم تأويله إلا الله ويقول الراسخون في العلم آمنا به).

- وأن نسمع ونطيع لولاة الأمر مع محبة لأصحاب رسول الله ﷺ كلهم.

- ولا نرى شقَّ العصا مع النصح للجماعة في السر والعلانية.

- وأن المتقدّم من أصحاب رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق، ثم عمر ابن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

- ولا نكفر أحدًا من **أهل القبلة** بذنب. ولا نشهد عليهم بشرك، إلا ما كان من جهم وأصحاب جهم.

- ونفوض ما غاب عنا من الأمور إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ولا نقطع بالذنوب العصمة من عندنا.

- ونرجو لمحسن أمة محمد ﷺ، ونخاف على مسيئهم، ونستغفر لمذنبهم، ونقبل علانيتهم ونكل سرائرهم إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ولا ندخل المحسن الجنة بإحسان، ولا نارًا بذنب، حتى يكون الله- جلَّ ثناؤه- هو يحكم بينهم يوم الفصل وهو أحكم الحاكمين.

- وأن الجهاد ماض من يوم بعث الله نبيه ﷺ لا يضره جور جائر، ولا ينفعه عدل عادل حتى تقوم الساعة.

- وأن أفعال العباد جميعها من خير وشر مخلوقة مسطورة في اللوح المحفوظ، ومن زعم أنها غير مسطورة فقد كفر، لأنه رد كتاب الله تعالى نصًا.

قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾ [الإسراء:٥٨]. فإذا قال ذلك فقد ردَّ نص كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وكفر، وقد قال الله- جل ثناؤه-: ﴿بَلْ هُوَ

قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ – فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ »[البروج:٢١-٢٢]. ونظيره أيضًا قوله تعالى: « وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ » [القمر:٥٣]. وقال تعالى: «إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا » [الأحزاب:٦].

– وأن ترك الصلاة كُفْرٌ؛ للحديث المأثور عن رسول الله ﷺ من وجوه: **«ليس بين العبد والكفر إلا ترك الصلاة»**[1]. هذا المعنى وألفاظهم مختلفة.

---

(١) رواه أحمد، ومسلم، وأبو داود، والترمذي.
وهو صريح في كفر تارك الصلاة، سواء بالجحود أو بالتكاسل. كما فهم ذلك الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأجمعوا عليه، على عكس الأسطورة الشهيرة القائلة بأن تارك الصلاة تكاسلًا لا يكفر، وهي واحدة من عشرات المسائل التي روج لها المبتدعة، فنسي أكثر الناس أنها مسائل مستحدثة ليست من علوم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، حتى أصبحت أقوال أهل البدع معتبرة، وتساق لها الأدلة، بل وترجح على أقوال الصحابة، وهذا بلاء قديم منذ المئة الثالثة، حتى أصبحت أقوال السَّلف وإجماعاتهم أمرًا منكرًا عند أكثر الناس. ومن هذه المسائل المخترعة: الحكم على تارك الصلاة بأنه مسلم! ومن المعلوم أن الذين أشاعوا هذا القول هم علماء الجهمية والأشعرية؛ الذين هم مرجئة في باب الإيمان، ولا يرون الأعمال داخلة فيه، ولم يكتفوا بذلك بل نسبوا هذا القول للإمام مالك والشافعي ورواية عن أحمد! ونسوا أو تناسوا أن هذه المسألة فيها إجماع قديم يجب المصير إليه، وهذا الإجماع لم ينقله التابعي الجليل عبدالله ابن شقيق كما هو المشهور فحسب! بل نقله الصحابة أنفسهم، كما حكاه عمر بن الخطاب، وجابر بن عبدالله، ثم الحسن البصري، وأيوب السختياني، وعبدالله بن شقيق، وإسحاق بن راهويه، ومحمد بن نصر المروزي، ولو نَقل واحدٌ فقط من هؤلاء الإجماع لكفى، ولصار حجة على مخالفه، فكيف الحال وقد اجتمعوا على نقل الإجماع على ذلك:
– ففي تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٨٧٧) والإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٦٧٢) عن مجاهد بن جبر، عن جابر بن عبدالله، قال: (قلت له: ما كان يفرق بين الكفر والإيمان **عندكم** من الأعمال في عهد رسول الله ﷺ؟ قال جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الصلاة).

=

- وروى ابن أبي شيبة في المصنف (٣١٠٣٦) عن ابن مسعود، قال: (من لم يُصَلِّ فلا دين له).
- وفي الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٦٧٣) عن الحسن البصري، قال: (بلغني أن أصحاب محمد ﷺ **كانوا يقولون**: بين العبد وبين أن يشرك فيكفر، أن يدع الصلاة من غير عذر).
- وفي تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٩٢٥) قال أيوب السختياني: (ترك الصلاة كفر، **لا يختلف فيه**).
- وفي الترمذي (٢٦٢٢) عن عبدالله بن شقيق العقيلي، قال: (**كان أصحاب محمد** ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة).
- وروى ابن أبي شيبة في مصنفه (٣١٠٧٨) عن عبيدالله بن عبيد الكلاعي، قال: (أخذ بيدي مكحول، فقال: يا أبا وهب! ليعظم شأن الإيمان في نفسك، من ترك صلاة مكتوبة متعمدًا فقد برئت منه ذمة الله، ومن برئت منه ذمة الله؛ فقد كفر).
- وفي تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٩٢٩) قال محمد بن نصر: (سمعت إسحاق- ابن راهويه- يقول: (قد صح عن رسول ﷺ أن تارك الصلاة كافر، **وكذلك كان رأي أهل العلم من لدن النبي ﷺ إلى يومنا هذا** أن تارك الصلاة عمدًا من غير عذر حتى يذهب وقتها: كافر). اهـ
- وقال محمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٩٢٤): (قد ذكرنا في كتابنا هذا ما دل عليه كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ من تعظيم قدر الصلاة، وإيجاب الوعد بالثواب لمن قام بها، والتغليظ بالوعيد على من ضيعها، والفرق بينها وبين سائر الأعمال في الفضل وعظيم القدر، ثم ذكرنا الأخبار المروية عن النبي ﷺ في إكفار تاركها، وإخراجه إياه من الملة، وإباحة قتال من امتنع من إقامتها، ثم جاءنا عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مثل ذلك، **ولم يجئنا عن أحد منهم خلاف ذلك**). اهـ
- وصدق ابن القيم حين قال: (لو كان الإسلام يثبت مع عدم الصلاة؛ لما قال النبي ﷺ لمن رآه لا يصلي: ألست برجل مسلم؟!). الصلاة وحكم تاركها (١/ ٤٦).
- ولقد نفخت المرجئة في هذه المسألة نفخًا عظيمًا، حتى يتسنى لهم القول بأن تارك أعمال الجوارح ليس بكافر، ومن تتبع أحوال المرجئة المعاصرة يجد أنهم يمشون حذو النعل بالنعل على دين المرجئة الأوائل، فأولوا الآيات والأحاديث وضعفوا الإجماع والآثار، وفي المقابل اخترعوا لأنفسهم فهمًا لأحاديث الشفاعة، خلصوا منه بأن تارك الصلاة ليس بكافر، ومن ثَم القول بأن تارك العمل ليس بكافر.
- **وإذا رأيت الرجل يستدل بأحاديث الشفاعة على إسلام تارك الصلاة أو تارك العمل، فاعلم أنه صاحب بدعة.**

=

- ولأن النفوس لا تطمئن للحكم على الأشياء إلا إذا صدر من عالم؛ فنسبوا هذا القول لمالك والشافعي ورواية عن أحمد كما ذكرنا. وحيث إن أهل العلم قد فنَّدوا شبهات المرجئة وردوا عليهم في هذه المسألة بالآيات والأحاديث والإجماع والقياس الجلي، فحرصنا نحن في بحثنا هذا أن نكشف زيف هذه الأسطورة المخترعة المنسوبة كذبًا وزورًا لأئمة الإسلام، فبيننا وبينهم الأسانيد في نسبة هذا القول لهم، وصدق عبدالله بن المبارك كما حكاه عنه مسلم في مقدمة صحيحه (١/ ٨٧) قال: (الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء).

وقال: (بيننا وبين القوم القوائم، يعني: الإسناد). اهـ

- **فأما المنسوب للإمام مالك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فجوابه: أن مالك من أبعد الناس عن هذا الإرجاء، والقول بإسلام تارك الصلاة، ولا يوجد نص محفوظ عنه في هذا، ومن ادعى غير ذلك فعليه بالسند والمتن، وهذا ما يفسر لنا عدم ذكره لهذه المسألة في كتابه الموطأ؛ لأنه ما خطر بباله أن يأتي قوم يقولون: إن تارك الصلاة مسلم! ولا يُعرف هذا إلا عن المرجئة، كيف وهو الذي روى في كتابه الموطأ (١/ ٤٤) قول عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة). وفي تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٨٩٧) عن أبي المليح، قال: (سمعت عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: لا إسلام لمن لم يصل). قيل لشريك- أحد الرواة-: على المنبر؟ قال: نعم). اهـ

- وهذا في الحقيقة نقل للإجماع؛ لأنه لم ينقل أن أحدًا من الصحابة اعترض على عمر، وقال: لا يا عمر! له حظ في الإسلام! فكان إجماعًا.

- أفيسع الإمام مالك بعد ذلك أن يذهب إلى خلاف قول عمر هذا، وإجماع الصحابة عليه؟!

- وقد ذكر ابن القيم في كتابه أعلام الموقعين (٢/ ٢٠١) عن الهيثم بن جميل، قال: (قلت لمالك ابن أنس: يا أبا عبدالله! إن عندنا قومًا وضعوا كتبًا يقول أحدهم: حدثنا فلان، عن فلان، عن عمر بن الخطاب بكذا وكذا. وفلان عن إبراهيم بكذا، ويأخذ بقول إبراهيم! قال مالك: وصح عندهم قول عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؟ قلت: إنما هي رواية، كما صح عندهم قول إبراهيم، فقال مالك: هؤلاء يُستتابون). اهـ

- وها هو عبدالله بن المبارك، وهو من خيرة أصحاب مالك، يقول كما رواه محمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٩٢٦) عن يحيى بن معين، قال: (قيل لعبدالله بن المبارك: إن هؤلاء يقولون- أي: المرجئة-: من لم يصم ولم يصل بعد أن يقر به فهو مؤمن مستكمل الإيمان؟ قال

=

عبدالله: لا نقول نحن كما يقول هؤلاء. من ترك الصلاة متعمدًا من غير علة حتى أدخل وقتًا في وقت: فهو كافر). اهـ

– وفيه (٢/ ٩٥٧) عن ابن المبارك، قال: (إذا قال: لا أصلي العصر يومي هذا؛ فهو أكفر من حمار).

– وهذا مثل عند العرب؛ يقولون: فلان أكفر من حمار! وحمار هذا رجلٌ من عاد، يقال له: حمار بن مويلع، أو حمار بن مالك بن نصر الأزدي، كان مُسلمًا وكان له واد طوله مسيرة يوم في عرض أربعة فراسخ، لم يكن ببلاد العرب أخصب منه؛ فيه من كل الثمار، فخرج بنوه يتصيدون، فأصابتهم صاعقة، فهلكوا؛ فكفر، وقال: لا أعبد مَنْ فَعَل هذا ببنيَّ، ودعا قومه إلى الكفر، فمن عصاه قتله، فأهلكه الله تعالى وأخرب واديه، فضربت به العرب المثل في الكفر.

– فانظر إلى هذه الصورة البشعة من الكفر! ثم انظر إلى تارك الصلاة؛ تجده أكفر من هذا!

– وقال سفيان بن عيينة – وهو من طبقة مالك – قال عبدالله في كتاب السُّنة (١/ ٣٤٧): (حدثنا سويد بن سعيد الهروي، قال: سألنا سفيان بن عيينة عن الارجاء؟ فقال: يقولون: الإيمان قول. ونحن نقول: الإيمان قول وعمل. والمرجئة أوجبوا الجنة لمن شهد أن لا إله إلا الله مصرًا بقلبه على ترك الفرائض، وسموا ترك الفرائض ذنبًا بمنزلة ركوب المحارم! وليس بسواء؛ لأن ركوب المحارم من غير استحلال: معصية. وترك الفرائض متعمدًا من غير جهل ولا عذر: هو كفر). اهـ

– أفيظن ظانٌّ بعد ذلك أن مالكًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول بأن تارك الصلاة مؤمن؟! وأما ما نسبه إليه أصحاب مذهبه، فإنما هو تخريج من بعض أصحابه، وليس هو من قوله. ومن المعروف عند فقهاء المذاهب أنهم ينسبون القول إلى إمام المذهب قياسًا على بعض أقواله في مسائل أخرى، وهو ما يسمى بالتخريج.

– وكبار المالكية يرون كفر تارك الصلاة عمدًا أو تفريطًا، كما هو مذهب ابن حبيب، وابن عبدالحكم وغيرهما. وقال ابن عبدالبر في الاستذكار (١/ ٢٣٥): (قال مالك وأصحابه: إذا أبى من الصلاة، وقال: لا أصلي؛ ضربت عنقه). اهـ

– وضرب العنق هنا لا أُراه إلا بسبب الكفر، كما قال النبي ﷺ: (من بدَّل دينه؛ فاضربوا عنقه).

قال ابن تيمية في الفتاوى (٢٨/ ٣٠٨): (وأكثر السلف على أنه يُقتل كافرًا، وهذا كله مع الإقرار بوجوبها). اهـ

=

- وقد ذكر ابن أبي زيد القيرواني في آخر كتابه: «النوادر والزيادات»- الذي جمع فيه أقوال مالك- مسألة كفر تارك الصلاة (١٤/ ٥٣٧) فقال: (قال ابن حبيب: وهو بتركها كافر؛ تركها جاحدًا أو مفرطًا أو مضيعًا أو متهاونًا لقول النبي ﷺ: «ليس بين العبد وبين الكفر إلا ترك الصلاة...». ثم قال بعد ذلك: (وقاله كله: مطرف وابن الماجشون وابن عبدالحكم وأصبغ، ورواه ابن القاسم ومطرف، عن مالك مجملًا بغير تلخيص). اهـ

- وكل من نسب لمالك عدم التكفير، عجز أن يأتي بنقل واحد عنه يدل لذلك، ولو ظفروا لمالك بكلمة لما تأخروا في نقلها والاستناد إليها.

- وقد تتبعت كثيرًا من كتب المالكية، فلم أعثر على كلمة لمالك في عدم التكفير يخالف بها إجماع الصحابة، بل لم ينقل عنه الطحاوي إلا القول بالتكفير.

- وقال اللالكائي في السنة (١٥٠٤): (سياق ما روي عن النبي ﷺ في أن الصلاة من الإيمان، وروي في ذلك من الصحابة: عن عمر، وعلي، وعبدالله بن مسعود، وعبدالله بن عباس، وأبي الدرداء، والبراء، وجابر بن عبدالله، وعنه أنه سئل: (ما كان يفرق بين الكفر والإيمان عندكم من الأعمال في عهد رسول الله ﷺ؟ قال: الصلاة). وعن الحسن، قال: (بلغني أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يقولون: بين العبد، وبين أن يشرك فيكفر أن يدع الصلاة من غير عذر). وبه قال من التابعين: مجاهد، وسعيد بن جبير، وجابر بن زيد، وعمرو بن دينار، وإبراهيم النخعي، والقاسم بن مخيمرة. **ومن الفقهاء: مالك، والأوزاعي، والشافعي، وشريك بن عبدالله النخعي، وأحمد، وإسحاق، وأبو ثور، وأبو عبيد القاسم بن سلام**). اهـ

- وعلى افتراض أن مالكًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول بعدم كفر تارك الصلاة، فقد قال معن بن عيسى: سمعت مالكًا، يقول: (إنما أنا بشر، أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه). جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر (١/ ٧٧٥).

والموافق للكتاب والسنة: تكفير تارك الصلاة.

- أما الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فقد تواترت النقول عنه بكفر تارك الصلاة، كيف لا؟ وهو صاحب الإجماع الذي هو غصة في حلوق المرجئة، الذي نقله اللالكائي في السُّنة (٥/ ٩٥٦) عنه قال: (وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ممن أدركناهم أن الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر).

=

- ففي مختصر المزني- الذي هو عمدة كتب الشافعية قاطبة، وقطب رحاهم الذي عليه يدورون- (١/ ٣٤) قال الشافعي: (يقال لمن ترك الصلاة حتى يخرج وقتها بلا عذر: لا يصليها غيرك، فإن صليت وإلا استتبناك، فإن تبت وإلا قتلناك، كما يكفر. فنقول: إن آمنت وإلا قتلناك، وقد قيل: يستتاب ثلاثًا فإن صلى فبها، وإلا قتل، وذلك حسن إن شاء الله).
قال المزني: (قد قال في المرتد: إن لم يتب قتل، ولم ينتظر به ثلاثًا؛ لقول النبي ﷺ: (من ترك دينه فاضربوا عنقه). **وقد جعل تارك الصلاة بلا عذر كتارك الإيمان**، فله حكمه في قياس قوله؛ لأنه عنده مثله ولا ينتظر به ثلاثًا). اهـ
- وقال الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٨/ ٢٠٥): (وقد اختلف أهل العلم في تارك الصلاة كما ذكرنا، فجعله بعضهم بذلك مرتدًا عن الإسلام، وجعل حكمه حكم من يستتاب من ذلك، فإن تاب وإلا قتل، منهم الشافعي. ومنهم من لم يجعله بذلك مرتدًا، وجعله من فاسقي المسلمين وأهل الكبائر منهم، وممن قال بذلك: أبو حنيفة وأصحابه، وكان هذا القول أولى عندنا بالقياس). اهـ
- وفي كلام الطحاوي هذا فوائد:
- **الأولى**: أن الشافعي حكم بردة تارك الصلاة، وجعل حكمه حكم من يستتاب من ذلك، فإن تاب وإلا قتل. ومن المعلوم أن الطحاوي قد أخذ فقه الشافعي عن خاله المزني عن الشافعي، فهو من أعلم الناس بمذهب الشافعي.
- **الثانية**: أن الذين قالوا بعدم كفر تارك الصلاة هو أبو حنيفة وأصحابه، وليس هذا بغريب عنهم، فهم من أوائل من دعوا الناس للإرجاء، ومذهبهم في الإيمان أشنع من هذه المسألة.
- **الثالثة**: أن الخلاف المحكي هنا لا عبرة به؛ لأنه خلاف قائم بين أهل الحديث وأهل الرأي، وأهل الرأي لا عبرة بخلافهم بإجماع العلماء.
- **الرابعة**: أن الطحاوي كان شافعيًّا في أول أمره، ثم صار حنفيًّا، وكتبه مملوءة بالآثار وهو من أعلم الناس بمذاهب السلف، لكنه عند الترجيح يميل إلى أهل الرأي والقياس كما قال هنا؛ فليحذر من ترجيحاته.
- **الخامسة**: أن دليل من لم ير تكفير تارك الصلاة هو القياس، وبالمقاييس عُبدت الشمس والقمر.
- هذا، ولم يزل أصحاب الشافعي وأئمة مذهبه من علماء الحديث على إجماع الصحابة فمن ذلك:
١ - محمد بن نصر المروزي (ت ٢٩٢)، كما في كتابه تعظيم قدر الصلاة.

=

٢- أبو جعفر الترمذي (ت ٢٩٥) شيخ الشافعية بالعراق قبل ابن سريج، تفقَّه على أصحاب الشافعي، وله وجه مشهور في المذهب.
٣- محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت ٣١١) قال بكفره، كما في شرح البخاري لابن حجر.
٤- أبو عوانة الإسفراييني (ت ٣١٦) صاحب المستخرج على صحيح مسلم، فقد عقد بابًا في كتابه المستخرج (١/ ٦٣) في كتاب الإيمان. وعنون له: (باب: بيان أفضل الأعمال، والدليل على أن الإيمان قول وعمل، وأن من ترك الصلاة فقد كفر، والدليل على أنها أعلى الأعمال إذ تاركها يصير بتركها كافرًا). اهـ
٥- الدارقطني (ت ٣٨٥) إمام العلل المشهور؛ فقد قال في سننه (٢/ ٣٩٥): (باب: التشديد في ترك الصلاة، وكفر من تركها، والنهي عن قتل فاعلها). ثم ذكر أثر عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: (إنه لا حظ في الإسلام لأحد أضاع الصلاة)، ثم سرد الأحاديث الدالة على كفر تاركها، ولم يروِ شيئًا يخالف ما بوب عليه أو ما استدل به.
- وبعد هذا، تأتي المرجئة فيتركون الواضح الصريح عن الشافعي وأصحابه، ويأخذون بقول النووي أن الشافعي لا يكفر تارك الصلاة! وبين النووي والشافعي أكثر من أربعمئة سنة.
وإذا كانت المرجئة قد ارتضت لأنفسها أن تأخذ مذاهب علماء السُّنة من كتب الأشاعرة والجهمية فهذا شأنهم وهذا دينهم، لكن لا يحل لهم بحالٍ أن ينسبوا قولًا لإمام من أئمة السُّنة قد نص هو وأصحابه على خلافه.
- يبقى عندنا شيءٌ واحد:
وهو ما نسبه محمد بن نصر للشافعي بعدم تكفير تارك الصلاة، كما في كتابه تعظيم قدر الصلاة، فالجواب عن ذلك من وجوه:
الأول: أن سياق ما قاله محمد بن نصر عن الشافعي، هكذا: (قالوا- أي: الطائفة التي لا تُكَفِّر تارك الصلاة-: التارك للصلاة حتى خرج وقتها متعمدًا يعيدها قضاء، مما يدلُّ على أنه ليس بكافر؛ لأن الكافر لا يُؤمر بقضاء ما ترك من الصلاة في قول عامة العلماء. وكان ممن ذهب هذا المذهب من علماء أصحاب الحديث الشافعي وأصحابه، وأبو ثور وغيره، وأبو عبيد في موافقيهم).
- فقوله: (وكان ممن ذهب هذا المذهب...). تعود على المسألة الفقهية التي ذكرها، وهي: حكم قضاء الفوائت من الكافر، وليس عدم تكفير تارك الصلاة، ومما يدل على ذلك أنه ناقش هذه المسألة في آخر الكتاب وذكر مذهب الشافعي هذا.

=

الثاني: أن هذه مجرد نسبة، ولم يذكر إسناده إلى الشافعي، ولم يوثق ذلك من كلام الشافعي، ولم يُحِلْ على شيء من كتبه، وقد مَرَّ بنا ما يعارض هذا النقل عن اثنين من كبار الحفاظ، ممن هما كابن نصر في معرفة مذاهب الرجال واختلاف الناس، وهما الطحاوي، واللالكائي، حيث نقلا عن الشافعي القول بالتكفير وأن هذا هو مذهبه. وليست هذه النسبة بأولى من نسبة الطحاوي له بالقول بكفر تارك الصلاة كما تقدَّم. والطحاوي كما هو معلوم أثبت من محمد بن نصر في مذهب الشافعي، لأنه أخذ المذهب عن خاله المزني، عن الشافعي مباشرة.

الثالث: أن غاية ما وقفت عليه من كلام الشافعي أنه قال في كتابه الأم (١/ ٢٠٨): (لو أن رجلًا ترك صلاة حتى يمضي وقتها، كان قد تعرض شرًّا إلا أن يعفو الله). اهـ

- وهذا لا يُفهم منه عدم تكفير تارك الصلاة، بل هذا من أساليب العرب في التنفير عن الشيء، ولا علاقة له بتكفيرٍ أو عدمه، وكونه تعرض شرًّا لا ينفي عنه الحكم بتكفيره، كما أن الحكم على عبادة غير الله بأنها حرام لا ينفي عنها الحكم بأنها شرك، ومن ذلك ما جاء في الحديث: (صلاة الجماعة تفضل صلاة الفَذِّ بسبع وعشرين درجة)، فهذا لا يُفهم منه عدم وجوب صلاة الجماعة.

- وقوله: (إلا أن يعفو الله)، أي: بأن يوفقه للتوبة، كقوله تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾.

- وعلى افتراض أن الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول بعدم كفر تارك الصلاة، فقد روى ابن أبي حاتم في كتاب: (فضائل الشافعي) عنه قال: (كل ما قلتُ، فكان عن النبي ﷺ خلاف قولي مما يصح، فحديث النبي ﷺ أولى، ولا تقلدوني). اهـ

- **وأما مذهب أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

فالأمر فيه لا يحتاج إلى كبير جهد في إثبات قول الإمام أحمد بكفر تارك الصلاة، وقد علم ذلك القاصي والداني، ومن نسب إليه القول بعدم كفر تارك الصلاة؛ فقد سفه نفسه، ومن رحمة الله أن جامع الخلال- الذي جمع كل كلمة في الدِّين تكلَّم بها أحمد- قد فُقِدَ إلا أجزاء يسيرة، منها ما يتعلق بكفر تارك الصلاة، وهذا لحكمة يعلمها الله:

- ففي كتاب أهل الملل والردة من جامع الخلال (٢/ ٥٣٥) عن العباس بن محمد اليمامي، قال: (سألت أبا عبدالله عن الحديث الذي يُروى عن النبي ﷺ، قال: (لا يكفر أحد من أهل التوحيد بذنب). قال: موضوع لا أصل له، كيف بحديث النبي ﷺ: (من ترك الصلاة فقد كفر)؟ فقال: أيورث بالملة؟ قال أحمد: لا يرث، ولا يورث).

=

- وعن الحسن بن علي الإسكافي حدثهم، قال: (قال أبو عبدالله في تارك الصلاة: لا أعرفه إلا هكذا من ظاهر الحديث، فأما من فسره جحودًا فلا نعرفه، وقد قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين قيل له: الصلاة! قال: لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة).
- وقال أبو داود: (سمعت أحمد يقول: إذا قال الرجل: لا أصلي؛ فهو كافر). اهـ من الجامع للخلال.
- وفي مسائل ابن هانيء (٢/ ١٥٦) أن رجلًا ذكر للإمام أحمد مسائل في العقيدة؛ فأقره عليها إلى أن قال الرجل: وألا نكفر أحدًا بذنب؟ فقال له أبو عبدالله: (اسكت، من ترك الصلاة فقد كفر). اهـ
- ولم تظفر المرجئة من كلام الإمام أحمد بما يؤيد مذهبهم الخبيث في عدم تكفير تارك الصلاة تكاسلًا إلا بنقل واحد ذكره عنه القاضي أبو يعلى في كتابه الروايتين والوجهين (١٣٦)؛ قال أبو يعلى: (فنقل أبو طالب: وقد سئل هل يكفر؟ قال: الكفر شديد لا يقف عليه أحد، ولكن يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه، لأنها من فروع الدين أشبه الصوم والحج). اهـ
- وبالرجوع إلى أحكام أهل الملل من جامع الخلال، نجد أن أبا يعلى قد تصرَّف في هذه الرواية تصرفًا شنيعًا أخلَّ بالمعنى، وإليك النص كاملًا:
- قال الخلال في أحكام الملل (٢/ ٥٤٤): (أخبرنا أحمد بن محمد بن مطر، قال: حدَّثنا أبو طالب، أنه سأل أبا عبدالله عن قول النبي ﷺ: (من ترك الصلاة فقد كفر). متى يكفر؟ قال: إذا تركها. بعضٌ يقول: إذا جاء وقت الصلاة التي ترك كفر، ويدخل عليهم قول النبي ﷺ: (يكون عليكم أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها، فصلوها في وقتها، ثم صلوها معهم). فقد قال النبي ﷺ: (يؤخرون الصلاة عن الوقت). قلتُ: إذا ترك الفجر وهو عامد لتركها، أصبح ولم يصل، ثم جاء الظهر فلم يصل، ثم صلى العصر، وترك الفجر فقد كفر، قال: هذا أجود القول؛ لأنه قد تركها حتى وجبت عليه أخرى. ولم يصلها يستتاب؛ فإن تاب، وإلا ضربت عنقه مثل فعل أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالوا: لا نؤدي الزكاة، قال: إن أديتم، وإلا قاتلتكم. فهذا إذا وجبت عليه صلاة أخرى، ولم يصل الأولى، فتركها عامدًا فقد صار إلى ترك الصلاة. ومن قال: إذا كان الوقت مثل صلاة العصر إلى أن لا تجوز صلاة العصر، فهذا قول ضيق. وقد قال النبي ﷺ في الأمراء يصلون لغير وقتها، فقد خرج الوقت، وإذا ترك صلاة حتى تجيء أخرى فهذا أجود؛ لأنه قد صار إلى صلاة أخرى. قلتُ: هؤلاء يقولون: لو قال: هي عليَّ إلى سنة؛ لم يكفر، مثلما يقول: العام أحج، فلم يحج فيه، فكذلك إذا قال: عليَّ صلاة وأصليها وإن
=

كان بعد سنة. قال: ليس هذا بشيء، إذا تركها حتى يصلي صلاة أخرى فقد تركها، فقلتُ: فقد كفر؟ قال: الكفر لا يقف عليه أحد، ولكن يستتاب؛ فإن تاب، وإلا ضربت عنقه). اهـ

- فكلام الإمام أحمد هنا طافحٌ بتكفير تارك الصلاة، ولكن الخلاف متى يكفر بترك الصلاة؟ هل بترك صلاة واحدة أو أكثر؟ قولان مشهوران لأهل العلم، اختار الإمام أحمد الكفر بترك الصلاة وما يجمع إليها حتى يخرج وقتها، فمن ترك صلاة والتي تُجمع إليه ثم جاءت الثالثة ولم يصلهم جميعًا؛ كفر عند الإمام أحمد، يوضح ذلك الرواية التي بعدها مباشرة:

- قال الخلال في أحكام الملل (٢/ ٥٤٥): (أخبرنا محمد بن علي، قال: حدَّثنا يعقوب بن بختان، قال: سئل أبو عبدالله عن رجل ترك الصلاة؟ فقال: أما صلاة وصلاتين فينظر كما جاء: (قوم يؤخرون الصلاة)، ولكن إذا ترك ثلاث صلوات). اهـ

والقول الأول وهو تكفير من ترك صلاة واحدة، كان الإمام أحمد يراه تشديدًا، وعليه يحمل قوله: (الكفر لا يقف عليه أحد، ولكن يستتاب؛ فإن تاب، وإلا ضربت عنقه).

- قال الخلال في أحكام الملل (٢/ ٥٤٢): (أخبرني محمد بن علي، قال: حدثنا الأثرم، قال: سمعت أبا عبدالله يقول للهيثم بن خارجة: أتحفظ عن مكحول في تارك الصلاة؟ فقال: لا. فقيل لأبي عبدالله: أي شيء قال محكول؟ قال: كان يشدد في هذا- أي: في تكفير من ترك صلاة واحدة-. فقال الهيثم: كان الأوزاعي يقول: لو ترك صلاة الظهر- أي: كفر-. قلت له: فإن جاء وقت العصر؛ قال: لا أصلي. قال: وإن قال: هي عليَّ؛ ضربت عنقه. قال أبو عبدالله: كان مكحول يشدد نحوًا من هذا). اهـ

- وتأمل قول أبي طالب: (قلت: إذا ترك الفجر وهو عامد لتركها، أصبح ولم يصل، ثم جاء الظهر فلم يصل، ثم صلى العصر، وترك الفجر فقد كفر، قال: هذا أجود القول؛ لأنه قد تركها حتى وجبت عليه أخرى). اهـ

- فإذا كانت الصلاة لا تجمع مع غيرها كفر بخروج وقتها، أما إذا كانت تجمع مع غيرها فلا يكفر إلا بدخول الثالثة.

- قال إسحاق ابن راهويه: (ينتظر تارك الصلاة إذا أبى من أدائها وقضائها في استتابته حتى يخرج وقتها، وخروج وقت الظهر بغروب الشمس، وخروج وقت المغرب بطلوع الفجر). اهـ

- وأما كلمة: (لأنها من فروع الدين أشبه الصوم والحج)، فهذا من كلام أبي يعلى في المئة الخامسة، لكنه أدرجه في كلام الإمام أحمد؛ فأوهم أنه من كلامه.

=

- والمخالف في هذه المسألة يتجاهل إجماع الصحابة، وعجزه التام أن يأتي بصحابي واحد لا يكفر تارك الصلاة، ثم يذهب إلى قوم بعد الصحابة ليسوا في درجتهم، قد نُسب إليهم القول بعدم التكفير، فينفخ في أقوالهم ويهرب من إجماع الصحابة؛ وهذا الذي يبتغي الفتنة حقًّا.
- وممن نُسب إليه القول بعدم التكفير: الزهري- إن صحت تلك النِّسبة- فقد ذكر محمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٩٥٧) عن ابن شهاب الزهري: أنه سئل عن الرجل يترك الصلاة؟ فقال: (إن كان إنما تركها أنه ابتدع دينًا غير دين الإسلام؛ قُتل. وإن كان إنما هو فاسق، ضرب ضربًا مبرحًا وسجن). اهـ
- والجواب عن هذا يتضح بمعرفة مذهب الزهري في الإيمان، لأن الصلاة من الإيمان- كما في كتاب الله عزَّ وجلَّ-.
- ففي السُّنة لعبدالله (١/ ٣٨٣) عن معقل بن عبيدالله العبسي، قال: (قدمت المدينة فجلست إلى نافع، فقلت له: يا أبا عبدالله! إن لي إليك حاجة، قال: أسرٌّ أم علانية؟ فقلت: لا، بل سرٌّ. قال: رُبَّ سر لا خير فيه! فقلت له: ليس من ذاك، فلما صلينا العصر قام وأخذ بيدي وخرج من الخوخة، ولم ينتظر القاص، فقال: ما حاجتك؟ قال: قلت: اخلني من هذا، قال: تنح يا عمرو! فذكرت له بدو قولهم- أي: المرجئة- فقال: قال رسول الله ﷺ: (أمرت أن أضربهم بالسيف حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوا: لا إله إلا الله؛ عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقه، وحسابهم على الله). قال: قلت: إنهم يقولون: **نحن نقرُّ بأن الصلاة فريضة ولا نصلي**، وأن الخمر حرام ونحن نشربها، وأن نكاح الأمهات حرام ونحن نفعل! قال: فنتر يده من يدي، ثم قال: من فعل هذا فهو كافر. قال معقل: ثم لقيت **الزهري**، فأخبرته بقولهم، فقال: سبحان الله! أو قد أخذ الناس في هذه الخصومات). اهـ
- وفي الإبانة الكبرى (٢/ ٨٨٥) قال الزهري: (ما ابتُدعت في الإسلام بدعة أضر على أهله من هذه- يعني: الإرجاء-).
- وأما ما قاله الزهري هنا- فيما نسبه إليه محمد بن نصر- فليس فيه أن تارك الصلاة مسلم، ولكنه من قبيل ما رواه أحمد وأبو داود، عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (سمعت رسول الله ﷺ: خمس صلوات افترضهن الله على عباده، من أحسن وضوءهن وصلاهن لوقتهن، فأتم ركوعهن وسجودهن وخشوعهن، كان له عند الله عهد أن يغفر له، ومن لم يفعل فليس له عند الله عهد: إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه).

=

- فلعلَّ هذا هو الفاسق الذي عناه الزهري؛ يصلي لكن لا يحسن الوضوء ولا الوقت ولا الركوع ولا السجود ولا الخشوع. ومما يوضح ذلك قوله تعالى: (فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا). فقيل لابن مسعود وغيره: ما إضاعتها؟ قال: تأخيرها عن وقتها، فقالوا: ما كنا نظن ذلك إلا تركها! فقال: لو تركوها؛ لكانوا كفارًا.

وكذلك قوله تعالى: (فَوَيۡلٌ لِّلۡمُصَلِّينَ - ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ)؛ ذمهم مع أنهم يصلون؛ لأنهم سهوا عن حقوقها الواجبة من فعلها في الوقت.

وممن نُسب إليه القول بعدم التكفير أيضًا: أبو عبيد القاسم بن سلَّام!

والجواب: كما في سابقتيها؛ أن هذه مجرد نسبة، ولم يذكر محمد بن نصر إسناده إلى أبي عبيد؛ وعليه فالسند مجهول، والمجهول لا عبرة به.

- على أنني قد تتبعت أبا عبيد في جميع كتبه المنشورة؛ فلم أجد له نصًا بذلك. ومن وجد؛ فليُعْلمنا به. وليست هذه النسبة بأولى من نسبة اللالكائي له في كتاب السنة القول بالتكفير.

- ومن قرأ كتاب الإيمان له؛ عرف مذهب الرجل وموقفه من المرجئة:

- قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مطلع كتابه الإيمان (١/ ٩): (اعلم رحمك الله: أن أهل العلم والعناية بالدين افترقوا في هذا الأمر فرقتين، فقالت إحداهما: الإيمان بالإخلاص لله بالقلوب، وشهادة الألسنة، وعمل الجوارح. وقالت الفرقة الأخرى: بل الإيمان بالقلوب والألسنة، فأما الأعمال فإنما هي تقوى وبر، وليست من الإيمان. وإنا نظرنا في اختلاف الطائفتين، فوجدنا الكتاب والسنة يصدقان الطائفة التي جعلت الإيمان بالنية والقول والعمل جميعًا، وينفيان ما قالت الأخرى). اهـ

- وقال: (لم يجعل الله للإيمان حقيقة إلا بالعمل، والذي يزعمه أنه بالقول خاصة، ويجعله مؤمنًا حقًّا وإن لم يكن هناك عمل؛ فهو معاند لكتاب الله والسنة). اهـ

- وقال: (أفلست تراه تبارك وتعالى، قد امتحنهم بتصديق القول بالفعل، **ولم يرض منهم بالإقرار دون العمل، حتى جعل أحدهما من الآخر**؟ فأي شيء يُتبع بعد كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومنهاج السلف بعده الذين هم موضع القدوة والإمامة؟).

- وقال: (فالأمر الذي عليه السُّنة عندنا ما نص عليه علماؤنا، مما اقتصصنا في كتابنا هذا أن الإيمان: بالنية والقول والعمل جميعًا، وأنه درجات بعضها فوق بعض).

- وقال في كلام مهم له يخص مسألتنا (١/ ١١): (فلما نزلت الشرائع بعد هذا وجبت عليهم وجوب الأول سواء لا فرق بينها؛ لأنها جميعًا من عند الله وبأمره وبإيجابه، **فلو أنهم عند تحويل**

=

القبلة إلى الكعبة أبوا أن يصلوا إليها، وتمسكوا بذلك الإيمان الذي لزمهم اسمه، والقبلة التي كانوا عليها؛ لم يكن ذلك مغنيًا عنهم شيئًا، ولكان فيه نقضٌ لإقرارهم؛ لأن الطاعة الأولى ليست بأحق باسم الإيمان من الطاعة الثانية، فلما أجابوا الله ورسوله إلى قبول الصلاة كإجابتهم إلى الإقرار؛ صارا جميعًا معًا هما يومئذ الإيمان، إذ أضيفت الصلاة إلى الإقرار؛ والشهيد على أن الصلاة من الإيمان: قول الله عز وجل: (وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ). وإنما نزلت في الذين توفوا من أصحاب رسول الله ﷺ، وهم على الصلاة إلى بيت المقدس، فسئل رسول الله ﷺ؟ فنزلت هذه الآية؛ فأي شاهدٍ يُلتمس على أن الصلاة من الإيمان بعد هذه الآية؟

فلبثوا بذلك برهة من دهرهم، فلما أن داروا إلى الصلاة مسارعة، وانشرحت لها صدورهم، أنزل الله فرض الزكاة في إيمانهم إلى ما قبلها، فقال: (وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ). وقال: (خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا). فلو أنهم ممتنعون من الزكاة عند الإقرار، وأعطوه ذلك بالألسنة، وأقاموا الصلاة غير أنهم ممتنعون من الزكاة؛ كان ذلك مزيلًا لما قبله، وناقضًا للإقرار والصلاة، كما كان إباء الصلاة قبل ذلك ناقضًا لما تقدم من الإقرار). اهـ

- فهذا نص منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ على أن من امتنع عن الصلاة مع الإقرار بها؛ فقد نقض ما تقدَّم من الإقرار بالإيمان.

- **والخلاصة: أن كل من نُسب إليه القولُ بعدم كفر تارك الصلاة؛ فإما أنه لا يصح عنه ذلك، أو صحَّ عنه خلاف ذلك. أو لم يبلغه إجماع الصحابة على ذلك؛ وذلك أضعف الإيمان.**

- **وحيث إننا نتكلم هنا عن الأساطير المكذوبة على الأئمة، فههنا أسطورة أخرى منسوبة للإمامين الشافعي وأحمد، ساعد على نشرها ورواجها أهل التجهم والإرجاء، وعلى رأسهم الجهمي القبوري السُّبكي الملقب زورًا عند أهل دينه بالإمام العلامة صاحب كتاب طبقات الشافعية الكبرى.**

- قال السبكي في طبقات الشافعية (٢/ ٦١): (حُكي أن أحمد ناظر الشافعي في تارك الصلاة، فقال له الشافعي: يا أحمد! أتقول: إنه يكفر؟ قال: نعم. قال: إذا كان كافرًا فبم يسلم؟ قال: يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله. قال الشافعي: فالرجل مستديم لهذا القول لم يتركه! قال: يُسلم بأن يصلي. قال: صلاة الكافر لا تصح، ولا يحكم بالإسلام بها؛ فانقطع أحمد وسكت). اهـ

- هكذا، بلا خطام ولا زمام، ولا إسناد ولا جرح ولا تعديل، ولا تعليق ولا تحقيق!

=

كأن الإمام أحمد صبيٌّ من الصبيان يمشي عليه مثل هذا الكلام، فينقطع ويسكت! ألا فلا بارك الله في الهوى.
– وحتى تتم هذه الفرية على الحمقى، قال السبكي بعدها: (حكى هذه المناظرة أبو على الحسن ابن عمار من أصحابنا وهو رجل موصلي من تلامذة فخر الإسلام الشاشي). اهـ
– وكأني به يرى أن الانتساب إلى الشافعية أو إلى الموصل أو إلى التلمذة على الشاشي يُعد تعديلًا للرجل! ولو كان بينه وبين الشافعي وأحمد عشرات السنين.
– والحقيقة فإن هذه المناظرة الملفقة تتضمن سوء أدب مع الشافعي – الذي يتخذه السبكي إمامًا له في الأحكام ومخالفًا له في العقائد – قبل أن تكون سوء أدب مع أحمد رحمهما الله:
– **فأما الشافعي**، فقد روى عبدالله بن أحمد عن أبيه قال: (كان الشافعي إذا ثبت عنده الخبر قلده، وخير خصلة كانت فيه أنه لم يكن يشتهي الكلام، إنما همته الفقه).
ولاشك أن هذه المناظرة محض كلام، والشافعي لا يجيب بالكلام؛ ففي حلية الأولياء أن رجلًا سأل الشافعي عن حديثٍ للنبي ﷺ، فقال له الرجل: فما تقول؟ فارتعد وانتفض، وقال: (أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني إذا رويت عن رسول الله ﷺ، وقلت بغيره).
– **وأما أحمد**، فالأمر أبعد وأبعد؛ إذ كيف يرد على كبار أئمة الجهمية ويفحمهم ويسكتهم أمام السلطان، وقد أتوا بشبهات عظيمة تنقطع لها أعناق الرجال، ثم ينقطع ويسكت أمام شبهة لو عرضت على أحد صبيان الكتاتيب لكشف عوارها؟ ومن قرأ محنته ومناظرته للجهمية أسلاف السبكي المذكور عَلِم قدر الرجل، وسأقتصر في ذلك بذكر العبارات التي وردت على لسان الإمام أحمد في أمر محنته المتواترة، كما في كتابه الرد على الجهمية والزنادقة:
قال أحمد: قال لي عبدالرحمن بن إسحاق القاضي: ما تقول في القرآن؟ فقلت له: ما تقول في علم الله؟ فسكت! وقال: فيتكلم هذا وهذا، فانقطع ابن أبي دؤاد وانقطع أصحابه. ومرة قال: فأخرسوا. ومرة قال: فكأني ألقمته حجرًا!
وقال: إنما كان الأمر أمر ابن أبي دؤاد، قلت له: كانوا كلهم يكلمونك؟ قال: نعم، هذا يتكلم من ههنا، وهذا يحتج من ههنا، وهذا يتأول عليَّ آية، وعجيف عن يمينه، وإسحاق عن يساره قائم، ونحن بين يديه – يعني: أبا إسحاق – فسألني غير مرة فقلت: أوجدني في كتاب أو سنة؛ فقال لي إسحاق وعجيف: وأنت لا تقول إلا ما كان في كتاب أو سنة؟! قلت لهم: ناظروني في الفقه أو في العلم. فقال عجيف: أنت وحدك تريد أن تغلب هؤلاء الخلق كلهم وَلَـزَّني بقائمة
=

سيفه، وأشار أبو عبدالله إلى عنقه يريني بيده هكذا، ثم قال إسحاق بن إبراهيم: وأنت لا تقول إلا ما كان في كتاب أو سنة، ولكزني بقائمة سيفه- وأومأ أبو عبدالله إلى حلقه-.
وقال: اجتمع عليَّ خلق من الخلق، وأنا بينهم مثل الأسير، وتلك القيود قد أثقلتني، قال: وكان يلغطون ويضحكون، وكل واحد منهم ينزع آية، وآخر يجيء بحديث؛ قال: والرئيس يسكتهم. قال: فكان هذا يقول شيئًا، وهذا يقول شيئًا، وهذا يقول شيئًا، فقال لي واحد منهم: أليس يروى عن أبي السليل عن عبدالله بن رباح عن أبي كعب؟ فقلت: وما يدريك من أبو السليل؟ ومن عبدالله بن رباح؟ ومالك ولهذا؟ قال: فسكت!). اهـ
- فهذه المناظرة التي حكاها السبكي لا تثبت، وسندها منقطع كما ترى، وهي تخالف المعروف من مذهب الإمام أحمد؛ وهو أن من كفر بترك الصلاة، فإنه لا يكون مسلمًا إلا بفعلها، فإذا فعلها وصلى حُكم بإسلامه. وهكذا كل من ارتد بأمر من الأمور، فإنه لا يسلم بمجرد النطق بالشهادتين، حتى يصحح ما ارتد به. والإمام الشافعي وجميع العلماء يقرون بهذا الحكم.
- وأما قوله: (لا تصح من الكافر)؛ فإنه كافر قبل فعلها، فإذا صلى مع توحيده السابق المستمر عليه؛ دخل بذلك في الإسلام.
- وهذه الترهات، وهذا الخَبَل لا يليق إلا بأصحاب الكلام، ونحن مأمورن بعدم الرد عليهم أو الخوض معهم؛ وفي ذم الكلام للهروي: (أن عبدالله بن عدي الصابوني لما حُمل إلى بخارى أُحضر أبو بكر الشاشي القفال ليكلمه؛ فقال: لا أكلمه، إنه متكلم).
- وفيه عن إبراهيم الخواص، قال: (ما كانت زندقة، ولا كفر، ولا بدعة، ولا جرأة في الدين؛ إلا من قِبَل الكلام والجدال والمراء والعجب؛ فكيف يجترئ الرجل على الجدال والمراء. والله تعالى يقول: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾).

- الأسطورة الثالثة في هذا الباب:

ما ذكره ابن قدامة في المغني (٢/ ٢٩٧) بقوله: (إننا لا نعلم في عصر من الأعصار أحدًا من تاركي الصلاة تُرك تغسيله والصلاة عليه ودفنه في مقابر المسلمين ولا منع ورثته ميراثه ولا منع هو ميراث مورثه ولا فرق بين زوجين لترك الصلاة من أحدهما لكثرة تاركي الصلاة، ولو كان كافرًا لثبتت هذه الأحكام كلها، ولا نعلم بين المسلمين خلافًا في أن تارك الصلاة يجب عليه قضاؤها، ولو كان مرتدًا لم يجب عليه قضاء صلاة ولا صيام). انتهى من المغني، وقد ذكرها ابن قدامة على سبيل الإقرار لها.

=

– وهذا هو اتباع الظن الذي قال الله: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾. وقال: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾.

– وهذا الكلام فضيحة كبرى في حقِّ من قاله أو أقره! إذ كيف يُجعل تفريط الناس حاكمًا على النصوص المحكمة؟!

– وليس هذا فحسب، بل ويعتبره إجماعًا يجب المصير إليه وترك الإجماع القطعي الذي توارثته الأمة جيلًا بعد جيل على كفر تارك الصلاة، وهذا الإجماع المزعوم هو الذي قال فيه إمام مذهبه– الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ–: (من ادعى الإجماع فقد كذب، وما يدريه والناس قد اختلفوا).

– لأن أمرًا كهذا يحتاج إلى تتبع واستقراء، وعدم العلم بالشيء ليس علمًا بالعدم. ولو استرسلنا مع تفريط الناس؛ لأبطلنا كثيرًا من أحكام الشريعة، بحجة أن الناس لا يعملون به! مثال ذلك: ما سمعنا عن رجلٍ صرف شيئًا من العبادة لغير الله فحُكِم بردته وترك تغسيله والصلاة عليه ودفنه في مقابر المسلمين ولا فُرِّق بينه وبين زوجته لفعله الشرك الأكبر، ما سمعنا بهذا بعد انقضاء القرون المفضلة– حاشا ما كان في وقت الإمام محمد بن عبدالوهاب– فهل معنى ذلك أن صرف العبادة لغير الله ليست شركًا؟!

– كذلك ما يدريه لعلَّ الناس في بعض الأمكنة أو الأزمنة تركوا تغسيل تارك الصلاة وتوريثه وتزويجه، ولو من الأفراد.

– **والجواب على هذا الادعاء الباطل من وجوه:**

أولًا: لو صحَّ ما ادعاه هؤلاء؛ لقيل فيه ما قاله ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٧/ ٦١٧) حيث قال: (وبهذا تزول الشبهة في هذا الباب، فإن كثيرًا من الناس، بل أكثرهم في كثير من الأمصار لا يكونون محافظين على الصلوات الخمس، ولا هم تاركيها بالجملة، بل يُصلُّون أحيانًا، ويَدَعون أحيانًا). اهـ

فهم إذا صلوا دخلوا في الإسلام، وإذا تركوا الصلاة خرجوا منه، ولم نعلم بماذا خُتم لهم.

ثانيًا: أن النبي ﷺ أراد أن يفعل ما هو أشد من هذا في حقِّ من هو أقل من ذلك، فأراد أن يحرق البيوت على من لا يشهدون الجماعة، فما بالك بترك الصلاة بالكلية؟!

ثالثًا: أجمع العلماء على تطبيق آثار الرِّدة على قائل بعض المقالات، حتى وإن فرَّط الناس في العمل بذلك، فلم نسمع مثلًا بالتفريق بين جهمي وامرأته إذا لم تكن جهمية، فهل هذا دليلٌ على عدم كفر الجهمية؟! قال الحسن بن الصباح: (قيل لأحمد بن حنبل: إن سجادة سُئِل عن

=

- وأن العشرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في الجنة نشهد عليهم أنهم في الجنة؛ للحديث المأثور عن رسول الله ﷺ(١).

رجلٍ قال لامرأته: أنتِ طالق ثلاثًا إن كلَّمتُ زنديقًا، فكلم رجلًا يقول: القرآن مخلوق، فقال سجادة: طلقت امرأته، فقال أحمد: ما أبعد). اهـ

- وقال مصعب بن خارجة: (الجهمية كفار، بلغوا نساءهم أنهن طوالق).

- وقال ابن الأسود: سمعت ابن مهدي يقول ليحيى بن سعيد: (لو أن جهميًّا بيني وبينه قرابة ما استحللت من ميراثه شيئًا).

- وقال طلحة بن مصرّف: (الرافضة لاتنكح نساؤهم، ولاتؤكل ذبائحهم، لأنهم أهل ردة).

- وقال البخاري: (ما أبالي صليت خلف الجهمي والرافضي، أم صليت خلف اليهود والنصارى، ولا يسلم عليهم ولا يعادون ولا يناكحون ولا يشهدون ولا تؤكل ذبائحهم).

- وقال سفيان بن عيينة لرجل: (من أين جئت؟ قال: من جنازة فلان بن فلان، قال: لا حدثتك بحديث، استغفر الله ولا تعد؛ نظرت إلى رجل يبغض أصحاب رسول الله ﷺ فاتبعت جنازته).

- وفي ذم الكلام، عن عمر بن إبراهيم، قال: (لا تحل ذبائح الأشعرية؛ لأنهم ليسوا بمسلمين، ولا بأهل كتاب، ولا يثبتون في الأرض كتاب الله).

- فهل يُعمل بهذه النصوص في مصرٍ من الأمصار اليوم؟!

- وقال الهروي: (سمعت عبدالله بن أبي نصر المؤدب؛ يقول: ما صلى أبو نصر الصابوني على أبيه؛ للمذهب). أي: ترك الصلاة على أبيه؛ لأن مذهبه كان مخالفًا لمذهب أهل السنة والجماعة. فكيف بمن ترك الصلاة بالكلية؟!

(١) ومن هذه الأحاديث: ما رواه أحمد في مسنده، عن رياح بن الحارث: (أن المغيرة بن شعبة كان في المسجد الأكبر، وعنده أهل الكوفة عن يمينه وعن يساره، فجاءه رجلٌ يدعى: سعيد بن زيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فحيَّاه المغيرة وأجلسه عند رجليه على السرير. فجاء رجلٌ من أهل الكوفة فاستقبل المغيرة، فسبَّ وسبَّ، فقال: من يسب هذا يا مغيرة؟! قال: يَسُبُّ علي بن أبي طالب، قال: يا مُغير بن شُعْب! يا مُغير بن شُعْب- ثلاثًا- ألا أسمع أصحاب رسول الله ﷺ يُسبَون عندك؟ لا تنكر ولا تغيِّر، فأنا أشهد على رسول الله ﷺ بما سمعت أذناي ووعاه قلبي من رسول الله ﷺ، فإني لم أكن أروي عنه كذبًا يسألني عنه إذا لقيته، أنه قال: أبو بكر في الجنة، =

- وأن الرجم حقٌّ واجب على من زنى وقد أُحصن، بالحمل أو الاعتراف، فقد صحَّ عن رسول الله ﷺ والخلفاء رضي الله عنهم بعده.

- وأن الجنة والنار مخلوقتان: قد قال رسول الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده لقد عُرضت عليَّ الجنة والنار في عرض هذا الحائط، وأنا أصلي فلم أر كاليوم في الخير والشر»**[1].

وقال ﷺ: **«دخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك»**[2].

وقال ﷺ: **«بينما أنا في الجنة فرأيت فيها قصرًا؛ فقلت: لمن هذا القصر؟ فقيل: لعمر»**[3].

وقال ﷺ: **«رأيت النار؛ فإذا فيها أخو بني الدُّعْدُع»**[4].

وعمر في الجنة، وعلي في الجنة، وعثمان في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبدالرحمن في الجنة، وسعد بن مالك في الجنة، وتاسع المؤمنين في الجنة-لو شئت أن أسميه لسميته- قال: فضجَّ أهل المسجد يناشدونه يا صاحب رسول الله ﷺ من التاسع؟ قال: ناشدتموني بالله، والله العظيم! أنا تاسع المؤمنين، ورسول الله ﷺ العاشر، ثم أتبع ذلك يمينًا، قال: والله لَمشهدٌ شهده رجل يُغبِّرُ فيه وجهه مع رسول الله ﷺ أفضل من عمل أحدكم، ولو عُمِّر عُمْرَ نوح عليه السلام). وفي رواية: (وأبو عبيدة بن الجرَّاح في الجنة).

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه. و(جنابذ)- بفتح الجيم والنون-: جمع جنبذ، وهو ما ارتفع واستدار كالقبة.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه أحمد في مسنده، وفي الزهد له، ورواه النسائي في الكبرى والصغرى، وابن حبان وابن خزيمة في صحيحيهما، كلهم من رواية عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما في قصة صلاة الكسوف. والدعدع: تقرأ بالضم أو بالفتح؛ وقد جاء تفسيرها في نفس الرواية؛ قال النبي ﷺ: (اطلعت في النار فإذا أكثر أهلها النساء، ورأيت فيها ثلاثة يعذبون: امرأة من حمير طوالة ربطت هرة لها لم تطعمها ولم تسقها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض، فهي تنهش قبلها ودبرها، ورأيت =

وقال ﷺ: **«رأيت النار؛ فيها صاحبة الهرة»**(١).

وقال ﷺ: **«وقالت الجنة: يا رب! مالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس ومساكينهم؟ قال: وقالت النار: أُوثرت بالجبارين والمتكبرين؛ فقال الله جلَّ ثناؤه: أنتما خلق من خلقي»**(٢).

فمن زعم أنهما غير مخلوقتين، وإن كانتا مخلوقتين فإنهما يفنيان، كما يفنى سائر الخلق؛ فقد كذب من زعم هذا وأنكر الملة(٣).

فيها أخا بني دعدع الذي كان يسرق الحاج بمحجنه، فإذا فطن له، قال: إنما تعلق بمحجني، والذي سرق بدنتي رسول الله ﷺ).

- وأهل العلم يشبهون أبا حنيفة وأصحابه في الحِيَل بصاحب المحجن هذا؛ قال حماد بن سلمة: (لو كان أصحاب المحجن في هذه الأمة؛ لكانوا من أصحاب أبي حنيفة).

وفي غوامض الأسماء المبهمة لابن بشكوال أن صاحب المِحْجَنِ: هو عِمْرَان الغفاري. وقيل: اسمه كُليب بن حزام.

- وفي هذا الحديث دليل على أن أهل الفترة مُعذَّبون، سواء بالشرك أو بالمعاصي. كما عاقب الله أصحاب الفيل في الفترة.

(١) رواه أحمد، ومسلم.

(٢) رواه أحمد، ومسلم.

(٣) الجهمية هم الذين يزعمون أن الجنة والنار تفنيان:

- قال ابن أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٦٢١): (وقال بفناء الجنة والنار: الجهم بن صفوان إمام المعطلة، وليس له سلف قط، لا من الصحابة، ولا من التابعين لهم بإحسان، ولا من أئمة المسلمين، ولا من أهل السُّنة، وأنكره عليه عامة أهل السُّنة، وكفَّروه به، وصاحوا به وبأتباعه من أقطار الأرض، وهذا قاله لأصله الفاسد الذي اعتقده، وهو امتناع وجود ما لا يتناهى من الحوادث). اهـ

=

- وروى ابن عساكر في تاريخ دمشق (٨/ ٢٢٥) عن عبدالله بن أحمد بن حنبل، قال: (سألت أبي عن الحكم بن عبدالله أبي مطيع البلخي؟ فقال: لا ينبغي أن يُروى عنه؛ حكوا عنه أنه كان يقول: الجنة والنار خُلقتا وسيفنيان؛ وهذا كلام جهم! لا يُروى عنه شيء). اهـ
- وقال أبو عبيد محمد بن علي الآجري: (سألت أبا داود سليمان بن الأشعث عن أبي مطيع الخرساني؟ فقال: تركوا حديثه كان جهميًّا). اهـ
- قلت: وما ذاك إلا لأنه كان يقول بفناء الجنة والنار.
- وروى عبدالله بن الإمام أحمد في السنة (٧٤) عن خارجة بن مصعب، قال: (كفرت الجهمية في غير موضع من كتاب الله، قولهم: إن الجنة تفنى، وقال الله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾. فمن قال: إنها تنفد؛ فقد كفر، وقال: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾، فمن قال: لا يدوم؛ فقد كفر، وقال: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾، فمن قال: إنها تنقطع؛ فقد كفر، وقال: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾، فمن قال: إنها تنقطع؛ فقد كفر). اهـ
- وأما أهل السنة والجماعة؛ فقد تواتر عنهم القول بعدم فناء الجنة أو النار، وأنهما تبقيان أبد الآبدين، وجميع عقائد أهل السنة لا تخلو من هذه العقيدة:
- ففي طبقات الحنابلة (١/ ٣٤٤) قال الإمام أحمد- كما في عقيدة مسدد بن مسرهد-: (وإن الله خلق الجنة قبل الخلق، وخلق لها أهلًا، ونعيمها دائم، ومن زعم أنه يبيد من الجنة شيء فهو كافر، وخلق النار قبل خلقه الخلق، وخلق لها أهلًا وعذابها دائم). اهـ
- وفي شرح السنة (ص٣٣) قال البربهاري: (وكل شيء مما أوجب الله عليه الفناء يفنى، إلا الجنة والنار، والعرش والكرسي، والصور، والقلم، واللوح ليس يفنى شيء من هذا أبدًا). اهـ
- وفي الشريعة (ص٣٩٩) قال الآجري: (وقد ذكر الله عزَّ وجلَّ في كتابه أهل النار الذين هم أهلها، يخلدون فيها أبدًا.. وأن أهل النار الذين هم أهلها في العذاب الشديد أبدًا). اهـ
- وفي أصول السنة (ص١٣٩) قال ابن أبي زمنين: (وأهل السنة يؤمنون بأن الجنة والنار لا يفنيان، ولا يموت أهلوها... ولو لم يذكر الله تبارك وتعالى الخلود إلا في آية واحدة لكانت كافية لمن شرح الله صدره للإسلام، ولكن ردَّد ذلك ليكون له الحجة البالغة). اهـ
- قلت: قد ذكر الله خلود أهل النار على التأبيد في ثلاثة مواضع من كتابه، في سورة النساء، والأحزاب، والجن.
- وقال الحافظ عبدالغني المقدسي في عقيدته (ص٧٦): (والإيمان بأن الجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبدًا، خلقتا للبقاء لا للفناء، وقد صحَّ في ذلك أحاديث عدة). اهـ

=

– ومما يدلُّ على بقاء الجنة، قوله تعالى عن أهلها: (لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ).
– وقوله عن أهل النار: (يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ).
– وقوله: (مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا).
– وقوله: (وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا).
– وقوله: (كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ).
– وقوله: (إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ).
– وقوله: (وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ).
والآيات التي فيها خلود أهل الجنة وأهل النار تربو على الخمسين آية.
– وفي الصحيحين عن عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: (يدخل أهل الجنة الجنة، ويدخل أهل النار النار، ثم يقوم مؤذن بينهم، فيقول: يا أهل الجنة! لا موت، ويا أهل النار! لا موت، كلٌّ خالدٌ فيما هو فيه).
– وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (يجاء بالموت كأنه كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة! هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم، هذا الموت. ثم يقال: يا أهل النار! هل تعرفون هذا، فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم، هذا الموت، قال: فيؤمر به فيذبح، قال: ثم يقال: يا أهل الجنة! خلود فلا موت، ويا أهل النار! خلود فلا موت، ثم قرأ رسول الله ﷺ: (وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ). اهـ
– وروى أحمد في مسنده، ومسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: (أمَّا أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون).
– وأما الجواب عن قوله تعالى: (فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ - خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ).
فيقال: قد بيَّن السَّلف في تفسيرهم أن المراد به أصحاب الكبائر من أهل التوحيد الذين يخرجهم الله منها بعد إدخالهم فيها، فكانوا أشقياء في النار لما دخلوها، فأصبحوا سعداء في الجنة بعدما انتقلوا إليها، وأن نارهم هذه لتخفق أبوابها بعدما خرجوا منها، فليس في الآية دليلٌ على فناء النار، بل فيها دليلٌ على إخراج الموحدين من النار، كما في الحديث الذي رواه البخاري عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: (ليصيبن أقوامًا سفعٌ من النار بذنوب أصابوها عقوبة، ثم يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته، فيقال لهم: الجهنميون).

=

- وأما أثر عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: (ليأتين على جهنم زمانٌ ليس فيها أحدٌ).
فيقال: إن هذا الأثر رواه ابن جرير الطبري في تفسيره بإسناد ضعيف لا يصح، وذكره البغوي في تفسيره بدون إسناد، ثم قال: (ومعناه عند أهل السُّنة- إن ثبت- أنه لا يبقى فيها أحدٌ من أهل الإيمان، وأما مواضع الكفار فممتلئة أبدًا). اهـ
- ومما يدلُّ لذلك أيضًا ما قاله عبيدالله بن معاذ- أحد رواة أثر أبي هريرة الذي يشبه أثر ابن مسعود في هذا المعنى- قال: (كان أصحابنا يقولون: يعني به الموحدين). اهـ
- وقد أجاب ابن عطية الأندلسي على من فهم من هذا الاستثناء أن جهنم تفنى، بقوله: (هذا قولٌ مختلٌ، والذي روي ونقل عن ابن مسعود وغيره، إنما هو الدَّرك الأعلى المختص بعصاة المؤمنين، وهو الذي يُسمى جهنم، وسُمي الكلُّ به تجوزًا). اهـ
- وأيضًا قوله: (ليس فيها أحد) يدلُّ على بقائها، فإنك إذا قلت: ليس في الدار أحد، فإنه يدل على بقاء الدار، لا على فنائها.
- وذهب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية- في أحد قوليهما- إلى القول بفناء النار خاصة، وأن الله يخرج من النار من يشاء، ثم يبقيها زمنًا، ثم يفنيها، لأنه سبحانه جعل لها أمدًا تنتهي إليه! حتى ألَّف ابن تيمية رسالة في ذلك، طُبعت فيما بعد بعنوان: (الردُّ على من قال بفناء الجنة والنار وبيان الأقوال في ذلك)، ومما قال فيها (ص٦٧): (يحتج على فنائها- أي: النار- بالكتاب والسُّنة، وأقوال الصحابة- مع أن القائلين ببقائها ليس معهم كتاب، ولا سنة، ولا أقوال الصحابة). اهـ
ثم نقل عنه ذلك ابن القيم في كتابه حادي الأرواح (ص٣٥٤) وأقرَّه عليه.
والحامل لهما في ذلك القول أمور، منها:
١- آيات مقيدة أو متشابهة أو مجملة فهموها على غير فهم السَّلف لها.
٢- أحاديث وآثار صريحة غير صحيحة أو صحيحة غير صريحة، والصريح منها لا يدلُّ على ما ذهبا إليه، إنما هو في نار أهل الكبائر، كما هو اعتقاد أهل السنة والجماعة.
٣- محضُ كلام ورأي رأياه، وهو أن الله فعالٌ لما يريد! وأن سعة رحمة الله تعالى تغلب غضبه وحكمته! ولو بقيت النار- وهي أثر الغضب- لبقي الغضب أبد الآبدين!
- وهذا كله رأيٌ لا يُعول عليه، ولاشك أن القول بفناء النار بدعة شديدة مُنكرة، لم يقل بها أحدٌ من السلف، ولعلَّ القول الثاني لهما الموافق لعقيدة السَّلف هو المتأخر- إن شاء الله- وهذه المسألة ليست اجتهادية أو فيها خفاء.

- وأن الله تعالى يُرى في الآخرة بالأبصار يراه أهل الجنة، فأما من سواهم من بني آدم فلا.

والحجة في ذلك أحاديث مأثورة عن رسول الله ﷺ:

«قيل له: يا رسول الله! هل نرى ربنا يوم القيامة...». الحديث[١].

وفيما يروى عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ ومن بعدهم من التابعين في قوله تعالى: «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ - إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ».

قال: النظر إلى وجه الله الكريم عَزَّ وَجَلَّ.

---

(١) أحاديث رؤية الله يوم القيامة متواترة؛ وهي رؤية حقيقية يراه المؤمنون بأبصارهم؛ جاءت في الصحاح والسنن والمسانيد والمعاجم والمستخرجات والمصنفات والفوائد والأجزاء والأمالي وكُتب الاعتقاد والرد على المبتدعة؛ بل إن هذه العقيدة جاءت في القرآن في غير ما آية وفسرها النبي ﷺ بالنظر إلى وجه الله تعالى، وكان يدعو ربه: (وأسألك لذة النظر إلى وجهك).
وأَمَرَ أصحابه أن يتعاهدوا هذا الدعاء صباحًا ومساء، ومع ذلك ردته الجهمية ولم يؤمنوا به، ومن أظهر الإيمان به- من مخانيث الجهمية- أوَّلُوه، وحرَّفوه.
- قال السجزي في رسالته لأهل زبيد: (وقال الأشعري: إن الله سبحانه يُرى يوم القيامة على الحقيقة. وأظهر الرد على من أنكرها. وأفصح في بعض كتبه: أنه يُرى بالأبصار. وقال- الأشعري- في موضع آخر: لا تختص الرؤية بالبصر، ولا تكون عن مقابلة؛ لأن ما يُرى مقابلة كان جسمًا. ثم قال السجزي: وقد حُكي عن بعض متأخريهم؛ أنه قال: لولا الحياء من مخالفة شيوخنا؛ لقلت: إن الرؤية هي العلم لا غير). اهـ
- وهؤلاء بهذا التأويل الباطل يقتدون ببشر المريسي الضَّال، حيث قال في الحديث: (سترون ربكم لا تُضَامُون في رؤيته). قال: (تَعْلَمون أنَّ لكم ربًّا لا تَشُكُّونَ فيه).
- وكل تأويلات الأشعرية لا تختلف شعرة عن تأويلات بشر المريسي الجهمي التي نقضها عثمان بن سعيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وفيما روي عن رسول الله ﷺ: **«ما منكم أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة، ليس بينه وبينه ترجمان»**(١).

وإنما عنى بذلك أهل التوحيد، وإن كان فيهم من استوجب العقوبة؛ لأن مصيرهم بعد العقوبة الجنة، والله- جلَّ ثناؤه- عفو كريم يعفو عمن يشاء، ويعذب من يشاء.

- وأن لله عَزَّوَجَلَّ مئة اسم غيرَ واحدٍ؛ فإنه وترٌ يحب الوتر، من أحصاها دخل الجنة، يؤثَر ذلك عن رسول الله ﷺ(٢).

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه. والمقصود بقول: (وأن لله مئة اسم غيرَ واحدٍ). أي: تسعة وتسعين اسمًا؛ كما رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: (إن لله تسعة وتسعين اسمًا، مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة). زاد ابن بشران في أماليه (٨٣٧): (وهي من القرآن).
- وليس المراد بالحديث حصر الأسماء الحسنى في هذا العدد، أو نفي ما عداها من الزيادة عليها، وإنما وقع التخصيص بالذكر لهذه الأسماء، وهو أن من أحصاها دخل الجنة. ومما يدلُّ لذلك ما رواه أحمد في مسنده، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: (ما قال عبدٌ قط إذا أصابه هم أو حزن: اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ في حكمك، عدل في قضاؤك؛ أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور بصري، وجلاء حزني، وذهاب همي؛ إلا أذهب الله همه).
- وقال البغوي في شرح السنة (٥/ ٣١): (قوله: (من أحصاها)، قيل: أراد عدها، وقيل: معناه: عرفها، وعقل معانيها، وآمن بها، يقال: فلان ذو حصاة وأصاة: إذا كان عاقلًا مميزًا. وفي بعض الروايات: (من حفظها دخل الجنة)، وقوله: ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾. أي: علم عدد كل شيء. وقيل: من أحصاها، أي: أطاقها، كقوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾. أي: تطيقوه، يقول: من أطاق القيام بحق هذه الأسامي، والعمل بمقتضاها، كأنه إذا قال: الرَّزاق؛ وثق بالرزق، وإذا قال: الضار النافع؛ علم أن الخير والشر منه، وعلى هذا سائر الأسماء). اهـ

=

وقال الله عَزَّوَجَلَّ في محكم كتابه العزيز: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾. [الأعراف:١٨٠].

فمن آمن بهذا وصدَّق به؛ فقد أفلح ولزم أمر الله تعالى، ومن كذَّب به بتأول أو احتجاج في إبطاله؛ فقد ضلَّ وزاغ عن الحق وهلك في الدارين، إلا أن يتوب توبة نصوحًا، يعلم الله تعالى من قلبه أنه مفارق لهذه الأهواء، راجع إلى الحق، وبالله التوفيق.

- وأن الإيمان بهذه الأحاديث المأثورة عن رسول الله ﷺ في رؤية الرب- جلَّ وعلا- يوم القيامة، والقدر، والشفاعة، وعذاب القبر،

- وسبب إيراد هذه العقيدة في كتب الاعتقاد- مع أن الأطفال في الكتاتيب يحفظونها حفظ السورة من القرآن- هو أن الجهمية تُنكر ذلك:

- ففي السنة للالكائي (٢/ ٢٤٠) عن إسحاق بن راهويه، أنه قال: (أفضوا- أي: الجهمية- إلى أن قالوا: أسماء الله مخلوقة؛ لأنه كان ولا اسم. وهذا الكُفر المحض؛ لأن لله الأسماء الحسنى، فمن فرَّق بين الله وبين أسمائه وبين علمه ومشيئته، فجعل ذلك مخلوقًا كله والله خالقها؛ فقد كفر. ولله عز وجل تسعة وتسعون اسمًا، صحَّ ذلك عن النبي ﷺ أنه قاله، ولقد تكلَّم بعض من يُنسب إلى جهم بالأمر العظيم فقال: لو قلتُ إن للرَّبِّ تسعة وتسعين اسمًا لعبدتُ تسعة وتسعين إلهًا! حتى إنه قال: إني لا أعبد الله الواحد الصمد، إنما أعبد المراد به! فأي كلام أشد فرية وأعظم من هذا! أن ينطق الرجل ويقول: لا أعبد الله!).

- وقال العسقلاني في شرح البخاري (١٣/ ٣٧٨): (نُقل عن إسحاق بن راهويه عن الجهمية، أن جهمًا قال: لو قلتُ إن لله تسعة وتسعين اسمًا لعبدتُ تسعة وتسعين إلهًا! قال: فقلنا لهم: إن الله أمر عباده أن يدعوه بأسمائه، فقال: (وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا)، والأسماء جمعٌ أَقَلُّهُ: ثلاثة، ولا فرق في الزيادة على الواحد بين الثلاثة وبين التسعة والتسعين). اهـ

والحوض، والميزان، والرجم، والنزول، والحساب، والجنة والنار، ونحوها من الأحاديث والتصديق بها لازم للعباد أن يؤمنوا بها. انتهى.

٧٦٢- وعن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده:

عن علي بن أبي طالب رَضِيَاللَّهُعَنْهُ أنه كان إذا أصبح؛ قال:

الحمد لله الذي ذهب بالليل وجاء بالنهار ونحن منه في عافية، مرحبًا بخلق جديد، مرحبًا بكما من آخذَيْن وكاتبَيْن وحافظَيْن، اكتبا بسم الله في غرة يومي هذا، أني أشهد أن لا إله إلا هو وكفى بالله شهيدًا، وأُشهدكما على مقالتي هذه في ساعتي هذه، أني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهًا واحدًا أحدًا صمدًا، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، وأشهد أن محمدًا ﷺ عبده ورسوله، أمين الله وصفيّه وخيرة الله من خلقه، وأشهد أنه خاتم النبيين، وأنه لا نبي بعده ﷺ فسلام الله عليه ورحمته وبركاته.

وأشهد أن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأن الله عَزَّوَجَلَّ على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا.

وأقول على ذلك وعلى كل نعمة أنعم بها عليَّ ربي عَزَّوَجَلَّ: الحمد لله عدد آياته وأسمائه، والحمد لله عدد ما في أرضه وسمائه، والحمد لله عدد ملائكته وخلقه وأمره، والحمد لله عدد ما في دنياه وآخرته، الباعث الوارث، يحيي الموتى ويميت الأحياء، ويحيي العظام وهي رميم- ومن التسبيح والتهليل والتكبير مثل ذلك- حسبي من لم يكلني إلى نفسي

وهو كلأني في الليل والنهار، وغذاني في رحم أمي، وحفظني حتى بلغت أشدي، وكنت ميتًا فأحياني، ومن بعد حياتي يميتني، حسبي الله ربي، لا أشرك بـه شـيئًا، لا إلـه إلا الله وحـده لا شريـك لـه، ربي ورب آبـائي الأولين، يا من دنى في علوه، ويا من تعالى في قربه، ويا من رفع السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، ممسك السماوات والأرض أن تـزولا، ولـئن زالتا إن أمسكهما من أحد إلا بأمره.

يا الله! يا الله! يا الله! لا شريك لك، لك الحمـد والتـسبيح والتكبـير والتهليل والآلاء والقدرة والكبرياء والعظمة عدد ما خلقت، وعدد مـا هو سابق في علمك، وعدد ما أنت خالقه إلى يوم القيامة، وعدد ما تعجز عقول أولي الألباب عن مبلغ صفة ذلك عندك، عملتُ سـوءًا وظلمـت نفسي، وأنت العفو فاعف عني، وأنت الغفور فاغفر لي، وأنـت التـواب فتب عليّ، لا إله إلا أنـت وحـدك لا شريـك لـك، لـك الحمـد يـا رب العالمين، ولك الكبرياء.

يا الله! يا الله! يا الله! يا رحمن! يا رحيم! يا مهيمن! لا إلـه إلا أنـت، وأُشهد جميع من خلقته، ومن أنت خالقه إلى يوم القيامة على مقالتي هذه في ساعتي هذه، أنك أنت الله ربي الحق المبين، لا إله إلا أنت، وبأنك أنت الله الرحمن الرحيم، وأن محمـدًا ﷺ عبـدك ورسـولك النبـيّ ﷺ، وأن الإسلام ديني، أسألك تمام ذلك، وأن الساعة آتية لا ريب فيهـا، وأنـك تبعث من في القبور، وأنك على كل شيء قدير، وأنك أحطت بكـل شيء علمًا، وأحصيت كل شيء عددًا، وأنك مـا تـشاء مـن أمـرٍ يكـونُ كـان.

شهادة خالصة مخلصة، أنال بها منك جزيل كرامة الدنيا، وحسن ثـواب الآخرة، الحمد لله لم أصبح ميتًا ولا سقيمًا ولا مـضروبًا عـلى عِـرْق، ولا مأخوذًا بأسوء عملي، ولا مقطوعةً يدي، ولا مرتدًا عن ديني، ولا منكرًا لربي عَزَّوَجَلَّ، ولا مستوحشًا من ديني، ولا مستلبًا مـن عقـلي، ولا معـذبًا بعذاب مَن مِن الأمم قبلي، ولا أصبحت عبدًا مملوكًا ظالمًا لنفـسي، لـك الحجة عليَّ ولا حجة لي.

أصـبحتُ لا أملـك لنفـسي ضرًا ولا نفعًـا ولا موتًـا ولا حيـاة ولا نشورًا، ولا أستطيع أن آخذ إلا ما أعطيتنـي، ولا أتقـي إلا مـا وقيتنـي، فوفقني اللهم لما يرضيك عني.

أصبحتُ وما بي وبغيري من نعمة أو عافية صغيرة أو كبيرة، قديمـة أو حديثة، فمنك وحدك لا شريـك لـك، أنـت أحـق المنعمـين أن يـتم نعمته، وأحق الْمُفْضِلين أن يتم فضله ومنته.

اللهم بك كنا ما كنا، وبك نكون كما كنا، على الله أمورنـا وتـسديدنا وتوفيقنا وعصمتنا أن نضل عن قولـك، أو نُفـتن عـن دينـك، أو نتـابع هدى دون الذي جاء من عندك، يا من أظهر الجميل وستر القبيح عـليّ، يا من لم يؤاخذني بالجريرة، ولم يهتك الستر، يـا عظـيم العفـو! يـا كـريم المغفرة! يا باسط اليدين بالرحمة! يا حسن التجاوز! يا شاهد كل نجوى! يا منتهى كل شكوى! يا علام الغيوب، ومـا تخفـي الـصدور! يـا مُعتـق الرقاب وفكّاك الأعناق! يا مُقيل العثرات والسيئات! يا مبتـدينا بـالنعم

قبل استحقاقها، يا رباه! يا سيداه! يا إلهاه! أسألك[1] أن تجيرني من شر ما أحاذر في الدنيا والآخرة.

(١) جاء في أصل المخطوط هكذا: (أسألك بحق محمد ﷺ نبي الرحمة وخاتم النبيين وبحق سائر أنبيائك عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أجمعين!). وهذا منكر جدًا عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ!!

- والتوسل بجاه النبي ﷺ أو بجاه غيره لا يجوز، وليس له أصل بل هو بدعة مفضية إلى الشرك. وإنما التوسل المشروع الذي جاء به الكتاب والسُّنة هو: التوسل إلى الله تعالى بالإيمان والتوحيد، وبالأعمال الصالحة، وأسماء الله وصفاته، أو طلب الدعاء من الرجل الصالح الحي الحاضر؛ مثل: التوسل إلى الله بدعاء النبي ﷺ وشفاعته في حياته، وبدعاء غيره من الأنبياء والصالحين في حياتهم، كما توسل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بدعاء النبي ﷺ وشفاعته في حياته، وبعد وفاته توسلوا بدعاء العباس بن عبدالمطلب عم النبي ﷺ، وبدعاء يزيد بن الأسود الجرشي في زمن معاوية. ولم يسألوا بجاه النبي ﷺ ولا بغيره؛ ولو كان هذا التوسل حقًّا، كانوا إليه أسبق، وعليه أحرص.

- وأما التوسل بجاه المخلوقين، مثل: إني أسألك بجاه النبي، ونحو ذلك، فهذا لم يُنقل عن النبي ﷺ ولم يفعله الصحابة في حق النبي ﷺ بعد موته ولا في غيابه. وذكر الشيخ سليمان بن عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُمُ اللَّهُ حكاية عن ابن القيم أنه بدعة إجماعًا.

- وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب الاستغاثة: (ما زلتُ أبحثُ وأكشفُ ما أمكنني من كلام السلف والأئمة والعلماء، هل جوّز أحد منهم التوسل بالصالحين في الدعاء، أو فعل ذلك أحد منهم؛ فما وجدته. ثم وقفت على فتيا لأبي محمد بن عبدالسلام- هو: العز بن عبدالسلام الأشعري المعروف- أفتى بأنه لا يجوز التوسل بغير النبي ﷺ، وأما بالنبي ﷺ فجوّز التوسل به، إن صحَّ الحديث في ذلك). اهـ

- وما جاء فيها من أحاديث وآثار فهو إما صحيح غير صريح، وإما صريح غير صحيح. والأنبياء والصالحون لهم جاه عند الله سبحانه وتعالى، وذلك لا يقتضي جواز التوسل بذواتهم وجاههم، لأن هذا ينفعهم ولا ينفع غيرهم.

- ولا يُشكل على هذا: الحديث الذي رواه أحمد، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: (من خرج من بيته إلى الصلاة، فقال: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وبحق ممشاي هذا). الحديث. فإن هذا الحديث في إسناده ضعف. ولو صحَّ الحديث، فهو =

٧٦٣- وقال إبراهيم بن بشار؛ خادم إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال:

كان إبراهيم بن أدهم يقول هذا الكلام في كل جمعة إذا أصبح عشر مرات، وإذا أمسى عشر مرات يقول مثل ذلك:

مرحبًا بيوم المزيد والصبح الجديد والكاتب الشهيد، يومنا هذا يوم عيد، اكتب لنا ما نقول فيه: بسم الله الحميد المجيد، الرفيع الودود، والفعال لما يريد. أصبحتُ بالله مؤمنًا، وبلقاء الله عَزَّوَجَلَّ مصدِّقًا، وبحجته

يعود إلى التوسل إلى الله تعالى بصفة من صفاته، فإن حقَّ السائلين عليه أن يجيبهم، وهو حقٌّ أوجبه سبحانه على نفسه لهم، وكذلك هو من التوسل بالأعمال الصالحة، لأنه يتوسل بممشاه إلى الصلاة، وهذا عملٌ صالح.

- وقال ابن تيمية: (أما التوسل بالنبي ﷺ والتوجه به في كلام الصحابة؛ فيريدون به التوسل بدعائه وشفاعته... إلى أن قال: التوسل به بمعنى الإقسام على الله بذاته- أي: ذات النبي ﷺ- والسؤال بذاته، فهذا هو الذي لم يكن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يفعلونه في الاستسقاء ونحوه، لا في حياته ولا بعد مماته، لا عند قبره ولا غير قبره، ولا يُعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم، وإنما ينقل شيء من ذلك في أحاديث ضعيفة مرفوعة وموقوفة، أو عمّن ليس قوله حجة).

- **تنبيه**: قال ابن تيمية في قاعدة جليلة (٢/ ١٩٩): (نُقِل عن أحمد بن حنبل في منسك المروذي: التوسل بالنبي ﷺ في الدعاء، ونهى عنه آخرون. فإن كان مقصود المتوسلين التوسل بالإيمان به وبمحبته وبموالاته وبطاعته، فلا نزاع بين الطائفتين، وإن كان مقصودهم التوسل بذاته؛ فهو محل النزاع، وما تنازعوا فيه يرد إلى الله والرسول ﷺ). اهـ

- وقالت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في سؤال ورد بهذا الشأن: (أما ما نُقل عن الأمام أحمد في التوسل بالنبي ﷺ بصيغة التمريض؛ فلا نعلم له طريقًا صحيحًا عن الإمام أحمد، ولو صحَّ عنه لم يكن به حجة، بل الصواب ما قاله غيره في ذلك وهم جمهور أهل السُّنة؛ لأن الأدلة الشرعية في ذلك معهم. والله ولي التوفيق). (فتوى رقم: (٩٠٤٧)، ١/ ٥٢٤-٥٣٠).

معترفًا، ومن ذنبي مستغفرًا، ولربوبيته خاضعًا، ولسوى الله جاحدًا، وإلى الله فقيرًا، وعلى الله متوكلًا، وإلى الله منيبًا.

أُشهد الله وأُشهد ملائكته وأنبياءه وحملة عرشه، ومَن خلق ومَن هو خالقه، بأنه الله لا إله إلا هو وحده لا شريك له، وأن محمدًا ﷺ عبده ورسوله، وأن الجنة حق، والنار حق، والحوض حق، والشفاعة حق، ومنكرًا ونكيرًا حق، ولقاءك حق، ووعدك حق، والساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، على ذلك أحيا، وعليه أموت وعليه أُبعث إن شاء الله.

اللهم أنت ربي، لا ربَّ لي إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك اللهم من شر كل ذي شر، اللهم إني ظلمت نفسي؛ فاغفر لي ذنبي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق فإنه لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها، فإنه لا يصرف سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك والخير كله في يديك، أنا بك وإليك، أستغفرك وأتوب إليك، آمنت اللهم بما أرسلتَ من رسول، وآمنت اللهم بما أنزلتَ من كتاب.

وصلى الله على محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا- خاتم كلامي ومفتاحه- وعلى أنبيائه ورسله أجمعين، آمين يا رب العالمين! اللهم أوردنا حوضه، واسقنا بكأسه مشربًا رويًا سائغًا هنِّيًا، لا نظمأ بعده أبدًا، واحشرنا في زمرته غير خزايا ولا ناكثين، ولا مرتابين ولا مفتونين، ولا مغضوب علينا ولا ضالين، اللهم اعصمني من فتن الدنيا،

ووفقني لما تحب من العمل وترضى، وأصلح لي شأني كله، وثبتني بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة، ولا تضلني وإن كنت ظالمًا، سبحانك سبحانك يا عظيم! يا بر! يا رحيم! يا عزيز! يا جبار! سبحان من سبحت له السماوات بأكنافها، وسبحان من سبحت له الجبال بأصواتها، وسبحان من سبحت له النجوم في السماء بأبراجها، وسبحان من سبحت له البحار بأمواجها، وسبحان من سبحت له الحيتان بلغاتها، وسبحان من سبحت له الشجر بأصواتها، وسبحان من سبحت له السماوات السبع والأرضون السبع ومن فيهن ومن عليهن، سبحانك يا حي، يا حليم، سبحانك لا إله إلا أنت وحدك.

٧٦٤- وعن سويد بن الحارث الأزدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال:

وفدت على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سابع سبعة من قومي، فلما دخلنا عليه وكلمناه؛ أعجبه ما رأى من سَمْتِنَا وهيئتنا، فقال: **«ما أنتم؟»**. فقلنا: مؤمنون، فتبسم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: **«إن لكل قول حقيقة، فما حقيقة قولكم وإيمانكم؟»**. قال سويد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فقلتُ: خمس عشرة خصلة، خمس منها أمرتنا بها، وخمس منها أمرتنا رسلك أن نعمل بها، وخمس منها تَخَلَّقْنَا بها في الجاهلية ونحن عليها إلا أن تكره منها شيئًا، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«وما الخمس التي أمرتكم رسلي أن تؤمنوا بها؟»**. فقلتُ: أمرتنا رسلك أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت؛ قال: **«فما الخمس التي أمرتكم أن تعملوا بها؟»**. فقلتُ: أمرتنا رسلك أن نقول جميعًا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأن نقيم الصلاة، ونؤتي الزكاة،

ونحج البيت من استطاع إليه سبيلًا، ونصوم شهر رمضان، فنحن على ذلك؛ قال: «**فما الخمس التي تخلقتم بها أنتم؟**». قال: قلت: الشكر عند الرخاء، والصبر عند البلاء، والصدق في مواطن اللقاء، والرضاء بمواقع القضاء، وترك الشماتة بالمصائب إذا حلَّت بالأعداء، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «**أدباء حكماء فقهاء، كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء، من خصال ما أشرفها وأزكاها وأعظم ثوابها!**». ثم قال ﷺ: «**وأنا أوصيكم بخمس خصال لتكمل عشرون خصلة**». قلنا: أوصنا يا رسول الله! قال: «**إن كنتم كما تقولون فلا تجمعوا ما لا تأكلون، ولا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تنافسوا في شيء عنه غدًا تزولون، وارغبوا فيما عليه تقدمون وفيه تخلدون، واتقوا الله الذي إليه ترجعون وعليه تعرضون**».

قال أبو سليمان الداراني: فقال علقمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فانصرف القوم من عند رسول الله ﷺ وقد حفظوا وصيته وعملوا بها، ولا والله يا أبا سليمان! ما بقي من أولئك النفر ولا من أتباعهم غيري، ثم قال: اللهم اقبضني إليك غير مبدِّل ولا مغيِّر.

قال أبو سليمان: فمات والله بعد أيام قلائل[1].



(١) رواه أبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الزهد الكبير. وفي رفعه نظر، وعلقمة هو: ابن يزيد بن سويد الأزدي؛ حفيد الراوي، قال فيه الذهبي: (لا يُعرف وأتى بخبر منكر؛ فلا يحتج به). اهـ

خاتمة المختصِر:

هذا آخر ما تيسر لي من اختصار كتاب: «الحجة» نفعني الله تعالى به ونفع به كل من أراد النفع به.

نهار الأربعاء مستهل سنة سبعة عشر وألف

رقمه: محمد بن محمد الهريري الحلبي(١)

غفر الله له وللمسلمين.

❐ ❐ ❐

(١) هو: محمد بن محمد الهريري الحلبي، الكاتب الشَّاعر، نزيل دمشق.
- قال المحبي في خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (٤/ ٣٠٠): (هو وإن كانت حلب مسقط رأسه، فدمشق مدرج أنفاسه، قَدِم إليها واختلط بأبنائها، وغذي طبعه برقة مائها وهوائها، وكان ممتع المجالسة حلو المناسبة والمجانسة، وكتب الكثير بخطه وضبطه بضبطه، لكن خطه صدا النواظر وقسوة الخواطر، وله شعر يُنسب إليه، أكثره مغصوب، ضمانه عليه، وعندي أن شعره لو قيل له: ارجع إلى أهلك؛ لم يبق منه شيء. وكانت وفاته في سنة سبع وثلاثين وألف). اهـ

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

تم بحمد الله

❒ ❒ ❒